

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية  
قسنطينة  
كلية أصول الدين  
قسم العقيدة ومقارنة الأديان  
تخصص: مقارنة الأديان

رقم التسجيل: .....  
الرقم التسلسلي: .....

## خلق المحبة في المسيحية والإسلام دراسة مقارنة

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في مقارنة الأديان

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:  
عبد القادر بخوش

إعداد الطالبة  
بوسبولة حكيمة

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د. محمد بوالروايح	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	رئيسا
أ.د. عبد القادر بخوش	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	مشرفا ومقررا
أ.د. مسعود حايبي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	عضوا مناقشا
د. كمال معزي	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2012/2011

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأمير

عبد

القادر للعلوم الإسلامية



الحمر لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا  
وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له  
وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده  
ورسوله.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَزَجَّهَا فَتَفَخَّنَا فِيهِ  
مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الْقَانِتِينَ﴾  
(سورة التحريم: الآية 12)

"اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إليك  
حبك"

حديث نبوي

## شكر وتقدير و عرفان

أتوجه بالحمد والثناء والشكر الجزيل لله تعالى أولاً وآخرًا ظاهرًا وباطنًا ودائمًا،

(وأما بنعمة مربيك فحدث) [الضحى: 11]

كما أتوجه بخالصي شكري وامتناني إلى الأستاذ الفاضل المشرف على هذا العمل

الأستاذ الدكتور: عبد القادر بخوش الذي ساعدني على المضي في هذا البحث، وعلى

تخطي كل الصعاب، بإشرافه عليه طوال مراحلها، ولم يبخل علي بملاحظاته وتوجيهاته

القيمة، فقد استفدت كثيرًا من تصويباته النيرة فجزاه الله عني خير الجزاء . فإنه (من لم

يشكر الناس لم يشكر الله) (مرواه الترمذي، وأبوداود).

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بأسنى آيات الشكر والعرفان والتحية إلى السادة

الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الموقرة، الذين قبلوا قراءة هذا البحث، رغم كثرة

التزاماتهم وارتباطاتهم، فجزاهم الله عني كل خير .

وفي الأخير أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل بهذا الشكل وفي هذه

الصورة، من قريب أو بعيد وأخص بالذكر: دلال حمروش، فونرية قواح، سميرة بانريري،

والأستاذ خيسوس .

ب. حكمة

# الإهداء

إلى الدوالمدين الكريمين: أبي رحمه الله رحمة واسعة،

أمي أطال الله في عمرها

الذين كانا أساس هذا الغراس

﴿وقل رب ارحمهما كما

رباني صغيراً﴾

إلى عائلتي: بوسبولة وعمروش

إلى زوجي المحترم إدريس عمروش

إلى زهرات الأمل وبراعهم الحياة وبلسم الروح،

الذين قال فيهم ربنا عز وجل:

﴿زينة الحياة الدنيا﴾

عيلية - لينة - نجاح - محمد عبد الجواد.

وإلى كل أساتذة وعمال، وتلاميذ ثانوية مرايح يبطاط بديدوش مراد

إلى كل مسلم محب للخير غيور على دينه ووطنه وأمه

ب. حكيمة



# مقدمة

## مقدمة:

الحبة نفخة روحية ربانية تقذف في قلب الكائن البشري استجابة لتطلعاته الروحية، وهي قاعدة تبنى عليها جملة من الأخلاق الفاضلة، ضف إلى ذلك إلى ما يخلفه هذا الخلق من الفوائد والآثار الطيبة التي تنعكس على صلاح الفرد والمجتمع، ويساهم في التواصل والتعاون بين الأفراد والجماعات، وحتى الدول.

أسباب اختيار الموضوع: ما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع ما يلي:

**1- الأسباب الذاتية:** الميل الشخصي لمثل هذه المواضيع ذات البعد الإنساني، والتي دونها يفقد الإنسان إنسانيته، ويجهل حقيقة وجوده في هذا العالم المادي .

**2- الأسباب الموضوعية:**

1- حدة التوتر والتشنج التي تطبع العلاقات الإنسانية.

2- قيام المسيحية على هذا الخلق دون غيره مما جعله محل تتبع في مصادرهم، وعقيدتهم وسلوكهم.

3- حملات التشويه التي يقودها أعداء هذا الدين والجاهلين لحقائقه وحرص المنصرين خاصة على إشاعة خلو الإسلام من هذا الخلق في أوساط المسلمين، وغيرهم من أهل الديانات الأخرى.

**أهمية البحث:**

يكتسي هذا الموضوع أهمية متعددة الأطراف نجملها ونلخصها فيما يلي:

- لا تخلو نفس إنسانية من هذا الخلق "نفخة ربانية".

- طغيان التزعة المادية في الوقت الراهن مما أدى إلى الابتعاد عن القيم الروحية.

- تشغل الحبة حيزا وافرا في كبرى الديانات، وعلى رأسها المسيحية والإسلام، فالمسيحية قوامها الحبة، وعمودها القائم، كما هو واضح من مصادرها الأصلية . كما تحتل الحبة كذلك مكانا بارزا في المصادر الإسلامية مما انعكس ذلك إيجابا على الأمة الإسلامية في ممارستها الدينية.

- وبعد تشنج العلاقات الإنسانية في الزمن الراهن، يجب البحث عن نقاط تواصل بين الأديان للعيش في سلم وأمان، ولذلك هذا البحث يندرج تحت الإطار الذي خلقه المهتمون بحوار الأديان، فيمكن الاعتماد على مثل هذا الخلق العظيم للتقريب بين أهل الأديان المختلفة، وخاصة بين المسيحية والإسلام.

وانطلاقاً من هذه الأهمية التي يكتسبها هذا الخلق الرفيع، يسعى هذا البحث للإجابة على الإشكالية الآتية.

### الإشكالية الرئيسية:

إن الشغف لكبير للوصول إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- فيم تتمثل ماهية المحبة في كل من الديانة المسيحية والإسلام؟

- ما هي المكانة التي يتبوأها هذا الخلق في كلتا الديانتين، وما هي أهم مساحات التقاطع بينهما؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية الأم، مسائل في غاية الأهمية منها:

- لماذا اصطبغت المسيحية بالمحبة حتى أضحت ملازمة لها؟

- هل هذا الخلق أصيل في المصادر المسيحية، أم أنه نتاج تطور في الديانة المسيحية عبر العصور؟

- ما هو الدور الذي يمكن أن يضطلع به هذا الخلق في تفعيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين في عصرنا الحاضر؟.

والإجابة عن هذه الإشكالات هي الهدف من هذا البحث.

**أهداف البحث:** تبعا لما سبق يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- بيان أصالة ومكانة المحبة في الديانتين.

2- بيان أن هذا الخلق ليس حكراً على دين دون آخر.

3- الكشف عن مدى قدرة هذا الخلق في طي فترات التأزم التي طبعت العلاقات المسيحية الإسلامية عبر العصور.

4- دور هذا الخلق في إرساء قواعد لفتح جسور التلاقي بين معتنقي الديانتين، والتأكيد على الحوار بين الأديان في عصر العولمة .

5- مدى تجلي هذا الخلق في الواقع المسيحي والإسلامي.

6- لا تحمل الممارسات الميدانية الشاذة على عاتق الديانتين بل تبقى ممارسات إنسانية يتحمل ممارستها مسؤوليتها.

### منهج البحث:

تقتضي طبيعة البحث اعتماد المنهج التاريخي الوصفي، والمنهج التحليلي النقدي، والمنهج الاستقرائي، والمنهج المقارن.

كان الاعتماد على المنهج التاريخي، في البحث عن تجدر المحبة في الديانات القديمة، وفي الديانة المسيحية والإسلامية، ومدى فعاليتها في تنظيم علاقة الإنسان بمعبوده، وعلاقته مع أخيه الإنسان كما اعتمد المنهج الاستقرائي في تجميع بعض النصوص من المصادر المسيحية والإسلامية والتي تتضمن هذا الخلق ذكراً أو إشارة.

كما تم تجميع الكثير من الآراء التي اهتمت بهذا الموضوع، أو كان هو شغلها الشاغل وهدفها المنشود وهم المتصوفة.

وعند تتبع المحبة في المصادر المسيحية انُهج المنهج التحليلي النقدي بغية التوصل إلى فهم حقيقة المحبة المسيحية، وعند تجلي حقيقتها يتحتم نقد ما يجب نقده.

أما في النتائج قد طبق المنهج المقارن ليعين على تجليه العلائق في المحبة المسيحية، وتبيين الحقائق بالحجج النصية والعقلية.

### أهم مصادر ومراجع البحث:

لقد رجعت في هذا البحث إلى العديد من المصادر والمراجع المسيحية منها والإسلامية، ويتصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والكتاب المقدس والذي اعتمد عليه بشكل كبير

في البحث عن المحبة في المصادر المسيحية، إضافة إلى بعض المصادر الأخرى والمراجع التي عالجتها هذا الموضوع في كلتا الديانتين ونذكر منها:

- الأب فاضل سيداروس اليسوعي، الأب سليم بكاش اليسوعي، الأب موريس-ماري مارتان اليسوعي: معجم اللاهوت الكتابي، نقل إلى العربية عن: Vocabulaire de théologie biblique, 3<sup>eme</sup> édition, les éditions V.E.R.F., Paris, 1974 ش.م.م، ط5، 2004

- الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، محاضرات ألقيت في كلية الشريعة الإسلامية بأنقرة (تركيا)، نقلها من الإنجليزية الأب كميل حشيمه اليسوعي، دار المشرق، بيروت.

- الأب فاضل سيداروس اليسوعي: بين وحي الله وإيمان الإنسان، محاضرات ألقيت في المعهد الإكليريكي للأقباط الكاثوليك بالمعادي وفي معهد الدراسات اللاهوتية بالسكاكيني القاهرة، دار المشرق، بيروت، ط2، 1986.

أندرية ماندوز: تاريخ الكنيسة المفصل، نقله إلى العربية الأبوان أنطوان الغزال وصبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، القديس أوغسطين، الفصل 15، بعض المراجع الإسلامية:

- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار البيان العربي، دار إحياء الكتب العربية.  
- أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك ابن طلحة القشيري، الرسالة القشيرية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 2003.

- تقي الدين ابن تيمية: من رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية (الزهد والورع والعبادة)، تحقيق عماد سلامة، إشراف محمد عويضة، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر  
- محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، دار المعارف، ط2.

- علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والألاف، حققه وفهرسه محمد عبد الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية.

- عمر رضا كحالة: سلسلة بحوث اجتماعية (الطلاق، الزنا، ومكافحة الحب)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1404هـ-1984م.



- عبد الوهاب المسيري: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط2، 2002.

- A. D. Sertillanges : L'amour chrétienne, J. Gabalda, Librairie Lecceffre, Paris.
- Felix Anizan OMI : Rayons du cœur tout aimant.
- Droguet- Ardant Fayard : Théo nouvelle encyclopédie catholique (Réflexions chrétiennes sur les problèmes moraux),
- Dictionnaire encyclopédique du judaïsme, publié sous la direction de Geceffrey Wigoder, Éditeur de l'encyclopedia judaïca les éditions du cerf 29, bd Latour- Maubourg, Paris, 1993

### الدراسات السابقة:

من الملاحظ أن هناك دراسات كثيرة مقارنة لهذا الموضوع الموسوم بـ "خلق المحبة في المسيحية والإسلام" لكنها تناولته من وجهة واحدة، أي من الوجهة المسيحية أو الإسلامية، دون أن تعقد مقارنة بين الديانتين.

كما أنجزت كتب بعضها اصطبغ بالصبغة اللاهوتية الخاصة بكل دين، وما كتبه المتصوفة المسلمون والنصارى شاهد على ذلك.

والبعض الآخر من هذه الكتب ذات طابع دعوي، أو تبشيري لم ترق إلى مستوى الدراسات الأكاديمية المتخصصة ومهمتي في هذا البحث لا تنحصر في الجمع فحسب، إنما في محاولة التحليل والنقد والمقارنة.

### صعوبات البحث:

أجد أنه من الصعب الكلام عن العراقيين التي اعترضت سبيل إنجاز هذا البحث في وقته المحدد، وطال عمر الإنجاز إلى هذا التاريخ، وكاد أن يكون في خبر كان لولا توفيق الله عز وجل - الذي ينعش في قلبي الإرادة والعزم على المواصلة وإنهائه ولو في وقت متأخر.

ومن بين هذه العراقيل:

- مسؤوليتي الأسرية.

- مسؤوليتي المهنية في التعليم الثانوي (مادة العلوم الإسلامية).

- سعة الموضوع وتشعبه.

لكن والحمد لله هذه العراقيل لم تشن من عزمي، بل أعطيتني دفعا قويا وتحديا للمواصلة، لأن إيماني كبير، أن طلب العلم لا يعترض طريقه إلا الموت.

### خطة البحث:

بغية الإجابة عن الإشكالية المطروحة، والإحاطة بمكونات هذا البحث اعتمدت خطة تنوزع في فصل تمهيدي وفصلين.

في الفصل التمهيدي عرضت مفهوم الخلق بغية الوصول إلى أن الحب - المحبة - خلق من الأخلاق الفاضلة التي من بها المولى عز وجل على سائر عباد.

ثم تم تتبع هذا الخلق - المحبة - في بعض الديانات القديمة، سواء الوضعية منها أو السماوية للوصول إلى المبتغى، وهو أن المحبة لم تظهر مع ظهور الديانة المسيحية، بل عرفت الديانات السابقة عنها.

أما الفصل الأول فقسمته إلى مبحثين، وكل مبحث إلى ثلاثة مطالب واقتصرت فيه على تحديد ماهية المحبة في الديانتين - المسيحية والإسلامية - محاولة استقراء هذه المفاهيم في نصوصها الأصلية سواء في المسيحية أو الإسلام، وأهميته بحوصلة نقاط الاتفاق والافتراق التي توضحت بعد إنهاء هذا الفصل.

أما الفصل الثاني الذي قسمته هو الآخر إلى مبحثين، كل منهما تضمن أربعة مطالب، تناولت فيه فلسفة المحبة المسيحية وتطبيقاتها العملية في الديانتين، ممثلة لها بنماذج لها باع في التصوف والرهبة، ومشهود لها عند أهل ملتها، وأهميته بجملة من النتائج.

وختمت البحث بخاتمة تلخص أهم النتائج المتوصل إليها.

وهذه النتائج بلا شك ستكون محل إشارة لتساؤلات دارسين آخرين يزيدون هذا الموضوع اتساعا وبيانا، أو ينحى به مناحي لم تكن تخطر على بالي، أو يفرضه الزمن المستقبل في الدراسات الإستشراقية.

وفي الأخير أقول: حسي أني بذلت قصارى جهدي بما سمح به وقتي لإتمام هذا البحث، فإن وفقت فمن الله، وإن أخفقت فمن نفسي ومن الشيطان.

وأسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وينفع به النفع العميم، ويجعلنا ممن يأتيه بقلب سليم ومحب للحليم.

الأمير عبد القادر للعطوم الإسلامية



# الفصل النهدي

عبد القادر للعظم الاسلاميات

### مفهوم الخلق:

#### لغة:

الخلق: م جمع أخلاق، بضم الخاء واللام، كعنق وأعناق، أو بضم وسكون كصلب وأصلاب، ولا تكسر على غير ذلك... بمعنى أنها ليست من الكلمات التي تكسر على صور مختلفة، ككلمة "جميل" مثلاً فإنها تجمع جمع تكسير على أجمال، وجمال، وجميل، وجمالة، وجماليات، وأجمال، وجمالي وجميل<sup>1</sup>.

وفي لسان العرب: الخلق بضم اللام، والخلق بسكون اللام: السجية، يقال: خلق المؤمن، وخلق الفاجر، وفي الحديث: "ليس شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق"<sup>2</sup> والخلق بضم اللام وسكونها هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته: أنه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بما ممثلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولها أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة<sup>3</sup>.

كما ورد الخلق بضم الخاء واللام: السجية والطبع وما يجري عليه المرء من عادة لازمة<sup>4</sup>.

وإذا كان ابن منظور قد ذكر أن الخلق (بضم اللام وسكونها) هو الدين والطبع والسجية، فهل هناك من فرق بين مدلول الطبع ومدلول السجية أم هي ألفاظ مترادفة.

يرى بعض العلماء أن هناك فرقا بين المدلولين وهو أن: الطبع (بسكون الباء) هو الجبلة التي خلق الإنسان عليها، أي هو خلق فطري.

والسجية تطلق على الخلق الفطري والمكتسب إذا أصبح عادة، وما يؤيد هذا الرأي قول

حسان بن ثابت:

سجية تلك فيهم غير محدثة  
إن الخلاق فاعلم شرها البدع

<sup>1</sup> منصور رجب: تأملات في فلسفة الأخلاق، القاهرة، ط3، 1961، ص 12.

<sup>2</sup> رواه أبو داود، ج2، ص319، ح2509.

<sup>3</sup> ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثاني، دار المعارف بمصر، ص 1245.

<sup>4</sup> مجمع اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج1، لجنة التراث للجميع، القاهرة، ص 361.

فالسجية قد تكون صحيحة وقد تكون غير صحيحة<sup>1</sup>.

وقد فرق الأصفهاني بين الطبع والسجية والخلق والعادة.

فالطبع أصله من طبع السيف: اتخاذ الصورة المخصصة من الحديد<sup>2</sup>.

والسجية اسم لما يسجى عليه الإنسان من قولهم: عين ساجية أي: فاترة خلقة، تستعمل فيما لا يمكن تغييره<sup>3</sup>.

أما الخلق في الأصل فهو كالخلق كقولهم الشرب والشرب، والصرم والصرم، لكن الخلق يقال في القوى المدركة بالبصيرة والخلق في الهيئات والأشكال، والصور المدركة بالبصر.

وجعل الخلق تارة للقوة الغريزية، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "فرغ الله من الخلق والخلق والرزق والأجل"<sup>4</sup>.

وتارة يجعل اسما للحالة المكتسبة التي يصير بها الإنسان خليقا أن يفعل شيئا دون شيء، كمن هو خليق بالغضب لحدة مزاجه، ولهذا خص كل حيوان بخلق في أصل خلقاته، كالشجاعة للأسد، والجن للأرنب والمكر للشعب<sup>5</sup>.

أما العادة: فاسم لتكرير الفعل، أو الانفعال، من عاد يعود، وبها يكمل الخلق، وليس للعادة فعل إلا تسهيل خروج ما هو بالقوة في الإنسان إلى الفعل.

والعادة إما أن تجذب السجية إلى خلاف ما خلقت له، فمحال، فالسجية فعل الخالق عزوجل، والعادة فعل المخلوق، ولا يبطل فعل المخلوق فعل الخالق، ولكن قد يقوي العادة قوة محكمة حتى تعد سجية، ولهذا قيل: العادة طبيعة ثانية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> منصور رجب: تأملات في فلسفة الأخلاق، ص 13.

<sup>2</sup> أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق ودراسة أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، 2007، ص 113.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 113.

<sup>4</sup> مسند احمد بن حنبل، ج 2، ص 466.

<sup>5</sup> الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص 113.

<sup>6</sup> نفس المرجع السابق، ص 114-115.

تجتمع كل هذه المعاني في أن الخلق (الخُلُق) جبلة ربانية، لا تُدرك إلا بالبصيرة، وإن كان للعادة القدرة على إفساد صورة هذه الجبلة ظاهراً، فلا قدرة لها على إفسادها باطناً، لأنه من المحال أن يغلب فعل المخلوق فعل الخالق.

اصطلاحاً (ماهيتها):

الأخلاق هي مصدر، أو منبع كل الأفعال والسلوكات الصادرة عن الإنسان، وصفة الأخلاق تتحدد بنوع السلوك الصادر عن صاحبه، وفي هذا يقول أبو حامد الغزالي: "إن الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً، سميت تلك الهيئة خُلُقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خُلُقاً سيئاً"<sup>1</sup>.

لكن الشرباصي يفرق بين الخُلُق والتخلق، فيقول: "الأخلاق سجايا وطبائع متأصلة في أعماق الإنسان، لكن التخلق هو إظهار عكس الباطن"<sup>2</sup>.

من الممكن أن يكون قد استند في مثل هذا التعريف -للأخلاق- لأقوال بعض السلف الذي عد الدين هو الأخلاق الكريمة، والأخلاق الكريمة هي الدين<sup>3</sup>، استناداً إلى القول الرباني: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>4</sup>.

وفي ذلك يقول ابن القيم: "الدين كله خُلُق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين"<sup>5</sup>.

ولكن هناك من يرى أن اصطلاح الأخلاق لا يعني بالضرورة الأخلاق الحسنة، بل هو مصطلح يحتمل المعنيين الوجه الحسن منها والسيئ.

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد 3، دار البيان العربي، دار إحياء الكتب العربية، ص 52.

<sup>2</sup> أحمد الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، ج 1، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ص ي.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص ي.

<sup>4</sup> سورة القلم: الآية 04.

<sup>5</sup> أحمد الشرباصي: موسوعة الأخلاق، ص ي.

ولذلك يعرفها في موضع آخر على أنها: تلك الطباع السائدة والعادات الغالبة التي تميز الفرد وتحدد سلوكه الأخلاقي... فأصل الخلق يتميز بالثبات والاستقرار، كما أنه يغدو وكأنه طبع ثان للفرد بجانب ما غرسه الله تعالى فيه من طبع.

وبناء عليه يمكن القول أن الخلق ما ترسخ من العادات، والقيم الخلقية وصار مما يميز شخصية الإنسان<sup>1</sup>. لأن الإنسان قابل لاكتساب كل ما يتربى عليه من الخلق والعادة<sup>2</sup>.

ويذهب بعض العلماء إلى التفريق بين الخلق والسلوك، لأن الخلق أمر معنوي، لأنه صفة النفس وسجيتها، والسلوك هو أسلوب الأعمال ونهجها وعادتها، وعليه فهو -السلوك-، مظهر الخلق ومرآته ودليله<sup>3</sup>.

والعلم الذي تنضوي تحته كل الأخلاق يسمى "بعلم الأخلاق" ويعرفه البعض على أنه: "جملة القواعد التي ترسم لنا طريق السلوك الحميد، وتحدد لنا بواعثه وأهدافه"<sup>4</sup>.

وإن تباينت الآراء في تحديد مفهوم الأخلاق، بين الطبع، والسجية، والسلوك، فإنها لم تتباين في أهميتها، وحاجة الإنسان إليها في كل مجالات حياته.

والأخلاق ركن من أركان الدين الثلاثة التي لا يلحقها نسخ ولا تبديل وهي: العقائد، وأصول العبادات، وأمهاات الفضائل، فهذه لا تختلف من نبي إلى نبي ولا من شريعة لشريعة أخرى<sup>5</sup>.

والأخلاق ليست لها علاقة بالديانات السماوية فحسب، بل لها علاقة أيضا بالديانات الوضعية، وليس أدل على ذلك من حضارات الصين وبابل وآشور ومصر الفرعونية<sup>6</sup>، وحتى

---

<sup>1</sup> يعقوب المليجي: الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية، عن ج. سل. ملييه، محطات انتظار بين المسيحية والإسلام، باريس، 1961. ص 56.

<sup>2</sup> أسعد السحمراني: الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، دار النفائس، ط1، 1408هـ-1988م، ص 18.

<sup>3</sup> محمد عبد الله دراز: دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، دار القلم، الكويت، ط1، 1393هـ-1973م، ص 89.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 101.

<sup>5</sup> عبد الفتاح أحمد الفاوي: الأخلاق دراسة فلسفية دينية، ط1، 1410هـ-1990م، ص 40.

<sup>6</sup> نفس المرجع السابق، ص 82.



اليونان، كانت الأخلاق عندهم دينية، قبل أن تكون فلسفية، إذ يقول فيلسوفهم (سترابون): "إنك في معاملتك لحشد من النساء أو الرجال تريد أن تؤثر فيهم لا تستطيع ذلك بالفلسفة أو العقل، أو الإقناع بضرورة الورع والإيمان، بل لابد من الخوف الديني أيضا، ولا يمكن إثارة هذا الخوف في كل نفوسهم بغير الأساطير والأعاجيب"<sup>1</sup>.

ولكن ديننا الحنيف ليس بدين أساطير وخرافات، بل دين واقعية، لأنه لم يفرض المبادئ الأخلاقية على سلوك الإنسان فقط، بل فرضها أيضا على السلوك الباطني، لأن الحياة قسمان: ظاهر محسوس وباطن غير محسوس، ومظاهر الأول انعكاس للأخير، ولهذا كانت الأخلاق الإسلامية مركزة على الحياة الباطنة في الدرجة الأولى، لأن بصلاحتها إستقامة للأخرى، وصلاح الاثنين هو طريق السعادة الإنسانية<sup>2</sup>، ولهذا قال ﷺ: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"<sup>3</sup>.

وإلى جانب دعوته إلى التفاؤل، دعا إلى كل ما من شأنه أن يجعل النفس قائمة، ويزيل عنها البشاشة، والبهجة، كالتباغض، والتحاسد والحقد، والكراهية، وما إلى ذلك من الرذائل النفسية في قوله ﷺ: "ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا"<sup>4</sup>.

كما عد بعض علماء النفس هذه الرذائل الأخلاقية من الأعراض النفسية والاجتماعية.

واهتمام القرآن الكريم بالأخلاق أمرا بارزا، وقد وصفت هذه النظرية الأخلاقية للقرآن الكريم -بتركيب التراكيب-، لأنها لا تلي فقط كل المطالب الشرعية، والأخلاقية، والاجتماعية والدينية، لكن نجدها في كل خطوة، وقد تغلغل فيها بعمق روح التوفيق بين شتى التزعات، فهي متحررة ونظامية، عقلية وصوفية، لينة وصلبة، واقعية ومثالية، محافظة وتقدمية، كل ذلك في آن واحد، وهي مع ذلك بناء عضوي حقيقي تتعاون فيه كل العناصر، وتتساند كل الوظائف فيمتزج

<sup>1</sup> عبد الله شريط: الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص 91.

<sup>2</sup> مقداد يالجن: الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973، ص 86.

<sup>3</sup> أخرجه البخاري، باب ما ينهى عن النجاسة، ج5، ص2253، ح5718، ومسلم: ج5، ص50، ح4178.

<sup>4</sup> أخرجه البخاري، باب ما ينهى عن التحاسد، ج5، ص2253، ح5718.

المثالي بالواقع العملي الصلد، وصرامة الإطار تسير مع المرونة في المضمون جنباً إلى جنب، فيشتركان معا في حفظ النظام، وفي تحقيق التقدم<sup>1</sup>.

والغاية من قواعد الأخلاق، والفضائل هي تكوين المجتمع القوي، والموحد، لتحقيق العزة والكرامة والخير.

وتبقى هذه الفضائل، والأخلاق الإسلامية هدفا يقصد لذاته ويعلو على كل ما يعرقل تحقيقه، والنجاح في المجتمع الإسلامي لا يرسم نجاحاً إذا لم يقترن بالقيم الإسلامية، بل أكثر من ذلك أن التقدم الحضاري الاقتصادي يحمل في ثناياه بذور الانحلال والتدهور إذا لم يقم على أسس أخلاقية<sup>2</sup>.

إن مجال الأخلاق في الإسلام هو مجال الحياة كلها، لأن كل عمله الباطني والظاهري بر كما جاء في الآية الكريمة: «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ...»<sup>3</sup>، ولا يتحقق البر دون الإيمان والعبادة، والبر هو الأخلاق والأخلاق هي البر، وكل سلوك إنساني يحقق الخير والبر للذات الفاعلة، أو لغيرها يعد أخلاقاً، طالما كانت الذات الفاعلة تريد بسلوكها هذا عمل الخير كله<sup>4</sup>.

وهذه الفضائل تستدعي من الإنسان جهداً معتبراً للارتقاء إليها حتى لا ينحدر إلى أقصى الرذائل "للإنسان في منازل الفضائل مرتقى صعب ومنحدر سهل"<sup>5</sup> وعلى الارتقاء فيها حث ربنا تبارك وتعالى بقوله: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ مُّرْضَاهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُحْدِثَتْ لِلْمُتَّقِينَ»<sup>6</sup> وبقوله: «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ»<sup>7</sup>، ومدح قوماً بقوله: «أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»

<sup>1</sup> محمد عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، تعريب وتحقيق وتعليق عبد الصبور شاهين، مراجعة محمد بدوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط10، 1998، ص 686.

<sup>2</sup> يعقوب الميليجي: الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية، ص 110.

<sup>3</sup> سورة البقرة: الآية 177.

<sup>4</sup> مقداد يالجن: الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، ص 82.

<sup>5</sup> أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (م 506هـ): الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص 157.

<sup>6</sup> سورة آل عمران: الآية 133.

<sup>7</sup> سورة البقرة: الآية 148.

وَهُمْ لَهَا سَائِقُونَ<sup>1</sup>، ونهى المولى عز وجل عن الانحدار فيها بقوله: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾<sup>2</sup>، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضْتُم مِّنْكُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَارًا تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾<sup>3</sup>.

ويمكن إجمال معاني هذه الآيات في هذا التفسير: اعلم أن إصلاح أخلاق النفس وملكاها في جانبي العلم والعمل، واكتساب الأخلاق الفاضلة، وإزالة الأخلاق الرذيلة، إنما هو بتكرار الأعمال الصالحة المناسبة لها ومزاولتها، والمداومة عليها حتى تثبت في النفس، وتتراكم وتنقش انتقاشا متعذرا الزوال أو متعسرهما<sup>4</sup>.

والمتبع للأخلاق المذكورة في القرآن سيحدها كثيرة وكلها أساسية للحياة الإنسانية، لكن العلماء اجتهدوا في تحديد أمهاتها فتوصلوا إلى أن أمهات الأخلاق التي تتفرع عنها كل الأخلاق الإسلامية هي التي وصف الله عز وجل بها حزبه في القرآن الكريم، وأنه ما من خلق في الإسلام إلا ويرجع إلى صفة من هذه الصفات<sup>5</sup>.

وحزب الله ذكرت مرتين في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ مَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَمْزَاجٍ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾<sup>6</sup>، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

<sup>1</sup> سورة المؤمنون: الآية 61.

<sup>2</sup> سورة المائدة: الآية 21.

<sup>3</sup> سورة النحل: الآية 92.

<sup>4</sup> محمد حسن الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج1، منشورات مؤسسة الأعظمي للطبوعات، بيروت، لبنان، ص65.

<sup>5</sup> سعيد حوى: الإسلام، مراجعة الأستاذ وهي سليمان الفواجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م،

ص 326.

<sup>6</sup> سورة المائدة: الآيات 54-56.

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ<sup>1</sup>.

فأما في سورة المائدة فقد ذكرت بعد هذه الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ مَن دِينِهِ... فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ<sup>2</sup>﴾.

والملاحظ أن هذه الآيات كلها في وصف حزب الله بدليل ذكر الغلبة في الأخير، والردة في الأول، والقوم الذين يقفون في وجه الردة في الوسط فلا بد أن الذين يستحقون الغلبة هم هؤلاء القوم الذين يجاهون المرتدين، وبالتالي فهم حزب الله.

وأما في سورة المجادلة فقد ذكرت كلمة حزب الله بعد ما يلي: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... هُمُ الْمُفْلِحُونَ<sup>3</sup>﴾.

وبعد التحقيق نجد أنه ما من صفة ولا خلق ذكر بعد ذلك في القرآن إلا ويمكن إرجاعه إلى واحد من الأخلاق المذكورة في هذين النصين، فمثلاً: التقوى مرجعها إلى الصفة الأولى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ<sup>4</sup>﴾، لأن الله يقول ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ<sup>5</sup>﴾، والصلاة مرجعها إلى التقوى لأن الله يقول: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ<sup>6</sup>﴾، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرجعه إلى ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ<sup>7</sup>﴾.

وفي اجتماع كل هذه الأخلاق الطريق الوحيد للقضاء على الردة أو شبه الردة الحالية المنتشرة في العالم الإسلامي<sup>8</sup>، وقد ذكرت الآيات السابقة خمسة أخلاق تتقدمها المحبة وهي:

1- يحبهم ويحبونه.

<sup>1</sup> سورة المجادلة: الآية 22.

<sup>2</sup> سورة المائدة: الآيات 54-56.

<sup>3</sup> سورة المجادلة: الآية 22.

<sup>4</sup> سورة المائدة: الآية 54.

<sup>5</sup> سورة آل عمران: الآية 76.

<sup>6</sup> سورة البقرة: الآية 02-03.

<sup>7</sup> سورة المائدة: الآية 54.

<sup>8</sup> السعيد حوى: الإسلام، ج1، ص 326.

2- أذلة على المؤمنين.

3- أعزة على الكافرين.

4- يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.

5- إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون.

والملاحظ أن آية المجادلة أشارت إلى الصفة الخامسة فقط على اعتبار أنها ذروة صفات حزب الله، ولكنها ليست الوحيدة، فلا يكون الإنسان مستجمعا صفات حزب الله حتى يجمع الصفات الخمس<sup>1</sup>.

وهذا تعليق لأحد المهتمين بهذا الموضوع -الأخلاق- "... أهم وأوسع السمات السلوكية، إنما تنتسب إلى معيار الحب في الدرجة الأولى"<sup>2</sup>.

وإذا كان الحب يحظى بكل هذه المكانة بين سائر الفضائل فإنه جدير بدراسة علمية لتكشف أسرارها. وحتى وإن سبقت دراسات كثيرة لمثل هذا الموضوع، فستكون المرجع الذي سأسند إليه لفك الإشكالات المسجلة في موضوعي والذي سأحاول فيه الوقوف عند حقيقة المحبة المسيحية، والمحبة الإسلامية، والمقارنة بينهما.

### المحبة في بعض الديانات القديمة:

نظرا لأهمية المحبة في الحياة الإنسانية، وما يرتبط بها من آثار تحدد معالم العلاقة بين الأفراد والإله، وبين الأفراد والمجتمعات والأمم، وللاستدلال على أن هذا الخلق النبيل فطرة الله في خلقه، رأيت أنه من المناسب أن أرجع للذاكرة التاريخية للبحث عن كينونته ومضامينه في بعض الديانات لتبيين علاقتها بالمحبة.

<sup>1</sup> السعيد حوى: الإسلام، ج1، ص 327.

<sup>2</sup> محمود البستاني: دراسات في علم النفس الإسلامي، دار البلاغة، بيروت، ط2، 1991م، ص 150.

### الحبة في الديانة المصرية القديمة:

لقد كان للكاتب الإغريق واللاتين الفضل الكبير في التعريف بالديانة المصرية القديمة، ومن بين المؤرخين الذين ساهموا في هذا التعريف الديني القديم، المؤرخ هيرودوت<sup>1</sup> الذي زار مصر في القرن الخامس ق.م، والذي أكد في كتابته القائلة: "إن المصريين هم أكثر الناس تدينا بين الشعوب الأخرى"<sup>2</sup>.

كما كانت النقوش، والنصوص المصرية المكتوبة بالهيروغليفية<sup>3</sup> المعين الأكبر على اكتشاف هذا الموروث الديني، والذي أبان أن مصر مهد الديانة المتعددة الآلهة، منها ما برز، ومنها من لم يبرز لأسباب مختلفة، ومن بين الآلهة التي برزت -أوزوريس-، بالاشتراك مع زوجته -إيزيس- وابنه -هوروس-.

وقد كانت هذه الأسرة المؤلّهة نموذجاً في الحبة، فقد كان الإله -أوزوريس- في مصر أكثر شعبية لما صبغ به من طيبة وحسن النية.

كما تشكلت صورة -الحبة- في -إيزيس- وهي حاضنة ابنها -هوروس-، وما يوحي به هذا المشهد، حب عظيم تُكنه هذه الإلهة الأم لابنها، وبذلك قد استطاع المصري البسيط أن يجسد مشاعره الإنسانية اتجاه الآخرين، بدءاً بأقرب الناس إليه، في صورة إله، الذي أرادته مرآة لجوهره الإنساني الذي كله نبل وخير وحب...، وفي المقابل، لم يجد المصريون القدماء إلا مبادلتة بالعبودية ومشاعر الإخلاص.

وإذا كان المصريون قد عرفوا الكثير من الآلهة للاستئناس بها دنيويا وملأ فراغهم الروحي ولنيل رضاها للنجاة، فلقد أوجدوا لهم كتباً يجسدون فيها هذا الاعتقاد، ومن أهمها كتاب -الموتى-، الذي يصوّر -محكمة أوزوريس- أين يقف الميت أمام أعماله، ويدافع عن نفسه قائلاً: "لم أظلم أحداً ولم أَمْض في طريق الشر، وما ألحقت أذى أو ضرراً بمخلوق، ولم أكن سبياً في

<sup>1</sup> هيرودوتن أو هيرودوتس، كان مؤرخاً إغريقيا عاش في القرن الخامس قبل الميلاد.

[www.ar.wikipedia.org/wiki.20-7-2011\\_14:07](http://www.ar.wikipedia.org/wiki.20-7-2011_14:07)

<sup>2</sup> فيلسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، ترجمه إلى الفرنسية حافظ الجمالي، ط1، 1991، ص45.

<sup>3</sup> الهيروغليفية: من الإغريقية تعني النقش المقدس، المصطلح يدل على فئة من نظم الكتابة التصويرية تندرج تحتها الكتابة الهيروغليفية المصرية ونظم كتابة أخرى منها المايا والكتابة الصينية في بداياتها.

[www.ar.wikipedia.org/wiki.20-7-2011\\_14:07](http://www.ar.wikipedia.org/wiki.20-7-2011_14:07)

بكاء إنسان، ولم آت بفاحشة، ولم أمنع الماشية مرعاها، ولم أتلّف زراعة أحد، ولم أفعل شراً، ولم أخدع، ولم أكلف عاملاً فوق طاقته"<sup>1</sup>، وفي مقابل ذلك يقول: "لقد كنت أطعم الجياع، وأسقي الظامئين، وأكسو العراة، وأبذل العون للأقطع والأشل، وأساعد الأعمى والأعرج والشيخ، وكنت ملجأ البائسين"<sup>2</sup>.

إن في هذا الرد الدفاعي الذي يتوهم أن يدافع به الميت عن نفسه في محكمة -أوزوريس- ما هو إلى كبح لجماح النفوس التي ملئت شراً، فتغلب شرها على خيرها، وكرهها على حبها، وتخفيف لكل فرد أن يكون في مستوى أخلاقي -بحكم وقته-، وبالتالي يكون مصدر خير، يعم كل المحيطين به، سواء كان إنساناً أو حيواناً، وهذا الخير لن يتحرك في النفوس إلا بباعث الحب الذي هو المحرك لكل عمل إنساني يكون محل رضى من قبل كل المحتكين به.

وعلى بساطة معتقد المصريين في الآلهة وما حيك حولها من أوهام وخرافات، إلا أنه حمل معاني سامية ونبيلة، وقيم إنسانية جامعة، كنبذ الظلم، وعدم إلحاق الأذى، والضرر بأي مخلوق، استطاعت هذه الأوهام الاعتقادية أن تجمع المصريين وتنظم مجتمعهم.

وما يمكن أن يقال مبدئياً أن العهد الجديد لم يكن سباقاً إلى مثل هذه القيم المتجذرة في القدم، وقد سبقه إليها الأقدمون، كما سبقوه في الدعوة إلى المحبة التي هي في الأصل منبع أي قيمة من هذه القيم.

### المحبة في الديانة العراقية القديمة:

عرفت الديانة العراقية القديمة آلهة كثيرة تبعث على التشنت والفساد، كما أنهم لم ينسبوا التوحيد المطلق لإله معين، إلا أنهم وصفوا إحداها -الآلهة- برب الأرباب، فهو الإله الأعظم الذي يعقد له التفريد، كما عبدوا معه آلهة، وإن كانت دونه مرتبة، كالإله (أنو) آلهة السماء، و(أنليل) سيد الريح العاصفة، و(آيا) سيد الأرض<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد الغفور عطار: الديانات والعقائد في مختلف العصور، ج1، مكة المكرمة، ص 329-330.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 331.

<sup>3</sup> عبد الرزاق رحيم صلال الموحى: العبادات في الأديان السماوية، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، ط1، ص 27.



ولقد كان المتعبدون يسعون لنيل رضى هذه الآلهة، وكسب ودّها، لذا لم يبخلوا على أنفسهم أن يخاطبونها بكل ألفاظ التبجيل والحب الكبير عند صلاحهم لها.

وحق وإن كان هذا الخطاب القلبي منبعث من الرغبة في جلب مصلحة، أو دفع مفسدة، كدعوة محو الكوارث، وإبعادها، إلا أنه ترجمة لمشاعر الحب الأصيلة في القلب الإنساني التي تطفو على كل المشاعر، حتى وإن لم تمتد إلى طريقها الذي من أجله أوجدت، فيكفيها بين هذه الأقسام أن توطن العلاقة بين العبد ومعبوده، وتوصل العباد فيما بينهم.

وعلى الرغم ما يكتنف هذه المعتقدات من قصور، وانحطاط خلقي في جوانب إنسانية عدة، لا يحمل أي تشويق يبعث على القداسة والتبجيل لهذه الآلهة، فقد عبد البابليون الإله (مردوك)، وهو الإله الأكبر الذي ابتلع في أيام حمورابي الآلهة الأخرى، وإلى جانبه عبت إلهة شعبية (عشتار)، إلهة نجمة السماء والحب والخصب، وهذه الأخيرة هي الأم، أو الزوجة أو الحبيبة بالنسبة (لتموز)، المسمى أيضا "بالطفل، والراعي، والسيد" الذي هبط إلى جهنم بسبب قتله لختير بري، وفي رواية قتل من طرف عشتار نفسها، ولكن عشتار لم تطق مفارقتها، فبحثت عنه في "بيت الظلمات" لتعود به حيا، ونصوص أخرى متأخرة تروي أن الإله الشاب عاد على أن يقضي نصف السنة مع إلهة الحب، والنصف الآخر مع ربة جهنم<sup>1</sup>، وهناك أسطورة أخرى تتعلق بعشتار، وهي أسطورة الملك جلجامش، ذلك أن الإلهة تسحر به، ولكنه يأبى هذا الحب، وهو يعلم أنها تقتل كل محبيها، فحملها غيضا على أن ترسل إليه ثورا غاضبا للقضاء عليه<sup>2</sup>.

فمثل هذه الأساطير وما يشابهها، فهي تحمل وتصور رقة المشاعر الإنسانية من حب وتسامح تساعد على التغلب على ما يكتنف حياتها من مشاق، وصراع ضد الآخر، على الرغم من تغلب القسوة في كثير من الأحيان والأحوال على مشاعر الود إلا أنها تفشل في قتله.

### الحب في الديانة اليونانية القديمة:

مرت الديانة اليونانية بعدة مراحل في تجسيد فكرة الإله إذ ألّهوا وعبدوا في أول الأمر مظاهر الطبيعة، كما عبدوا الطواطم والأسلاف، إلى أن ارتقت عبادتهم متدرجة إلى الوثنية المؤمنة

<sup>1</sup> عبد الرزاق رحيم صلال الموحى: العبادات في الأديان السماوية، ص 40 .

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 41 .



بتعدد الآلهة والأرباب، فقد ألّها السماء والأرض، والبحر، والشمس، والزمن، وجعلوا لكل واحد منها صفات أدبية يتحلى بها الأحياء.

ومن بين آلهتهم (هيرا) ربة القوة المنتجة في الطبيعة، وآريس أو (المريخ) إله الحرب، وأبولون إله الموسيقى والنور، وهراميس رسول الآلهة ورب الفصاحة والبيان، وأثينا - ربة الحكمة<sup>1</sup>.

وصوّر اليونانيون آلهتهم صورا تتميز بالضراوة والتوحش، لكن لم يمنع ذلك من أن يكون الحب من حظ بعض الآلهة، كالإلهة (أفروديت)، ربة الحب الجميل، كما صوّروا الحب في داخل الكرة التي هي الوجود، والبغض خارجها، وكان البشر يعبدون إلهة الحب (أفروديت)، ويقدمون قربانهم لها دون أن يسفكوا دما أو يزهقوا روحا حتى اقتحم البغض داخل الكرة، وزاحم الحب، فخرج من داخلها، وما زال الصراع بينهما حتى ينتهي الوجود لتنتهي دورات الأبد ليبدأ وجود جديد<sup>2</sup>.

كما اعتقد اليونانيون في اجتماع العناصر الأربعة وافتراقها (الماء، الهواء، النار، التراب)<sup>3</sup> خاضعا لقوتين متناقضتين هما: الحب والكره<sup>4</sup>.

وإذا كان للحب حظ قليل في العقيدة اليونانية، فقد حظي بالقسط الأوفر في فلسفتهم الأخلاقية عند كل من سقراط، وأفلاطون، وأرسطو.

أما الفيلسوف سقراط فقد كان أول من وضع لبنة هذه الفلسفة عندما تحدث عن عدد من الفضائل التي تلي المعرفة، رغم الانتقادات العديدة التي وجهت له بسبب ربطه لفعل الخير بمعرفته فقط، لأن العلم بالخير ليس شرطا لفعله أو عدم فعله.

ومن بين هذه الفضائل: العمل، القناعة، المساعدة على احتقار الجشع، وإذ يرى في هذه الشهوات هي السبب الرئيسي في التحاسد والتصارع بين الناس بسبب تحصيل المطالب الجسدية

<sup>1</sup> محمد أبو زهرة: الديانات القديمة - مقارنات الأديان، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 90.

<sup>2</sup> أحمد عبد الغفور عطار: الديانات والعقائد في مختلف العصور، ج1، ص 392.

<sup>3</sup> أمبد وقليلي أول قائل بالعناصر الأربعة، وطاليس أول من جعل التراب أحد المبادئ الأولى بعد أن كان غير منظور إليه على أنه عنصر ثابت من العناصر.

<sup>4</sup> أحمد عبد الغفور عطار: الديانات والعقائد في مختلف العصور، ج1، ص 391-392.

المادية، مما يؤدي إلى الغضب والتنافر. وفي المقابل جعل من الصداقة المحور الرئيسي في الروابط الاجتماعية، لأن الصديق المخلص يسهر على صديقه كسهره على نفسه.

أليس في هذه الفلسفة -السقراطية- دعوة للاقتراب والتآلف الإنساني، المبني على الإيثار والتضحية من أجل الجماعة، والصداقة الحقة، التي من المستحيل أن تبني إلا على أسس متين ألا وهو المحبة التي بإمكانها أن تترجم هذه الفضائل وغيرها إلى واقع ملموس كما أراده سقراط، وإن كان سقراط قد سقطت منه هذه الفضيلة بعدم الإفصاح عنها، فلا تخلو فضيلة من الفضائل إلا ولها قوة جذب في بعث الروابط الاجتماعية، إلا وكان الحب المحرك والدافع لها حتى تترجم في الحياة الواقعية.

ومحمي تلميذه أفلاطون أعاد مكونات الفلسفة الأخلاقية فأردف جملة من الفضائل توجهها بفضيلة الحب، الذي رأى فيه العنصر الرئيسي لرابطة الصداقة مع أبناء المجتمع، والعلاقة التي تربط بين نبي البشر ليست عضوية، بل هي أخلاقية، وفي مقدمتها المحبة، وعليه، يجب أن يبني الإنسان حبه على قواعد سليمة ويخضعها لمعايير ثابتة، ولا يجعلها مرهونة برضى، أو عدم رضى المحبوب، حتى لا تصبح خاضعة للأمزجة والمصالح مما يفسد هذه الفضيلة -الحب-، وتفقد قيمتها<sup>1</sup>.

كما يرى أن القيمة الأساسية لهذه الفضيلة، في تجاوزها العلاقات الخاصة التي لا تم إلا أصحابها إلى علاقة حب تسود المجتمع كله، وتكون للناس جميعاً<sup>2</sup>.

والعلاقة الخاصة بين شخصين في نظره هي بداية طريق العشق الذي يعد الطريق المعاكس لطريق الحب في مسالكه ونهايته، ولذا ينصح الناس أن يقيموا علاقاتهم على أساس إنساني بحت، وليس على أساس مادي شهواني، لأن الشهوة متقلبة ومتغيرة، أما القيم والفضائل فتتصف بالثبات. وقد تأثر بهذا الفكر كثير من المفكرين الذين تلبوه، وأولهم، وأبرزهم تلميذه المباشر، الذي جلس بين يديه في "أكادميته" ولازمه مدة عشرين سنة، إنه -أرسطو طاليس-، وإن كان هذا الأخير قد خالف أستاذه في الثنائية بين النفس والبدن، وفي دعوته إلى الزهد، وإماتة الشهوات، سعياً إلى الاتصال بعالم المثل، كما خالف سقراط في قوله بفطرية الخير، وقبلية القيم والمعارف،

<sup>1</sup> أسعد السمحراني: الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، ص 60 .

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 65 .

ويتم فقط توليدها من الذهن بالمحاوره، فإنه اتفق معهما في طبيعة الإنسان الاجتماعية والمدنية وانفرد بفضيلة التوسط، التي تدفع إلى سيادة أخلاق الخير واستقامة العلاقة بين أفراد المجتمع كافة، كما جعل المحبة على رأس قائمة الفضائل، لأنها في نظره هي الدافع الأساسي للتعاون الذي تحتاج إليه العلاقات المدنية، لأن المحبة تثمر أصدقاء يكونون عوناً عند الحاجة، هي فطرية لارتباطها بغريزة الاجتماع والتعاون التي لا يستغني عنها أي كائن بشري.

والمحبة التي تصنف ضمن الأفعال الفاضلة، هي المحبة التي يريد فيها الإنسان الخير لغيره ولنفسه، ويذوب في الجماعة إذا استدعت المصلحة الجماعية ذلك، لأن الصديق الاجتماعي شعاره (كل شيء من أجل الجماعة وأنا فرد منها)<sup>1</sup>.

أما النوع الثاني فهي المحبة المصطنعة، لتحقيق اللذة والمنفعة على حساب الغير، وهي مضرة ومفسدة للنوع الأول. أما العشق فهو مذموم عند أرسطو، كما هو عند أستاذه، لأنه يرى فيه تعبير عن أنانية، ونهايته الفشل<sup>2</sup>.

إن مثل هذا التأكيد على مدنية واجتماعية الفرد البشري من طرف هذه الأدمغة الفذة، وجعلهم -المحبة- هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق السعادة الحقيقية بين الأفراد والمجتمعات للدليل على أن هذه الفضيلة، أو الخلق -على تنوع نوعيتها-، قد نالت حظها من الاهتمام عند العامة والخاصة من الناس على اختلاف اعتقاداتهم، وآرائهم الفكرية، وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على أهميتها في حياة الفرد والمجتمع.

والأهم من ذلك، أن مثل هذه الفلسفة قد تشعب بها زعيم المسيحية -بولس-، الذي من المؤكد لم يكن سباقاً لوضع هذه الفضيلة -الحب- على رأس الفضائل، بل أكثر من ذلك استطاع أن يبني عليها ديانة بأكملها.

### المحبة في الديانة الرومانية:

عرفت الرومان آلهة عديدة ومتعددة في مهامها، فإلى جانب الإلهة (فستا) Vesta التي يرمز لها بالنار التي لا تحمد، والإله (لار) Lar، حارس حقولها ومبانيها وسعادتها ومصيرها، والإلهة

<sup>1</sup> أسعد السمحراني: الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، ص 72 .

<sup>2</sup> ول ديورانت: قصة الحضارة (الحضارة الرومانية)، ترجمة محمد بدران، ط3، 1972، ص 122-123.

الصالحة (بوناديا) Bona Dea، التي تمد النساء والحقول بالأرحام الخصبة...، زيادة على التماثيل الصغيرة التي تعلّق على الأبواب والأشجار لرد الأرواح الخبيثة، زد على ذلك التعاويذ السحرية والرقى لمنع الأخطار وللشفاء من الأمراض، وإنزال الغيث من السماء... .

لكن استطاعت الدولة أن تخرج من مجموع هذه الآلهة (الأسرة، المزرعة، القرية) آلهة قومية للدولة (Di indigetis)، آلهة يجتمع حولها جميع المواطنين، كما استطاعت أن تحبّبها للقلوب، لذا كان أحب هذه الآلهة القومية إلى قلوب الشعب -الإله جوبترا- أو -جوف- Jupiter or gove، والملفت للانتباه أن الآلهات، حتى وإن كنّ أقل قوة من الآلهة الذكور، لكن كنّ الأقرب والأحب إلى القلوب الشعبية من الذكور، كالإلهة -يونورجيفا- Juno-Regina ملكة السماء وحامية الأنوثة والزواج والأمومة.

وما يمكن قوله أن الرومان عرفوا الحب مجسداً أولاً في الأسرة، ثم في رابطة هذه الأسرة بالإله، وفي الأساطير التي حيكت حول بعض الآلهة، كأسطورة كيفية مجيء الإلهة -بلاس منيرفا- Palas Manerva المدججة بالسلاح، والتي تقف عليها -في اعتقادهم- سلامة روما، أنه جاء بها إنياس Aenas من طروادة<sup>1</sup> إلى روما بأساليب الحب والحرب.

وإن كان للآلهة الكبرى المكان الأعظم والأوسع في القلوب، فالآلهة الصغرى أيضاً أوجدت لها مكاناً، لأن القلوب لم تجد أين تفيض حبها إلا في هذه الآلهة العديدة، ومن هذه الأرباب الصغرى -هرقول- Hercules، إله الفرحة والخمر<sup>2</sup>.

وإذا كان الرجل الروماني من الواجب أن يبدي حبه لإلهه ويطغى على حياته الأسرية، فإنه يصطنع الجفاء والغلظة والمهابة، والصرامة في الحياة العامة، ولاسيما إذا كان من المسؤولين.

ويمكن أن تكون للحروب التي عرفها الرومان السبب الأكبر في تسرب الغلظة والقسوة إلى قلوبهم، حتى جعلتهم يقتلون دون تردد، ودون تأنيب ضمير، فهذا لم يمنع أن يسكن الحب قلوبهم ككل البشر، وتجسد ذلك في بعض المسرحيات المرثلة والهزلية التي كانت تعرض في الأسواق،

<sup>1</sup> ول ديورانت: قصة الحضارة، قيصر والمسيح، ترجمة محمد بدران، المجلد الثالث، ج9، ط3، ص 128.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ج9، ص 129.

وقد تضمن الكثير منها موضوع -الحب- كمسرحية الشاب المتلاف صريع الحب، والعدراء المفترى عليها وغيرها...<sup>1</sup>.

إن الحضارة الرومانية قد اتسمت بالمادية، وشتت حروبا، واضطهدت شعوبا، إلا أنها بقيت محتفظة بمسحة إنسانية، إذ جمعت شعوبها على قيم من الفضيلة مسحت بها بعض آهتها، كما تركت آثارا أدبية جسدت فيها معاني الحب وأصالة الأخلاق وسمو النفس البشرية.

### المحبة في الديانة الهندوسية:

من شهادات المؤرخين على الهند، أنها من الأمم ذات التاريخ الجيد وحضارتها متجذرة في القدم، ومدنيتها قديمة قدم هذه الحضارة، إلا أن الغزو الآري الذي تعرضت له حوالي القرن 15 ق.م طمس معظم معالم هذه الحضارة وقيد حريتها الدينية القائمة على عبادة النيران، والشمس، وبعض الحيوانات المخيفة، كما كان لهم معتقدات في العالم الآخر وهو عالم الأموات، لكن تم نسخ الغالب من معتقداتهم ومعالمهم الدينية من قبل الديانة الجديدة -البرهمية<sup>2</sup>-.

ولكن الاعتقاد في هذه الديانة لم يكن واحدا عند الهنود، بل كان عاما وخاصا، فالعامة وثنيون، والخاصة موحدون، وهذا ما ذكره البيروني في قوله: "إنما اختلف اعتقاد الخاص والعام في كل أمة بسبب أن طباع الخاصة تنازع المعقول، وتقصد التحقيق في الأصول، وطباع العامة تقف عند المحسوس، وتقتنع بالفروع، ولا تروم بالتدقيق وخاصة فيما اقتنت فيه الآراء، ولم تنفق عليه الآراء"<sup>3</sup>.

ولقد وصل عدد آلهتهم إلى ثلاثة وثلاثين، ثم انحصر في ثلاثة أقانيم وهي: براهما<sup>4</sup>، سيفا أوسيو<sup>5</sup>، ويشنو (فيشنو) أو بشن وهو إله الحب الذي كثيرا ما انقلب إنسانا ليتقدم بالعون إلى بني إنسان<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ول ديورانت: قصة الحضارة، قيصر والمسيح، ترجمة محمد بدران، المجلد الثالث، ج9، ص 118.

<sup>2</sup> ول ديورانت: قصة الحضارة (الهند وجيرانها الشرق الأقصى الصين)، ج3، ترجمة زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1968، ص 15 و80.

<sup>3</sup> محمد أبو زهرة: الديانات القديمة، ص 18.

<sup>4</sup> براهما: الإله الخالق مانح الحياة، والقوي الذي صدرت عنه جميع الأشياء والذي يرجى لطفه وكرمه، وينسبون إليه الشمس التي بها يكون الدفء وانتعاش الأجسام، وتجري الحياة في الحيوان والنبات في زعمهم.

<sup>5</sup> سيفا: إله المخرب، تنسب إليه النار، لأنها عنصر مدمر مخرب.

<sup>6</sup> ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، ج3، ص 204.

كما قامت هذه الديانة على الطبقية: طبقة البراهمة، الجند، الزراع والتجار، وأخيرا طبقة الخدم والأسارى، ولكل طبقة آداب خاصة تتحلى بها.

وبكثرة الآلهة عند الهندوس كثرت الكتب المقدسة حتى تجاوزت المئات ووصلت إلى الألوف، لكن ليست كلها في مستوى واحد من التقديس، وأعظم كتبهم قداسة على العموم -الويدا (القيدا) - و(قوانين مانو) ، وكتب أربعة أخرى تعتبر في الفقه بين كتب الهندوس المقدسة وهي مهابهارتا، كيتا، يوجاوا سستها، رامايانا<sup>1</sup>.

وقد اشتمل كتاب -القيدا- بشكل خاص أناشيد شعائرية، وعبارات سحرية، ولاسيما العبارات المستخدمة لطرد الشياطين Exorcismes، ووسائل لإيقاظ الحب، وقصائد فلسفية، وحتى قصائد مدنية Mondaines (نشيد في المناسبات العامة التي تجري بين الناس)<sup>2</sup>.

وعلى الرغم من الانتقادات اللاحقة لهذه الديانة -البرهمية- بدءا من أنها معقدة، وتتم بالخرافات... وقيامها على الطبقية، وإجحاف الحقوق الإنسانية، كالحق في العمل والعيش الكريم، وتكافؤ الفرص... الخ، إلا أن مشاعر المحبة لم تغب عن بعض النصوص التي وردت في كتبها في مجالات مختلفة، كالعلاقة مع الإله، أو علاقات الأفراد فيما بينهم، أو العلاقات الأسرية، وحتى في مسألة القيامة.

### 1- في مجال علاقة الإله مع الناس:

(...ويقول كرشنا، أنا أسكن من حيث أني كلمة في قلب الجميع وأنا طيب الخير...)<sup>3</sup>.

كما نسب لهذا الإله عاطفة المحبة، وخص بها بعض تلاميذه إذ ورد أن كرشنا كان يحب تلميذه أرجونا أكثر من بقية التلاميذ<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، ج3، ص 249.

<sup>2</sup> فيلسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، ص 81.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 83.

<sup>4</sup> محمد أبو زهرة: الديانات القديمة، دار الفكر العربي، ص 33 (عن كتاب: بهاكفات كيتا).

وكان ينصح تلميذه المميز، ويقلل من حزنه (وقال كرشنا لتلميذه الحبيب لا تحزن يا أرجونا من كثرة ذنوبك أنا أخلصك منها فقط تتق بي وتتوكل علي...)<sup>1</sup>.

وفي رد كرشنا عن سؤال من أسئلة الناسك (زجنا)، "ما الأفضل للإنسان: التجرد من الدنيا ومراقبة النفس، أو تطهير النفس مع التعلق بأمور الدنيا؟"<sup>2</sup>.

فمن بين مقاطع إجابته الطويلة "الناسك الحق هو الذي يرى وجوده في وجود الآخرين، ووجوده في وجوده، وهو الذي لا يفرق بينه وبينهم، بل يدرك الله في الجميع، ويدرك الجميع في الله، فمن كان هكذا فعلاقته بالله وثيقة لا انقطاع لها، فالذي لا يحمد الله في خلقه وينسى نفسه، فهو مع الله أينما كان وحيثما كان، ومن يرى سعادة الآخرين وشقاءهم سعادته وشفاءه فهو حبيب الله حقا"<sup>3</sup>.

وفي مجال العلاقات الأسرية، وخاصة بين الزوج والزوجة، فقد وردت نصوص في كتاب منو دهرما ساستر Manu Dharama Sastra تفرض على المرأة أن يكون قلبها كله حبا لزوجها، حتى في حالة عدم اعتنائها بها، حتى تحظى برضاه، وبالتالي تكون من أهل الجنة، كما أمر الزوج بمحبة زوجته، لأنها تلده في صورة ابنه، ويجب أن يكون الحب والوفاء الرابطة التي يجب أن توثق بين الزوجين... كما جعلت قساوة قلب الزوجة مدعاة للطلاق<sup>4</sup>.

إن مثل هذه النصوص في الكتب الهندوسية، وما يشبه مضامينها في نواحي أخرى كثيرة كالملك والاقتصاد...، وحتى إن وجد ما يناقضها، لدليل على أن الفطرة الإنسانية في هذا الموضوع -الحب- واحدة، وإن كان أهلها، أهل زيغ وبدع، لكن لقوة هذه الفضيلة الراسخة والمتجذرة في قلب كل إنسان، فإنها في كثير من الأحيان تقهر هذا العمى العقدي، فتترك عندها بصماتها في خطاب أو في نص، أو تعامل.

وعلى الرغم ما تضمنته البرهمية في جانبها الأخلاقي من مبادئ قوامها الحب، ونكران الذات سواء في علاقة الفرد مع الإله، أو مع نفسه، أو مع الآخرين، شاملة لصفات الطيبة والتجرد

<sup>1</sup> محمد أبو زهرة: الديانات القديمة، ص 36 (عن كتاب موريس وليمس ديانة الهنود الوثنيين، ص 213).

<sup>2</sup> ول ديورانت: قصة الحضارة (الهند وجيرانها)، ترجمة زكي نجيب محمود، ج3، ص 206.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ج3، ص 215.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ج3، ص 218.



والإخلاص...، لكن لم تتمكن هذه الديانة من تجاوز الطبقة. هذه الأخيرة التي تناقض مبدأ التعايش والحب، وهي إلى الصراع أقرب منه إلى التكافل والانسجام.

### الحبة في الديانة البوذية:

نشأت الديانة البوذية في الهند نسبة إلى منشئها (بوذا)<sup>1</sup>. ورغم ما كان يدعو إليه من تقشف وزهد في هذه الحياة، إلا أنه نجح في أن يجمع حوله مناصرين له ولدعوته الذين استطاعوا نشرها وإنجاحها داخل الهند وحتى خارجها، فقد تمكن من إعداد أتباعه إعدادا كاملا بإخضاعهم لاختبارات قبل الإرسال للدعوة خارج الهند كما فعل مع -المريد بورنا-، عند إرساله إلى قبيلة -سرونابارنتا- لدعوتهم، وكانت هذه القبيلة معروفة بالشراسة والخشونة، فليس من اليسر أن ينجح في دعوته إلا الثابت الضليع.

فقال له: "إن رجال هذه القبيلة قساة سريعو الغضب، فإذا وجهوا لك ألفاظا بذيئة خشنة، ثم غضبوا عليك وسبوك، فماذا كنت فاعلا؟".

فأجاب بورنا: أقول: لاشك أن هؤلاء قوم طيبون، لئبو العريكة، لأنهم لم يضربوني بأيديهم، ولم يرموني بالحجارة.

فإن ضربوك بأيديهم ورموك بالأحجار، فماذا كنت قائلا؟

أقول: أنهم طيبون لئبون إذ لم يضربوني بالعصى ولا بالسيوف.

فإن ضربوك بالعصى والسيوف؟

أقول أنهم طيبون لئبون إذ لم يرموني بالحجارة.

فإن حرموك الحياة؟

أقول أنهم طيبون لئبون إذ خلصوا روحي من سجن هذا الجسد السيئ بلا كبير ألم.

<sup>1</sup> اسمه سداتنا، واسم أسرته جوتاما. وبوذا معناه العالم، ويلقب أيضا بسكياموني ومعناه: المعتكف، ولد قبل المسيح بنحو 560 سنة، من أسرة نبيلة، فيها إمارة، وكان هو أميرا، وفي سن 29 هجر بيته وزوجته بعد حياة زوجية دامت عشر سنين لينقطع للزهد والتأمل في الغابات والأحراش، وبدأ دعوته في سن الست والثلاثين (36)، إلى أن مات في سن الثمانين (80).



فقال له بوذا: أحسنت يا بورنا، إنك تستطيع بما أتيته من الصبر والثبات أن تسكن في بلاد قبيلة -سرونا بارانتا-، فاذهب إليهم وكما تخلصت فخلصهم، وكما وصلت إلى الساحل فأوصلهم معك، وكما تعزيت فعزهم، وكما وصلت إلى مقام النيرفانا الكاملة فأوصلهم إليها مثلك<sup>1</sup>.

من خلال هذه الرواية نقف على جوهر الديانة البوذية، التي تقوم أساسا على الأخلاق دون اللاهوت، التي توصل إلى اجتناب الذات من ملاذ الدنيا ببعث الرغبات التي تسبب الآلام، إلى حياة مستقيمة -رسمها بوذا- بإنكار الذات وإنكار الشهوات والملذات وقهرها ونبذها.

ونصوص كثيرة واردة في هذا الباب منها ما يتضمن تقسيمه للأخلاق إلى نوعين: السلبية (المنهيات)، الإيجابية (الأوامر).

"أما الأخلاق السلبية هي أخلاق الاستقامة، وتشمل على خمسة نواه

1- لا تقتل (وعلى البوذي أن يمتنع عن قتل الحيوانات).

2- لا تستول على ملك غيرك.

3- لا تأخذ امرأة غيرك.

4- لا تكذب.

5- لا تشرب شرابا مسكرا.

أما الأخلاق الإيجابية، فتوصي بالاستسلام للعذاب الفردي، والتأمل في آلام الأحياء، وبذل الجهد للمشاركة في الخيال، في آلام الآخرين، وأفراحهم، والطيب، والشفقة، والمسامحة على الإساءات، والتضحية من أجل الآخرين<sup>2</sup>.

ومن أقوال -بوذا-: الكراهية يستحيل عليها في هذه الدنيا أن تزول بكراهية مثلها... إنما تزول الكراهية بالحب<sup>3</sup>.

وقال: فلئن كنا نرد على البغض ببغض مثله، فكيف يمكن أن تنتهي البغضاء؟<sup>1</sup>

<sup>1</sup> أحمد شلي: أديان الهند الكبرى، الهندوسية -الجينية- البوذية، طو، 1987، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 151-152.

<sup>2</sup> فيلسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، ص 98-99.

<sup>3</sup> أسعد السحمراني: الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، ص 62.

هذه بعض النماذج القليلة من الكثير الذي تعج به الكتب البوذية في الجانب الأخلاقي عموماً، والجانب الإنساني العاطفي خصوصاً.

فثمة نصوص كثيرة دعت إلى عاطفة الإخاء بين بني البشر، وحتى اتجاه الحيوانات والمخلوقات الضعيفة، وجعلت من الحب القوة الوحيدة القادرة على إذابة الكراهية إلى درجة التضحية بالنفس في سبيل الغير.

ما يمكن قوله عن هذا النداء إلى التحابب في هذه الديانة بالذات، إنه نداء الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لكن هذه الفطرة زاغت عن الطريق، لأنها لم تجد من يوجهها التوجيه الصحيح، وظلت تحت وطأة الاجتهادات الإنسانية غير المؤسسة التي تصيب تارة، وتخطئ تارة أخرى.

لذا فنداء بوذا لا يخلو من المتناقضات، فكيف بالإنسان أن يحس بالآخرين إن كان هو يجهل معنى الإحساس لأنه قد جرد نفسه منه بأمر من بوذا، وإلا لن يكون بوذا، وكيف لإنسان أن يرحم ويشفق على بني جلدته أو على غيرهم، إذا كان لا يعرف كيف يرحم ويشفق على نفسه، ويطلب منه أن يحب، وهو كاره لنفسه، إن ما يطلب من البوذي هو دون الرحمة والشفقة، ومناقض للطبيعة البشرية وما فطرت عليه وحديث نبينا الكريم ﷺ يؤكد ذلك: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

لو كانت هذه الوصايا والنواهي البوذية دون أمر بالانسلاخ عن الطبيعة البشرية لكانت أنجع ولجسدت الحب بدلا من قتله.

### الحبة في الديانة الصينية القديمة: الكونفوشيوسية:

إن بداية الحياة الدينية في الصين كانت بدائية، إذ عبد الصينيون القدماء مظاهر الطبيعة، والأرواح المسيطرة على أرواح البشر، وعلى رأسهم الأجداد الأمويين قبل أن تنتقل إلى الأجداد الأبويين، كما كانت السينية أيضا تقول بوجود أرواح الأرض، والمياه والجبال والغابات، كما سيطرت عبادة السماء على عبادة الأرض<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> فيلسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، ص 99.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 110.

وآمن الصينيون بأن إله السماء كائن عظيم، يجب الخير ويكره الشر، وعمل السماء، وعمل الأرواح يتفقدان في المكافأة على الخير والشر، على حسب القوانين الأخلاقية والاجتماعية السائدة، والنظام الاجتماعي مضمون بحكم الطاو Tao<sup>1</sup>.

وديانة لاؤ-تسو Laceu-tseu، أو دوية تتناقض، وتتعارض مع السينية، أو الكونفوشيوسية، ولذا فتعتبر هذه الأخيرة كتطهير للطاوية<sup>2</sup>.

والديانة الكونفوشيوسية نسبة إلى كونفوشيوس<sup>3</sup> Kong-fou Tseukong-tseu الذي أهله تعليمه لتأليف العديد من الكتب للتعريف بأفكاره الأخلاقية التي أسس لها قواعد لن تتجلى إلا باحترامها.

ويمكن القول أن القاعدة الأساسية التي بنيت عليها هذه الأخلاق هي -العاطفة- التي يجب أن تربط بين أفراد خلية المجتمع -الأسرة- فيما بينهم، وبين الحاكم وأفراد مجتمعه.

لذا دعا إلى احترام الأجداد والآباء الذين يمثلونهم، فالأطفال لابد أن يشعروا بالعطف الذي تلقوه من أهلهم، وجعل من عطف الأبناء على الآباء من أعظم الواجبات لأن على أساسها تفهم كل الواجبات الأخرى، أي: واجب الصغير نحو الأخ الكبير، والزوجة اتجاه الزوج، والرعية اتجاه الملك، وينبغي أن يكون كل فرد من أفراد الرعية مطيعاً ومحياً لملكه، كالابن بالنسبة للأب<sup>4</sup>.

لقد جعل كونفوشيوس العطف من العوامل التي تحمل الناس على أن يجلّوا حاكمهم، فلقد سأله (كي كانج) كيف يحمل الناس على أن يجلّوا حاكمهم، أو يخلصوا له، وأن يلتزموا جانب

<sup>1</sup> عبد الرزاق رحيم جلال الموجي: العبادات في الأديان السماوية اليهودية-المسيحية-الإسلام، الأوائل في النشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، ط1، 2001، ص 41-42.

الطاو: الاتحاد بين المبدأ المذكور، والمبدأ المؤنث، فمرة البين، ومرة أخرى اليانغ ذلك هو الطاو Tao.

<sup>2</sup> فيلسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، ص 115.

<sup>3</sup> عاش في مقاطعة (شاننوج Chantoung) في آخر القرن السادس ق.م، وهو ابن أسرة حاكمة، لكن لم يعيش في كنفها إلا ثلاث سنوات، بعدما ذاق مرارة الفقر، لكن لم يمنعه ذلك من التعلم وهذا ما سمح له بتقلد عدة مناصب: محافظ، مهندس، وزير، مستشار للأمير.

<sup>4</sup> فيلسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، ص 120.

الفضيلة؟ فأجابه المعلم: فليرأسهم في وقار يحترمونه، وليكن عطوفا عليهم رحيمًا يخلصوا له، وليقدم الصالحين، ويعلم العاجزين يحرصوا على أن يكونوا فضلاء<sup>1</sup>.

ومثل هذه التعاليم الأخلاقية تزخر بها الكونفوشيوسية القائمة على الحب والتحاب، لأن العاطفة التي بنى عليها كونفوشيوس دعوته ما هي إلا تحريك لمشاعر - المحبة - الفطرية التي بها يعم الوئام والسماحة والسلام.

لكن رغم دعوة العاطفة الإنسانية القوية التي كانت تميز الكونفوشيوسية، فلم ترق إلى الكمال، ولم تجنبه النقد.

إذ ذهب -ول ديورانت- إلى القول: "أن الفلسفة تصطبغ بصبغة جامدة مترممة، وتقف في سبيل الدوافع الطبيعية القوية المحركة للجنس البشري، وسمت فضائلها إلى حد العقم، ولم يكن فيها قط مجال للهو أو المجازفة، كما لم يكن فيها إلا القليل من الصداقة والحب، وقد أعانت على تحقير النساء، وإذلالهن، كما أعان ما فيها من كمال بارد على تجميد الأمة الصينية وجعلها أمة متحفظة لا يضارع عداؤها للرقى إلا حبها للسلام"<sup>2</sup>.

ولكن -ول ديورانت- لا يحمل كل ذلك كونفوشيوس، ولا يلومه لو أنه أثار بتفكيره طوال حياته درب الفهم الصحيح، لأن في تقدم المعارف في العالم والمتغيرات التي طرأت عليه ما يشوب فلسفته من تفاهة تارة، وكمال لا تطيقه الطبيعة البشرية تارة أخرى<sup>3</sup>.

ولكن جانب العطف الذي أوجب توفره في العلاقات على كل مستوياتها الأسرية، أو الاجتماعية، أو السلطوية، فهو من صميم الطبيعة البشرية، التي من المستحيل أن يتجرد منها الإنسان، وإذا تخلى عنها فقد إنسانيته، وعندها لا يطيق نفسه، ولا يطاق، لأن المحبة هي غذاء الروح الإنسانية، وهي الباعث على حب الحياة.

<sup>1</sup> ول ديورانت: قصة الحضارة (الهند وجيرانها)، ترجمة زكي نجيب محمود، ج4، ص 61.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ج4، ص 68.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ج4، ص 69.

### الحبة في الديانة الفارسية القديمة (الزرادشتية):

لقد عرفت إيران على أرضها ديانات عدة منها: البارسية، الميثرائية، والمانوية، وأكبر ديانة عرفتها هي الزرادشتية، بزعامة زرادشت، الذي تضاربت الآراء حول شخصيته، هل هو شخصية حقيقية أم وهمية، كما تضاربت الآراء في وقت وجوده، فقد ذهب أحد المؤرخين Clemen إلى أنه قد عاش في القرن السابع ق.م (7 ق.م) أو السادس ق.م (6 ق.م).

ومن المؤرخين الذين يرون أنه شخصية تاريخية حقيقية هو المؤرخ Soderblom الذي يقول: "وبدأ رحلته الدينية الشاقة عندما بلغ سن الثلاثين من عمره وهجر وطنه وبجيرته، وأقام في الجبل عدة عشر سنين في عزلة وتفكير بدلت سيرته"<sup>1</sup>.

وتقوم هذه الديانة على عبادة الإله الأعظم "Ormazd Ahoura mazda" المسمى أحيانا Ormuz، الخالق اللامع، الجليل، الكبير جدا، والطيب جدا، والجميل جدا... إنه روح في أعلى درجات الحكمة، وهو ينشر الفرح في أبعد مكان... إنه إله النور، والنقاء والحقيقة، وكل المواهب التي لها بعض القيمة، تأتي منه، وتصدر عنه، وأولها هبة الحياة، ثم هبة الخلود أيضا"<sup>2</sup>.

وهناك من ذهب إلى القول أن زرادشت كان موحدا، "ومذهبه في الأصول والأركان أنها ثلاثة: الماء، والأرض، والنار، ولما اختلطت حدث عنها مدبر الخير، ومدبر الشر، فما كان من صفوها، فهو مدبر الخير، وما كان من كدرها فهو مدبر الشر"<sup>3</sup>.

لكن ما عرف عنه أيضا، أنه أنكر على قدامى الإيرانيين عبادتهم لمظاهر الطبيعة (الماء، الهواء، التراب)، لكنه أولى للنار قدسية خاصة كرمز للطهر، والسمو الرباني"<sup>4</sup>.

وما تميز به -زرادشت- عن بقية الزعماء كثرة الخطب التي تضمنت التعريف بنفسه، وبما يدعو إليه، وما يجب على الإنسان العادي أن يتحلى ويتقيد به حتى يتفوق عليه، والإنسان المتفوق -في رأيه- "إن هو إلا ذلك المحيط، تغرقون احتقاركم في أغواره"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> فريديريك نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ترجمة فليكس فارس، ص 30.

<sup>2</sup> فيلسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، ص 131.

<sup>3</sup> محمد عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق الأستاذ عبد العزيز محمد الوكيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت، ص 250.

<sup>4</sup> عبد الرزاق رحيم جلال الموجي: العبادات في الأديان السماوية، ص 44.

<sup>5</sup> فريديريك نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ص 34.

والملفت للانتباه، في هذه الخطب، أن المحبة قد نالت حظا ونصيبا كبيرا، وخاصة في تحديد نوع أحبائه إذ قال:

- "أحب من يعلن حبه لربه بتوجيه اللوم إليه، إذ يجب أن يهلك بغضب ربه.
- أحب من تفيض نفسه حتى يسهو عن ذاته، إذ تحتله جميع الأشياء فيضمحل فيها ويفنى.
- إني أحب من لا غاية لهم في الحياة إلا الزوال... .
- أحب من يجود بروحه فلا يطلب جزاء ولا شكورا، ولا يسترد، فهو يهب دائما، ولا يفكر في الاستبقاء على ذاته"<sup>1</sup>.

وإن كان قد دعا إلى الزهد، والتقشف، ونكران الذات، والبذل بدون عوض، في المقابل دعا إلى العمل، وحرّم الصيام لأنه رأى فيه حدا للنشاط والحركة، وإضعاف للفلاح في مزاولة عمله، ولم يفرض الزكاة، لكن حبّب روح التعاون، والتآلف الاجتماعي ومساعدة الفقراء والمساكين بالمال والطعام، ونبذ الفقر والعوز، لذا دعا الناس إلى الأكل من كد أيديهم لا من السؤال والعطايا<sup>2</sup>.

كما اهتم اهتماما بالغا بأهمية تكوين الشعوب بتوفر عنصرين قويين: الإيمان والمحبة: "إياكم وتصديق ما تقول الحكومة، فما كوّن الشعوب إلا المبدعون الذين نشروا الإيمان والمحبة، فأتوا بأجلّ خدمة للحياة، وما الناصبون الإشرار للجموع الغفيرة إلا من يهدمون كيانها ليشيدوا الحكومات على أنقاضها، ويعلقوا نصلا قاطعا فوق رأس الشعب وينصبوا مئات الشهوات أمام عينيه"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> فريديريك نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ص 35-36.

<sup>2</sup> عبد الرزاق رحيم جلال الموحى: العبادات في الأديان السماوية، ص 48.

<sup>3</sup> فريديريك نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ص 74.

والحبة التي دعا إليها طالت حتى الأعداء في قوله: "على من يطلب الحكمة ألا يتعلم حبة أعدائه فحسب، بل عليه أيضا أن يتعلم بغض أصدقائه، وما يعترف التلميذ اعترافا تاما بفضل أستاذه إذا هو بقي أبدا له تلميذا، لماذا لا تريدون أن تحطموا تاجي؟"<sup>1</sup>.

كما رأى أن الحبة فن، بل من أدق الفنون، يجب التدرب عليها، وتحقيقها بالصبر، والتطلع إلى المحبة العظمى التي تخلق المحبوب "ليس القول بوجود التمرن على الأنانية وصية من الوصايا تنفذ بين عشية وضحاها، فالتدرب على محبة الذات أدق الفنون وأصعبها وما تملك زمامه إلا المتحيل الجلود..."<sup>2</sup>.

"احفظوا هذه الكلمة أيضا: إن المحبة العظمى تتعامى عن رحمتها لأن هدفها، وهو خلق من تحب"<sup>3</sup>.

وقال عن إماتة القلب عن ملذات الحياة "إنني أقف نفسي على حيي، وكذلك يفعل أمثالي، هذا ما يقوله كل مبدع، والمبدعون قساة القلوب"<sup>4</sup>.

وقد وردت هذه الأقوال في الكتاب المقدس: لا فتا<sup>5</sup>.

وهذه النماذج من أقوال زرادشت لا تمثل إلا القليل من الكثير في تناوله وبسط القول فيها في مجالات شتى، لكن ما نلمس في هذه الأقوال ذلك التباين الواضح في أقواله وأحكامه، وإن كان هذا ليس هو موضوع البحث، وما لا يجب الوقوف عنده في مثل هذا المقام، لكن ما يجب قوله أن هذه الديانة لم تخل من المحبة في شتى صورها، وبمختلف معانيها، وهذا ما يؤكد أنها تفرض نفسها على أي داع في أي مكان، وفي أي زمان مادام أنه إنسان.

<sup>1</sup> فريديريك نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ص 105.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 221.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 117.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 117.

<sup>5</sup> مجموعة مؤلفة من خمسة أجزاء مستقلة يختلف تاريخ تدوينها، وأقدمها يرجع إلى زرادشت نفسه الذي يشتمل على تعاليمه التي جمعها تلاميذه من بعده، وهو مكون من إحدى وعشرين نكسا - أي كتابا - لم يصل منها إلا كتاب واحد وهو: القنديداد ومعناه: مخالفة الشيطان وفيه أبحاث عن خلق العالم وقواعد التطهير.



### الحبة في الديانة اليهودية:

إن البحث عن المحبة في الديانة اليهودية لأمر صعب، إن لم نقل عبث - لأنها الديانة التي سميت بديانة الكبرياء والتعالى والعنصرية، وهذا ما تؤكد نصوصهم المقدسة، وتاريخهم مع أنبيائهم، وجيرانهم، ومع كل من اقترب منهم وتعامل معهم، كما يؤكد تاريخهم الملون بالمذابح والمجازر التي اقترفوها في حق الإنسانية قديما وحديثا.

ويكفي هنا الوقوف عند بعض النصوص التوراتية والتلمودية والتي تكشف بنفسها عن هذه الحقائق، وتؤكد أن هذه الديانة هي ديانة العدوان، والعداء، ولا علاقة لها بالمحبة الإلهية، ولا المحبة الإنسانية، لكل قبل ذلك نقف عند بعض الكتابات اليهودية التي تكلمت عن هذا الجانب - المحبة اليهودية - متجاهلة النصوص الكثيرة التي تناقضت مع التي اعتمدت عليها في فلسفتها للمحبة اليهودية، ولكن قبل ذلك يجب الوقوف على مفهوم المحبة اليهودية.

**مفهوم الحب عند اليهود:** تعددت تعاريف الحب عند الكتاب اليهود نذكر منها:

قبل كل شيء ظاهرة فكرية ومعرفية، ويستخلص من كلمة "حب" سوى مفهوم الحصرية، والعلاقة التي تهدف إلى معرفة الشيء المحبوب، ويضع جانبا مختلف الأحاسيس التي ترتبط به عادة<sup>1</sup>. والملاحظ أن هذا المفهوم قد جعل من الحب ظاهرة فكرية ومعرفية مع تجاهل كل المشاعر والأحاسيس التي تتعلم به. لكن في المقابل يوجد تعريف آخر يتكلم عن حب الله والذي يرى في حبه حالة سعادة هادئة ودائمة<sup>2</sup>.

والحب هو رباط الأرواح والمعرفة التامة لعاطفة الحب وللشيء المعنى بالحب، ويلاحظ أن هذا التعريف قد ربط الروح بالمعرفة، وذهب آخر إلى أن التركيز على العقيدة في قوم: هو ما يدفع العقيدة الموجودة في الإنسان أن تذوب في خالقها، وتسكن إليه وتنير بصفائه الرائع، ثم يعلل قوله أنه من الطبيعي أن هذا الحنين الكثيف والعنيد للغيبات يخلف عند الذي يحسه انسحابه التام عن الدنيا وعن متاعها ويجعله يحتقر العالم المادي، وكل اهتمام خارجي<sup>3</sup>، إن مثل هذا التعريف يمكننا

<sup>1</sup> Dictionnaire encyclopédique du judaïsme, publié sous la direction de Geceffrey Wigoder, Éditeur de l'encyclopedia judaica les éditions du cerf 29, bd Latour- Maubourg, Paris, 1993, p.66

<sup>2</sup> Ibid, p 66.

<sup>3</sup> Ibid, p 66.



القول أنه وقع في تضارب كبير، فكيف بالذي يجب الله يحتقر مخلوقاته التي سخرها الله للإنسان، وفي ذلك مظهر من مظاهر التكريم الرباني له. ثم يتكلم صاحب هذا التعريف عن رجال الدين اليهود، بأنهم هم من يعرفون قيمة حب الله ويجعلون منه المفرد الأقصى الذي يتوج نظام قيم متواضعة، كما يرفضون الانفصال عن كل ما يرتبط به<sup>1</sup>.

وهناك من جعل من قراءة الصحف وترديدها في البيت، وأثناء المشي في الطريق، وعند النوم، وعند الوقوف، يوصل إلى الحب الإلهي<sup>2</sup>. "ضع كلمات التوراة هذه فوق قلبك، وبهذه الطريقة تعلم أن تعرفه، هو الذي خلق العالم بكلمته، تعلق بسبله"<sup>3</sup>.

ويذهب آخر ويسمى (Maïmonde) إلى عكس رأي العقليين والروحانيين، فهذه التركيبية لا تعتبر الصحف ودراسة التوراة تؤدي إلى حب الله، لأن هذه الأنشطة -السبل- هي في حد ذاتها حب الله.

استنادا إلى الوثيقة التي اعتمدنا عليها في تحديد مفهوم الحب في اليهودية نخلص إلى أن الحب قد اخذ ثلاثة مفاهيم، الأول يمكن أن نقول عنه فكريا، والثاني روحانيا، والثالث الذي يجمع بينهما -بين الفكر والروح- وهذا الكلام يبدو في ظاهره كلاما مبهما، لأنه يصبغ الديانة اليهودية بصبغة المحبة ويكون ذلك إذا توقفنا عند هذا الحد، لكن الحقيقة ستنجلي فيما تبقى من البحث في هذا الجزء.

وإذا كان قد طلب من إسرائيل حب الله وأمرت بذلك، ثم من بين هذه النصوص "أنت ستحب الأبدى غير الفاني ربك، من كل قلبك بكل روحك وبكل قواك"<sup>4</sup>، وكذلك طلب من إسرائيل "ستخاف الأبدى ربك"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> Dictionnaire encyclopédique du judaïsme, p 66.

<sup>2</sup> Ibid, p 66.

<sup>3</sup> Ibid, p 66.

<sup>4</sup> دانيال 5: 5-6

<sup>5</sup> دانيال 5: 6-13

### المحبة في العهد القديم:

بالرغم من أن كلمة محبة لا ترد في العهد القديم، إلا أن روايات الخلق في التكوين تشير إلى محبة الله من خلال العطف الذي يبديه نحو آدم وحواء... إلى أن تعمق سر هذا العطف الإلهي فتحول إلى رحمة نحو الخاطئ، واعداء إياه بالخلاص<sup>1</sup>.

كما كشف الله حبه للنبي إبراهيم -عليه السلام- عندما خصه بالنداء من بين الوثنيين<sup>2</sup>، وعبر عن محبته إياه على شكل صداقة<sup>3</sup> فأصبح إبراهيم بها نجي أسراره<sup>4</sup> ولم يرق إبراهيم إلى هذه الرغبة إلا لأنه تجاوب مع مطالب الحب الإلهي، فانطلق من أرضه ملبياً نداء الله<sup>5</sup> إلى أن طلب منه التضحية بحبه الشرعي -ابنه- "خذ ابنك وحيدك الذي تحبه"<sup>6</sup>.

ويكشف كتاب التثنية أن محبة الله لإسرائيل مجانية، وعلى إسرائيل محبة الرب من كل قلبه<sup>7</sup>. وهذا الحب سيعبر عن نفسه بأفعال العبادة والطاعة<sup>8</sup> التي تتطلب تغييراً جذرياً وتضحية كاملة. ولكن لن يتحقق ذلك إلا إذا تولى الله بنفسه ختان قلب إسرائيل وجعله قادراً على المحبة<sup>9</sup>.

وبعد السبي اكتشف إسرائيل أن الحياة مع الله هي حياة حب، لأن من المرجح قرأ نشيد الأناشيد في ضوء هذه الحقيقة، كما أدرك الشعب بعد السبي أن الله لا يحب المجموعة ككل<sup>10</sup> أو رؤساء فحسب<sup>11</sup>، ولكن كل يهودي بمفرده وخاصة منهم البار<sup>12</sup> وحتى الفقير والصغير<sup>13</sup>.

<sup>1</sup> التكوين، 2: 1-3.

<sup>2</sup> يشوع: 24: 2-3.

<sup>3</sup> إشعيا 41: 8.

<sup>4</sup> التكوين 18: 17.

<sup>5</sup> التكوين 12: 1.

<sup>6</sup> التكوين 22: 2.

<sup>7</sup> التثنية 6: 5.

<sup>8</sup> التثنية 10: 13، 19: 9.

<sup>9</sup> التثنية 4: 31-15، 30: 15-20.

<sup>10</sup> التثنية 4: 7.

<sup>11</sup> 2 صموئيل 12: 4-25.

<sup>12</sup> مزمور 37: 25-29، 8: 146.

<sup>13</sup> مزمور 113: 5-9.

ويتوسع هذا الحب ليشمل حتى الوثنيين<sup>1</sup>، وحتى كل الخليقة<sup>2</sup> وعند اقتراب مجيء المسيح أصبح يدرك اليهودي التقي الذي يتأمل الكتاب المقدس أن الله يجبه، فعبر اليهودي عن محبته لله<sup>3</sup> وبكل ما يتصل به من اسمه وشريعته وحكمته، وقد يتحتم على هذا الحب أن يتجلى في مواجهة تصرف الكفار وضغوطهم<sup>4</sup> وقد يؤدي هذا الحب إلى الاستشهاد، كما حصل في عصر المكابيين<sup>5</sup> وفيما بعد عندما استشهد ربي عقبه، في سبيل إيمانه سنة 135م وهو يقول: "لقد أحبته بكل حي وبكل ما أملك"<sup>6</sup>.

كما وردت كلمة الخوف في بعض النصوص، ولهذا أدى إلى نعت الشريعة اليهودية بشريعة الخوف، عكس الشريعة المسيحية التي تنعت بشريعة الحب، ويرى الكتاب اليهود أن في ذلك تضارب في التمييز بين الحب والخوف في التلمود، لكن رجال الدين اليهود عظموا الحب عن الخوف<sup>7</sup> كما فرقوا بين من يتعامل بحب ومن يتعامل بخوف، لأن التوراة تفرق بينهم، فأجر الذي يتعامل بخوف مضاعف ويتضاعف، ولكن الرأي المقابل يرى أن في الخوف شكل غير تام لحب الله، لأن الذين لا يتمكنون من التخلص من الخوف يظهرون نقائص في مادة العاطفة الدينية، لأن حب الله دون خوف تكون في نظر أصحاب هذا الرأي الشكل الأمثل للعلاقة مع الله<sup>8</sup>.

ويواصل أحدهم واسمه -Maïmonde- قوله: لا تخفي الصعوبات الموضوعية من قبل الصحف والتي تأمر بحب الله، ثم يتساءل ويشرح بالتفصيل، كيف نتخلص منها؟ وما هو الطريق الذي يؤدي إلى حب وخوف الله؟ بما تقدر عظام ومعجزات نعمته وإبداعه حتى نعي أن حكمته لا تنتهي ولا تقارن؟ ثم يجيب على تساؤلاته بقوله: لا نستطيع أن لا نجه، أن لا نمدحه، أن لا

<sup>1</sup> يونا 4: 10-11

<sup>2</sup> حكمة 11: 23-26

<sup>3</sup> المزمور 31: 24، 73: 25، 116: 1

<sup>4</sup> المزمور 10-40: 14-17، 73، سيراخ 2: 11-17

<sup>5</sup> التثنية 4: 7

<sup>6</sup> الأب فاضل سيداروس اليسوعي، الأب سليم بكاش اليسوعي، الأب موريس-ماري مارتان اليسوعي: معجم اللاهوت الكتابي، نقل إلى العربية عن: *Vocabulaire de théologie biblique, 3<sup>eme</sup> édition, les éditiond VERF, Paris, 1974*، دار المشرق ش.م.م، ط5، 2004، ص713.

<sup>7</sup> *Dictionnaire encyclopédique du judaïsme, Op.cit, p 67.*

<sup>8</sup> *Ibid, p 67.*

نعظمه، أن لا نأمل في معرفة اسمه الأكبر، فالله لا يُرى إلا من خلال آياته وإنه بالتأمل فيها نكتشف حكمة الله، طبيته وحبه للإنسان ولإسرائيل، الذي يظهر عن الله في الكون هو أكبر من أن لا يكون قدرة خالصة وذكاء جامد، ثم يخلص إلى أنه بالعكس أن الطبيعة الحقيقية، والجمال صور تعكس إله الحب في كل ألوانه الأكثر روعة.

وحب الإنسان لله لا تعرف له قيمة، ولا يعرف له هدف، ومثل هذا الحب يجلب المتعة، وهذه المتعة هي حصالة التأمل الداخلي الذاتي<sup>1</sup>.

ونظرية الخوف عند المفكرين اليهود المتحضرين ناذرا ما يرجعون إليها، لأنها في رأيهم تجعل من الإنسان مخلوق سلمي بئس، ويقلص من المسافة بين الله والإنسان، ولا يتطابق مع الكرامة الإنسانية<sup>2</sup>.

وقد ناقش هؤلاء المفكرون نوعا آخر من الحب وهو ما سمي بحب إسرائيل، وحب الآخر، ولا ندرى كيف يتجرأ هؤلاء المفكرين على كتابة مثل هذا الكلام عن المحبة، والخوض في مثل هذا الموضوع -الحب الإلهي أو غيره- مستشهدين بنصوص ومتجاهلين أخرى، والتي تقدح صراحة في ذات الله، وتصف الإنسان اليهودي بالجفاء والتعنت في كل أطوار تاريخه، لكن لا نستغرب الأمرين، فإن هذا العقل الذي أدبر عن الحقائق فهو عقل يهودي!

### وصف اليهود لله بما لا يليق من الصفات:

والحقيقة التي لا تخفى على أحد أن اليهود نظرا لطبيعتهم المادية الغليظة فإنهم وصفوا الله بأوصاف لا تليق به سبحانه وتعالى، والعهد القديم مليء بتلك الأوصاف التي لا تليق بذاته المترهة، فهو يأكل ويشرب<sup>3</sup>، ويعمل ويتعب ويستريح<sup>4</sup> وينسى ويندم ويتردد وتنظلي عليه الحيل<sup>5</sup> وإنه

<sup>1</sup> Dictionnaire encyclopédique du judaïsme, Op.cit, p 67.

<sup>2</sup> Ibid,p 67.

<sup>3</sup> التكوين 17: 1-3، 8: 1-2.

<sup>4</sup> الخروج 20: 8-11، سفر التثنية 5: 12-15، التكوين 1-2.

<sup>5</sup> التكوين 27.

متردد<sup>1</sup>، وهذه الأوصاف نفاها المولى عز وجل عن نفسه في قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابِي لَا يَخْلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾<sup>2</sup> وقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾<sup>3</sup>.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى ما لاقاه الأنبياء من تصد وعناد وإهانات ووصفهم بأوصاف لا يوصف بها حتى الإنسان العادي المنهار أخلاقيا والمغضوب عليه.

### الأنبياء عند بني إسرائيل:

الأنبياء هم صفوة البشر الذين اصطفاهم الله ليلغوا رسالاته إلى البشر وهم في أعلى مراتب الأخلاق قبل البعثة وبعدها، وقد عصمهم الله من الكبائر وبما يقبحهم من الصفات الذميمة. والقرآن الكريم قد ذكر أن اختيار هؤلاء الأنبياء يتم بالاصطفاء والاجتباء يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾<sup>4</sup>. ولكن العهد القديم يصور الأنبياء بصورة منفرة لا يمكن أن تقع من إنساني عادي صالح فما بالك من المصطفين من البشر:

### نوح عليه السلام:

في سفر التكوين (وابتداء نوح يكون فلاحا... وليكن كنعان عبدا لهم)<sup>5</sup> يذكر النص أن:  
نوحا - عليه السلام - سكر وتعرى.

غضب على ابنه الذي رآه وأخبر أخويه، ولغنه وجعله عبدا لهما.  
سر من فعل ابنتيه يافث، وسام، ودعا لهما بالبركة.

ونقرأ في القرآن الكريم عن سيدنا نوح عليه السلام: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأَمَّا سُجْمُكُمْ ثُمَّ بِمَسْئِهِمْ مِنَّا مَا كُنْتُمْ فِيهَا فِئَةً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>6</sup> و﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ مُجْرِمًا﴾<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> التكوين 8.

<sup>2</sup> سورة طه: الآية 52.

<sup>3</sup> سورة البقرة: الآية 255.

<sup>4</sup> سورة الحج: الآية 75.

<sup>5</sup> التكوين 9: 20-27.

<sup>6</sup> سورة هود: الآية 48.

<sup>7</sup> سورة الإسراء: الآية 03.

سيدنا لوط عليه السلام:

يكشف القرآن الكريم عن الغاية التي بعث من أجلها لوط -عليه السلام- وهي فهي قومه عن الفاحشة: ﴿ وَلَوْ لَأِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ، أَلَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ حُورٍ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْمَلُونَ ، فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَمَّرُونَ ، فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا هَا مِنْ الغَابِرِينَ ﴾<sup>1</sup>.  
 لكن نجد في التوراة ما تقشعر له الأبدان إذ يصور سفر التكوين سيدنا لوطا -عليه السلام- في صورة الزاني، الذي يزين بمحارمه، وبالذات بابنتيه وليس هذا فحسب بل ولدت واحدة منه ابنا "وصعد لوط من صوغر... وهو أبو بني عمون إلى اليوم"<sup>2</sup>.

داود عليه الصلاة والسلام:

ويذكر القرآن الكريم داود -عليه السلام- بأسمى معاني التبجيل، والطاعة، ودائم الشكر والثناء على الله، كما غفر الله له وسخر له الإنس والجن والطير: ﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاصْصِرْ مَحْدَنَا دَاوُودَ حَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ، إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ، وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ، وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَةَ ﴾<sup>3</sup>.

لكن التوراة تصوره بصورة منفرة، مقززة، لا يليق أن يصور بها إنسان عادي فما بالك بنبي أواب، طاهر، اصطفاه المولى -عز وجل- دون خلقه في ذلك الزمان ليخرجهم من ضلالهم، ويطهرهم من براثين الجهل والشرك بالله.

والتوراة تصور داود عليه الصلاة والسلام بذلك الرجل الذي يفعل كل ما حرم الله من غش، وخداع، وخيانة، وقتل من أجل إشباع نزواته، وهي الصورة العفنة التي تضمنتها نصوص التوراة والتي توصف بالمقدسة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سورة النمل: الآية 54-57.

<sup>2</sup> التكوين 19: 30-37.

<sup>3</sup> سورة ص: الآيات 17-20.

<sup>4</sup> صموئيل الثاني 11: 3-26.

ورغم كل هذه الحقائق أو بالأحرى الفضائح التي تكشف مدى تصلب الإنسان اليهودي، وكرهه لكل منبع خير، فقد ذهب بعض مفكريها -اليهودية- إلى الخوض في أنواع أخرى من الحب الوارد في نصوصهم المقدسة منها:

### حب إسرائيل:

تعني هذه الكلمة الحب الذي يربط أعضاء المجتمع الإسرائيلي وحب الشعب اليهودي بصفة عامة، ويعتبر هذا الإحساس صفة طبيعية، لكن هو أيضا ميزة وطنية لأن اليهودية تناجي حب الآخر، من جهة أخرى مبدأ انتخاب إسرائيل يدعو إلى تطوير موضوع حب الله وشعبه، هذا الموضوع تطرق إليه كثيرا الأدب اليهودي (أدب رجال الدين) الإنجيل والطقوس الدينية.

L'abavar Israël كحكم ينظم العلاقة بين اليهود يكون أحد المواضيع المركزية للتعليم في إسرائيل.

Baal chm tou الذي كان يناجي "حب الله، حب إسرائيل وحب التوراة" كتيار أساسي لـHasiolisme.

فإنه في القرن 19 فقط، هذه الكلمة أصبحت عبارة عبرية مقدسة، هذه النظرية تطرق إليها Abraham Isaac Kook كثيرا لأن الحقد المجاني "La haine gratuite" خلف دمار المعبد الثاني و Kook ساند أن الحب المجاني "L'amour gratuit" لأشخاص من نفس ديانتهم يسمح باستدراك وبناء المعبد الثالث، اسم الحركة الذي يناسب L'abavar Israël هو Obw Israël (لنحب إسرائيل).

وبهذا التحليل على لسان أهل هذه الملة يكشف حقيقة اليهود فيما يتعلق بهذا الموضوع - الحب- فيمكن القول أنهم حاولوا تهويد كل شيء حتى الحب.

### محبة الآخر (القريب):<sup>1</sup>

يرى بعض المفسرين للعهد القديم أن وصية محبة الله قد كملت بالوصية الثانية "أحب قريبك كنفسك"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> Dictionnaire encyclopédique du judaïsme, Op.cit, p 67-68.

<sup>2</sup> لاويين 19: 11-37، تثنية الاشتراع 6: 4-13

ويرى هذا المفسر أن كلمة القريب قد تكون محدودة جدا، لكن الإسرائيلي مطالب منذ ذلك الحين بأن يعير اهتماما للآخرين، كما يتبين أن اللامبالاة والعداء نحو الغير إهانة موجهة لله<sup>1</sup>. كما أضافت الشريعة اليهودية إلى أن المرء لا يستطيع أن يرضي الله دون احترام سائر البشر وخاصة منهم المنبوذين والذين لا يعار لهم أي اهتمام<sup>2</sup>. وتفصيل هذا الكلام في هذه الشروحات لبعض المفكرين اليهود.

"لا تنتقم ولا تكن حقودا إزاء أبناء شعبك، لكن ستحب الآخر مثل نفسك، أنا هو الأبدي"<sup>3</sup> وقيل أن هذا الكلام كان ردا على إنسان طيب كان يريد معرفة جوهر اليهودية: الذي لا ترغب فيه، لا تعاقب به الآخرين وكان للمفكرين اليهود تفسيرهم الخاص لمثل هذا الكلام - Nahmanide - نظر إلى حب الآخر بنظرة أخلاقية أكثر منه بنظرة شعورية فسرها بـ: تكلم عنه بكلمات طيبة واحترام ما يملك.

وآخر يسمى -Rabbi Aquiva- لاحظ أن هذه الآية كانت "مبدأ أساسي في التوراة"<sup>4</sup> وهي ليست سوى نسخ خصوصي يملئ بعض قواعد التصرف (التعامل) مثل ضرورة رؤية المرأة على الأقل مرة واحدة قبل الزواج لاجتناب الصدمات، أو واجب اختيار الموت الأقل ألما للمحكوم عليه بالإعدام: هذا أيضا مبدأ عام الذي نستطيع من خلاله استنتاج العديد من الأحكام: زيارة المريض للتعزية، مهر المخطوبين.

واستنتج -Nahmanide- من الشطر الأخير "مثل نفسك" أن حب الآخر يجب أن يكون بنفس قوة حب النفس ويرى في ذلك تناقض مع مبدأ "Aquiva" الذي يرى "حياتك أولى"<sup>5</sup>، وهذا يعني أننا يقول صاحب المقال - لسنا مجبورين أن نضحى من أجل الآخر، لكن - Nahmanide - يتمسك بفكرة نزع الغيرة من القلب وأن نتمنى كل الخير للآخر بنفس الشغف الذي نتمنى به الخير لأنفسنا.

<sup>1</sup> تكوين 3: 12، 4: 9

<sup>2</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 715

<sup>3</sup> الأخبار 19: 18

<sup>4</sup> الأخبار 19: 18

<sup>5</sup> الباب الأوسط (BM 62A)

(Baba Metsia , la porte de milieu, c'est le titre d'un chapitre du livre Michneh Torah qui explique les lois de la torah)



في الكتاب المقدس الجديد، مقولة Hillel تظهر إيجابية، إنها الجملة التي سميت بعد ذلك قاعدة ذهبية: "افعل للآخرين كما تريد أن يفعل الآخرون لك"<sup>1</sup>. على ما يظهر فإن محرر الكتاب المقدس الجديد وأخذ من الآية الإنجيلية: "أحب الآخر كما يفرض أن تحب نفسك" لأن حب النفس لا يكون أخلاقيا إلا إذا تطابق مع حب الآخر، ونقول بالتقابل أن حب الآخر يعطي شرعية لحب النفس. وعليه يتحتم على كل شخص الحفاظ على حياته، من منطلق كل حياة إنسانية مقدسة، لكن من هو هذا الآخر في التفسيرات اليهودية؟ هل هناك اختلاف بين هؤلاء المفكرين في شرح كلمة الآخر فيما سموه بالرواية السلبية والرواية الإيجابية للقاعدة الذهبية، ومن بينهم المفكر الصهيوني Ahadha-Am، وكذلك شخصيات رجال الدين اليهود مثل Edels, Rsamuel، إذ يعتبرون أن الرواية السلبية تعطي إلى هذا الحكم الأخلاقي كثيرا من الدقة والحقيقة، في حين أن الرواية الإيجابية لا تخلو من الالتباسات من الصعب معرفة ترجمة النص بـ"الآخر" (أو "المرافق" حسب بعض الترجمات) يعني كل الناس أو اليهود فقط، حسب النص (أو الظرف) فإنه من غير شك الشرح الأضعف (الأضيق) الذي يجب الاحتفاظ به (أو العمل به).

حتى أن الإنجيل يضيف أيضا حب الغريب: "لما غريبا يأتي للمكوث عندنا، في بلدك، تعامل معه كأنه من أبناء بلدك، أحبه كما تحب نفسك لأنكم أنتم رجال الدين غرباء في مصر"<sup>2</sup> حسب شرح رجال الدين اليهود فإن حب الآخر لا يمكنه أن يمتد إلى حد حب العاشقين، لأن العشق حرام كبير (Voir aussi Ethique).

التكوين اليهودي للأخوة التي تربط الناس هو أن هذه الأخوة نتيجة لصورة الله الذي يعدّ أبا لكل الإنسانية ويستدلون على ذلك بأن هذه الفكرة تظهر في الإنجيل، خاصة في الأجراء التي تتعلق بالوحي: "أليس لنا كلنا أب واحد؟ رب واحد. ألم يخلقنا كلنا؟"<sup>3</sup> تطبيقا، فإن اليهودية كانت تقبل دائما هذه الصفة الأساسية لهذه الضرورة الأخلاقية، لكن تحتم على اليهودية تلطيفها لحساب التقلبات التاريخية (الأحداث التاريخية).

إن مثل هذا التفسير للآخر -الإيجابي منه أو السلبي- والذي يتضارب معناه لدليل على أن حب الآخر بالمفهوم الإنساني لا أثر له في المفهوم اليهودي لأن اليهود الذين ظلوا في تفاعل

<sup>1</sup> متى 7:12

<sup>2</sup> الأخبار 19: 33-34

<sup>3</sup> ملوك: 2: 10

ديالكتيكي مع التعاليم التوراتية - التي لها طابع القدسية - خلال حقب تاريخية طويلة، فعلى الرغم مما احتوت عليه من أكاذيب ومغالطات دست إليها بأيدي التحريف، حددت أخلاقهم وسلوكياتهم تجاه الآخرين وممتلكاتهم<sup>1</sup>.

### اليهودية تحظر مخالطة الأجنبي:

فاليهودية تحمل اعتقاداً سلبياً للأمم، فهي تحظر مخالطة الأجنبي<sup>2</sup> والاقتراب منه، لقد صرح بطرس لمستقبله قائلاً: "أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودي أن يلتصق بأحد أجنبي، أو يأتي إليه، أما أنا فقد أراي الله أن لا أقول على إنسان ما، إنه دنس أو نجس...". فالتصريح يكشف عن عقيدة التدنس والتنجس العرقية التي كان ولا يزال اليهود يعتقدونها ويعاملون بها غير أهل ملتهم<sup>3</sup>، ونضيف إلى هذا التصريح تصريحاً آخر ورد في إحدى مجلاتهم<sup>4</sup>.

"لقد نفخ الله في كل كائن بشري نفخة الحياة، أي: الروح، والتي تسميها النفس (Nefech abacemith) أما فيما يخص الشعب اليهودي فلقد أودعت فيه نفس إضافية Nefech Amohit أي (النفس الإلهية) بالنتيجة كل واحد منا (أي: اليهود) يمتلك نفس تحت تصرفه". وهنا إنفا الصحيفة اليهودية المسماة كرونيكور Le chroniqueur وهي تعالج في المعلومات اليهودية العالمية التي عبّرت عن ذلك في عددها 16 بتاريخ 3 حزيران 1992<sup>5</sup>.

وهذا ما يؤكد أن هذه المشاعر والممارسات لم تكن يتبناها العامة من اليهود فحسب، بل كان يتشبع بها حتى مفكريهم، يقول المفكر الصهيوني (يهوذا لب بنسكر): "عندما يعطي المثقف اليهودي حق المواطنة لا ينسى أنه يهودي... فحق المواطنة ليس هو التحرر الذاتي"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> جودت السعد: الشخصية اليهودية عبر التاريخ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1985، ص 112.

<sup>2</sup> أعمال: 10

<sup>3</sup> جودت السعد: الشخصية اليهودية عبر التاريخ، ص 93. عن صحيفة كرونيكور "Chroniqueur"، العدد 16، 3 حزيران 1992.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 93، عن الفكرة الصهيونية إبراهيم أرتسبورغ، النص العبري ص 183.

<sup>5</sup> ألبرتو دانزول Alberto D'Anzul: اليهودية والغيرية Judaisme et altérité، ترجمة ماري شهرستان، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، سورية، ص 11.

<sup>6</sup> جودت السعد: الشخصية اليهودية عبر التاريخ، ص 93. عن الفكرة الصهيونية إبراهيم أرتسبورغ، النص العبري، ص 183.

### الدعوة لمحاربة الانفتاح والاندماج لدى الاتجاهات اليهودية:

إن الدعوة لمحاربة الانفتاح والاندماج لدى الاتجاهات اليهودية سواء قبل تبلور الحركة الصهيونية أم بعدها، حملها حتى المثقفون والمتدينون وأقاموا الحجة النقلية غير القابلة للإقناع إلا المقتنع بها والمتعاش معها، يتماشى مع التوجيه التوراتي والتربية التوراتية الإلزامية لليهود، وكان المدعو (يعقوب كلاتسكين<sup>1</sup>) من أكثر الصهيونيين دعوة للانغلاق فهو يقول: "الانعزال القومي جزء لا يتجزأ من قوانين وأنظمة ديننا، وليس من وحي أخلاقنا، ديننا المتناقض مع الأخلاق المجردة"<sup>2</sup>.

وفي التلمود تأكيد لمبدأ الاستعلاء والتفوق العنصري اليهودي على بقية الشعوب، على اعتبار أنهم الشعب المختار وأن الله اصطفاهم دون سواهم من شعوب الأرض، جعل الناس عبيدا لليهود، التلموديون يصورون اليهود "أهم من طينة أرفع من طينة باقي العالم وكل من لم يعتقد الديانة اليهودية خدم لهم مثلهم مثل الحيوانات غير العاقلة"<sup>3</sup> وهذه العبارة قد حذفت من الطبعة الجديدة لقاموس الكتاب المقدس لعام 1971 بقصد ربط اليهود بعصر إبراهيم الخليل واعتبار كلمة "عبرانيين" أو "عبريين" شاملة لكل أدوار اليهود التاريخية التي تبدأ بإبراهيم الخليل وفقا للتقاليد اليهودية التي تعتبره جد اليهود، لذلك يصفونه باليهودي الأول مؤسس الشعب اليهودي<sup>4</sup>.

- وينص على وجوب بذل كل يهودي جهده لمنع تسلط باقي الأمم في الأرض لتصير السلطة لليهود وحدهم، وإلا كانوا في حياة النفي والأسر.

- يعيش اليهود في حرب مع باقي الشعوب حتى ينتقل لهم الثراء والسلطان من الجميع، وحينئذ يدخل الناس أفواجا في دين اليهود.

<sup>1</sup> يعقوب كلاتسكين (1882-1948): ولد في بولونيا، وتثقف ثقافة تلمودية، ثم تابع دراسته الجامعية في ألمانيا حيث اجتذبه العلمانية فسخرها لخدمة الفكرة الصهيونية، وأصبح من أنشط دعاةها والعاملين لها، ثم صار رئيس تحرير جريدة (ذي فولت) لسان حال المنظمة الصهيونية العالمية، وشغل منصب مدير المكتب الرئيسي التابع للصندوق القومي اليهودي. (عن المرجع السابق، ص 93).

<sup>2</sup> جودت السعد: الشخصية اليهودية عبر التاريخ، ص 96.

<sup>3</sup> أحمد سوسة: أبحاث في اليهودية والصهيونية، الأردن، دار الأمل، 2003، ص 10.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 39.

- وينظر التلمود للمسيحية نظرة قائمة، إذ جاء في التلمود الكثير من عبارات الطعن والسب للمسيحية والمسيح -عليه السلام-، ما لا يستسيغه المستوى الأخلاقي الإنساني.
- يميز التلمود استعمال النفاق مع غير اليهود.
- ويقول التلمود التناسخ، وهو فكر تسرب لبابل بل من الهند، وأخذه حاخامات بابل من المجتمع البابلي<sup>1</sup>.

### التصنيف اليهودي للبشر:

هناك بشر غير قادرين على مقاربة الله، إنهم نوع البشر الذين هم ليس لديهم أي معتقد ديني ولا علمي ولا تقليدي مثل آخر الأتراك في أقصى الشمال والزنوج في أقصى الجنوب والذين يشبهونهم في مناخاتها، هؤلاء يعدون حيوانات غير عاقلة، فأنا لا أصنفهم في مستوى البشر، إذ أنهم من بين الكائنات الحية صنف أدنى من البشر وأعلى من القرد، بما أن لديهم وجه وملامح الإنسان وصفة أعلى من القرد، قال ذلك ابن ميمون وهو علم من أعلام اليهودية الحاخاماتية في القرن الثاني عشر<sup>2</sup>.

ولا نكتفي بالأقوال لإثبات ما تتصف به هذه الديانة من حقد وكرهية لغير اليهود، فمعاملتهم للآخرين والأعمال التي اقترفوها في حق الإنسانية لأكثر دليل على أن هذه الديانة المحرفة عن أصلها هي ديانة ذبح وتقتيل، وبالأحرى هي ديانة دموية.

### المجازر التي تحدثت عنها التوراة<sup>3</sup>:

تحدثت التوراة عن مجازر قام بها كتبة التوراة قبل أن يوجد موسى كمدبحة شكيم (تكوين 34 كله).

### مجازر منسوبة إلى موسى عليه السلام:

أقام موسى -عليه السلام- بخيانة الإله (تثنية 32: 48-52)

<sup>1</sup> أحمد سوسة: أبحاث في اليهودية والصهيونية، ص 11.

<sup>2</sup> موسى بن ميمون: دليل الضالين، باريس، فيريدي، 1970، ص 11.

<sup>3</sup> عبد المجيد همو: المجازر اليهودية والإرهاب الصهيوني، مراجعة وتحقيق إسماعيل الكردي، الأوائل، دمشق، سورية، 2003، ص 17.

- 1- المجزرة في مصر: خروج 11: 4-8. خروج 12: 3-14. الإصحاح التاسع 3-7.
- 2- مجزرة عماليق: خروج 17: 8-13. عدد 21-33.
- 3- مجزرة عبادة العجل بين بني إسرائيل: خروج 32: 24-29.
- 4- مجزرة قارون (قورح): عدد 16: 31-35.
- 5- مجزرة مدين: عدد 31: 5-12. عدد 31: 14-18.
- 6- مجزرة سيحون ملك حثيون: تثنية 2: 26-36.

### مجازر يشوع:<sup>1</sup>

- 1- مجزرة أريحا: يشوع 6: 20-21.
- 2- مجزرة عادي: يشوع 8: 22-25.
- 3- مذبحة الأموريين.
- 4- مذابح سكان فلسطين كلهم دون النظر إلى هويتهم: تكوين 94: 7. يشوع الإصحاح التاسع عشر 1-9.

### مجازر منسوبة إلى داود عليه السلام:<sup>2</sup>

- مذبحة قعيلة.
- مذبحة العمالقة: صموئيل الأول 30: 15-19.
- مذبحة للفلسطينيين والمؤابيين: صموئيل الثاني 8: 1-2.
- مذبحة للآراميين ملك صوبة: صموئيل الثاني 8: 3-8.
- مذبحة أخرى للآراميين: صموئيل الثاني 10: 1-19.

<sup>1</sup> عبد المجيد همو: المجازر اليهودية والإرهاب الصهيوني، ص 24-26.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 38-40.

مجازر يهودية (منسوبة إلى يهوه):<sup>1</sup>

- مجزرة مدين: عدد 25: 1-8. عدد 10: 29-32.

- مجزرة الحيات: عدد 21: 5-9.

- مجزرة العجل: خروج 32: 1-29.

- مجزرة سنحاريب: ملوك ثان 19: 32-36.

- مجزرة الطوفان: تكوين 6: 5-8.

بالإضافة إلى قصة عيسى -عليه السلام- وأتباعه وما لاقوه من اضطهاد على يد اليهود.

مجازر القضاة:<sup>2</sup>

مذبحة مؤاب: قضاة 3: 29-30.

مذبحة الفلسطينيين: قضاة 3: 31.

مذبحة دبورة للكنعانيين.

مذبحة أهل مدين على يد يربعل: قضاة 6: 1-6.

مذبحة زبح وحلمناع في قرقر على يد يربعل.

مذبحة بني عمون على يد يفتاح الحليعادي.

شمشون والفلسطينيون: القضاة 16: 25-30.

مذبحة مدينة لايش: قضاة 18: 27-29.

مجازر صموئيل:<sup>3</sup>

مجزرة الفلسطينيين: صموئيل الأول 4: 1-11.

مجزرة الفلسطينيين: صموئيل 7: 5-14.

<sup>1</sup> عبد المجيد هو: المجازر اليهودية والإرهاب الصهيوني، ص 47-58.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 28-33.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 34-37.

مجزرة العماليق: صموئيل الأول 14: 47-48. صموئيل الأول 15: 7-9. صموئيل الأول 15: 10. صموئيل الأول 15: 28-29.

المعركة الفاصلة ومجزرة الفلسطينيين من جديد: صموئيل الأول 17: 53.

ومن له الفضول أكثر لمعرفة حقيقة -الحبة- اليهودية فليسأل أي فلسطيني لأنه هو الأكثر تجرعا من كأسها المرير.

لكن على بساطة بعض المعتقدات -عدا اليهودية- وما حيك حولها من أوهام وخرافات، إلا أنها حملت معاني سامية ونبيلة، وقيم إنسانية جامعة، كنبذ الظلم، وعدم إلحاق الأذى، والضرر بأي مخلوق، استطاعت هذه كما استطاعت أوهامهم الاعتقادية باسم الحب أن تجمعهم، وتنظم مجتمعهم.

والنتيجة التي تجلت في بدايتها، أن العهد الجديد لم يكن سباقا إلى مثل هذه القيم المتحذرة في القدم، وسبقه إليها الأقدمون، كما سبقوه في الدعوة إلى المحبة التي هي في الأصل منبع أي قيمة من هذه القيم.

# الفصل الأول

ماهية المبهة ومصادرها في

الديانتين

المبحث الأول: ماهية المبهة ومصادرها في المسيحية

المبحث الثاني: ماهية المبهة ومصادرها في الإسلام



## المبحث الأول. ماهية المحبة ومصادرها في المسيحية

## المطلب الأول. ماهية المحبة المسيحية :

تتعدد مفاهيم المحبة بتعدد وتباين الاتجاهات، من أدباء، وفلاسفة، ولاهوتيين...، وقد اجتهد الكتاب المسلمين في مثل هذا الموضوع وحوصلوا المفاهيم المختلفة للحب أو -المحبة-، ولم يهملوا جانب الأهمية، والذين بفضلهم تيسر الوصول إلى المبتغى في هذه الزاوية من زوايا هذا البحث.

وفي ثنايا عرضهم للمفاهيم المختلفة، بدا أن هذا الموضوع -الحب- قد شغل اهتمام المهتمين، وهو قدم قدم وجود هذا الكون، إذ أن الطائفة الكبيرة من الحكماء القدماء، ترى "أن الوجود كله مبدؤه المحبة والبغضة، وهما عليا الكون والفساد، وإن البغضة تقابل المحبة مقابل العدم، كالنور والظلمة، وهي صفة من صفات واجب الوجود"<sup>1</sup>، فالحب إذا هو حياة تجمع كل المتحايين<sup>2</sup> وهو جزء لا يتجزأ من إنسانية الإنسان، فالإنسان لن يكون إنسانا إذا انعدم جوفه من الحب<sup>3</sup> ويضيف -هوغو- ويذهب إلى أبعد من ذلك بأن جعل من الإنسان والحب شيئا واحدا لا انفصال بينهما، في قوله: "إذا كنت حجرا فكن صوّانا، وإذا كنت نباتا فكن حساسا، وإذا كنت إنسانا فكن حبا"<sup>4</sup>.

وإذا كانت مثل هذه المفاهيم لم تقيد الحب بأي نوع من القيود، فهناك من المفاهيم من قللت من سعة مفهومه، وحصرته في الشريعة المنظمة لحياة الناس، إضافة إلى أن الحب، أقوى بكثير من إرادة البشر، وهو جزء لا يتجزأ من حياتهم، وهذا ما تضمنه هذا التعريف لـ G. Surbled "الحب شريعة يخضع لها المجتمع البشري فتفرض نفسها على جميع الأمم والنحل لأنه حياة الأنفس،

<sup>1</sup> عمر رضا كحالة: سلسلة بحوث اجتماعية (الطلاق، الزنا، ومكافحة الحب)، مؤسسة الرسالة، ط2، 1404هـ-1984م، ص 26. ، عن مجلة الأخلاق سنة 1924م.

<sup>2</sup> Richard Rolle : *Le feu de l'amour*, traduit par D.M Noetinger maison Alfred Mame et fils, p 327.

<sup>3</sup> عمر رضا كحالة: عن مجلة الأخلاق سنة 1924م، ص 32.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 13.

و يجمع العبادة والإحساس الروحي لعزاء البشر<sup>1</sup>، ويفصّل أكثر، على أن الحب عاطفة متمكنة في عمق قلب الإنسان، بل أكثر من ذلك فهو الشريعة العظمى لطبيعة الإنسان التي جادت بها السماء على البشر، كما يجعل من الحب قسمين؛ الحب الطاهر الذي تبني به الأسر، والحب المريض الذي يهدم أسس العائلة ويسيرها إلى الخراب، وتقطع أوصالها<sup>2</sup>.

لكن الغريب في هذا المفهوم للحب، أن صاحبه جعله عرضة للمرض، على الرغم أنه عاطفة متمكنة، أو متأصلة في العمق الإنساني، ويمكن رفع هذا اللبس بهذا التعريف الذي قلل كثيرا من شأنه في قوله "كما أنه رغبة شهوانية"<sup>3</sup>. ثم يستدرك فيقول: "...وبكلمة أخرى، فالحب من الوجهة العامة والفلسفية مادة أساسية لهذه الحياة الدنيا، حتى الحيوان فإنه مربوط بشريعة الحب"<sup>4</sup>، فقد جعل هذا الفيلسوف من الحب مادة أساسية من مواد الطبيعة تتمتع بها كل المخلوقات وهو الأداة المنظمة للعلاقات الإنسانية والحيوانية في هذا الوجود.

وترقى بعض المفاهيم بالحب بأن تجعله هو الإيمان، بل هو السعادة في هذه الحياة، كتعريف "ألفرد دي موسيه" "الحب هو الإيمان، بل هو السعادة في هذه الحياة، فهو مثل نور يبديد ظلام قبة هذا الهيكل الذي نسميه العالم"<sup>5</sup>، ولكن الفيلسوف شكسبير لا يرى بأن الحب هو الإيمان، بل الإيمان هو حلقة من حلقات الحب في قوله: "الحب هو جملة من الأخلاقيات والسلوكات، والعواطف، والدموع، والإيمان، والخدمة، والوهم، والهوى، والرغبة، والعبادة، والواجب، وحفظ العهد، والوداعة، والصبر، والضجر، والطهارة، والحنّة"<sup>6</sup>.

فالحب في نظر شكسبير، هرم كل أنواع الأخلاقيات والسلوكات التي تتحلى بها النفس الإنسانية، لذا كان -الحب- الأقرب إلى المحبة الإلهية، لأنه على حد رأي الأديب -لاكتانس Lactance-، المحبة هي البناء الذي تؤسس عليه العلاقة بين الله، والإنسان، وقد توصل إلى مثل هذا المعنى عند تأصيله لمصطلح الدين "إن أصل كلمة Religio هو Religare، ومنها

<sup>1</sup> عمر رضا كحالة: عن مجلة الأخلاق سنة 1924م، ج5، ص22.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ج5، ص22.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ج5، ص8 (عن مجلة الإخاء 3: 15-16).

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ج5، ص22 (عن مجلة الهلال 14: 254-255).

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص28. عن: (Anton Mystrom : La vie sexuelle et ses lois).

<sup>6</sup> نفس المرجع السابق، ص30. عن (مجلة المقتطف 60: 176).

بالفرنسية Relier، أي: "ربط" "شيد علاقة"، فالدين هو العلاقة التي تربط الإنسان بالله ربنا متينا على المحبة، إذ أن الله محبة، والإنسان مخلوق على صورته كمثلته، فالإيمان يختص بالوجدان إذا، وهو ما يوحي به لفظ "إيمان" الغربي، ومصدره "أمن" أي: أن الإنسان يشعر بالأمان لأنه في علاقة مع الله، وبالمثل توحي لفظة "صلاة" بـ"الصلة" صلة المؤمن بالله<sup>1</sup> وهذه الصلة تنفي أن يعيش الإنسان بنفسه ولنفسه فهي قيد إلهي لأن الحب في رأيه هو العيش لأجل الآخر وبالآخر، وهو العطية، وهو التقبل، فالتقبل والعطاء هما المحبة، وهو ما يكشف أن جوهر الكائن الأصلية هو محبة أو مشاركة، لأن في اعتقاده سر الثالث يضيء جميع طرق الوجود البشري<sup>2</sup>.

يتضمن هذا المفهوم أن يكون الحب إنسانيا، بل هو إلهي، يتولد نتيجة الصلة الوطيدة بين الإنسان والإله (الثالث) بعيدا عن كل احتكار وهذا هو الحب الحقيقي، لأن الغريزة عند الإنسان منتشرة وتلون تقريبا كل حياة المرأة والرجل، وبها مركبات تدفع للرغبة في امتلاك شخص ما، وهو ما يسمى "بالغرام"، ولذلك تحتاج المحبة إلى إرادة عميقة لتحقيق سعادة الآخرين ومحبة الأم لابنها صورة حية لهذه المحبة، التي كلها رحمة، وشفقة، وبذل وتضحية من أجل سعادة الآخر -الابن-، وفي مثل هذه الصورة يمكن حصر المحبة في -الرحمة-: "والحبة هي أيضا الرحمة عندما تشمل كل ملامح الحب وتسعى بها إلى الكمال والسعادة"<sup>3</sup>.

وعلى الرغم من هذه المحاولات الحثيثة لتحديد مفهوم المحبة، إلا أن العهد الجديد يحجبها بحجاب السرية الذي لا يدرك إلا بيسوع المسيح...<sup>4</sup>، وكأن به يصد الباب في وجه أي محاولة تسعى لكشف هذا السر، ويجبطها إذا خاضت غمار هذا الكشف بعيدا عن -المسيح عليه السلام- الذي يمثل في حقيقته نبيا مرسلا لأداء أمانة ربانية ككل الأنبياء، ويبدو أنه استعمل كأداة لترسيخ هذا السر -المحبة-، وقد أحسن كتاب الأناجيل اختيار الأوتار التي يلعبون عليها ليسهل عليهم إقناع الأتباع بالبدع التي ابتدعوها في هذا الدين، وفي حق هذا النبي -عيسى عليه السلام- وفي

<sup>1</sup> فاضل سيد اروس اليسوعي: بين وحي الله وإيمان الإنسان، القاهرة، ط2، دار المشرق، ص 89.

<sup>2</sup> فرانسوا قاريون اليسوعي: فرح الإيمان، مهجة الحياة، محاضرات في أهم قضايا الإيمان المسيحي، جمعها الأب برنار هوسيه، نقلها إلى العربية الأب صبحي حموي اليسوعي، ط5، دار المشرق، بيروت، ص 144.

<sup>3</sup> Droguet Ardant/ Fayard : Théo nouvelle encyclopédie catholique, P 798.

<sup>4</sup> يوحنا 4:16.

هذا المضمار يقول المولى عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ حِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾<sup>1</sup>.

وإذ نسجل بعض الاختلاف، أو تباين الآراء في مفهوم الحب، فالاتحاد قائم حول أهميته، فلم يختلف اثنان في ذلك، وهذا الاتحاد نتيجة حتمية لجوهره.

ويمكن أن تبرز هذه الأهمية أكثر في جعله حياة الإيمان، فلا قيمة، ولا حياة للإيمان المسيحي بدون المحبة، لأن الإيمان لا يستطيع أن يوجد بدون المحبة -الحب- لكن لا يستطيع أن يكون مهما بدون الحب، ولذا فهو -الحب- أكثر شهامة في تعلقات النفس<sup>2</sup>.

وفي قول آخر، يجعل أهميته أوسع وأشمل، لأنه لا يرتبط بالإيمان فحسب، بل بكل الجوانب الحياتية (الحب كمال المعرفة إنه من يعمل على توفيق النبوءة، وهو فاكهة الإيمان، يعطي الفعالية للأسرار، وهو أساس الذكاء، والعلم، وهو غنى الفقراء، وحياة الموتى)<sup>3</sup>.

والحب هو ملح الحياة ومحركها، لأنه أقوى مصدر قوة في العالم، فباسمه يتحمل رجال ونساء كثيرون أشد العذابات والآلام، كما هو قادر على أن يحسن طباع الإنسان وسلوكه، وكثيرا ما يدفعه إلى القيام بأعمال بطولية، وقد ينعدم الحب فجأة لسبب، كالخيانة، فلا وجود عندها للمعزي للإحساس بالانفراد والعزلة، ولا يجد للحياة معنى وللمتع البشرية طعما، لأن لسانه يحفظ هذه العبارة "الحياة بدونك لا تستحق أن أعيشها"، فللحب قدرة عجيبة تعطي للحياة قيمتها، لأنه ببساطة ملح الحياة<sup>4</sup>.

ولكن مثل هذا النوع من الحب على الرغم من أهميته القصوى سرعان ما يتلاشى مع هبة خفيفة من هبات هواجس النفس كالأنانية... وغيرها<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سورة البقرة: الآية 79.

<sup>2</sup> Richard Raue : *Le feu de l'amour, traduit par D.M. Noetinger moine de solesmes, maison Alfred Mame et fils, P 327.*

<sup>3</sup> *Ibid, P 328.*

<sup>4</sup> الأب فيكتور شلحت اليسوعي: الإنسان في ضوء المسيح، ط3، دار المشرق، ش.م.م، ص 43-44.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 44.

وإذا كان هذا النوع لا يكتسي أهمية كبرى لما يعتريه من هزات تؤدي به إلى السقوط السريع، فإنه يكتسي كل الأهمية لدى المؤمنين -المسيحيين-، عندما يكون موصولاً بالإله "الحب حماس مشتعل بروح نحو الله، مرفوق بفرحة مفاجئة وبيقين، الله نور، ونار، النور يضيء ذكاءنا، والنار تقتل إرادتنا، حتى لا نرغب في شيء إلا الله"<sup>1</sup>.

ولا يبقى هذا الحب مجرد حماس نحو الإله، فدرجة حرارته تجعل صاحبه ينصهر في إلهه، ويكوّنان وحدة واحدة لأن "الإنسانية تجعلنا مقبولين للإله، الصفاء يجعلنا نصل إليه، لكن الحب يجعلنا واحداً معه"<sup>2</sup>.

وحتى لا يقع خلط بين الحب الإنساني، والحب الإلهي ذهب اللاهوتيون إلى تنويع صورته فهي متفاوتة في الأهمية، ومن بين هذه الصور، أو الأنواع: "الحب: الإلهي، الصوفي، الذاتي، حب القريب، الصداقة، الروحي، الأبوي، الأموي، الأخوي، البنوي، الاجتماعي، وحب الاتحاد بالكنيسة"<sup>3</sup>.

وتقسيم آخر يلخص هذه الأنواع العديدة في ثلاثة درجات: وعنونت بـ: الدرجات الثلاث للحب (Les trois degrés de l'amour).

1- الحب الأعلى (الحب الذي لا يعلى عليه) L'amour insurmontable: ومن أهم مميزاته:

- يتصدر طليعة كل أنواع الحب، ولا يمكن أن يُسبق.
  - يكون حاضراً في كل الحالات، سواء في الرخاء، أو في الشدة، وفي الصحة، والمرض.
  - ليس لأي شيء في هذا الوجود القدرة على التأثير، أو التقليل منه.
  - دوماً منبعث نحو السماء.
- كل من يصل إلى هذه الدرجة من الحب، يكون في سعادة تامة، ولكن الأسعد الذي يتخطى هذه الدرجة إلى درجة أعلى وهي:

<sup>1</sup> Richard Raue : *Le feu de l'amour*, P 326.

<sup>2</sup> *Ibid*, P 328.

<sup>3</sup> A- D. Sertillanges: *L'amour chrétien*, librairie Le coffre J. Gabalda, 90 rue Bona-partie, Paris, P 47, 73, 91.

2- الحب في الاتحاد L'amour Inséparable: النصيحة لمن يريد أن يرقى إلى هذا النوع من الحب هي:

- عندما يكون كيائك مرتبط، ومتعلق وغير متغير اتجاه المسيح.
- الفكر يكون متعلقا دوما، ولا ينفصل عن السيد المسيح إلا عند النوم، ويتعلق به مباشرة بعد الاستيقاظ من النوم، أو يسكن هذا الحب في القلب.
- يعيش معك هذا الحب كل حركاتك وسكناتك.
- الناس الذين يصلون إلى هذه الدرجة يجازون جزاء كبيرا.
- والجزء الأكبر الذي يتفوق ويتخطى هذين النوعين اللذين في إمكان أي مسيحي اكتسابهما إلى درجة ثالثة وهي:

3- الحب الفردي L'amour singulier: وهو الحب الذي لا يوجد شبيه له، لأنه الأكثر رفعة وهو ليس في إمكان أي كان امتلاكه لأن شروط اكتسابه وآثارها صعبة ومن بينها:

- القلب يكون مغلقا في وجه جميع الشهوات، والملذات إلا المسيح وحده.
- لا سعادة أخرى تستطيع مسه، أو الوصول إليه.
- الراحة التي تجدها في حب الله تكون خارقة وفاتنة.
- يحس الإنسان بحرقته في روحه حتى يعجز اللسان عن التعبير عنها.
- الروح لا تهتم إلا بمحبة المسيح، والتفكير فيه، والرغبة فيه، لا تتنفس إلا له، تحترق من أجله، وترتاح فيه.
- الموت تكون أكثر نعومة من العسل لأنها ضمنت لقاء من أحببت، ولأن الجسد نائم، والقلب حي.

وفي النهاية يقول: بالنسبة للحب الأول الكثير من الأنفس يمكنها الارتقاء إليه، والثاني البعض فقط، أما الثالث فقليلون جدا من يمكنهم الارتقاء إليه لأن كلما كان الكمال أكبر كلما قل الواصلون إليه<sup>1</sup>.

في الحب الأول الناس يشبهون النجوم، في الثاني يشبهون القمر، أما في الثالث فهم كالشمس<sup>2</sup>، وفي هذا الأمر يتحدث القديس بولس "ضوء الشمس ليس هو ضوء القمر، ولا النجوم"، هكذا هم من يحبون الله... فمن استطاع امتلاكها يتذوق سعادة لا يمكنني وصفها<sup>3</sup>.

ومثل هذه التقسيمات للحب إن دلت على شيء فإنها تدل على وجه من وجوه أهميته عند كل إنسان مهما كانت عقيدته، ومهما كان مستواه العلمي، وإن كان الإنسان العادي لم يستطع التعبير عما يختلج في نفسه في سطور فإنه يعايشه في مجالات حياته المختلفة بألفاظ ودرجات متفاوتة، ولو لم تمسسه يد العابثين لكان حبا كما أراده رب العالمين يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾<sup>4</sup>.

ومما لاشك فيه، أن مثل هذه الاجتهادات اللاهوتية لم تتولد من العدم، لأن المنقب في العهد الجديد، سيقف على الكثير من النصوص التي من المؤكد كانت المصدر الذي استوحى منه هؤلاء اللاهوتيون، مثل هذه الاجتهادات، وقد استطاعوا أن يرقوا بأهميته إلى درجة التقديس.

### المطلب الثاني. المحبة في الأناجيل:

إذا كان الكتاب المقدس<sup>5</sup> هو مجموعة الكتب المقدسة لدى المسيحيين، والتي يشتركون في جزئها القديم -العهد القديم- مع اليهود، فإن الكتابات التي تضمنها العهد الجديد هي وقف على المسيحيين، إذ لا يقبلها اليهود في كتابهم المقدس، إذا العهدين يختلفان حتى في الموضوع، فإذا كان العهد القديم موضوعه العهد الذي عاهد الله شعبه على يد موسى في جبل سيناء، فإن موضوع

<sup>1</sup> Richard Raue : *Le feu de l'amour*, P 340.

<sup>2</sup> *Ibid*, P 318-319-320.

<sup>3</sup> *Ibid*, P 323.

<sup>4</sup> سورة البقرة: الآية 165.

<sup>5</sup> مجموعة من 73 (65)، كتابات ألفت، أو جمعت بلغات مختلفة طوال فترة زمنية دامت 1500 سنة، وقد قام بهذه العملية عدد كبير من المؤلفين.



العهد الجديد هو العهد الذي عاهد الله البشر جميعا في يسوع المسيح، وهو أن الإيمان بيسوع المسيح يخلص الإنسان من خطيئته ويمنحه حياة جديدة ملؤها القداسة، والتقوى<sup>1</sup>.

فهنالك من يفسر العهد الجديد بانتظار عودة المسيح في آخر الزمان وإذا كان العهد القديم موجه نحو إنجاز الموعد، نحو مستقبل يكون تحقيقه من هذا العالم، وتكون ذروته مجيء المسيح، أما شعب العهد الجديد فإنه موجه نحو عودة المسيح، وذروته هي تلك العودة في آخر الزمان فمن كلتا الجهتين، يكون الموقف الأساسي الانتظار أو الرجاء أيضا<sup>2</sup>.

أما عن كلمة "إنجيل"، فهي مشتقة من اللفظة اليونانية "Eva Vyε λΙΟV" وتعني الخبر السار، أو البشرى<sup>3</sup>.

وقد جاءت في إنجيل متى بهذا المعنى الحق أقول لكم: حيثما تعلن هذه البشارة في العالم كله، يحدث بما صنعت إحياء لذكرها<sup>4</sup>.

وفي رسالة بولس إلى كنيسة غلاطية "ولم ندعن لهم خاضعين ولو حيناً لتبقى لكم حقيقة البشارة"<sup>5</sup>.

وفي الرسالة إلى كنيسة أفسس حملت معنى البشارة بالخلاص وفيه أنتم أيضا سمعتم كلمة الحق أي بشارة خلاصكم<sup>6</sup>. ثم استعملت بمعنى الكتاب الذي يتضمن هذه البشارة (البشرى)، وغلب استعمالها عند أواخر القرن الأول حتى اليوم<sup>7</sup>.

ويتضمن العهد الجديد:

<sup>1</sup> الكتاب المقدس: العهد الجديد، الترجمة العربية الجديدة من اللغة الأصلية، اتحاد جمعيات الكتاب المقدس 1978، ط1، ص16.

<sup>2</sup> الأب أوغسطين دويره لاتور: دراسة في الإسكاتولوجيا الموت والقيامة السماء والمطهر وجهنم، نقله إلى العربي الأب صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ص54.

<sup>3</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، محاضرات أُلقيت في كلية الشريعة الإسلامية بأنقرة (تركيا)، نقلها من الإنجليزية الأب كميل حشيمه اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ص33.

<sup>4</sup> متى 26: 13.

<sup>5</sup> غلاطية 2: 5.

<sup>6</sup> أفسس 1: 12.

<sup>7</sup> أحمد شلبي: المسيحية ج2، ط8، مكتبة النهضة المصرية، 1984، ص204.



1- الأناجيل: إنجيل: متى - مرقس - لوقا - يوحنا.

2- أعمال الرسل: بقلم لوقا.

3- رسائل بولس.

4- الرسائل العامة: رسالة يعقوب، رسالة بطرس الأولى والثانية والثالثة رسالة يهوذا.

5- الرؤى.

وإن كانت هذه الكتابات قد رتبت بهذا التسلسل في العهد الجديد، فهذا لا يعني أن الأناجيل لها أسبقية الكتابة على الرسائل، وبالأخص رسائل بولس.

لدى دراستنا العهد الجديد يجب أن لا يغيب عن فكرنا أن الأناجيل ليست هي التي يجب دراستها أولاً دائماً، فإن الكتابات الأولى من العهد الجديد هي رسائل الرسل، وبينها تشغل كتابات القديس بولس المحل الأول<sup>1</sup>.

ولكن سألتزم في دراستي للمحبة في هذه المصادر المسيحية بترتيبها في العهد الجديد.

### المحبة في إنجيل متى:

اعتمد في التعريف بمتى على بعض الملامح المرسومة في الإنجيل المنسوب إليه، فهو طويل الباع في علم الكتاب المقدس والتقاليد اليهودية، كانت له معرفة كبيرة برؤساء شعبه الدينين الذين كان يوقرهم<sup>2</sup>.

كما برع في فن التعليم وتقريب يسوع إلى سامعيه، كما كان يشدد على ما في تعليمه من نتائج عملية، ويعلق الكاتب على هذه الصفات لمتى على أنها توافق يهودياً مثقفاً أصبح مسيحياً<sup>3</sup>.

ويذهب آخر إلى نفس الرأي، أنه لا يعرف عنه شيء فقد مثله التقليد بواحد من الرسل يدعى -لاوي العشار-، ويمكن رسم ملامح عنه إستعانة بإنجيله، مسيحيين من أصل يهودي، يلم

<sup>1</sup> مجموعة من الباحثين، إله المساكين (24) نقله إلى العربية الأب ألبير أبونا، ط2، دار المشرق، بيروت، ص37.

<sup>2</sup> الكتاب المقدس، العهد الجديد، منشورات دار المشرق، بيروت، ط3، ص47-48.

(المدخل: مأخوذة من الترجمة الفرنسية المسكونية).

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص48.

إلماما تاما بالكتب، وضليع بأسلوب تحليل النصوص التي كان يستعملها اليهود آنذاك لكن لا يشك أنه كتب إنجيله ما بين سنة 80-90م<sup>1</sup>.

وفي إنجيله يدعي أنه لاوي بن حلفي<sup>2</sup> أحد تلاميذ المسيح الإثني عشر ويسميهم المسيحيون رسلا، وقد كان قبل التحاقه بالمسيح -عليه السلام- من جباة الضرائب، أو ما يسمى في ذلك العهد بالعشارين، لدى الرومان في كفر ناحوم من أعمال الجليل بفلسطين، ولم تكن هذه الوظيفة في نظر اليهود بالاحترمة، وكانوا ينظرون إليها نظرة ازدراء لأنها عمالة لصالح الإمبراطورية الرومانية، ولكن رغم كل ذلك وقع اختيار المسيح عليه ومضى يسوع فرأى في طريقه رجلا جالسا في بيت الجباية يقال له متى، فقال له: "اتبعني!" فترك كل شيء وقام فتبعه<sup>3</sup>.

وحسب روايات الإنجيل، أنه كان من المخلصين لمعلمه في حياته، لازمه ولبث معه فبشر إلى أن رفع، فواصل بعده الدعوة بفلسطين، وجال في بلدان كثيرة إلى أن استقر بالحبشة فبشر أنه كان له صيت كبير، وهذا ما سبب قلق على الحبشة فسلط عليه جنوده، فأذاقوه ألوانا من العذاب<sup>4</sup>، ويقال أنه لقي حتفه هناك<sup>5</sup>.

وإذا كنا نسجل تضاربا وخلافا في التعريف بشخصية متى فالملاحظة نفسها تسجل في نسبة هذا الإنجيل إليه ومما جاء في ذلك في نظر الآباء الأقدمين، فإن متى هو من كتب الإنجيل الأول للمؤمنين الذين من أصل يهودي "أوريجينس"، وهذا ما يعتقد أيضا بعض المعاصرين، لكن النقاد المحدثين يرون أن المشكلة بها نوع من التعقيد<sup>6</sup> ويضيف وفيما يبدو ليس مجرد ترجمة من الأصل الآرامي، بل هناك ما يدل على أنه دُوّن باليونانية... ومن المعتقد أنه كتب في سورية، ثم في انطاكية لأن أغناطيوس يستشهد به في أوائل القرن الثاني، أو في فينيقية، وكان يعيش في هذه البلاد

<sup>1</sup> الأب أتيان، من الأناجيل إلى الإنجيل (21) نقله إلى العربية باسيل فوزي، دار المشرق، بيروت، ص 25.

<sup>2</sup> مرقس 2: 14.

<sup>3</sup> لوقا 5: 27-28.

<sup>4</sup> زكي شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط، ط2، مصر 1968م، ج1، ص 73.

<sup>5</sup> محمد السعدي: دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، إعداد جمعية الدعوة الإسلامية، المركز الإسلامي، مالطا، 1985، نشر وتوزيع دار الثقافة، قطر-الدوحة، ص ب 323، ص 11.

<sup>6</sup> الكتاب المقدس، العهد الجديد، ص 47.

عدد كبير من اليهود<sup>1</sup>.

ويذهب موريس بوكاي إلى القول نفسه، ويرفض أن يكون هذا العشار صاحب هذا المكتوب ولنقل جملة واحدة: أنه لم يعد مقبولاً الآن بأن يقال أنه أحد أصحاب عيسى - عليه السلام<sup>2</sup>.

وجاء في الموسوعة البريطانية، أن هذا الكتاب كان نتاج مدرسة يقودها رجل ذو معرفة ممتازة بطرق اليهود في الفهم والتعليم<sup>3</sup>.

وما يؤكد أكثر أن هذا الإنجيل ليس لمثي، أنه لا يعثر على أي شاهد يشير إلى ذلك، لأن الكاتب يتحدث بصيغة الغائب لا بصيغة المتكلم، فليس في الكتاب: رأيت ولا سمعت، ولا كنت<sup>4</sup>.

والأفكار الرئيسية المتضمنة في هذا الإنجيل، أنه يعتبر المسيح - عليه السلام - موسى الجديد، فكما أن موسى أعلن للشعب اليهودي العهد القديم، وأعطاهم الشريعة القديمة، فيسوع يبشر بالعهد الجديد، ويعطي الشريعة الجديدة، وهذه الشريعة موجهة أولاً إلى الفقراء والجياع والمحرومين...<sup>5</sup> الذين يطلب منهم أن يجوه أكثر من غيرهم، حتى الآباء والأمهات والأبناء، والبنات، وإن كان حبه غير ذلك فهو ليس أهلاً له<sup>6</sup>.

والنصح الأخوي هو ما يجب أن يربط علاقة المسيحيين فيما بينهم، لأنه مظهر من مظاهر الحب الذي دعا إليه المسيح<sup>7</sup>، ولكن يتصدر حب الإله، وحب القريب كل الوصايا، وهي من

<sup>1</sup> الكتاب المقدس، العهد الجديد، ص 47.

<sup>2</sup> موريس بوكاي: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ص 81.

<sup>3</sup> فضيل حسن عباس: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية نقد مطاعن ورد شبهات، دار البشير، عمان، ط 2، 1989، ص 953.

<sup>4</sup> محمد السعدي: دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، جمعية الدعوة الإسلامية، المركز الإسلامي، مالطا 1985، توزيع دار الثقافة قطر - الدوحة، ص 21.

<sup>5</sup> متى 5: 1-8.

<sup>6</sup> متى 10: 37-39.

<sup>7</sup> متى 18: 15-18.

أكبرها، بهما ترتبط الشريعة كلّها والأنبياء<sup>1</sup>.

هذه الشريعة التي ألغت شريعة القصاص، العين بالعين والسن بالسن واستبدلت بعدم مقاومة الشر والأشرار ومن يلطم على خده الأيمن، فليقدم الثاني...<sup>2</sup> وليس هذا فحسب بل ندعو حتى إلى حب الأعداء ومباركة اللاعنين، والإحسان، بل تدعو إلى الإحسان حتى إلى المبغضين، وهذا من الكمال الرباني<sup>3</sup>، ولكن فهل يعقل أن عيسى -عليه السلام- يدعو إلى استسلام المظلوم للظالم؟ والتساهل مع الشر والأشرار، والتقاعس عن النهي عن المنكرات أليس في ذلك تشجيع، وقوة للظلمة والأشرار، وهل في مقدور القلب الإنساني أن يحب أعداءه، أليس ذلك فوق طاقة البشر؟

فمثل هذه الوصايا، ما هي إلا إفساد لشريعة عيسى -عليه السلام- وحتى وإن حاول صاحبها إقامتها على مشاعر إنسانية نبيلة -المحبة- إلا أنّها لم تكن في محلّها.

وإن عيسى -عليه السلام- نبي محبة، فكيف تنسب له مثل هذه النصوص الغريبة عن أخلاقه وتعاليمه؟ "لا تظنوا أنني جئت لأحمل السلام إلى الأرض، ما جئت لأحمل سلاماً بل سيفاً، جئت لأفرق بين المرء وأبيه، والبنت وأمها، والكنة وحماها، فيكون أعداء الإنسان أهل بيته"<sup>4</sup>.

وفي نص آخر، يستأذن أحد تلاميذه في قوله: "... يا رب، إيدن لي أن أمضي أولاً فأدفن أبي". فقال له يسوع: "اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم"<sup>5</sup>. فهل يعقل أن يصدر مثل هذا التصرف اللاإنساني والمنافي للرحمة والبرّ إلى الوالدين، من نبي كله رحمة ورأفة.

ضف قصة تلك المرأة الكنعانية التي رفض أن يقدم لها المعونة التي طلبتها لشفاء ابنتها، لا لشيء إلا أنّها ليست يهودية، كما شبهها بالكلب<sup>6</sup>.

فهل دعوة المسيح -عليه السلام- عنصرية، وهو الذي أنكر على اليهود عنصريتهم،

<sup>1</sup> متى 22: 34-40

<sup>2</sup> متى 5: 38-39

<sup>3</sup> متى 5: 43-48

<sup>4</sup> متى 10: 36-37

<sup>5</sup> متى 8: 21-22

<sup>6</sup> متى 15: 21-28

وظلمهم، وكيف بنبي يشبه إنسانا بالكلب؟! إن مثل هذه النصوص، فهي منافية لدعوة أي نبي ومنافية بالأخص إلى دعوة المحبة التي يتأسس عليها الإيمان المسيحي، والمحبة لم تستوف حقها في هذا الإنجيل مقارنة بطوله ضف إلى ذلك تكرار هذه النصوص بصيغ أخرى وحتى بنفس الصيغة نفسها في الأناجيل اللاحقة.

### المحبة في إنجيل مرقس

ينسب هذا الإنجيل إلى يوحنا الملقب بمرقس، وهو من أصل يهودي، وأمه مريم أخت برنابا الحواري، وقد كان مرقس، من أوائل الذين استجابوا لدعوة المسيح عليه السلام- فاصطفاه من جملة السبعين رسولا، وظل ملازما له<sup>1</sup>، وهو من رفقاء بطرس أما مرقس فكانوا يعتقدون أنه يوحنا مرقس المولود في أورشليم... ورفيق بولس وبرنابا... ثم رفيق بطرس في «بابل»، أي: رومة على الأرجح، وفقا لما ورد في 1بط 5 (13)<sup>2</sup>، لكن هناك من ينفي أن يكون مرقس من تلاميذ المسيح عليه السلام- (لم يكن مرقس أحد رسل يسوع الإثني عشر، إلا أن العهد الجديد يذكره في عداد معاوي بولس وبطرس<sup>3</sup>، كما ينفي -موريس بوكاي- تلمذة مرقس للمسيح - عليه السلام، وما هو إلا تلميذ رسول إنه أقصر الأناجيل الأربعة، وأقدمها، ولكنه ليس كتاب رسول، وكل ما فيه أنه كتاب محرر من تلميذ رسول<sup>4</sup>.

ويؤيد هذا القول أيضا، أحد الآباء المسيحيين (يكاد يكون من الأكيد أنه يوحنا مرقس الذي يظهر في سفر أعمال الرسل 12، وقد وصفه التقليد دائما تلميذا لبطرس، ويذكر الأسقف بابياس، في نحو سنة 130، ما كان "الشيخ" معتادا أن يقوله مرقس الذي كان ترجمانا لبطرس، وقد كتب بالضبط، وإن بدون ترتيب، كل ما كان يتذكره من أقوال الرب وأعماله ويعتقد أنه كتب إنجيله في رومة حوالي عام 70م<sup>5</sup>.

وينقل -أبو زهرة- عن ابن البطريق -أحد المؤرخين المسيحيين الشرقيين-، أن الذي كتب

<sup>1</sup>Michel Quesnel : L'histoire des évangiles, p 52.

<sup>2</sup> الكتاب المقدس: العهد الجديد، ص 167.

<sup>3</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي، مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 36.

<sup>4</sup> موريس بوكاي: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص 84.

<sup>5</sup> الأب أتيان: من الأناجيل إلى الإنجيل، ص 53.

هذا الإنجيل هو بطرس من مرقس، ونسبه إليه<sup>1</sup>.

ويسود الاعتقاد على أن هذا الكتاب ألف في رومة بعد اضطهاد نيرون، سنة 64، وتدل على ذلك بعض الألفاظ اللاتينية في صيغة يونانية، وبعض التركيبات اللاتينية، ويقدر أن هذا الكتاب موجه إلى غير اليهود في خارج فلسطين، ما يظهر فيه من الاهتمام بشرح العادات اليهودية<sup>2</sup>.

ويتبين في السطر الأول من إنجيله الهدف من كتابة هذا الإنجيل وهو "إعلان بشارة يسوع ابن الله"، كما صب جل اهتمامه على أعمال يسوع أكثر من أقواله، ولآلام المسيح -عليه السلام- ولموته مكانة بالغة الأهمية، ويشترك في ذلك مع متى<sup>3</sup>.

وما يميز هذا الإنجيل أكثر، تأكيده لبشرية المسيح حيث ينسب إليه كل الاحتياجات الجسدية<sup>4</sup> التي تخلع عنه صفة النبوة، وهذا السبب الذي جعله يفترق عن بولس عندما صحبه في رحلته التبشيرية الأولى مع برنابا -خال مرقس- إلى آسيا الصغرى وقبرص<sup>5</sup>، وبالتالي انفصل عن خاله -برنابا- لكن عاود مرقس اتصاله ببولس إبان سجنه برومة، كما كانت له رحلات إلى شمال إفريقيا، ومصر، ومكث هناك، إلى أن لقي حتفه على يد الوثنيين<sup>6</sup>، وبالضبط في الإسكندرية<sup>7</sup> بعد أن أنشأ بها بطريركة<sup>8</sup>.

وقد تضمنت أولى وصايا هذا الإنجيل وحدانية الله، الذي يجب أن يحب بكل القلب والنفس والذهن، والقوة، كما أكد على محبة القريب كمحبة النفس<sup>9</sup>، ومحبة الزوجين لبعضهما

<sup>1</sup> محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، شركة الشهاب، الجزائر، ص 119.

<sup>2</sup> الكتاب المقدس: العهد الجديد، ص 167.

<sup>3</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 36.

<sup>4</sup> متى 11: 12، 6: 31.

<sup>5</sup> أعمال الرسل 13: 4-5، أعمال الرسل 15: 36-40.

<sup>6</sup> رسالة بطرس الأولى: 13.

<sup>7</sup> علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة، ص 74.

<sup>8</sup> محمد السعدي: دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، ص 11.

<sup>9</sup> مرقس 12: 28-34.

البعض، لكن بشيء من المبالغة في عدم تطبيق أحدهما الآخر<sup>1</sup>، وكان للأطفال مكانة متميزة في قلب المسيح -عليه السلام- وكان القدوة المثلى في محبتهم ومعاملتهم وأتوه بأطفال ليضع يديه عليهم، فانتهرهم التلاميذ، ورأى يسوع ذلك فاستاء وقال لهم: "دعوا الأطفال يأتون إلي، لا تمنعوه، فلأمثال هؤلاء ملكوت الله، الحق أقول لكم: من لم يقبل ملكوت الله مثل الطفل، لا يدخله"<sup>2</sup> ثم ضمهم إلى صدره ووضع يديه عليهم فباركهم.

لكن ما جاء في قصة الشاب الغني، والتي لا تروى إلا من شاهد عيان، ومرقس لم يشهد وقوعها كما هو ثابت من كلام المؤرخين، فقد صور المسيح -عليه السلام- الذي هو رسول رحمة، وشفقة، ووحدة، وعمل، على أنه يفتقر إلى هذه المثل العليا التي يشترك فيها مع كل الأنبياء والمرسلين، وذلك في قوله لهذا المهتدي وما يريده فقط هو الوصول إلى الكمال "لا تقتل، لا تزني، لا تسرق، لا تشهد الزور، لا تظلم، اكرم أباك وأمك". فقال له: "يا معلم، هذا كله حفظته منذ صباي". فحذق إليه يسوع فأحبه فقال له: "واحدة تنقصك: اذهب فبيع ما تملك وأعطه الفقراء، فيكون لك كثر في السماء، وتعال فاتبعني". فاغتم لهذا الكلام وانصرف حزينا، لأنه كان ذا مال كثير، فأجال يسوع طرفه وقال لتلاميذه: "ما أعسر دخول ملكوت الله على ذوي المال"<sup>3</sup>.

هذا النص قد صور المسيح -عليه السلام- صورة قائمة، إنه نبي يمقت الغنى، والأغنياء، وداع إلى الإتكال والتواكل. ومحارب لفطرة التملك الحلال،... وهذا يتناقض مع نصوص أخرى يدعو فيها لحب العمل وإتقانه.

ومثل هذا النص، وما يماثله يعضد الشك في نسبة هذا الكلام إلى حوار، أو حتى تلميذ حوار، وبالتالي يقاسم بقية الأناجيل التناقض والتضارب، وإن كان قد قاسمها المحبة، التي لم تكن على رأس اهتماماته.

<sup>1</sup> مرقس 9: 1-12.

<sup>2</sup> مرقس 10: 13-16.

<sup>3</sup> مرقس 10: 9-23.



## المحبة في إنجيل لوقا:

لوقا، كان يونانيا، ويرجح أنه أنطاكيّ الأصل<sup>1</sup>، وقد درس الطب ولازم القديس بولس في أغلب رحلاته.

ورسائل بولس تؤكد هذه الرفقة في قوله "يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب وديماس"<sup>2</sup>.

وتجمع الطوائف المسيحية، أن لوقا لم يكن حواريا ولا تلميذا لأحد الحواريين، ومن النادر ذكر لوقا كشخصية بارزة في سجلات التاريخ للقرن الأول من المسيحية، وإن كانت الفكرة السائدة لدى الكتاب النصارى -الأقدمين- هي أن مؤلف الإنجيل الثالث كان لوقا الطبيب<sup>3</sup>.

ونهاية حياة لوقا كانت في بيوتيه Boeotia في اليونان وعمره 84 سنة<sup>4</sup>.

ويبدو أن التباين كبير في تاريخ تدوين هذا الإنجيل، وكذا في نسبه إلى لوقا، فهناك من ذهب إلى أنه نسب إلى لوقا (إيريناوس) منذ أواخر القرن الثاني<sup>5</sup>.

وكتبه باللغة اليونانية لشخص يدعى -ثاوفيلس-<sup>6</sup>.

ويتعذر تحديد تاريخ كتابة هذا الإنجيل للتواريخ المختلفة التي ذكرها المؤرخون، فمن المؤرخين من يرجع تاريخ تأليفه إلى سنة 63<sup>7</sup>، بعد رفع المسيح بثلاثين سنة<sup>8</sup>، ويُرجع موريس بوكاي تاريخ تدوينه إلى ما بين سنتي 80 و90، وإن كان كثيرون ينسبونه إلى تاريخ أقدم<sup>9</sup>.

المتفق عليه أنه كتب باللغة اليونانية، رغم أن الأصل مفقود، ولم يذكر حتى مصدر رواياته،

<sup>1</sup> الأب اسطفان شرينتييه، تعرف إلى الكتاب المقدس، نقله إلى العربية: الأب صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ص 75.

<sup>2</sup> كولي 4: 14.

<sup>3</sup> محمد عبد الله الشرفاوي: مقارنة الأديان، ص 184 نقلا عن كتاب لجورج كيرد. *Saint Luke p 16-17*.

<sup>4</sup> محمد السعدي: دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، ص 11.

<sup>5</sup> دراسة في الإنجيل كما رواه لوقا (15) نقلها إلى العربية الأب صبحي حلوي اليسوعي، دار المشرق، ش.م.م بيروت.

<sup>6</sup> لوقا 1: 2.

<sup>7</sup> محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، ص 122.

<sup>8</sup> محمد علي الخولي: مقارنة بين الأناجيل الأربعة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، 1993، ص 108.

<sup>9</sup> موريس بوكاي: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص 88.



لكن يشهد له أنه مؤرخ وقصاص بارع<sup>1</sup>.

كما يقر بنفسه أنه مجرد راوٍ كالرواة الآخرين، وليس شاهد عيان "لَمَّا أن أخذ كثير من الناس يدونون رواية الأمور التي تمت عندنا، كما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة ثم صاروا عاملين لها، رأيت أنا أيضا، وقد تفصيتها جميعا من أصولها، أن أكتبها لك مرتبة يا تاوفيلس المكرم، لتتقن صحة ما تلقيت من تعليم"<sup>2</sup>.

وقد علق رحمة الله خليل الرحمن الهندي<sup>3</sup> عن التواريخ المختلفة على أنها ناقصة، وغير معينة لا توصل إلى أمل معين لتصديقها، كما أرجع تعذر انتقاد الروايات التي صدقها المشايخ القدماء والأولون لانقضاء المدة التي تخلع عنه صفة البنوة، أو بالأحرى الألوهية التي اكتسبها نتيجة حب أبيه الكبير الذي جعل منه إلها على وجه الأرض، وتبقى علاقته بربه، علاقة عبد اجتباه ربه لإخراج الضالين إلى طريق الله.

ومثل هذا السبب جعل مرقس يفترق عن بولس عندما صاحبه في رحلته التبشيرية الأولى مع برنابا -خال مرقس- إلى آسيا الصغرى، وقبرص<sup>4</sup>، وبالتالي انفصل عن خاله برنابا<sup>5</sup>، لكن اتصل مرة أخرى ببولس إبان سجنه برومة<sup>6</sup>.

وقد مكنته ثقافته الواسعة أن يتميز عن المؤلفين الآخرين ويمكننا من الأسطر الأولى أن نتبين ما يميز لوقا عن "الكاتب السخيف" مرقس الذي سبق وتحدثنا عن مؤلفه فلا خلاف أن إنجيل لوقا عمل أدبي مكتوب باليونانية الكلاسيكية التي لا لحن فيها ولا أخطاء، لقد كان لوقا أدبيا وثنيا! اهتدى إلى المسيحية<sup>7</sup>، وأكثر من ذلك، فإنه رجل موهوب مثقف ومؤرخ وفنان ينتمي إلى العالم الهلنستي، يهتم بالأشخاص الذين يتحدث عنهم، يسوع قبل كل شيء، بل بالرسل أيضا، ولا سيما ببولس، وهو فضلا عن ذلك، مؤرخ وتلميذ وجد خلاصه في يسوع المسيح الذي لا

<sup>1</sup> موريس بوكاي: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص 87.

<sup>2</sup> لوقا 1: 1-4.

<sup>3</sup> رحمة الله خليل الرحمن العثماني الكيرانوي: إظهار الحق، ج2، تحقيق الدسوقي، الجزائر، دار الكتب، 1988، ص 131.

<sup>4</sup> أعمال الرسل 13: 4-5.

<sup>5</sup> أعمال الرسل 15: 36-40.

<sup>6</sup> كولي 4: 10.

<sup>7</sup> موريس بوكاي: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص 87-88.

بديل عن إتباعه<sup>1</sup> كما استعان بإنجيل مرقس ومتى<sup>2</sup>.

وخلاصة القول أن هذا الكتاب يفتقد إلى الكثير من شروط المصدقية، في حقيقة نسبه إلى لوقا-، ولذا جاء هذا المكتوب مجهول الهوية، دون تاريخ ولا توقيع، لكن أطلق عليه اسم: "إنجيل لوقا" أو "إنجيل الرحمة"<sup>3</sup>، ماذا يميز هذا الإنجيل عن غيره حتى أطلق عليه مثل هذا الاسم؟، ذلك بأن فيه يظهر، أكثر مما يظهر في سائر الأناجيل، الحنان الرباني العجيب على الفقراء والصغار والخطئين، فضلا عن أمثال الرحمة: الحروف الضال، والدرهم المفقود، والابن الضال<sup>4</sup>.

وقد يكون السبب أيضا، دعوته إلى المحبة بشتى صورها، سواء في هذا الإنجيل، أو في أعمال الرسل، الذي ينسب إليه، والذي يسمى في بعض الأحيان بإنجيل الروح، بسبب روايته لأحداث نمو الجماعة المسيحية بدفع من روح الله<sup>5</sup>.

ويمكن أن يقاسم "يوحنا" في تسمية "إنجيل المحبة" لأنه يدعو إلى المحبة بشتى صورها، حتى طالت الأعداء والظلمة والتسامح معهم، ولا يرد عليهم بنفس ظلمهم، ولا ينسى الرحمة التي هي صفة من صفات أبيهم -يسوع<sup>6</sup>؛ الذي أراد أن يغرسها فيهم بضرب الأمثال، كمثال السامري الذي كان صورة للرحمة، إذ انقذ رجلا على حافة الهلاك بعد أن تركه كاهن<sup>7</sup>.

وقد سئل المسيح -عليه السلام- من قبل أحد علماء الشريعة ماذا يعمل ليرث الحياة الأبدية فأجاب "أحب الرب إلهك بكل قلبك، وكل نفسك، وكل قوتك، وكل ذهنك، وأحب قريبك حبك لنفسك"<sup>8</sup>، ولم يكن مجيئه إلا من أجلها -المحبة-، ومن أجلها سيقبل آلامه وموته لفداء الناس "وجئت لألقي على الأرض نارا، وما أشد رغبتني أن تكون قد اشتعلت، وعلي أن أقبل

<sup>1</sup> دراسة في الإنجيل كما رواه لوقا (15) نقله إلى العربية الأب صبحي حموي اليسوعي، ص 9-10.

<sup>2</sup> موريس بوكاي: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص 88.

<sup>3</sup> الأب اسطفان شرينتييه، تعرف على الكتاب المقدس، ص 75.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 75.

<sup>5</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 37-38.

<sup>6</sup> لوقا 6: 27-38.

<sup>7</sup> لوقا 10: 30-37.

<sup>8</sup> لوقا 10: 27.

معمودية، وما أشد ضيقي حتى تتم<sup>1</sup>.

وفي المقابل يصوّر المسيح -عليه السلام-، هو أيضا في هذا الكتاب نبي فقرا، لأنه يكره الغنى والأغنياء، وليس هناك ما هو أدل على ذلك من هذه النصوص "بيعوا أموالكم وتصدقوا بها واجعلوا لكم أكياسا لا تبلى، وكثرا في السموات لا ينفذ، حيث لا سارق يدنو ولا سوس يفسد، فحيث يكون أكثركم يكون قلبكم"<sup>2</sup>، "ما من خادم يستطيع أن يعمل لسيدين، لأنه إما أن ييغض أحدهما ويجب الآخر، وإما أن يلزم أحدهما ويزدري الآخر، فأنتم لا تستطيعون أن تعملوا لله وللمال. وكان الفريسيون وهم محبوبون للمال، يسمعون هذا كله ويهزؤون به فقال لهم: "أنتم تزكون أنفسكم في نظر الناس، لكن الله عالم بما في قلوبكم، لأن الرفيع عند الناس رجس في نظر الله"<sup>3</sup>، ومثل لذلك بفلس الأرملة<sup>4</sup>.

لكن في الوقت ذاته الله يحب الغني، ويتقبل صلواته وصدقاته، وفي قصة قرنيليوس، قائد مائة من الكتبية الإيطالية، والذي كان يتصف بالتقى هو وجميع أفراد عائلته، وكان كثير الصدقة على الشعب<sup>5</sup> مثال حي على حب الله للغني، بعد ذمه في نصوص سابقة لأن الملاك قال له في رؤياه "... إن صلواتك وصدقاتك قد صعدت ذكرا عند الله"<sup>6</sup>.

وها هو المسيح -عليه السلام- في نص آخر، يقول بأنه جاء ليفرق، لا ليجمع، نبي تفرقة وفتنة، لا نبي سلام "أنظنون أي جئت لأحل السلام في الأرض؟ أقول لكم: لا، بل الانقسام، فيكون بعد اليوم خمسة في بيت واحد منقسمين، ثلاثة منهم على اثنين وإثنان على ثلاثة: سينقسم الناس فيكون الأب على ابنه والابن على أبيه، والأم على بنتها والبنت على أمها، والحماة على كنتها والكنت على حماتها"<sup>7</sup>.

أليس هذا الكلام تناقض صريح، هل المسيح -عليه السلام-، يقول كلاما ثم ينفيه بآخر،

<sup>1</sup> لوقا 12: 49-50.

<sup>2</sup> لوقا 12: 33-34.

<sup>3</sup> لوقا 16: 13-15.

<sup>4</sup> لوقا 21: 1-4.

<sup>5</sup> لوقا 21: 1-4.

<sup>6</sup> أعمال الرسل 10: 1-4، 31.

<sup>7</sup> لوقا 12: 51-53.

حب وكره في آن واحد من نبي، جاء لجمع الناس على قلب واحد في إله واحد، فتعالى لربي الله عيسى -عليه السلام- عن مثل هذا هذا النقص الذي تلطخت به أيادي العابثين.

### المحبة في إنجيل يوحنا:

إذا كان هذا الإنجيل هو رابع الأناجيل في العهد الجديد، فإنه من أخطرهما من حيث الأفكار اللاهوتية التي تضمنها. فمن هو صاحب هذه الأفكار؟

إن الإجابة عن مثل هذا السؤال يشترك في صعوبته مع الكتاب السابقين، لأن الآراء تتعد في التعريف بهذه الشخصية، التي ساهمت في رسم الاعتقاد المسيحي.

يوحنا، إنه أصغر التلاميذ سنا، وكان أعزبا عندما دعاه المسيح -عليه السلام- إليه، وكان يتمتع بمواهب ذهنية لفتت انتباه المسيح إليه<sup>1</sup>.

ويقول آخر: "من الصعب الإجابة عن هذا السؤال، هل هو يوحنا الرسول، كما يقول التلميذ، أم تراه يوحنا القديم" أحد تلاميذ الرب الذي يحدثنا عنه بابياس حوالي عام 140، والذي كان بابياس يطرح عليه أسئلة في شبابه<sup>2</sup> ويذهب -موريس بوكاي- إلى أن الإجابة عن مثل هذا السؤال، هو موضوع جدال، لأن الآراء تختلف كثيرا في هذا الموضوع، لكن من المؤرخين من أثبت نسبته ليوحنا بن زبدي أخو يعقوب -أ. تريكو والأب روغيه-، لأن المؤلفات العامة نشرت عنه الكثير، والصورة الشعبية تمثله قريبا من عيسى -عليه السلام-، كما في زمن العشاء السري قبل الآلام، واعتبر تأخر كتابة هذا الإنجيل ليس حجة مقبولة ضد هذا الموقف<sup>3</sup>، لكن موريس بوكاي يقول: "كل شيء يدفع إلى الاعتقاد بأن النص المنشور حاليا ينتمي إلى أكثر من كاتب واحد<sup>4</sup> ويستأنس -ول ديورانت- باللهجة الحادة التي اتسمت بها لغة هذا الإنجيل في نسبته إلى يوحنا الحواري" ويتبين أن صاحب هذا الإنجيل كان رجلا ذا مكانة عظيمة، وصاحب سلطان ذلك من لهجته الحادة، والمهددة في خطابه كنائس آسيا، ولن يكون إلا الرسول نفسه، سنبقى

<sup>1</sup> جاك جوميه، مارتن إدوار سبانج: المسيح ابن مريم، منشورات دار المشرق، ش.م.م، ص 261.

<sup>2</sup> الأب أتيان: من الأناجيل إلى الإنجيل، ص 77.

<sup>3</sup> موريس بوكاي: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص 90.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 91

نفترض ذلك، هذا ما يفسر سبب تسميته "ابن الرعد"<sup>1</sup>.

لكن خمس مائة كاتب من علماء النصراري، ينفون نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الذي يجبه المسيح، والكنيسة أخذت هذه الجملة على علاقتها، وجزمت نسبة هذا المكتوب إلى يوحنا الحواري، ويشبهونه ببعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها، وبين من نسب إليه، ويشفقون على من ييخل جهده ليربط بين هذا الرجل الفلسطيني، والذي ألف الكتاب في الجيل الثاني، بيوحنا الصياد الجليل<sup>2</sup>.

وإن كان هناك عدم يقين في حقيقة شخصية صاحب هذا الإنجيل، فنفس التضارب يسجل في تحديد تاريخ تدوينه.

نقل صاحب -إظهار الحق- عن "ماندر" أن يوحنا ألف إنجيله ما بين 90-100م، أي عندما بلغ من العمر سن الشيخوخة<sup>3</sup> وينقل أبو زهرة عن -بوست- تاريخاً آخر، يحدد ما بين سنة 95 أو 98، وقيل 96<sup>4</sup>. وهذا ما يعزز الاعتقاد، بأنه كتب بعد رفع عيسى -عليه السلام- بنحو خمس وستين سنة، وعلى افتراض أن يوحنا حينذاك كان عمره عشرين سنة فقط على الأقل، فإن عمره سنة 98 مثلاً كان حمساً وسبعين سنة، والتساؤل، لماذا تأخر في كتابته إلى هذا السن، وهل هذا السن مناسب للكتابة؟ ويحتمل أنه كتب بطلب خاص من أساقفة آسيا الذين رأوا التأكيد على ألوهية عيسى -عليه السلام-، ولينال الثقة الكاملة نسب إلى يوحنا الحواري<sup>5</sup>.

وكان له الدور الفعال في نشر التعاليم النصرانية في آسيا الصغرى، كما قيل أنه أيد بخوارق عجيبة، فكانت السبب الأكبر في دخول مدينة أفسس باليونان كلها في الديانة النصرانية، كما أسس كنائس عدة في أقاليم كثيرة، وكسب ثقة الناس، وهذا ما أغضب السلطة عليه، فنفاه الإمبراطور -دوميتيانوس- إلى جزيرة بطمس، أين كتب سفر الرؤيا، ورجع إلى أفسس بعد مقتل هذا الإمبراطور، وهناك كتب إنجيله ورسائله باللغة اليونانية، ومات عند بلوغه المائة عام، ودفن

<sup>1</sup> ول ديورانت: قصة الحضارة، ج11-12، ص271.

<sup>2</sup> محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانيةن دائرة المعارف البريطانية، ص78.

<sup>3</sup> رحمة الله خليل الرحمن العثماني الكيرانوي: إظهار الحق، ج2، ص135.

<sup>4</sup> محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، ص126.

<sup>5</sup> محمد علي الخولي: مقارنة بين الأناجيل الأربعة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، 1993، ص141-142.

بالقرب من مدينة أفسس<sup>1</sup>.

وأيا كانت حقيقة نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري من عدمها، فإنه يعد من أهم وأخطر الأناجيل للاعتبارات التالية:

1- يلمس فيه أثر الفلسفة اليونانية<sup>2</sup>.

2- الإنجيل الوحيد الذي نص بصراحة على ألوهية -عيسى عليه السلام-<sup>3</sup>.

3- يسوع هو النور الحق، والحياة، وهذه الأفكار مجموعة في خطاب طويل ألقاه المسيح -عليه السلام- إبان العشاء الأخير الذي تناوله مع تلاميذه قبيل موته<sup>4</sup>.

4- أبعد الأناجيل تحليقا في الأجواء الصوفية<sup>5</sup>.

5- رسالة الله تجسدت، أو أصبحت بشرا<sup>6</sup>.

6- يهتم كاتبه بالغ الاهتمام بأعمال المسيح -عليه السلام- السرية (الأعمال التي قام بها المسيح -عليه السلام- لأجل تلاميذه، فيبين كيف أهما تستمر إلى يوحنا في سرّي المعمودية والإفخارستيا<sup>7</sup>.

ومن أهم أفكاره اللاهوتية، إلى جانب ألوهية المسيح -عليه السلام- أن الله محبة، وأن المحبة هي ما ينبغي أن تتميز به جماعة أتباع المسيح -عليه السلام-<sup>8</sup>.

وحتى علاقة البشر فيما بينهم علاقة محبة في الثالوث وعلى مثاله ويعود الفضل في ذلك إلى يسوع<sup>9</sup>، وهي وصية جديدة يعرف بها تلاميذه<sup>10</sup>، وإن كانت وصية قديمة وردت في شريعة موسى

<sup>1</sup> زكي شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط ج1، ط2، مصر، 1968، ص75-76.

<sup>2</sup> إميل برهيه: تاريخ الفلسفة الهلنستية والرومانية، ص298.

<sup>3</sup> يوحنا 10: 30، 14: 9-10.

<sup>4</sup> يوحنا 17: 18.

<sup>5</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص36.

<sup>6</sup> نفس المرجع السابق، ص36.

<sup>7</sup> نفس المرجع السابق، ص36.

<sup>8</sup> نفس المرجع السابق، ص39.

<sup>9</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: بين وحي الله وإيمان الإنسان، ص59.

<sup>10</sup> يوحنا 13: 34-35.

—عليه السلام—<sup>1</sup>، وهذه الوصية يجب أن تحفظ لأنها شرع لمحبهه الحقيقية<sup>2</sup>، بل يجب أن يعمل بها حتى يرقى صاحبها إلى درجة الأوبة وهناك ما يسمى بالحب الأعظم وهو: بذل النفس في سبيل الأوبة "ليس لأحد حب أعظم من أن يبذل نفسه في سبيل أحبائه. فإن عملتم بها أوصيكم به كنتم أحبائي، لا أدعوكم خدما بعد اليوم لأن الخادم لا يعلم ما يعمل سيده، فقد دعوتكم أحبائي لأني أطلعكم على كل ما سمعته من أبي، لم تختاروني أنتم، بل أنا اخترتكم واقمتكم لتذهبوا ويبقى ثركم فيعطيكم الأب كل ما تسألونه باسمي، ما أوصيكم به هو: أحبوا بعضكم بعضاً"<sup>3</sup>.

ولكن المدهش كيف لهذا الكاتب الذي كان يعرف في فترة شبابه بالاندفاع والقسوة، بسبب موقفه القاسي اتجاه قرية من قرى السامرة—، والتي أوصدت أبوابها في وجه التلاميذ، فاشتعل غضبهم وذهب مع أخيه—يعقوب—، يستأذنان من عيسى—عليه السلام—، في استئصال نار السماء على أهلها<sup>4</sup> فنهرهما عيسى—عليه السلام—، وأطلق عليهما لقب "بوانرجس" أي: إبني الرعد<sup>5</sup>، أيعقل أن يتحول هذا الشاب العنيف إلى داعية للعطف، واللين، والصدقة، والمحبة، حتى قيل عنه أنه في أخريات حياته لا يفتر عن قول هذه الوصية "يا أبنائي الصغار، أحبوا بعضكم بعضاً"<sup>6</sup>.

ويكون هذا التساؤل مشروعاً إذا كان الكاتب هو يوحنا الحواري فكيف به يشترك مع الكتاب السابقين في إفساد كلام الله "اعلموا رحمكم الله—أن الذين كتبوا الأناجيل أربعة هم: متى وماركوس (مرقس)، ولوقا، ويوحنا"، وهؤلاء هم الذين أفسدوا دين عيسى وزادوا وأنقصوا، وبدلوا كلام الله تعالى "مثل ما أخبر عنهم سبحانه في كتابه العزيز، وليس هؤلاء من الحواريين،

<sup>1</sup> الكتاب المقدس، العهد الجديد الإنجيل... ص 423.

<sup>2</sup> يوحنا 14: 15، 21-24، 15: 9-11.

<sup>3</sup> يوحنا 15: 13-17.

<sup>4</sup> لوقا 9: 51-56.

<sup>5</sup> مرقس 03: 16.

<sup>6</sup> جاك جوميه، مارتن إدوار سبانج: المسيح ابن مريم، ص 261-262.



الذين أثنى الله عليهم في القرآن"<sup>1</sup>.

وإن كان التحريف، والتبديل، وعدم التأصيل من الخواص التي تجمع هاته الكتب، فالحجة بشق صورها ومتناقضاتها تعد أيضا قاسما مشتركا بينها، فما هو سر هذه المحبة؟.

والإجابة يمكن أن نجدها في رسائل بولس أو فيما تبقى من الكتابات من العهد الجديد.

### المطلب الثالث. المحبة في رسائل بولس والرؤى:

أولا. المحبة في رسائل بولس:

مولده ونشأته:

ولد بولس في طرسوس ما بين السنة الخامسة (5) والخمسة عشر (15)، وقيل السنة الخامسة (05)، وهناك من يحددها بالسنة العاشرة<sup>2</sup>.

اسمه الأصلي شاوول، أو شأوول بن كيساي، ووالده كيساي من سبط بنيامين، وكان يعمل في صناعة الخيام في مدينة طرسوس، ولعل تسميته - بولس - هي المرادفة لاسمه -شاوول- في لغة وعرف الرومان<sup>3</sup>.

أما بولس فقد عرف نفسه: "...أيها الإخوة، أنا فريسي ابن فريسي..."<sup>4</sup> ويقول: "فقد سمعتم بسيرتي في ملة -اليهود إذ كنت اضطهد كنيسة الله غاية الاضطهاد وأحاول تدميرها وأتقدم في ملة اليهود كثيرا من أترابي من بني قومي فأفوقهم حمية على سنن آبائي"<sup>5</sup>، أما عن رومانيتها<sup>6</sup>، فقد فسرت على أنها حيلة منه لينجو من سياط الجلادين الرومان<sup>7</sup>.

فمثل هذا الإقرار منه، يؤكد تشعبه بثقافة العهد القديم، وهو مدين أيضا للثقافة الهلينية أي:

<sup>1</sup> القس أنسلم تورميد (الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي): تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تقديم وتحقيق وتعليق محمود علي حمايه، ط3، دار المعارف، ص 65-66.

<sup>2</sup> ول ديورانت: قصة الحضارة، ج11، ص 85.

<sup>3</sup> مصطفى شاهين: النصرانية تاريخا وعقيدة وكتبا ومذاهب، دراسة، تحليل، مناقشة، دار الاعتصام، ص 143.

<sup>4</sup> أعمال الرسل 23: 6.

<sup>5</sup> غلاطية 1: 13-14.

<sup>6</sup> أعمال الرسل 22: 25-29.

<sup>7</sup> محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، ص 145.



الثقافة اليونانية (أو الإغريقية)، المتأثرة بالعهد القديم، والتي كانت متداولة آنذاك في فلسطين، والبلاد المجاورة، فنشأته في طرسوس-، مكنته من إتقان اللغة اليونانية، والتعرف إلى أدبائها وعاداتها ومنها ألعابها التي كانت مضرب أمثاله، وتشبيهاته "أما تعلمون أن العدائين في الميدان يعدون كلهم، وأن واحدا ينال الجائزة؟ فاعدوا كذلك حتى تفوزوا. وكل مبار يحرم نفسه كل شيء، أما هؤلاء فلكي ينالوا إكليلا يزول، وأما نحن فلكي ننال إكليلا لا يزول. وهكذا فإني لا أعدو على غير هدى ولا ألكم كمن يلطم الريح، بل أقمع جسدي وأعامله بشدة، مخافة أن أكون مرفوضا بعد ما بشرت الآخرين"<sup>1</sup>.

ويظهر تأثره بالثقافة الهلينية أكثر، في أسلوب رسائله ولغتها، فعلى سبيل المثال، كان يستخدم صيغة التضاد، وهي صيغة يونانية، كما أنه كثير الحديث عن الحرية، والعقل، والضمير، والفضيلة، وهي تعابير اشتهر بها مذهب الرواقيين Stoiaens-، وفي حديثه عن السر والمعرفة، اشتهر بها تيار الغنوصية- أي: (العرفان Gnose)<sup>2</sup>.

وقد استطاع بولس أن ينصر هذه الثقافة، ويفتح المسيحية على الثقافات الأخرى.

وهذا التحول منه، بعد ما كان من ألد الأعداء للمسيحية حصل له فجأة -على حد روايته- عندما اقترب إلى دمشق، فأبصر بغتة حوله نورا من السماء، وناداه باسمه، واستفسر سبب اضطهاده له، ثم أبلغه أنه المسيح -عليه السلام-، ومن ذلك الحين دخل بولس المسيحية، واتصل بالتلاميذ الذين لم يصدقوه<sup>3</sup>، ولكن وجد برنابا إلى جانبه إلى أن أصبح الصيت الأقوى في المسيحية، وما زاد قوة شخصيته الجذابة، وطبعه الحماسي والغيور، واندفاعه وعفويته، وشدته، وتعصبه، وصراحته وعنفه، وهذا الطبع جلب له أعداء كثيرين من يهود وثنيين، بل ومسيحيين من أصل يهودي في محاربتة للشريعة الموسوية<sup>4</sup>.

كما كان ذا منطق ومدرب على المناقشة والتفكير العقلي، ويتحلى بعزيمة لا تقهر، والتي تفرض فرضا رسالة صاحبها وآراءه، وهذه الصفات ليست كلها من وحي عبقريته الخاصة، بل

<sup>1</sup> قور 9: 24-27.

<sup>2</sup> الأب فاضل سيداروس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس، دار الشرق ش.م.م، بيروت، ص 17.

<sup>3</sup> أعمال الرسل 9: 1-9.

<sup>4</sup> الأب فاضل سيداروس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس (17)، ص 11.

حوصلة لما نُقله من الثقافات المشار إليها سابقاً<sup>1</sup> والتي ولدت ما يسمى برسائل القديس بولس. وهذه الرسائل هي من جملة كتب العهد الجديد، وهي أول كتابات العهد الجديد من جهة النظر الزمنية، وقد وجه عدد منها إلى الكنائس المحلية التي أنشأ معها بعض العلاقات، وآخر إلى أشخاص معينين وهي:

1- إلى أهل روما.

2- الأولى والثانية إلى أهل كورنتس.

3- إلى أهل غلاطية.

4- إلى أهل أفسس.

5- إلى أهل فيليبي.

6- إلى أهل قولسي.

7- الأولى والثانية إلى أهل تسالونيقي.

8- الأولى والثانية إلى طيموتاوس.

9- إلى طيطس.

10- إلى فيلمون.

ومضمون هذه الرسائل، عبارة عن ردود منه على مواقف أو تساؤلات، أو أسئلة، أو مشاكل الكنائس، أو المؤمنين، وكان بولس يستغل كل حادث، أو سؤال مهما كان طفيفاً أو بسيطاً، لإظهار الإيمان المسيحي وتطبيقه على الحياة العملية.

وقد صبغت رسائله بصبغة أدبية شرفية، فالخطوات التي يسلكها في كتابتها هي نفسها التي اتبعت في مخطوط اكتشاف على بردى من القرن الثاني، وهو عبارة عن رسالة أرسلها شاب مصري، دخل الجيش الروماني إلى والده بمصر<sup>2</sup>. مما يدل على أن بولس متأثر بفن فنون الآداب الشرقية المعروف بفن "الرسالة"، ويوجد أيضاً في العهد القديم، وفي الآداب المصرية أو البابلية، أو

<sup>1</sup> شارل جنير: المسيحية نشأتها وتطورها، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص 70.

<sup>2</sup> الأب فاضل سيداروس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس، ص 14.

الهلينية، وتتبع الرسالة التقسيم التالي:

1- عنوان: من المرسل إلى المرسل إليه، مع تحية.

2- موضوع الرسالة.

3- التحية في الآخر، أو أمنية المرسل للمرسل إليه<sup>1</sup>.

وترتيب هذه الرسائل في العهد الجديد جاء على حسب الطول، فالرسالة إلى أهل رومة أول الرسائل لطولها، ورسالة قولسي - آخر الرسائل لقصرها، كما قدمت الرسائل الموجهة إلى الكنائس عن الرسائل الموجهة إلى الأشخاص الرعوية<sup>2</sup>.

وبدوري سألتزم بهذا الترتيب في التنقيب عن المحبة في نصوص هذه الرسائل المجموعة في العهد الجديد.

### رسالة بولس إلى كنيسة روما:

يعتقد المسيحيون أن الرسالة إلى -أهل روما- هي أهم رسائل بولس ليس من ناحية الطول فقط، بل لغناها العقدي، ولبنيتها المحكمة، ولتأثيرها الكبير، حتى ذهب بعضهم إلى القول، أن تاريخ كل من الكنيسة وهذه الرسالة واحد<sup>3</sup>.

وقد كتبها تمهيدا لذهابه إلى روما آملا عونهم على سفره إلى إسبانيا، كما كتبها بغرض تعليم المسيحيين هناك والمشاركة في إيمانهم، فأطال في شرح الإيمان المسيحي ومعانيه للحياة في المسيح، مما جعلها تعرب عن عقيدة بولس المسيحية<sup>4</sup>.

ويعتقد أن هذه الرسالة على ما شملته من عقائد وإرشادات وتهديات، فإنها تفتقر إلى تصميم دقيق، فهي لا بنية لها، وقد نشأت على خلفية الحوار المتصل مع اليهود، وذلك لأن

<sup>1</sup> الأب فاضل سيداروس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس، ص14.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص17.

<sup>3</sup> الكتاب المقدس: العهد الجديد، الإنجيل - أعمال الرسل - الرسائل - الرؤيا، منشورات دار المشرق، ش.م.م، بيروت، ص571.

<sup>4</sup> الكتاب المقدس: العهد الجديد، الترجمة العربية الجديدة من اللغة الأصلية، اتحاد جمعيات الكتاب المقدس 1978، ط1، ص381.

الكنيسة بروما يتجاذبا طرفان، اليهود المسيحيون، والوثنيون المهتدون للمسيحية، فكان على بولس أن يجمع الطرفين على وحدة الوحي (المصدر) في العهد القديم والجديد، وبذلك أراد أن يحقق التآلف بين الطائفتين بجمعهما على المحبة برفعه لأسباب الفرقة، بأن جعل محبة الله مرهونة بمحبة المسيح الذي سلم نفسه طواعية للموت لتخليص البشرية من خطيئة آدم<sup>1</sup> وقد عنونت هذه النصوص -بنشيد المحبة- كما أكد على المسيحيين أن يتبادلوا مشاعر المحبة، وهي دين على كل واحد منهم اتجاه الآخر، كما هي شرط لإتمام الشريعة "لا يكونن عليكم لأحد دين إلا حب بعضكم البعض، فمن أحب غيره أتم الشريعة"<sup>2</sup>.

كما جعل من محبة القريب الواجب الأعظم الذي يفوق أداء الضرائب فإن الوصايا التي تقول: "لا تزن، لا تقتل، لا تسرق، لا تشته" وسواها من الوصايا مجتمعة في هذه الكلمة: "أحب قريبك حبك لنفسك"<sup>3</sup>. فالحبة لا تنزل بالقرب شراء، فالحبة إذا كمال الشريعة، واشترط الصدق ولتكن هذه المحبة على درجة الأخوية "...ولتكن المحبة بلا رياء وكرهوا الشر والزموا بالخير، ليود بعضكم بعضا. بمحبة أخوية تنافسوا في إكرام بعضكم البعض..."<sup>4</sup>.

وقد أوصى في رسالته المؤمنين، برعاية خادمت الكنيسة، وأعوانه، ووصفهم بالأحبة<sup>5</sup>، كما حذرهم من الذين يثيرون الخلاف والمصاعب بخروجهم على التعاليم التي تلقوها<sup>6</sup>، وهذه الوصايا ومثلها كثير تكشف حقيقة عن ثقافة وذكاء بولس، الذي عرف كيف يجعل من المحبة دافعا للمؤمنين المسيحيين لفعل الخير وجمع الناس عليه.

<sup>1</sup> روما 8: 31-39.

<sup>2</sup> روما 13: 8-9.

<sup>3</sup> روما 13: 9-10.

<sup>4</sup> روما 12: 9-10.

<sup>5</sup> روما 16: 1-16.

<sup>6</sup> روما 16: 17-19.

رسالة بولس إلى كنيسة قورنثوس (كورنثوس)<sup>1</sup> (الأولى والثانية):

كانت كورنثوس (قورنتس) تشتهر بالتجارة، والثقافة الرفيعة، كما ذاع بها الفجور حتى داخل الكنيسة، مما دفع بولس في الفترة التي قضاها بها بين (50-52)، أن يعلن فيها الإنجيل، وينشئ جماعة مسيحية مكونة من الأغنياء والفقراء والمساكين فوجه إليهم رسالة ضمنها مبادئ أخلاقية، ومعاملاتية-عنونت بنشيد المحبة<sup>2</sup>، وأباح للمؤمنين المشاركة في مآدب الوثنيين، وشراء لحم تلك الذبائح والأكل منها مراعاة للمسيحيين الضعفاء الذين لم يتحرروا تحمرا تاما من وثنيته<sup>3</sup>، وفي نفس الوقت يحذرهم من أكلها، أو الاقتراب منها فإذا رآك أحد، يا صاحب المعرفة، جالسا على الطعام في هيكل الأوثان، أفما "يبني ضمير ذلك الضعيف فيأكل مما ذبح للأوثان، فتكون معرفتك سببا لهلاك ذاك الضعيف، ذاك الأخ الذي من اجله مات المسيح"<sup>4</sup>.

وقد جعل المحبة علاجاً للأمراض الأخلاقية السائدة في كورنثوس، كما جعل من الإيمان والرجاء والمحبة الأركان التي تقوم عليها الحياة، وأعظمها هي المحبة، لذا يجب أن تكون هي غاية البشر، كما ألقى على الكنيسة الدور الأكبر في لمّ الشمل خاصة في وسط متعدد الأجناس، والأعراف، واللهجات<sup>5</sup> وختم رسالته بالسلام، والقبلة المقدسة<sup>6</sup>، وذكرهم بحب -الرب- يسوع- "إن كان أحد لا يحب الرب، فاللعنة عليه! "ماراناثا"<sup>7</sup> عليكم جميعا نعمة الرب يسوع محبتي لكم جميعا في المسيح يسوع"<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> كورنثوس (قورنتس) دمرت في السنة 146 ق.م. فأعاد قيصر بناءها بعد مائة سنة، فكانت مدينة جديدة يعود ازدهارها إلى موقعها الجغرافي وإلى مرفأها، أحدهما فَنُخْرِيَّةُ على بحر إيجه، أو بحر الأرخييل، والآخر على بحر الأدرياتي، سكانها من أجناس وأديان مختلفة، اشتهرت بالترف والخلاعة بسبب البحارة المتعاطشين إلى الملذات بعد أشهر الملاحة، وكانت الأغلبية من السكان من البائسين، كما كانت مركزا للفكر، فيه ممثلون لجميع المذاهب الفكرية (الكتاب المقدس، العهد الجديد، الإنجيل، أعمال الرسل، الرسائل الرؤيا)، ص 628.

<sup>2</sup> الإصحاح 13.

<sup>3</sup> كورنثوس 8: 7-9.

<sup>4</sup> كورنثوس 8: 10-12.

<sup>5</sup> كورنثوس 16: 13-14.

<sup>6</sup> كورنثوس 16: 19-21.

<sup>7</sup> باللغة الآرامية معناها: "يا ربنا تعال". (الكتاب المقدس، الإنجيل، أعمال الرسل - الرسائل - الرؤيا)، ص 680.

<sup>8</sup> كورنثوس 16: 22-24.

لكن نشيد المحبة -الذي ركز عليه بولس في هذه الرسالة، لم يجد نفعا في بيئة عكرة، ولكن هذه المرة طاله -شخصيا- سوء الألسنة، فكتب رسالة ثانية بلهجة حادة وانفعال شديد في دفاعه عن عمله الرسولي، وفي نفس الوقت يظهر ميله العميق إلى المصالحة ويعرب عن فرحه الكبير إذا تحققت، ويستعمل لذلك عبارات المودة والمحبة ليكون كلامه أكثر وقعا على قلوبهم "وبعد، أيها الإخوة، فافرحوا وانقادوا للإصلاح والوعظ، وكونوا على رأي واحد وعيشوا بسلام، وإله المحبة والسلام يكون معكم، ليسلم بعضكم على بعض بقبلة مقدسة. يسلم عليكم جميع القديسين، ولتكن نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس معكم جميعا"<sup>1</sup>.

وخلاصة القول أن بولس جعل من المحبة في هذه الرسالة هي الدواء الناجع الذي يقدم للمذنب، بأن يصفح عنه لأن الصفح في نظره مُجلب لب المحبة، ومن مقتضيات حبه حتى يتغلب على الشيطان، وبالصفح يتحقق الخير<sup>2</sup>.

### رسالة بولس إلى غلاطية<sup>3</sup>:

حظي التبشير بيسوع من قبل غير اليهود بترحيب كبير، ولكن ثمة مشكلة، هل العمل بشريعة موسى شرطا على المؤمن الحقيقي بالمسيح، فرأى بولس أنه كذلك، ولكن هناك من عارض رأيه، فرأى بولس أن هذا تعليم خاطئ قد أضل هؤلاء، فأرسل بهذه الرسالة هاديا بها إلى الإيمان -البولسي الصحيح-<sup>4</sup>. وأكثر ما ركز عليه بولس في هذه الرسالة دفاعه الكبير عن رسوليته -رسول يسوع المسيح- "من بولس وهو رسول، لا من قبل الناس ولا بمشيئة إنسان، بل بمشيئة يسوع المسيح والله الأب الذي أقامه من بين الأموات"<sup>5</sup>.

"فأعلمكم أيها الإخوة، بأن البشارة التي بشرت بها ليست على سنة البشر، لأني ما تلقيتها ولا أخذتها عن إنسان، بل بوحي من يسوع المسيح"<sup>6</sup>، كما انه مدعو أن يعمل خاصة بين غير

<sup>1</sup> كورنثوس 13: 11-13.

<sup>2</sup> كورنثوس 2: 7-11.

<sup>3</sup> ولاية رومانية في آسيا الصغرى.

<sup>4</sup> الكتاب المقدس: العهد الجديد، الترجمة العربية الجديدة من اللغة الأصلية، اتحاد جمعيات الكتاب المقدس 1978، ط1، ص469.

<sup>5</sup> غلاطية 1: 1-2.

<sup>6</sup> غلاطية 1: 11-12.

اليهود، والإنسان لا يبرر إلا بالإيمان<sup>1</sup> وموت المسيح كان لذلك "فإذا كان البر ينال بالشريعة، فالمسيح إذا قد مات سدّى"<sup>2</sup> وقد أكثر من الكلام عن المحبة فيما عُنون بالحرية والمحبة<sup>3</sup> وفي وصاياها المختلفة في المحبة والحمية<sup>4</sup>.

ولكن ما يلاحظ على هذه الرسالة فعلى كثرة وصايا المحبة حتى وإن كانت في قالب آخر، فإنها تتسم بالغلظة والشدّة، إذ وردت بها ألفاظ وعبارات قاسية مثل: "يا أهل غلاطية الأغنياء"<sup>5</sup>.  
"أبلغت بكم الغباوة إلى هذا الحد؟..."<sup>6</sup>.

كما كان خطابه في بداية الرسالة وهو يدافع عن نفسه شديداً، وكأنه نسي رسوليته - المزعومة - وقسى قلبه الذي يدعو به إلى المحبة.

### الرسالة إلى كنيسة أفسس:

كتب بولس هذه الرسالة وهو سجين كرسالتي (قولسي وفيلبي)، "لذلك أنا بولس سجين المسيح يسوع في سبيلكم أنتم الوثنيين..."<sup>7</sup>، "فأناشدكم إذاً، أنا السجين في الرب أن تسيروا سيرة تليق بالدعوة التي دعيتم إليها"<sup>8</sup>.

والموضوع الرئيسي للرسالة، هو التدبير (السر) تدبير الله لتوحيد الخليقة كلها في السماء والأرض، فهي جسد المسيح، وهو رأسها فيه تحيا وبه تنمو "...فأطلعنا على سر مشيئته أي ذلك التدبير الذي ارتضى أن يعدّه في نفسه منذ القدر ليسير بالأزمة إلى تمامها، فيجمع تحت رأس واحد، هو المسيح، كل شيء ما في السموات وما في الأرض..."<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> غلاطية 2: 15.

<sup>2</sup> غلاطية 2: 21.

<sup>3</sup> غلاطية 5: 13-25.

<sup>4</sup> غلاطية 6: 1-18.

<sup>5</sup> غلاطية 3: 1.

<sup>6</sup> أفسس 3: 3.

<sup>7</sup> أفسس 3: 1.

<sup>8</sup> أفسس 4: 1.

<sup>9</sup> أفسس 1: 9-11.

وهذه الرسالة أغناها بولس بالمحبة، فلا يخلو إصحاح من إصحاحاتها من ذكرها في موضوع من مواضيعه الإيمانية منها، أو الأخلاقية فنذكر على سبيل المثال لا الحصر النصوص التالية التي يناشدهم فيها بمحبة المسيح ومحبة بعضهم البعض "لنكون في نظره قديسين بلا عيب في المحبة"<sup>1</sup>.

"ولكن الله الواسع الرحمة، لحيه الشديد الذي أحبنا به..."<sup>2</sup>.

"لهذا أحبو على ركبتي للأب... وأن يقيم المسيح في قلوبكم بالإيمان، حتى إذا ما تأصلتم في المحبة وأسستم عليها أمكنكم أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعلو والعمق، وتعرفوا محبة المسيح التي تفوق كل معرفة، فتمتلئوا بكل ما في الله من كمال"<sup>3</sup>.

"فأناشدكم أنا السجين في الرب، أن تسيروا سيرة تليق بالدعوة التي دُعيتم إليها، سيرة ملؤها التواضع والوداعة والصبر، محتلمين بعضهم بعضا في المحبة"<sup>4</sup>.

"اقتدوا إذا بالله شأن أبناء أحبائه، وسيروا في المحبة سيرة المسيح الذي أحبنا وجاد بنفسه لأجلنا..."<sup>5</sup>.

كما لم يفت بولس أن المحبة هي الرباط الذي يوطد الأواصر بين الرجل والمرأة، فأمر الرجال بحب نساءهم، كما أمر المرأة أن تبادل زوجها هذه المشاعر "أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة وجاد بنفسه من أجلها"<sup>6</sup>.

"...فكذلك أنتم أيضا فليحب كل منكم امرأته حبه لنفسه ولتوقر المرأة زوجها"<sup>7</sup>.

ويختتم بسلام مفعم بالمحبة، ودعوته بالنعمة لكل من يحب يسوع الرب حبا لا يزول "السلام على الإخوة والمحبة مع الإيمان من لدن الله - الأب والرب يسوع المسيح، لتكن النعمة على جميع

<sup>1</sup> أفسس 1: 3.

<sup>2</sup> أفسس 2: 4.

<sup>3</sup> أفسس 3: 14-19.

<sup>4</sup> أفسس 4: 1-3.

<sup>5</sup> أفسس 5: 1-2.

<sup>6</sup> أفسس 5: 25.

<sup>7</sup> أفسس 5: 33.



الذين يحبون ربنا يسوع المسيح حبا لا يزول"<sup>1</sup>.

## الرسالة إلى كنيسة فيلي<sup>2</sup>.

لقد أسعفت هذه الكنيسة بولس ماديا عند مغادرته مقدونية إلى بلاد اليونان، لكن بلغهم أنه في السجن مرة أخرى، ولا مدد له، فجمعوا له الهبات وأرسلت عن طريق -إيفروديطس- كما كلف بخدمته لكن هذا الأخير اضطر إلى الرجوع بسبب تدهور حالته الصحية حاملا معه رسالة من بولس شاكرا فيها أصدقاءه، وأطلعهم على كل أخباره ومشروعاته، وأكثر من تشجيعه وتوصياته لحسن سير الجماعة<sup>3</sup>.

ويعتبر المسيحيون أن هذه الرسالة هي عنوان الفرح، والثقة والثبات في الإيمان بالمسيح، وفي الحياة المسيحية، وتُعرب أيضا عن المحبة العميقة لبولس لهذه الكنيسة<sup>4</sup> "ومن الحق أن أعطف عليكم جميعا هذا العطف، لأني أضمتكم في قلبي، وكلكم شركائي في النعمة، سواء في قيودي أم في الدفاع عن البشارة وتأيدها. والله شاهد لي على أي شديد الحنان عليكم جميعا في قلب يسوع المسيح وما أطلب في الصلاة هو أن تزداد محبتكم معرفة وكل بصيرة زيادة مضاعفة لتميزوا أنه الأفضل"<sup>5</sup>.

وحنانه عليهم، وحبهم دفعه إلى أن يدعوهم إلى الحفاظ على الوحدة، مع التواضع حتى ينالوا رضاه "فإذا كان عندكم شأن للمناشدة بالمسيح ولما في المحبة من تشجيع، والمشاركة في الروح والحنان والرأفة، فأتموا فرحي بأن تكونوا على رأي واحد ومحبة واحدة وقلب واحد، وفكر

<sup>1</sup> أفسس 6: 23-24.

<sup>2</sup> كانت فيلي من المدن المزدهرة، قبل أن تصبح خرابا، وفيلس الثاني، أبو الإسكندر هو من قام بضمها إلى مقدونية، وأعاد بناءها، فحضرها، وأطلق عليها اسمه بعدما كانت تسمى (قرينيدس لغناها باليناييغ الصغيرة، وفي السنة 31 ق.م غمر أوغسطس المدينة بالامتيازات وجعل منها مستعمرة رومانية يسكنها كثير من المحاربين القدامى.

قدم بولس المدينة أثناء رحلته الرسولية الثانية في السنة 49 أو السنة 50 رفقة -سيلا-، و-طيموتاوس-، ويشك في رفقة لوقا، لأنه في هذا المكان شرع في استعمال صيغة جمع المتكلم في -رواية أعمال الرسل- وفي هذه المدينة بشر بولس الناس بالإنجيل في أوروبا أول مرة، (الكتاب المقدس، الإنجيل، ص 763).

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 764.

<sup>4</sup> الكتاب المقدس: العهد الجديد، ص 492.

<sup>5</sup> فيلي 1: 7-9.

واحد، لا تفعلوا شيئاً بدافع المنافسة أو العجب، بل على كل منكم أن يتواضع ويَعُدَّ غيره أفضل منه<sup>1</sup>.

وإذا كان بولس قد انتقى هذه الجماعة عبارات الحب والود والرأفة والحنان في شكرهم لهم وتوصياته، فقد اختار لمخالفه أبشع وأثقل عبارات الوصف في التحذير منهم "احذروا الكلاب، احذروا العملة الأشرار، احذروا ذوي (الجب)<sup>2</sup>3".

ونتساءل هنا هل هذه عبارات موحى بها؟ وهل يعقل أن تصدر من رسول داع للمحبة الشاملة والسلام؟.

إن مثل هذه العبارات لا تصدر إلا عن شخص عادي في لحظة غضب شديد وشعور بالضعف، وعدم مقدرة قلبه استيعاب جميع الناس وحبهم.

#### الرسالة إلى كنيسة كولوسي<sup>4</sup> (قولسي):

كتب بولس هذه الرسالة بعدما سمع أن في هذه المدينة أناسا ينشرون بعض الأفكار الغريبة خلاصتها: أن السبيل إلى معرفة الله والخلاص التام هو في عبادة الملائكة والتقشف في الطعام والشراب ومراعاة بعض السنن اليهودية، كالختان، والأعياد، والسبوت...<sup>5</sup>.

فبعد السلام شكر إلهه وربه يسوع المسيح "نشكر الله ربنا يسوع المسيح دائماً<sup>6</sup> ومدح محبتهم لجميع القديسين "ونحن نصلي من أجلكم، بعد أن سمعنا بإيمانكم في المسيح يسوع وبمحبتكم لجميع القديسين من أجل الرجاء المحفوظ لكم في السموات"<sup>7</sup> وبين لهم حقيقة المسيح في العقيدة الجديدة، ونهاهم عن التقشف في الأكل والشرب، وعدّ هذا النوع من التقشف من

<sup>1</sup> فيلي 2: 3-1.

<sup>2</sup> عبارة تحقير كان اليهود يستعملونها في كلامهم على الوثنيين والمراد بها هنا اليهود الذين أرادوا فرض عاداتهم على المسيحيين.

<sup>3</sup> فيلي 3: 2.

<sup>4</sup> مدينة صغيرة في آسيا الصغرى، تقع شرقي مدينة أفسس على بعد 200 كم (العهد الجديد، الترجمة العربية الجديدة من اللغة الأصلية، ص 501).

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 501.

<sup>6</sup> تسالونيكي 1: 3-5.

<sup>7</sup> تسالونيكي 1: 3-5.

الضلال، لأن الحقيقة تكمن في جسد المسيح<sup>1</sup>، وقدم لهم بعض الوصايا العامة في الحياة المسيحية من بينها وصية العطف والحنان واللطف والتواضع، والوداعة والصبر "وأنتم الذين اختارهم الله فقدسهم وأحبهم، لبسوا عواطف الحنان واللطف والتواضع والوداعة والصبر"<sup>2</sup>، كما أوصى الأزواج بمحبة الزوجات، وعلى الزوجات الخضوع "أيتها النساء، اخضعن لأزواجكن كما يجب في الرب، أيها الرجال، أحبوا نساءكم ولا تكونوا قساة عليهن"<sup>3</sup>.

ومثل هذه الوصايا المبنية على المحبة تكررت في الرسائل السابقة، وسنقف عليها في الرسائل اللاحقة، وهذا ما يوحي أن بولس أراد أن يعالج الأمراض العقدية والأخلاقية -بالمحبة-، لأنها الدواء الوحيد الذي باستطاعته أن يستأصل العلل التي تصيب الباطن الإنساني وخارجه.

### الرسالة إلى كنيسة تسالونيكي (تسالونيقي) الأولى والثانية<sup>4</sup>.

قدم بولس تسالونيقي في السنة 50 أثناء رحلته الرسولية الثانية، فكانت أول عاصمة دخلها في أوروبا<sup>5</sup>، لكن وجد بها جماعة من اليهود الذين حرضوا سكانها عليه وعلى أتباعه، فاضطر إلى تركها والذهاب إلى -بيريه-، ومنها إلى -كورنثوس- أين كتب الرسالة الأولى إلى هذه الكنيسة<sup>6</sup>، ولا يبدو بولس مشغول البال بمسألة عقائدية كبيرة، بل أراد أن يكشف عما يكن في صدره من مشاعر المودة، تشده إلى الجماعة التي أنشأها لعهد قريب، وتركها قبل قليل "نشكر الله دائما في أمركم جميعا ونذكركم في صلواتنا، ولا ننفك نذكر ما أنتم عليه من نشاط الإيمان وجهد المحبة وثبات الرجاء بربنا يسوع المسيح، في حضرة إلهنا وأبيننا، أننا نعلم، أيها الاخوة أحبائه الله، أنكم من المختارين..."<sup>7</sup>، وييدي ارتياحه لما هم عليه من إيمان ومحبة "أما الآن وقد رجع إلينا طيموتاوس من عندكم وبشرنا بما أنتم عليه من إيمان ومحبة..."<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> تسالونيكي 2: 16-18.

<sup>2</sup> تسالونيكي 3: 12.

<sup>3</sup> تسالونيكي 3: 18-19.

<sup>4</sup> عاصمة إقليم مقدونية الروماني، الكتاب المقدس، الإنجيل، ص798.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص798.

<sup>6</sup> الكتاب المقدس: العهد الجديد، ص510.

<sup>7</sup> تسالونيكي 1: 2-4.

<sup>8</sup> تسالونيكي 3: 6.

كما دعا لهم بنماء هذه المحبة حتى يكونوا في مستوى لقاء المسيح عند مجيئه "... وعسى الله أن يزيد الرب وينمي محبة بعضكم لبعض ولجميع الناس على مثال محبتنا لكم، ويثبت قلوبكم فلا ينالها لوم في القداسة في حضرة إلهنا وأبينا لدى مجيء ربنا يسوع المسيح يواكبه جميع قديسيه"<sup>1</sup>.

كما أوصاهم أن تكون حياتهم حياة قداسة ومحبة، ولا سيما المحبة الأخوية التي تضمن لهم العيش الهادئ "أما المحبة الأخوية فلا حاجة بكم إلى أن يكتب إليكم فيها لأنكم تعلمتم من الله أن يحب بعضكم بعضاً، وبذلك تعاملون جميع الإخوة في مقدونية كلها، فنسألكم، أيها الإخوة، أن تزدادوا فيها وان تطمحوا إلى أن تعيشوا عيشة هادئة وتشغلوا بما يعينكم وتعملوا بأيديكم كما أوصيناكم"<sup>2</sup> ولتكن المحبة من الأوقية التي يتهياون بها لمجيء المسيح "أما نحن أبناء النهار فلنكن صاحين، لا بسين درع الإيمان والمحبة و خوذة رجاء الخلاص برنا يسوع المسيح"<sup>3</sup>.

لكن هذه التطمينات والإرشادات لم تحقق الراحة المرجوة لهذه الجماعة، لأن الأتباع قلقوا وارتعبوا لأنهم سمعوا أن مجيء المسيح حان وقته، ومثل هذا القلق كان مدعاة لكتابة الرسالة الثانية ليطمئنهم أن هذا المجيء متعلق زمنه بانتشار الشر والفساد، وبظهور "ابن الهلاك" الذي هو عدو المسيح<sup>4</sup> ويهدئ من روعهم ويحضهم على الثبات باستعمال -دائماً- عبارات الاستعطاف "... أيها الإخوة، يا أحبائ الرب..."<sup>5</sup> "عسى ربنا يسوع المسيح نفسه والله أبونا الذي أحبنا..."<sup>6</sup> "هدى الرب قلوبكم إلى محبة الله وثبات المسيح"<sup>7</sup>.

ويبدو أن بولس شدد أكثر في هاتين الرسالتين على محبة الأب، والمسيح الرب، والمحبة الأخوية وبالمحبة تخمد نار الفتنة والتمرد، ويغلق باب الشك، هذا يكشف عن قسط كبير من ثقافة، وذكاء بولس.

<sup>1</sup> تسالونيكي 3: 12-13.

<sup>2</sup> تسالونيكي 4: 9-11.

<sup>3</sup> تسالونيكي 5: 8-9.

<sup>4</sup> تسالونيكي 2: 1-4.

<sup>5</sup> تسالونيكي 2: 13.

<sup>6</sup> تسالونيكي 2: 16.

<sup>7</sup> تسالونيكي 3: 5.

## رسائل بولس الرعائية:

الرسائل "الرعائية"، رسائل وجهت إلى أشخاص دعوا بأسمائهم، وتعود تسميتها بهذا الاسم "الرسائل الرعائية" إلى أول القرن الثامن عشر، وقد أصبحت تقليدية، وهي تبرز الطابع الخاص بهذه المؤلفات التي تتضمن قبل كل شيء إرشادات موجهة إلى "رعاة الكنائس"<sup>1</sup>.

1- إلى تيموثاوس (تيموثاوس)<sup>2</sup>:

هذه الرسالة عبارة عن تحذير من انتشار التعاليم الباطلة في الكنيسة التي كانت خليطاً من الآراء اليهودية وغير اليهودية وأساس الاعتقاد بها، أن العالم الخارجي شر كله، وأن الخلاص لا يتم إلا بنوع سري خاص من المعرفة، وبممارسة بعض الشعائر، كالاتناع عن الزواج، وعن بعض أنواع الطعام<sup>3</sup> فبعد السلام، والمدح، حذر بولس من خطر العلماء الكذابين في -اعتقاده- واعتبر هذا التحذير وصية غايتها المحبة النابعة من قلبه الذي يصفه بالطاهر "وما غاية هذه الوصية إلا المحبة الصادرة من قلب طاهر وضمير سليم وإيمان لا رياء فيه"<sup>4</sup> "ففاضت علي نعمة ربنا مع الإيمان والمحبة في المسيح يسوع"<sup>5</sup>. والجديد في هذه الرسالة الآداب التي يجب أن تلتزم بها المرأة، والخلاص الذي يطالها إلا بشرطي الأمومة، والثبات على الإيمان والمحبة "... غير أن الخلاص يأتيها من الأمومة إذا ثبتت على الإيمان والمحبة والقداسة مع الرزانة"<sup>6</sup>، ليس ذلك إجحاف في حق المرأة التي لم تصبح بعد أم، سواء كانت متزوجة، أو غير ذلك؟!.

كما يجد نفس النصائح التي ينصح بها في الرسائل السابقة، "أما أنت يا رجل الله، فاهرب من ذلك، واطلب البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة..."<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> الكتاب المقدس: العهد الجديد، ص 824.

<sup>2</sup> ولد في لسترة من بلاد ليقونة في آسيا الصغرى، من أم يهودية وأب يوناني، ولحسن سيرته اتخذ بولس رفيقا ومعاوناً له لما عاد إلى لسترة، (العهد الجديد، ص 522).

(لسترة: مدينة من ليقاونية ومستعمرة رومانية، أنشأها أغسطس في نحو السنة 6 ق.م، (الإنجيل، ص 824).

<sup>3</sup> الكتاب المقدس: العهد الجديد، ص 522.

<sup>4</sup> رسالة بولس إلى تيموثاوس 1: 5.

<sup>5</sup> رسالة بولس إلى تيموثاوس 1: 14.

<sup>6</sup> رسالة بولس إلى تيموثاوس 2: 15.

<sup>7</sup> رسالة بولس إلى تيموثاوس 6: 11.

وقد اتسمت الرسالة الثانية بهذه الوصايا الخاصة، والتي تدور فكرتها الأساسية حول وجوب المثابرة على الشهادة ليسوع المسيح والتمسك بتعاليم الإنجيل، ومراعاة العهد القديم<sup>1</sup>، في ظل الإيمان والمحبة التي في يسوع المسيح "فإن الله لم يعطنا روح الخوف، بل روح القوة والمحبة والفطنة"<sup>2</sup> "امتثل الأقوال السليمة التي سمعتها مني، امثلها في الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع"<sup>3</sup> "اهرب من أهواء الشباب واطلب البر والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب بقلب طاهر"<sup>4</sup>.

كما يجعله من المقربين إليه لاقتدائه به فيما اتسمت به مسيرته الشاقة "أما أنت فقد تبعني في تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وصبري ومحبي وثباتي"<sup>5</sup>، ولذلك نال لقب الابن الحبيب لكنه ليس بالوحيد "إلى تيموثاوس ابني الحبيب"<sup>6</sup>.

## 2- إلى تيطس (تيطس):<sup>7</sup>

هذه الرسالة عبارة عن إيضاح للمهمة التي تركه لأجلها في كريت، وهي تنظيم الكنيسة. (إنما تركتك في كريت لتتم فيها تنظيم ما بقي من الأمور وتقيم شيوخوا في كل بلدة كما أوصيتك...)<sup>8</sup>.

فبعد أن ذكره بما يجب أن يتحلى به رعاة الكنائس من صفات منها "... بل عليه أن يكون مضيافا محب للخير قنوعا عادلا، تقيا متمالكا..."<sup>9</sup>، أرشده إلى طريقة تعليم مختلف الفئات في الكنيسة، من شيوخ، وعجائز، وشباب، وعبيد ويبقى تعليم المحبة واجبا على كل الشرائع ما عدا

<sup>1</sup> الكتاب المقدس: العهد الجديد، ص532.

<sup>2</sup> رسالة بولس إلى تيموثاوس 1: 7.

<sup>3</sup> رسالة بولس إلى تيموثاوس 1: 13.

<sup>4</sup> رسالة بولس إلى تيموثاوس 2: 22.

<sup>5</sup> رسالة بولس إلى تيموثاوس 3: 10.

<sup>6</sup> رسالة بولس إلى تيموثاوس 1: 2.

<sup>7</sup> غير يهودي هدها بولس إلى الإيمان بالمسيح واختاره رفيقا ومعاوننا له.

<sup>8</sup> تيطس 1: 5.

<sup>9</sup> تيطس 1: 8.

"العبيد" "علم الشيوخ أن يكونوا قنوعين، رزانا رصانا، أصحاب الإيمان والمحبة والثبات،..."<sup>1</sup>.

"وأن تكون العجائز كذلك في سيرة تليق بالقدسيات، غير ناقيات ولا مدمنات للخمر، هاديات للخير، فيعلمن الشابات حب أزواجهن وأولادهن"<sup>2</sup>، "علم العبيد أن يخضعوا لسادتهم في كل شيء"<sup>3</sup> وهذه الأعمال لا تشكل السبب في محبة المخلص للبشر، بل محبته مجانية نابعة من رحمته فلما ظهر لطف الله مخلصنا، ومحبته للبشر، لم ينظر إلى أعمال بر عملناها نحن، بل على قدر رحمته خلصنا...<sup>4</sup>.

ويخص سلامه الختامي أولئك الذين يحبونهم في الإيمان "... سلم على الذين يحبوننا في الإيمان، عليكم النعمة أجمعين"<sup>5</sup>.

### 3- الرسالة إلى فيلمون<sup>6</sup>:

كان لفيلمون عبدا اسمه -أونيسيْمُس-، هرب من سيده، والتقى ببولس في السجن، فكتب هذه الرسالة يناشد فيها -فيلمون- بالصفح على عبده وعتقه<sup>7</sup>.

كالعادة يستجيش بولس عاطفة فيلمون- ليكون مستعدا وملبيا لما سيطلب منه "... إلى فيلمون حبيبا ومعاوننا..<sup>8</sup> ومادحا وشاكرا للتشجيع والتحفيز على مواصلة العمل "وقد سمعت بمحبتك وإيمانك للرب يسوع ولجميع القديسين"<sup>9</sup>. "قد نالني من محبتك كثير من الفرح والعزاء"<sup>10</sup> ومتشفعا لا باسم المسيح، ولكن باسم المحبة لهذا العبد الذي أصبح قلبه، وأخا حبيبا "لذلك أني، وإن كان لي حرية الكلام في المسيح لأن أمرك بما يجب عليك، فقد آثرت أن أسألك باسم المحبة

<sup>1</sup> طيطس 2: 2.

<sup>2</sup> طيطس 2: 5.

<sup>3</sup> طيطس 2: 9.

<sup>4</sup> طيطس 3: 4-5.

<sup>5</sup> طيطس 3: 15.

<sup>6</sup> كان عضوا بارزا في كنيسة كولوسي.

<sup>7</sup> الكتاب المقدس: العهد الجديد، ص 544.

<sup>8</sup> فيلمون 1.

<sup>9</sup> فيلمون 5.

<sup>10</sup> فيلمون 7.



سؤال بولس الشيخ الكبير الذي هو الآن مع ذلك سجين يسوع المسيح، أسألك في أمر ابني الذي ولدته في القيود أو نيسمس، الذي كان بالأمس غير نافع لك، وأما الآن فلي ولك صار نافعا"<sup>1</sup>.

"لا ليكون عبدا بعد اليوم، بل أفضل من عبد، أي أخا حبيبا، وهو أخ حبيب جدا إلي"<sup>2</sup>.

و هذه النصوص توحى أن العبودية في عقيدة بولس، مسقطه للحق في المحبة، وهذا ما تناقضه نصوص أخرى سيتم مناقشتها في الفصل اللاحق.

### إلى العبرانيين:

أثار هذا المؤلف منذ العصور الأولى، محاولات ومجادلات وشكوكا، أوقظت ثانية في عهد الإصلاح، هل هذا المكتوب لبولس أم لا، ويرجع السبب إلى كونها لا تشبه إلا في القليل لبساطتها، "لأن القارئ لرسائله يكاد أن يضيع بين كثرة المواضيع التي يتطرق إليها، أما في الرسالة يعالج بولس فكرة واحدة، وهي أن يسوع هو عظيم كهنتها"<sup>3</sup>.

كما لم يعرف إلى من أرسلت هذه الرسالة، لأنه لا يوجد في النص ما يشير إلى ذلك، والعنوان لا يعكس مضمونها، وعليه يُعتقد أنه لا بد من تغيير هذا العنوان إلى «عظة في كهنوت المسيح»، أو "عظة كهنوتية" من الصعوبة بمكان تحقيق هذا المتبغى، لكنه يبقى تفسيراً لهذا العنوان<sup>4</sup>.

ومن الآراء من ترى أن هذه الرسالة وجهت إلى جماعة من المسيحيين لاقوا شدة الاضطهاد، مما جعلهم في خطر، فحاول كاتب هذه الرسالة تشجيعهم على الثبات والتجسد بالصبر، كما حاول إقناعهم أن يسوع هو ابن الله وصورته وجوهره، ومتفوق على كل الانبياء السابقين، حتى على موسى -عليه السلام-، والملائكة، لأنه الذبيحة التي تجاوزت كل الذبائح الحيوانية في الديانة اليهودية، ويناشدهم الثبات، مثل ثبات أبناء العهد القديم، وسيكونون هم وأمثالهم من سيسفح بهم المسيح، إذا تغلبوا على الحن التي تهددهم<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> فيلمون 8-11.

<sup>2</sup> فيلمون 16.

<sup>3</sup> الأب البير قانو اليسوعي: دراسة في الرسالة إلى العبرانيين نقلها إلى العربية: الأب أنطوان أودو اليسوعي، ط3، دار المشرق، ش.م.م. بيروت، ص 5.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 10-11.

<sup>5</sup> الكتاب المقدس: العهد الجديد، ص 545.



وحتى هذه الرسالة المشكوك في نسبتها لبولس، لم يغب عنها نداء المحبة، فالكاتب جعل من المرسل إليهم - أحبة له في قوله "...أيها الأحباء..."<sup>1</sup>، كما حاول إقناعهم بأن معاناتهم دليل على حب الرب لهم "فمن أحبه الله أدبه، وهو يجلد كل ابن يرتضيه"<sup>2</sup>، ولتبق هذه المعاناة على العلاقات الأخوية "لتبق المحبة الأخوية ثابتة"<sup>3</sup>، كما جعل من حب المال معاناة نفسية يجب التخلص منها "تترهوا عن حب المال واقنعوا بما لديكم"<sup>4</sup>.

هذه الرسالة التي يغلب ظن نسبتها إلى بولس لاحتوائها على أفكاره اللاهوتية، وتعاليمه الأخلاقية التي وردت في الرسائل السابقة، وما يلاحظ أنه رغم طولها إلا أن ذكر المحبة في نصوصها جاء محتشما، وهي نقطة فرق بين هذه الرسالة أو الرسائل المنسوبة إليه.

لكن ما يمكن قوله عن هذه الشخصية التاريخية والدينية المتميزة التي كانت تكن للمسيحية والمسيحيين العداء الأكبر، وانقلبت إلى داعية متفانية في خدمة هذه الديانة، قد نُجحت في تشويه المسيحية عقائديا، لكن استطاع -بولس- بذكائه، وإطلاعه على ما سبق من الديانات والثقافات أن يستر هذا التشويه بستار الأخلاقيات والمبادئ السامية، وفي مقدمتها -المحبة- التي جعل منها المحور الرئيسي الذي تقوم عليه الديانة المسيحية عقائديا وأخلاقيا وعمليا، منتهجا أسلوب الاستمالة والاستعطاف، ومحملا رعايا الكنيسة المسؤولية الأولى للإقتداء بهذا الخلق، والعمل به، واستخدامه كأداة للتعريف بالدين الجديد، على أنه دين محبة وسلام، ويكون بذلك قد أنسى أتباعه ماضيه العدائي للمسيحية، بل أكثر من ذلك أصبحت المسيحية مدينة له في توسعها الجغرافي، وكثرة أتباعها وفي جمع المسيحيين على وحدة المفاهيم والرؤى التي قامت عليها.

ثانيا. الرسائل العامة والرؤى:

### 1-رسالة القديس يعقوب:

يرجع زمن كتابة هذه الرسالة إلى ما بعد نصف القرن الأول بقليل، وما ينفي كتابتها في زمن الثورة اليهودية التي وقعت في 66-70 والسنوات العشر التي تبعثها، خلّوها من كل تلميح

<sup>1</sup> عبرانيين: 6: 9.

<sup>2</sup> عبرانيين: 12: 6.

<sup>3</sup> عبرانيين: 13: 1.

<sup>4</sup> عبرانيين: 13: 5.

سياسي، ومن كل ذكر لهيكل أورشليم<sup>1</sup>.

وتنسب هذه الرسالة إلى يعقوب أخ المسيح -عليه السلام-، هذا إن تخلى عن الرأي القائل بأن كاتبها هو -يعقوب بن حلفي- عضو جماعة الإثني عشر، وحتى هذه النسبة تسجل بشأنها بعض التحفظات للأسباب التالية.

-إنه فلسطيني محض غريب عن الثقافة اليونانية، إلا إذا قبل رأي القائلين بأنه كلف أمين سرّ لغته اليونانية إنشاء الرسالة باسمه وفقا لتوجيهاته.

-الرسالة وجهت إلى "المشتتين الأسياط الإثني عشر" أي: إلى اليهود، ولا يذكر فيها اسم المسيح -عليه السلام- "يسوع" - إلا مرتين<sup>2</sup> "من يعقوب عبد الله، والرب يسوع المسيح إلى المشتتين من الأسياط الإثني عشر، سلام<sup>3</sup>، يا إخوتي، لا تجمعوا بين مراعاة الأشخاص والإيمان برنا يسوع، له المجد<sup>4</sup>، حتى أن هناك من النقاد من رأى أنها إضافات، ألحقت في وقت متأخر لتجعل من مؤلف يهودي محض، مؤلفا مسيحيا<sup>5</sup>، وبناء عليه، فإن الرسالة وجهت إلى مسيحيين يونانيين بثقافتهم حافظو على علاقات الجامع، التي كانوا قد انتموا إليها من قبل، والاحتمال الثاني، أنها وجهت إلى يهود مهلنين، لربما كانت لهم نزعة 1% سينيين، وكان الكاتب، يأمل استمالتهم بإبراز ما كان مشتركا بينهم وبين المسيحيين من غيره على شريعة الأخلاق، لأن صاحبها ركز أكثر على المواعظ الأخلاقية، من ضرورة مساعدة الفقراء، والمحتاجين، واستعطاف قلوب الأغنياء بمناداتهم "يا إخوتي الأحياء" "اسمعوا، يا إخواني الأحياء..."<sup>6</sup>، كما ذكر بما في شريعة -موسى عليه السلام- من حب القريب، والافتداء بها "فإذا عملتم بالشريعة السامية التي نص عليها الكتاب، وهي: "أحب قريبك حبك لنفسك"، تحسنون عملا"<sup>7</sup>.

لكن على كثرة المواعظ، وتنوعها، فكان ذكر -المحبة- شحيحا، شح ذكر المسيح -عليه

<sup>1</sup> الكتاب المقدس: العهد الجديد، ص 919.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 920.

<sup>3</sup> رسالة القديس يعقوب 1: 1.

<sup>4</sup> رسالة القديس يعقوب 2: 1.

<sup>5</sup> الكتاب المقدس: العهد الجديد، ص 921.

<sup>6</sup> رسالة القديس يعقوب 2: 5.

<sup>7</sup> رسالة القديس يعقوب 2: 8.

السلام-، فكيف لمؤلف مسيحي يفتقر لمثل هذا الجوهر -المحبة- والتي اعتمد عليها بولس في دعوته للمسيحية أينما حلّ.

### رسالة القديس بطرس الأولى والثانية:

بطرس، هو سمعان بطرس الرسول، الصياد الجليلي، لكن هناك شكوك حول نسبة هذه الرسالة إلى هذه الشخصية من بينها:

- 1- كتبت الرسالة بلغة يونانية جيدة، فأين لهذا الصياد بهذه الجودة اللغوية؟<sup>1</sup>.
- 2- التوازي المدهش بين معاني الرسالة والتعليم اللاهوتي لبولس، ويمكن أن يرجع هذا التشابه إلى الأصل التعليمي المشترك لدى الكنيسة في أول نشأتها<sup>2</sup>.
- 3- تُنفى المعرفة الشخصية للمسيح -عليه السلام- في حياته، لأنه صاحب الرسالة لم يصفه إلا وصفاً مجملًا<sup>3</sup>.
- 4- يعود تاريخ كتابة الرسالة إلى اضطهاد نيرون الوقت لا يفصل بينه، وبين موت بطرس إلا القليل، فلماذا ترك كتابة الرسالة إلى آخر حياته؟<sup>4</sup>.
- 5- ليس في الرسالة الكثير الذي يتيح معرفة المرسل إليه، إلا أن التلميح إلى السيرة الماضية للمرسل، توحى بسيرة وثنيين قدامى، أكثر منها سيرة يهود بسبب الإكثار ما ورد في العهد القديم<sup>5</sup>.
- لكن الكاتب يبدي محبته الفائقة للمرسل إليهم، باستهلال بعض الفقرات بـ"أيها الأحبة"<sup>6</sup>، ويتكرر هذا النداء فيما عنون بزبدة الرسالة<sup>7</sup>.
- كما بين لهم صفة المحبة التي يجب أن تربط بينهم وعنونت فقراتها بـ"المحبة" "أطعمم الحق

<sup>1</sup> الكتاب المقدس: العهد الجديد، ص 934-936.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 934.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 935.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 936.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 936.

<sup>6</sup> بطرس 2: 11.

<sup>7</sup> بطرس 4: 12-19.

فظهرتم نفوسكم كما يجب بعضكم بعضا حبا أخويا بلا رياء، فليحب بعضكم بعضا حبا ثابتا بقلب طاهر، فإنكم ولدتكم ولادة ثانية، لا من زرع فاسد، بل من زرع غير فاسد، من كلمة -الله- الحي الباقي...<sup>1</sup>.

كما رهن الشعور بالسعادة، ولذة الحياة، وحبها بالرحمة والشفقة، والتواضع، والتسامح فيما بينهم "لأن من شاء أن يحب الحياة ويرى أياما سعيدة، وجب عليه أن يكف لسانه عن الشر وشفتيه عن كلام الغش، ويتعد عن الشر ويعمل الخير ويطلب السلام ويتبعه، لأن الرب يراعي بعينه الأبرار ويصغي سمعه إلى دعائهم. ولكن الرب ينظر بوجه مغضب إلى الذين يعملون السيئات"<sup>2</sup>.

وفي الرسالة الثانية، التي وجهت إلى أوساط واسعة من المسيحيين، وغايتها محاربة المعلمين -الكذابين- الذين تسللوا إلى الكنيسة<sup>3</sup>... فقد حاول الكاتب أن يقنع هذه الفئة -الضالة- في نظره، أن تبذل قصارى جهدها لإضافة الفضيلة لإيمانها... والإخاء إلى التقوى، والمحبة إلى الإخاء: "من سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله إلى الذين نالوا من فضل برّ إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح إيماننا كإيماننا ثمينا عليكم أوفر النعمة والسلام بمعرفتكم لله وليسوع ربنا... من أجل ذلك أبدلوا غاية جهدكم لتضيفوا الفضيلة إلى إيمانكم، والمعرفة إلى الفضيلة، والعفاف إلى المعرفة، والثبات إلى العفاف، والتقوى إلى الثبات، والإخاء إلى التقوى، والمحبة إلى الإخاء، فإذا كانت هذه الخصال فيكم وكانت وافرة، لا تدعكم بطالين وبغير ثمر لمعرفة ربنا يسوع المسيح، ومن نقصته هذه الخصال، فهو أعمى قصير البصر، نسي أنه طُهر من خطايا السالفة"<sup>4</sup>.

وقد صور نفسه أنه الابن الحبيب للمسيح -عليه السلام-، رغم ثبوت عدم معرفته الشخصية له "هذا هو ابني الحبيب الذي عنه رضيت"<sup>5</sup>، والملفت للانتباه في هذه الرسالة أن

<sup>1</sup> بطرس 1: 22-23.

<sup>2</sup> بطرس 3: 10-12.

<sup>3</sup> هم أهل العرفان، وهم الذين ادعوا لأنفسهم معرفة فائقة، وحرية مطلقة، وأعلنوا إزادتهم للجسد...، وكانت الرسالة بمثابة رد على تعاليمهم، وخاصة إنكارهم للمحيي الثاني للمسيح.

<sup>4</sup> بطرس 1: 9-1.

<sup>5</sup> بطرس 1: 17.

بها فروق كثيرة في الإنشاء مقارنة مع الرسالة الأولى<sup>1</sup>، بالإضافة إلى الفارق الزمني الطويل بينهما، مما يؤكد عدم نسبتها إلى هذا الكاتب<sup>2</sup>، والملفت أكثر لانتباه القارئ لها، أن الكاتب كان على درجة كبيرة من الغضب انطلاقاً من موضوعها والمرسل إليهم، لكن، لم يبد ذلك في رسالته وخاطبهم بلطف، ولين، ومحبة، لأنه كان يدرك أن توحيد القلوب، والصفوف لن يتحقق إلا بهذه الوسائل اللينة، وهذا ينم عن ذكاء، وتفان في خدمة الديانة الجديدة كما أرادها هؤلاء الكتاب.

### رسالة القديس يوحنا الأولى والثانية والثالثة:

إن رسالتي يوحنا الأولى والثانية، لا تحتويان شيئاً يخبر عن ظروف إنشائهما، وهوية كاتبها، لكن لهجة الجدل التي صبغت عدة فقرات، تؤكد أن الجماعات التي وجهت إليها الرسالتين تحتاز أزمة عقائدية شديدة<sup>3</sup>، فذهبت إلى القول أن الخلاص لا شأن له بالأخلاق عامة، أو المحبة الإنسانية، داخل المسيحية-، فأكد كاتب الرسالة تأكيداً كبيراً على هذا الموضوع -المحبة- في مواقع مختلفة ومتعددة من الرسالة الأولى والثانية<sup>4</sup>، وحتى الثالثة التي بعث بها إلى "غايس"<sup>5</sup>، والذي أعرب له عن محبته له، ورضاه عليه لما يقوم به في الكنيسة بالمحبة<sup>6</sup>.

وبذلك يكون -صاحب هذه الرسائل- قد أسهم في إرساء قاعدة محورية للإيمان المسيحي بمفهوم مسيحيّ خاص.

### رؤيا القديس يوحنا:

كاتب سفر الرؤيا، يعلن عن اسمه "يوحنا"، ويقدم نفسه على أنه نبي، لكن ثمة فروقات بين الإنجيل الرابع، والرؤيا تثبت أن التلميذ الذي كتب الإنجيل الرابع، غير التلميذ الذي كتب "الرؤيا" منها:

<sup>1</sup> تختلفان في 599 كلمة، وليس فيها إلا 100 كلمة مشتركة، (الإنجيل، ص 957).

<sup>2</sup> الإنجيل، ص 955.

<sup>3</sup> الإنجيل، ص 967.

<sup>4</sup> رسالة يوحنا الأولى والثانية، 2: 6-2، 11-9، 17-15، 4-6، 3: 1-2، 10، 11-13، 11-24، 4: 1، 7-

21، 5: 1-4

<sup>5</sup> راعي إحدى الكنائس.

<sup>6</sup> الرسالة الثالثة: 5-6.

- لغة الرؤيا قاسية وسقيمة

- عدم تطرق "الرؤيا" لأهم المواضيع التي تضمنها الإنجيل الرابع منها: (النور، الظلمة، الحق، المحبة...).

- هذا السفر -الرؤيا- بعيد عن الجو الروحاني للإنجيل<sup>1</sup>.

وبناء عليه فمن المفسرين المعاصرين من يرى أنه من العسير نسبة -سفر الرؤيا والإنجيل الرابع- إلى يوحنا، بسبب الاختلاف في الإنشاء والبيئة والتفكير، إلا أن فريقا آخر يخالف هذا الرأي، لما يوجد من الشبه في الموضوعات بين المؤلفين<sup>2</sup>.

وكلمة "الرؤيا" التي يتدأ بها هذا السفر في اليونانية هي: مصدر لفعل معناه: "كشف الستار"، فالرؤيا هي نوع من الكشف<sup>3</sup>. وكتبت "الرؤيا" في وقت كان فيه المسيحيون مضطهدين، وأكثر ما هم المؤلف في هذا الكتاب، هو أن يشيع الأمل والرجاء والتمسك بالإيمان في أوقات الشدة والآلام<sup>4</sup>.

وعلى الرغم من طولها إلا أنها جاءت فقيرة من ذكر -المحبة- التي غني بها الإنجيل، والرسائل التي نسبت لهذه الشخصية -يوحنا-، فلا يصادف القارئ لهذا السفر -ذكر المحبة- إلا في مواقع محدودة جدا<sup>5</sup>. وهذه النذرة -للمحبة-، في مثل هذا المصدر المسيحي يُعضد الرأي أنها ليست لنفس كاتب الإنجيل، وحتى الرسائل، والتساؤل الذي يمكن أن يطرح نفسه، كيف يتفاوت ذكر هذا الجوهر المسيحي - كما يدعي أهله من كاتب إلى آخر، وحتى فيما نسب لنفس الكاتب؟.

أليس ذلك زيادة في قدح مصداقية هذه الكتب، وحتى هذا القول: المسيحية هي محبة.

<sup>1</sup> مجموعة من الباحثين: رؤيا القديس يوحنا (6)، دار المشرق، بيروت، ص 10.

<sup>2</sup> الكتاب المقدس: العهد الجديد، ص 1013.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 1011.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 618.

<sup>5</sup> يوحنا 1: 5، 2: 18-19، 22: 1.

## رسالة القديس يهوذا:

عرف كاتب هذه الرسالة نفسه فقال: "من يهوذا عبد يسوع وأخي يعقوب إلى الذين دعاهم الله الأب وأحبهم وحفظهم ليسوع المسيح، عليكم أوفر الرحمة والسلام والمحبة"<sup>1</sup>، لكن هناك شك في نسبتها إلى هذا الكاتب الذي يبدو أن صاحبها كتبها بعد عهد الرسل "أما انتم أيها الأحباء، فاذكروا ما أنبأ به رسل ربنا يسوع المسيح..."<sup>2</sup>.

كما لا يمكن تأخير تاريخ رسالة لها جذور قديمة "فلا بد لهذا الكاتب الانتساب إلى تعليم يهوذا، أخي الرب، فقد كان يعيش في حلقة يكرم فيها أخو الرب يعقوب ويهوذا، وكانت تتناقل أقوالهم، ولا يمكن من جهة أخرى تأخير تاريخ رسالة لها مثل هذه الجذور المتأصلة في بيئة يهودية قديمة. فيسوغ إذا أن تجعل السنوات 80-90 تاريخاً لها"<sup>3</sup>.

واعترضت هذه الشكوك وغيرها، دخولها قانون الكتاب المقدس ولاسيما في كنائس سورية، غير أنها، قبلت في وقت مبكر جداً في رومه والإسكندرية وقرطاجة، بسبب ورودها في قانون - موراتوري- (قبل السنة 200) للكتاب المقدس، وعند ترتليانس (في نحو السنة 200)، وشرحها قيلمننضس الإسكندري (في أول القرن الثالث)، واستشهد بها أوريجينس (المولود في 185-186 والمتوفي في السنة 254)<sup>4</sup>.

وتحظى هذه الرسالة بشهرة كبيرة، لا ستعمالها في مدخل رسالة بطرس الثانية وتشبهها في محتواها<sup>5</sup>، الذي آثر صاحبها مناداة المرسل إليهم بـ "أيها الأحباء"<sup>6</sup>، كما بين لهم رجاء من المحبة، فيما عنون (برجاء المحبة) "أما انتم أيها الأحباء، فابنوا أنفسكم على إيمانكم المقدس وصلوا بالروح القدس، واحفظوا أنفسكم في محبة الله وانتظروا رحمة ربنا يسوع المسيح من أجل الحياة الأبدية. أما المتمردون فارثوا لهم، بل أنقذوهم وخلصوهم من النار، وأما الآخرون فارثوا لهم على خوف، وأبغضوا حتى القميص الذي دنسه جسدهم"<sup>7</sup>.

لكن كيف يرجى من المحبة أن تحب وتبغض في آن واحد؟.

<sup>1</sup> رسالة يهوذا 1-2.

<sup>2</sup> رسالة يهوذا 17.

<sup>3</sup> الكتاب المقدس: العهد الجديد، ص 101.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 101.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 216.

<sup>6</sup> رسالة يهوذا 3: 17، 20.

<sup>7</sup> رسالة يهوذا 20.

## المبحث الثاني: ماهية المحبة ومصادرها في الإسلام:

## المطلب الأول: ماهية المحبة الإسلامية

المحبة، هذه الكلمة الإنسانية، من أسمى وأنقى العبارات التي جاد بها المولى عز وجل على خلقه. قد تذوقت كل القلوب الإنسانية نوعاً من أنواعها لذلك تداولتها الألسنة بمدلولات متنوعة. وكان للغويين الفضل الكبير في تحديد أصولها ومنابعها واشتقاقاتها المتنوعة من بينها:

- الحب نقيض البغض، والحب هو: الوداد والمحبة، والمحبة اسم للحب<sup>1</sup>.

- والحب اسم لكل ما هو صاف وجميل.

فالعرب تقول: حَبُّ الأسنان: تنضدّها، ومنه الحَبُّ وهو: ما جرى على الأسنان من الماء.

كقول طرفة: وإذا تضحك تبدي حَبًّا كرصاب المسك بالماء الخضر<sup>2</sup>.

كما يطلق على أصفى وأنصع أجزاء الماء إذا تجمع إذ يقال: حَبُّ الماء: طرائقه، ونُفاحاته وفضائجه التي تطفو كأنها القوارير، وهي اليعاليل<sup>3</sup>.

وقيل أن -الحب- مأخوذ من حبة القلب: ثمرة، وسويداؤه، وهي هنة سوداء فيه، وقيل

هي رنمة في جوفه، والمحبة هي وسط القلب. قال الأعشى: فأصبت حبة قلبها وصحالها<sup>4</sup>.

ومأخوذ أيضاً من: الجرّة الضخمة، وكذا الحابية.

قال ابن دريد: هو الذي يجعل فيه الماء، فلم ينوّعه قال: وهو فارسي معرّب، وقال أبو

حاتم: أصله حُنْبٌ معرّب، وجمعه أحبابٌ وحَبِيَّةٌ وحَبَابٌ<sup>5</sup>.

يلفظ الحُبُّ بضم الحاء، فكذلك يلفظ بكسرهما، وبذلك يكون مأخوذ من الحِبِّ الذي

بدوره تنوعت معانيه منها:

<sup>1</sup> أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان اللسان: تهذيب لسان العرب، ج1 (أ-ش)، تهذيب المكتب الثقافى للتحقيق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ج1، (أ-ش).

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ج2، (ح-د).

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ج2، (ح-د).

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ج2، (ح-د).



الحب: القرط من حبة واحدة.

قال ابن دريد: أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي أنه سأل جندل بن عبيد الراعي عن معنى قول أبيه الراعي: تبيت الحية التضناض منه مكان الحب يستمع السرار قيل له ما الحب؟ فقال: القرط، فقال: خذوا عن الشيخ، فإنه عالم. وقال الأزهري: وفسر غيره الحب في هذا البيت: الحبيب.

قال: وآراه ابن الأعرابي<sup>1</sup>

ونسمي القرط حباً للزومه للأذن، وعلاقة القرط بالأذن هي ذاتها العلاقة القائمة بين قلب المحب وموضوع حبه.

وقد يكون قد سمي به إما لملازمته، ملازمة القرط للأذن، وإما لاضطراب القلب بالحب، كاضطرابه وخفقانه.

قال الشاعر:

لقد عشقت أذني كلاماً تسمعه رخيماً وقلبي للمليحة أعشقت  
وكيف التناسي من حبيب حديثه بأذني - إن غبت - قرط مغلق<sup>2</sup>

كما قيل أن الحب مأخوذ من "الحبة" بكسر الحاء، وهي بذور تقع على الأرض في الصحراء، هي أصل النبات، وخاصية هذه البذور أنها لا تتأثر بالتقلبات الجوية، فتبقى محافظة على حياتها، وتنمو عندما يحين وقتها وتزهر وتثمر، وهكذا الحب حين يسكن في قلب فإنه لا يتغير، لا بالحضور، ولا الغيبة، والبلاء والحننة، والراحة واللذة، والفراق والوصول<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، ج2، من: ح-د.

<sup>2</sup> عبد المنعم الحفني: معجم مصطلحات الصوفية، بيروت دار المسيرة، ط2، 1987، (خط، روض، 334، 12).

<sup>3</sup> رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، زقاق البلاط، ص ب 9232. 11، بيروت،

لبنان، ط1، 1999، ص 837.

ويمكن أن تكون سبب تسمية الحب حباً لأنه لباب الحياة، كما أن الحبّة في أعماق الصحراء القاحلة هي لباب النبات الذي يوحي بالحياة والانتعاش والرغبة في البقاء<sup>1</sup>.

ويقال لإظهار الحب: التحبب.

ومن أسماء الحب: ما أطلق على مدينة النبي ﷺ المحبّة والمحبوّة، وأطلق على زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ، وفي حديث فاطمة رضوان الله عليها، قال لها ﷺ عن عائشة: إنها حبة أبيض. كما يطلق على بعض الأفعال منها: أحب البعير: برك، وأحب البعير أيضا إجابا: أصابه كسر أو مرض، والإحباب أن يشرف البعير على الموت من شدة المرض فيبرك، وقد يطلق على عكس المعنى: الإحباب بمعنى البرء من كل مرض<sup>2</sup>.

وقد شكلت كلمة الحب جزءا من أسماء بعض النباتات منها:

- حبة البركة، وبذوره مسماة بالحبة السوداء.

- حب العزيز - حب العرعر - حب الملوك.

وهذه النباتات كلها مفيدة للجسم<sup>3</sup>.

والحبة، لم تعرف اسما واحدا عند العرب، إذ عدّد الفقيه الحنبلي - ابن القيم - خمسين اسما أطلقه العرب عليها منها: الصبابة، الكلف، الوجد، الدله، الفتوق، الشحو، الرسيس، الوصب، التتيم، الود، اللوعة، اللذع، الحرق، السهد، الأرق، اللهف، الاستكانة، التباله، الخبل، المخامر، المقه، التعبد... الخ.

وإن لم تكن هذه الأسماء مرادفة للحب، فإنها تبين جانباً من جوانبه، وتفصح عن حالة من حالاته، ومن دون أدنى شك، أن أهم حالة من حالات الحب، وأشهر جانب من جوانبه، إنما هو جانب "العشق"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> نفس المرجع السابق، (هج، كش 548/2، 4).

<sup>2</sup> أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان اللسان: تهذيب لسان العرب، ج 1 (أ-ش).

<sup>3</sup> محمد فريد وجدي: دائرة المعارف القرن العشرين - الرابع عشر - العشرين، المجلد الثالث، دار الفكر، بيروت، ص 75.

<sup>4</sup> شمس الدين محمد أبي بكر ابن القيم الجوزية: روضة المحيين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص 18.

وإذا وضع من غير إضافة، ولم يرد منه المقصود الجنسي، كأن يكون المقصود منه التوجه نحو الآخر توجهها مناقضا للأنانية، فيسمى عادة بـ"المحبة" والتي تعني ذلك الميل المثالي نحو الأخ، والقريب، والصديق والرفيق، والزميل، وكل من تربطنا به أواصر المواطنة والإنسانية والدين، كما يكون من الإنسان نحو الله تعالى: ﴿وَالْقَيْتُ مَلِكُكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾<sup>1</sup>.

كما يتبين من اشتقاقات الحب أو المحبة المذكورة، وغير المذكورة، أن العرب استعملوه بمفاهيم مختلفة لمعان متعددة، ولأسماء عديدة، ولكن جل هذه المعاني والأسماء تتمحور حول باطن القلب الحيّ، الذي يشع حياة وحيوية، فيعيش إنسانيته بكل معانيها الربانية.

والخلاصة أن الحب من حيث الصياغة اللفظية هو لفظ عام مشترك لعدد من الميول والرغبات والأهواء، كحب الأزواج وحب الوالدين، وحب الخير... وحب الله وأنبيائه. ومن هنا، فالحب لا يفهم معناه إلا إذا أضيف إلى موضوعه، وإذا وُضع من غير إضافة ولم يرد منه المقصود الجنسي، كأن يكون المقصود منه التوجه نحو الآخر توجهها مناقضا بالأنانية فيسمى عادة بـ"المحبة" والتي تعني ذلك الميل المثالي نحو الأخ، والقريب والصديق والرفيق والزميل، وكل من تربطنا به أواصر من أواصر المواطنة والإنسانية والدين<sup>2</sup>، كما يكون من الإنسان نحو الله تعالى في قوله: ﴿وَالْقَيْتُ مَلِكُكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾<sup>3</sup>.

مع كثرة عبارات الناس عن المحبة -السابقة الذكر- كثرت تفاسيرها، ولكن هذه الكثرة لا تشوب الحقيقة بشائبة وهذا ما يؤكد القاضي عبد الجبار بهذه العبارة "إن تلك العبارات التي

<sup>1</sup> سورة طه: الآية 39.

<sup>2</sup> عبد الحميد خطاب: إشكالية الحب، ص 189.

<sup>3</sup> سورة طه: الآية 39.

اختلف الناس في تفسيرها "المحبة" ليست ترجع (بالحقيقة) إلى اختلاف مقال ولكنها ترجع (بالضرورة) إلى اختلاف أحوال<sup>1</sup>.

ومكانة المحبة بين الألفاظ لا تضاهيها مكانة، ولذلك قال بعض العارفين: "كل مقام أعبر عنه إلا مقام المحبة، فقليل له: ولم؟!، قال: لأن الشيء يعبر عنه بالطف منه ولا شيء أطف من المحبة"<sup>2</sup>.

وكان الحذاق من العلماء لا يخبرون بحقائق أربع مقامات: "حقيقة التوحيد- حقيقة المعرفة- حقيقة المحبة- حقيقة الإخلاص، وأوعز أحد العلماء ذلك إلى أن كل المقامات عن أنوار الأفعال والصفات إلا المحبة، فإنها عن نور حقيقة "الذات" فلذلك عز وصفها وعزب علمها، وقل من المؤمنين المتحقق بها. وهي سر المعرفة، إذا ظهر المحبوب أحببته كما إذا رأيت المعروف عرفته، وذلك متعلق به، وهو الظاهر لظاهر المعرفة والمحبة، الباطن لباطن المحبة، والمعرفة عن وصف باطن، ومن أدرك مقام المحبة لله، لم يضره قوت شيء من المقامات، ومن فاتته مقام المحبة لم يغبط بدرك شيء"<sup>3</sup>.

وإجمال كل ما قيل في هذا الوصف:

المحبة: "المحبة عروس مهرها النفوس، ولها تخضع الرقاب والرؤوس، فهي تجلى على الأسرار، وتصفو بها الأكدار، فهي للعارف نور، وللجاهل نار، إذا مزجت خمرة المحبة على أهل الصفا، وحضرت قلوب أهل الوفاء، فالذكر ألقاها، والتوحيد ريجانها، والشكر ترجماتها، والهيبة سلطانها، فأهل المحبة فتحت لهم أبواب جنة الوصال يتنعمون فيها بالغدو والآصال والحبيب يتجلى عليهم بلا حجاب، وملائكة السرور يدخلون عليهم من كل باب، فالذين يتلون الكتاب طوبى لهم وحسن مآب والذين يحشون ربهم ويخافون سوء الحساب متكتون فيها على الأرائك نعم الثواب"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> شمس الدين محمد أبي بكر ابن القيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، اختلاف الناس في المحبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص 26-27، عن: القاضي عياض. أحمد شهاب الدين الخفاجي: الشفاء، نسيم الرياض في شرح الشفاء، ص 29.

<sup>2</sup> مجدي محمد إبراهيم: فعل الهمة في المحبة والإرادة عند الصوفية، مكتبة الثقافة، 2003، ص 27.

<sup>3</sup> أبو طالب المكي: قوت القلوب، تحقيق عبد المنعم الحفني، ج2، دار الرشد، القاهرة، 1991م، ص 68.

<sup>4</sup> شعيب الحريفيش: الروض الفائق في المواعظ والرقائق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص 197.

وقال العلامة أبو حامد الغزالي في تبين ماهية المحبة: "الحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذ، فإن تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا، والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب، فإن قوي سمي مقتا"<sup>1</sup>.

ولأبي حامد تفصيل واسع لهذا الموضوع الحساس يأتي الكلام عنه في ثنايا الحديث عن المحبة عند المتصوفة، وإن كان أبو حامد، جعل من الحب في هذا الجزء هو ميل الطبيعة الإنسانية إلى الشيء الذي تجد فيه لذتها، ويقاسمه ابن حزم الأندلسي الرأي في قوله: "اختلف الناس في ماهية الحب، وقالوا وأطالوا، والذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع"<sup>2</sup>.

وعليه فهو أحد أسباب نظام أمور الناس قبل العدل، ويمكن أن يستغني عن العدل، لو تعامل الناس به، لأن العدل خليقة المحبة إذا انعدمت، ولذلك عظم الله تعالى منه إيقاع المحبة بين أهل الملة<sup>3</sup> فقال تعالى: ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَيْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَيْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾<sup>4</sup> وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾<sup>5</sup>

وذهب الأصفهاني في ذلك أن المحبة في القلوب أحلب للعقائد وهي أفضل من المهابة لأن المهابة تنفر والمحبة تؤلف، وقد قيل: طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة فإن طاعة المحبة من داخل الإنسان، وطاعة الرهبة من خارجه، وهي تزول بزوال سببها، وكل قوم إذا تحابوا تواصلوا، وإذا تواصلوا تعاونوا وإذا تعاونوا عملوا، وإذا عملوا عمروا، وإذا عمروا عمروا (أي إذا نشروا العمران

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الرابع، دار البيان العربي، ص 288.

<sup>2</sup> علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والألاف، حققه وفهرسه محمد عبد الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية، ص 20.

<sup>3</sup> أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (م 506هـ): الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق ودراسة أبو اليزيد العجمي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ش.م.م، المنصورة، ص 364.

<sup>4</sup> سورة الأنفال: الآية 63.

<sup>5</sup> سورة مريم: الآية 96.

طال عمرهم<sup>1</sup> وفي اجتماع المسلمين في المساجد لأداء فريضة الصلاة، أو غيرها من الطاعات، ولقائهم في مكة في زمن واحد، وفي مكان واحد، ما هو إلا تأكيد للأنس، ووقوع الود بينهم.

وفي مثل هذا الأنس والود "سر روحاني يهوي من عالم الغيب إلى القلب، ولذلك سمي هوى من: هوى يهوي إذا سقط، ويسمى الحبّ بالحبّ لوصوله إلى حبة القلب التي هي منبع الحياة، وإذا اتصل بها سرى مع الحياة في جميع أجزاء البدن وأثبت في كل صورة المحبوب"<sup>2</sup>.

ولا حياة للإنسان بدون حب الله ورسوله، وهو شرط للإيمان<sup>3</sup>، ومن أنعم الله عليه بهذا النوع من الحب، وهو خلق من أخلاق القرآن الكريم، وصفة كريمة، فإنه يصبح متفتح القلب والعقل، لا يمجد إلا ما يستحق التمجيد، ولا يؤيد إلا ما يستحق التأييد، وبعد هذا النوع من المحبة لله ورسوله تأتي محبة المؤمنين المستقيمين من عباده، ثم محبة كل ما هو جميل طاهر، ولذلك يقول أشرف الخلق: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار"<sup>4</sup>.

تبقى المحبة قوت القلوب وغذاء الأرواح، وقرّة العيون، وسرور النفوس، ونور العقول، وعمارة الباطن<sup>5</sup>، فهي من مكارم الأخلاق بين الناس، ومن الأسس التي تبنى عليها المجتمعات الخيرة فتزدهر بالسعادة والرخاء وتنعم بالرفاهية والهناء<sup>6</sup>.

كل ما قيل في المحبة تأكيد على أنها أشد الاحتياجات الإنسانية، فكل إنسان بحاجة إلى وجود قلب مقابلاً لقلبه، لمداولة المحبة ومبادلة العشق والمؤانسة، فهو متمم الامتزاج الروحي ومكمل الاستئناس القلبي، وهو سر الفعالية الخيرة للألباب، الجارية في الكائنات، حيث كل

<sup>1</sup> الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص 364.

<sup>2</sup> بهاء الدين العاملي: الكشكول، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص 683-686.

<sup>3</sup> شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية (م سنة 751هـ): إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، حققه وكتب هوامشه محمد حامد الفقي، ج1، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 158.

<sup>4</sup> أخرجه البخاري، باب حلاوة الإيمان، ج1، ص145، ح16.

<sup>5</sup> شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية: إغاثة اللهفان، ج2، ص 197.

<sup>6</sup> يحيى المعلمي: مكارم الأخلاق في القرآن الكريم، ط2، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ص 81.

شخص يؤدي وظيفة فطرية، أو يقوم بمهمة اجتماعية، فإنه يشعر بمحبة وشوق ولذة، واللذة الحقيقية هي التي ينغصها الزوال، ولن يحصل ذلك إلا في حب الأمور الأبدية: كالمعرفة الإلهية، والمحبة والكمال والعلم وأمثالها... وهذا ما يسعى إليه الإسلام، لتحقيق السعادة القصوى للإنسان<sup>1</sup>.

وتبقى حقيقة المحبة أنها جزء لا يتجزأ من التكوين الرباني للإنسان، وهي ضمان صيرورة الحياة السعيدة، بل هي الحياة، إن انتهج الإنسان سبيلها الذي سطره كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

### أنواع المحبة:

تكلم العلماء في المحبة كلاما كثيرا ومفصلا، وفتتوا أجزاءها تفتيتا وثبتوها في درجات، وهذه بعض التصنيفات التي توصلت إليها اجتهاداتهم.

1- "المحبة جنس عام تدرج تحته أنواع المحبة، محبة العبد للعبد، ومحبة العبد لله خاصة، وتتفاعل بشرف الموضوع وتتقاعد بخسته، وأن الأغراض التي تتبع المحبة من لوازم الشوق والهيام، والوجد والغيرة والاستهلال، موجودة بنوع أشرف، ولذلك ما كانت سلما إلى المحبة الخاصة بأهل العرفان والسعادة"<sup>2</sup>.

2- كما صنفت إلى ثلاثة أصناف، أو أنواع: محبة فعلية، ومحبة صفائية، ومحبة ذاتية. فالمحبة الفعلية محبة العوالم، وهو أن يحب الله تعالى لإحسانه عليه وليزيده مما أسداه إليه. والمحبة الصفائية محبة الخواص، وهؤلاء يحبونه لجماله وجلاله من غير طلب كشف لحجاب، ولا لرفع لثقاب، بل هي محبة لله خالصة من علل النفوس. ومحبة الخاصة في التعشق الذاتي الذي ينطبع بقوته في العاشق بجميع أنوار المعشوق فيبرز العاشق في صفة معشوقه كما يتشكل الروح بصورة الجسد للتعشق الذي بينهما... فمحبة العوالم، محبة فعلية، ومحبة الشهداء محبة صفائية، ومحبة المقربين محبة ذاتية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> خديجة النبلاوي: الحب بين الوهم والحقيقة، بحث مستقى من كليات رسائل النور للإمام الجليل سعيد النورسي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط1، 1998، ص 5.

<sup>2</sup> رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي (خط، روض، 524، 13)، مكتبة لبنان ناشرون، زقاق البلاط، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، (جيم، كا2، 94، 5).



3- محبة أصلية وهي محبة الذات عينها لذاتها لا باعتبار أمر زائد لأنها أصل جميع أنواع المحبات<sup>1</sup>. محبة جمال إما مجردة، كولوج النفس بالصنائع المنتظمة، وارتباط الأعمال، ومحاسن المعاني أو غير مجردة، وهو كاستحسان الصورة الجميلة، والميل إليها بسبب البواعث<sup>2</sup>. محبة الله تعالى وهي الغاية القصوى من المقامات فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها، كالشوق، والأنس، والرضى، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو من مقدمتها، كالتوبة، والصبر، والزهد وغيرها<sup>3</sup>. محبة المناسبة وهي التخلق بصفات المحبوب وأسمائه، ومحبة الجمال لقسم الجمال،/ ومحبة الممازحة نجعلها كناية عن الدؤوب والرياضة<sup>4</sup>.

وهذه التصنيفات لأنواع المحبة تشترك كلها في وضع محبة الله عز وجل في أرقى مراتب المحبة التي تسكن الوجدان وإن اختلفت أسبابها ودرجة حرارتها من محب إلى آخر، والتي قد تصل عند بعضهم إلى درجة العشق كما عبّر عنه الكثير من العلماء.

### الفرق بين المحبة والهوى والعشق:

استعمل العلماء مصطلح الحب، والعشق، والهوى، فما هي علاقة هذين المصطلحين بالمحبة، وما الفرق بينهما وبين المحبة؟ ونجد والجواب في هذه الأقوال:

- الفرق بين المحبة والهوى: الهوى مشتق من السقوط، قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾<sup>5</sup> أي: سقط وجنح للغروب. وقيل: ميل القلب وسرعة تقلبه لأجل المحبة، كما يسرع الهواء التغير لشدة صفائه ولطافته. ويقال: هوى الرجل يهوي هويًا، إذا سقط إلى أسفل، والهوة هي: الوهدة العميقة، وتهاوى القوم في الهوة أي: سقطوا. وقيل: مشتق من الهوى، وهو الوقوع، نقول: هوى الحائط يهوي هويًا، إذا سقط، والمحـب قد سقط في هوة الوجد<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، (قاش، أصل، 78، 14).

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، (خط، روض، 386، 4).

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، (ق، هج، 361، 2).

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، (خط، روض، 333، 7).

<sup>5</sup> سورة النجم: الآية 01.

<sup>6</sup> رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص 837.



لكن بعض العلماء ربط بين الحب والهوى في سر روحاني لا تمثله إلا صورة المحبوب، وعلل تسمية كل منهما باسمه "إن الحب سر روحاني يهوي من عالم الغيب إلى القلب، ولذلك سمي "هوى" من هوى يهوي، إذا سقط، ويسمى الحب بالحب لوصوله إلى حبة القلب التي هي منبع الحياة، وإذا اتصل بها سرى مع الحياة في جميع أجزاء البدن، وأثبت في كل صورة المحبوب"<sup>1</sup>.

- الفرق بين المحبة والعشق: "المحبة اسم جامع لأقسام الحب والعشق، والفرق بينهما أن المحب إما أن يستعمل المحبة أو تستعمله، فإن كان هو من اختارها سمي محبا مخلصا، وإن لم يكن به اختيار ولا تكسب سمي عشقا، وبناء عليه:

- المحب مريد والعاشق مراد.

- وقيل العشق يكون إزاء اللذات، والمحبة إزاء نفسها لذلك منعوا من إطلاق العشق على الله تعالى، لكن تسامح فيه الكثير<sup>2</sup>.

وخلاصة هذه الأقوال:

- لفظ المحبة أعم من الحب.
- العشق هو تغلب المحبة على المحب لأنها هي من استعملته.
- العشق يكون إزاء اللذات، بهذا يمنع إطلاقه على الله تعالى.

أما الهوى:

فهو سابق عن المحبة، فهو ذلك الصراع الداخلي الذي يمر به المريد، وعندما يتفوق، ويخمد لذات النفس يهوي إلى المحبة بعد أن تلمس حبة قلبه، ويذوق طعم الحياة بعد أن كان في عداد الموتى.

### المطلب الثاني: المحبة في القرآن الكريم:

تناول القرآن الكريم الحب بمعان وصور متعددة ومتنوعة تبعا لتنوع الموجودات ووقعها على القلوب والعقول الإنسانية، ومن هذه الصور ما أشاد به القرآن الكريم، ورغب فيه ورتب

<sup>1</sup> بهاء الدين العاملي: الكشكول، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص 682-683.

<sup>2</sup> رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ص 837.

عليه جزاء خيراً، ومنها ما نبه لاجتنابه والوقاية منه، ورهب منه، لأنه يُهدّم الكيان الإنساني ويُنييه عن الغاية التي أوجده الله لأجلها. ومن هذا المنطلق أثمرت اجتهادات المهتمين، من علماء، وباحثين في مثل هذا الموضوع تصنيفات مختلفة لأنواع الحب التي وردت في القرآن الكريم.

فمنهم من قسمه إلى نوعين: النوع الأول: حب الله ومن الله تعالى: وهو كل عبادة حقة، وعمل صالح، للتقرب إلى الله تعالى، والعمل بكل أوامره<sup>1</sup> استناداً إلى قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾<sup>2</sup> ﴿رَضِيََ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾<sup>3</sup>.

والنوع الثاني: حب الدنيا وما فيها: كحب المال، حب الشهوات والملذات والرغبات... ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ، وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ﴾<sup>4</sup>، وحتى حب ما فيه شر ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا، وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ، وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾<sup>5</sup> للإنسان، أو ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرَيْثِ ذَلِكُمْ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ بِعِبَادِهِ حَسْبُ الْعَاقِبِ﴾<sup>6</sup> ما هو مكروه لديه ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>7</sup>.

والأصل في النوع الأول هو الحب الإلهي، وما الحب الإنساني إلا حب في الله وفي طريقه، وهو ألفة ومودة ورحمة. لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا<sup>8</sup> لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾<sup>9</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَالْقَبِيضَ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي...﴾<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> حسن محمد الشرقاوي: نحو علم نفس إسلامي، تقديم عبد الحليم محمود ومصطفى محمود، مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، 1984م، ص 247.

<sup>2</sup> سورة المائدة: الآية 54.

<sup>3</sup> سورة المائدة: الآية 119.

<sup>4</sup> سورة القيامة: الآية 20-21.

<sup>5</sup> سورة الفجر: الآية 19-20. سورة العاديات: الآية 6-8.

<sup>6</sup> سورة آل عمران: الآية 14.

<sup>7</sup> سورة البقرة: الآية 216.

<sup>8</sup> حسن محمد الشرقاوي: نحو علم نفس إسلامي، ص 248.

<sup>9</sup> سورة الروم: الآية 21.

<sup>10</sup> سورة طه: الآية 39.

أما ابن القيم الجوزية فقد اعتمد في تقسيمه للمحبة إلى ما تلحقه من منافع، ومضار - المحبة النافعة، والمحبة الضارة-، وكل منهما يتفرع إلى ثلاثة أنواع أخرى.

أ- أنواع المحبة النافعة: محبة الله، ومحبة في الله، ومحبة على ما يعين على طاعة الله تعالى، واجتناب معصيته.

ب- أنواع المحبة الضارة: المحبة مع الله، ومحبة ما يبغضه الله تعالى، ومحبة ما تقطع محبته عن محبة الله تعالى، أو تنقصها.

وهذه الأنواع الست، عليها تقوم مدار محاب الخلق، ويضع على رأس الأنواع النافعة، محبة الله، لأنها تمثل أصل الإيمان والتوحيد، وما النوعان الآخران إلا تبعاً لها.

أما المحبة مع الله، أصل الشرك، والمحاب المذمومة، والنوعان الآخران تبعاً لها<sup>1</sup>.

ويرى آخر، أن الحب من خلال ما عرضه القرآن الكريم على قسمين:

**1- الحب الغريزي:** والذي هو غريزة مشتركة في الكثير من مخلوقاته، ولأن الإنسان مجبول عليه، لا يتكلف في صنعه، لكنه مأمور بالرقى بحبه فوق الشهوات.

ويتجلى هذا الحب في الميل الغريزي بين الرجل وزوجته، والولد ووالديه، وحب المال والدنيا.

والقرآن الكريم قد وصف هذا النوع من الحب وصفاً دقيقاً، إذ عبّر عنه بالشهوة<sup>2</sup> في قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ بِحَسْنِ الْمَأْمُرِ<sup>3</sup>﴾.

**2- الحب المكتسب:** وهو حب عقلي، مكتسب من الأوامر الشرعية القاضية بانتماء المسلم في قلبه وجوارحه إلى الله ورسوله وإخوانه في الدين، "فالمحبة هنا محبة اختيار لا محبة طبع"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية: إغاثة اللهفان، ص 113.

<sup>2</sup> عمر شاعر الكبيسي: الحب في القرآن الكريم، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م، ص 21.

<sup>3</sup> سورة آل عمران: الآية 14.

<sup>4</sup> عمر شاعر الكبيسي: الحب في القرآن الكريم، ص 21.

كما يخلو هذا الحب من المقاصد السببية، أو المصالح النفعية في صياغته وإيجاده كما أن غاية هذا الحب تتسم بالسمو، لأنها تتعلق بحب الله، وحب النبي ﷺ، وحب الأخ لأخيه في الله تعالى<sup>1</sup>.

وللتوفيق بين هذين النوعين من الحب -الغريزي، والمكتسب-، وبين ما تقرره الآية ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>2</sup>.

وقوله ﷺ "كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"<sup>3</sup>.

فلا بد من التفريق بين التدين الذي هو غريزة وفطرة في الإنسان، وهو بحاجة ماسة إلى قوة خارقة يعتمد عليها، وهذا ما يفسر اعتقادات الناس بين المهتمدين والضالة، وبين العاطفة الدينية، والتي تتعلق بالميل العاطفي نحو الحق تبارك وتعالى، وكذلك نحو النبي ﷺ، والإخوة من المؤمنين، وعليه، فالإنسان قد يولد متدينا، لكن لا يعني بالضرورة أن يميل إلى مواطن الحب المكتسب.

وإن كان هذا النوع لا يخلو من منفعة -الفوز بالجنة-، إلا أن هذه المنفعة نسبية، إذا قورنت بالمنفعة المادية -الدينية-، إضافة إلى أن مثل هذا النفع غيبي، والآخر ملموس، ومحسوس، ضف إلى ذلك خلاف الدوافع، فحب الدنيا يطغى في الغريزة، بخلاف الحب الذي يقصد به وجه الله ومرضاته، وهو المأمور به شرعا في نصوص قرآنية ونبوية متعددة<sup>4</sup>.

وهناك من ذهب إلى تصنيف أنواع الحب الوارد في القرآن الكريم إلى: أ- الحسي-الجنسي، ب- الروحي.

صوّر القرآن "الحب" بمدلوله الحسي، والجنسي لغرض العضة والعبارة، فصوّره أيضا بمدلوله الروحي ليكون ثمرة كل عمل ديني، والغاية من كل فعل أخلاقي<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عمر شاعر الكبيسي: الحب في القرآن الكريم، ص 21.

<sup>2</sup> سورة الروم: الآية 30.

<sup>3</sup> البخاري، ج 1، ص 456 ح 14، مسلم 52 ح 6926.

<sup>4</sup> عمر شاعر الكبيسي: الحب في القرآن الكريم، ص 22.

<sup>5</sup> عبد الحميد خطاب: إشكالية الحب، ص 92.

ويمكن أن يمثل للنوع الأول قوله تعالى في امرأة العزيز في قصة سيدنا يوسف عليه السلام ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا مَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِيهِ ضَلَالٌ مُّبِينٌ﴾<sup>1</sup>.

وفي تصوير القرآن الكريم للحب الجنسي، وكيفية سمو الأنفس لترداد تعلقا بالله ونيل مرضاته والفوز بجنته، وبذلك يكون حب الناس أمر جوهرية وأساسي في الإسلام، ولن يكون إلا بإيثارهم بالخير وتمنيه وإرادته لهم<sup>2</sup>.

وإذا كان القرآن الكريم قد توقف أخيرا عند الحب الذي موضوعه ومحوره الإنسان، فإنه توقف آخرًا عند لب الإسلام وأصله الذي هو التوحيد، الذي لا يصمد له بناء إلا بحب الله تعالى ومحبة نبيه ﷺ<sup>3</sup>.

ويوعز حجة الإسلام -أبو حامد الغزالي- أقسام الحب إلى أسبابها ويجملها في خمسة: "وهو حب الإنسان وجود نفسه وأعماله وبقائه، وحبه من كان محسنا في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسنا إليه، وحبه لكل ما هو جميل في ذاته، سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة، وحبه لمن بينهما مناسبة خفية من الباطن، ولو اجتمعت هذه الأسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة... وهذه الأسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها إلا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة الحقيقية إلا الله سبحانه وتعالى"<sup>4</sup>.

وفي مثل هذه الاجتهادات لتحديد أنواع الحب التي وردت في القرآن الكريم تأكيد على أن موضوع الحب -المحبة- تردد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة بأساليب مختلفة، منها ما هو بجانب الله عز وجل، لعباده، ومنها ما هو بجانب العباد لله تبارك وتعالى، ومنها ما يشير إلى محبة الرسول ﷺ، ومنها ما يرشد إلى محبة الناس بعضهم بعضا... .

ومثل هذه الأنواع، وغيرها من المحبة النافعة التي جادت بها اجتهادات علمائنا من بحر القرآن الكريم، فهي كلها خادمة للحب الإلهي وموصلة إليه.

<sup>1</sup> سورة يوسف: الآية 30.

<sup>2</sup> عبد الحميد خطاب: إشكالية الحب، ص 102.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 104.

<sup>4</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد الرابع، ص 292.

وهذا ما أدى ببعض العلماء إلى وصف كتاب الله، بكتاب المحبة، والدين الإلهي بدين محبة، وأتباعه المؤمنين بأهل المحبة<sup>1</sup>.

وإن كان كتاب الله عز وجل عاجل مثل هذا الموضوع من كل جوانبه النفسية، والعقلية، والأخلاقية، فلم يخل المصدر الثاني لشريعتنا السمحاء منه.

### المطلب الثالث. المحبة في السنة النبوية الشريفة:

أنواع المحبة في السنة النبوية الشريفة: تعرض الرسول ﷺ في كثير من أحاديثه إلى عدة أنواع من الحب منها: حب الله تعالى، حب الرسول ﷺ، حب الناس، حب الحيوان، حب الكون، حب الزوجة، حب المال، والحب الأبوي.

**حب الله:** الإنسان عادة يحب من أحسن إليه، ولا يوجد محسن أصلاً إلا الله عز وجل، لأن نعم الله لا تحصى على الإنسان، لذا توجب على الإنسان أن يحب ربه حباً لا يقاسم، يكون حباً أعظم من حب النفس، أو الوالدين، أو الزوجة، أو الأبناء...، وقد أشار القرآن الكريم إلى تمييز هذا الحب في عظمته ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: 24)، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾<sup>2</sup>.

والنبي ﷺ كان أكثر الناس حباً لله عز وجل، إلا أنه كان يطلب في دعائه أن يرزقه الله حبه، لما يجد في هذا الحب من لذة روحية لا تفوقها أية لذة أخرى في الوجود.

عن معاذ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "أتاني ربي في أحسن صورة -يعني في المنام- فذكر الحديث وقال في آخره: قال: سل، قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك،

<sup>1</sup> أحمد الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن الكريم، ج2، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ص 42.

<sup>2</sup> سورة البقرة: الآية 165.

وحب من يحبك، وحب عمل يقرب إلى حبك" قال رسول الله: "إنها حق فادرسوها ثم تعلموها"<sup>1</sup>.

وقد تضمن هذا الدعاء، سؤال حب الله عز وجل، وحب أحبائه، وحب الأعمال التي تقرب من حبه والحب فيه. وذلك يقتضي الخيرات كلها كما يتضمن ترك المنكرات والسلامة من الفتن، وذلك يتضمن اجتناب الشر كله، فجمع خيري الدنيا والآخرة<sup>2</sup>.

والملاحظ في نفس الحديث أن النبي ﷺ قد أفرد المساكين بالذكر كإفراده حب الله وحب من يحبه...

ويمكن أن يكون المقصود بهذا الإفراد: أن حب المساكين أصل الحب في الله تعالى، لأن المساكين ليس عندهم من الدنيا ما يوجب محبتهم لأجله فلا يحبون إلا الله عز وجل، والحب في الله من أوثق عرى الإيمان، ومن علامات ذوق حلاوة الإيمان وهو صريح الإيمان، وهو أفضل الإيمان.

قال ﷺ: "أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله"<sup>3</sup>.

ولما كانت محبة الله عز وجل لها لوازم، وهي محبة ما يحبه الله عز وجل من الأشخاص، والأعمال، وكراهة ما يكرهه من ذلك. سأل النبي ﷺ الله تعالى مع محبته محبة شيئين آخرين أحدهما: محبة من يحب الله تعالى، فإن من أحب الله أحب أحبائه فيه ووالاهم، قال النبي ﷺ "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الترمذي، ج 5 ص 368، ح 323. الحديث صحيح.

<sup>2</sup> عبد الهادي حسن وهي: في ظلال المحبة، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1417هـ / 1997م، ص228.

<sup>3</sup> أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه من حديث البراء بن عازب، ج7، والبيهقي في شعب الإيمان باب أوثق عرى الإيمان، ج1، والطيالسي في مسنده باب أي عرى الإيمان أوثق، ج2، وصحيح الجامع 2539 للألباني.

<sup>4</sup> أخرجه البخاري، باب حلاوة الإيمان، ج1، ص145، ح16.



وأعظم من تجب محبته في الله تعالى أنبيأؤه ورسله، وأعظمهم محمد ﷺ الذي افترض على الخلق كلهم متابعتة، وجعل متابعتة علامة لصفة محبته في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>1</sup>.

والثاني: محبة ما يحبه الله تعالى من الأعمال، وبها يبلغ إلى حبه، وفي هذا إشارة إلى أن درجة المحبة لله تعالى لن تنال إلا بطاعته، وبفعل ما يحبه، وأقواله ﷺ كثيرة في تبيين، والحث على الوصول إلى مثل هذا المقام كقوله ﷺ: "وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه"<sup>2</sup>.

وكان الرسول ﷺ يذكر لأصحابه حب داود لله تعالى، فعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: "كان من دعاء داود يقول: اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إليّ من نفسي وأهلي، ومن الماء البارد"<sup>3</sup>.

وأقوال النبي ﷺ في الحب الإلهي كثيرة، وعظيمة عظم هذا النوع من الحب الذي هو المنبع الرئيسي لكل مشاعر الحب التي يشعر بها الإنسان ويطوعها لخدمة الحب الأعظم - حب الله عزوجل -.

وحب الإنسان لله، طاقة فعالة توجه سلوكه نحو كل ما هو خير، وإلى كل ما يرضي الله، وتبعده عن كل ما ينهى عنه ويغضه، وفي هذا يقول ﷺ: "من أحب لله، وأبغض لله، فقد استكمل الإيمان"<sup>4</sup>. ويقول ﷺ: "أفضل الأعمال الحب في الله، والبغض في الله"<sup>5</sup>.

وقد أجلت أحاديث النبي ﷺ الداعية إلى التآخي، والتآلف، والترابط، كيفية الحب والبغض في الله، بعد أن أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>6</sup> وفي قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> سورة آل عمران: الآية 31.

<sup>2</sup> البخاري، ج5، ص 2384، ح 6137 عن أبي هريرة، ومسلم ج8، ص 662 ح 698..

<sup>3</sup> الترمذي، ج5، ص 522 ح 3490 وقال حديث حسن غريب.

<sup>4</sup> أبو داود، ج4، ص 354، ج3، ص 468. عن أبي أمامة الباهلي

<sup>5</sup> أخرجه أبو داود عن أبي أمامة ناصف، ج5، ص 78.

<sup>6</sup> سورة التوبة: الآية 71.

<sup>7</sup> سورة الحجرات: الآية 10.





وعن أنس أن الرسول ﷺ كان يقول لفاطمة رضي الله عنها: "ادعي ابني" أشمهما ويضمهما إليه<sup>1</sup>.

وعن البراء قال: رأيت النبي ﷺ والحسن على عاتقه يقول: "اللهم إني أحبه فأحبه"<sup>2</sup>.

وكان النبي ﷺ أعلم بالميل القلبي إلى الذكر أكثر من الأنثى، لذلك كان ينصح المسلمين بحسن رعاية الأبناء، وبخاصة الفتيات.

فعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: "من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهونها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة"<sup>3</sup>.

وهكذا نجد الرسول ﷺ قد اهتم كثيرا بالتنشئة السليمة للطفل وهو صغير، لما لها من الأهمية في تكوين سماته الخلقية التي تمكنه من حب نفسه، وغيره، والمساهمة في نشر دينه، وبناء مجتمعه بكل تفان وحب في ظل أبوين متحابين متعاونين.

وهذه المحبة الزوجية آية من آيات الله عز وجل يقول الله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا..."<sup>4</sup>. وكان النبي ﷺ قدوة أتباعه في مثل هذه العلاقة وغيرها، فكان يحب كل زوجاته، حتى وإن كانت عاتشة أقربهن إلى قلبه وكان يقول في ذلك: "اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك"<sup>5</sup>.

وكتب السيرة نقلت لنا الكثير عن كيفية معاملة النبي ﷺ لزوجاته، ومثل هذه المعاملة النبوية تنم عن حب كبير يكتنه لنسائه وهي ناتجة عن حب في الله والله.

<sup>1</sup> البخاري، ج3، ص1370، ح3539. مسلم، ج7، ص130 ح6411.

<sup>2</sup> الترمذي (ناصف، ج3، ص359).

<sup>3</sup> أبو داود، ج4 ص502 ح5148 عن ابن عباس.

<sup>4</sup> سورة الروم: الآية 21.

<sup>5</sup> أبو داود، ج2 ص208 ح2136 عن عائشة.

وهذه رحمة الله تعالى في دين الفطرة أنه لم يذم حب الأهل والأقارب، والأزواج، لا حب المال والكسب والاتجار، ولم ينه عنهما، وإنما جعل من مقتضى الإيمان إثارة حب الله ورسوله على حب ما ذكر، وكذلك الجهاد في سبيله إذا وجب<sup>1</sup>.

وقد جعل النبي ﷺ من مقتضى الإيمان أيضا حب مخلوقات الله جميعا.

**حب مخلوقات الله جميعا:** من يحب الله ورسوله، فإنه يجب كل ما خلق الله، وما دعا إلى محبته ورسوله ﷺ.

فكان الرسول ﷺ يعلم أصحابه محبة الناس جميعا، وأن يفعلوا خيرا بالإنسانية عامة، وأن يحبوا حتى الحيوانات والطيور والنبات... .

يقول ﷺ: "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة"<sup>2</sup>.

وعن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: "بينما رجل يمشي بطريق، فاشتد عليه العطش، فوجد بئرا فتزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل قد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني، فترل البئر، فمألاً خفه، ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له" قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجرا؟ قال: "في كل كبد رطب أجر"<sup>3</sup>.

كما حذر النبي ﷺ من كل ما يبعد عن حب الله ورسوله، من ملذات وشهوات الدنيا... . وبعد هذا العرض الوجيز للمحبة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة نقول لقد تضافرت الأدلة التي لا تقبل الشك، أن حب الله سيثمر كل أنواع المحبات الخيرة التي تغمر قلب الإنسان المسلم، ولا كمال لهذه المحبة إلا بمحبة النبي ﷺ.

<sup>1</sup> محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار (10)، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ص 238.

<sup>2</sup> البخاري، ج 2 ص 817، ح 2195. مسلم، ج 5 ص 28 ح 4055.

<sup>3</sup> أخرجه البخاري في الأدب، ج 22، ص 222، وأبو داود في الجهاد، ج 3، ح 255. وكذلك أخرجه مسلم، ومالك، وابن ماجه، وأحمد (ونسك، ج 5، ص 508).

والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كان اهتمامهما بالمحبة -الحب-، كبيرا، مع تبيين نافعها وضارها، والدعوة إلى كل فعل خير يزيد في قوتها، ويلهبها نحو المولى ﷺ، والترهيب من كل ما يبعد عن هذه المحبة، أو يفترها.

وبعد هذا، هل يمكن للإنجيل أن يحتكر هذه التسمية -كتاب محبة-، أو هذه الديانة لها أن توصف -بدين المحبة-؟

إذا كان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، قد توقفا عند الحب الذي موضوعه ومحوره الإنسان، فإنهما توقفا أيضا عند كثير من الإشارات، وذكرها كثيرا من الشهادات التي تتأزر لتدل على أن لب الإسلام وأصله الذي هو التوحيد، إنما هو مبني على الحب لله تعالى، والمحبة لرسوله ﷺ<sup>1</sup>.

والله عز وجل لما قرر التوحيد بالدلائل القاهرة القاطعة أردف ذلك بتقبيح ما يضاد التوحيد "لأن تقبيح ضد الشيء ما يؤكد حسن الشيء، ولذلك قال الشاعر: وبذلك تتبين الأشياء، وقالوا أيضا: النعمة مجهولة، فإذا فقدت عرفت"<sup>2</sup>.

ومن بين الآيات الكثيرة التي تقرر وحدانية الخالق قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ...﴾<sup>3</sup>.

المشرك يجعل من بعض خلق الله نظرا، ويشركه بما هو خاص به، فيحب هذه المخلوقات كحب الله، ذلك لأن الحب ضروب شتى تختلف باختلاف أسبابها وعللها، وكلها ترجع إلى الأناجى بالمحبوب، والركون والالتجاء إليه عند الحاجة، لكن مثل هذا الحب يستحيل أن يصدر من مؤمن موحد<sup>4</sup> ولذلك قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾<sup>5</sup>.

وذكر الرازي في تفسير هذه الآية: قال المتكلمون: إن حبهم لله يكون من وجهين:

<sup>1</sup> عبد الحميد خطاب: إشكالية الحب، ص 103-104.

<sup>2</sup> محمد فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1،

1401هـ/1981م، ص 204.

<sup>3</sup> سورة البقرة: الآية 165.

<sup>4</sup> محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار، ج2، ص 68.

<sup>5</sup> سورة البقرة: الآية 165.

أحدهما: أنه ما يصدر منهم من التعظيم، والمدح، والثناء، والعبادة خالصة عن الشرك، وعمّا لا ينبغي من الاعتقاد ومحبة غيرهم ليست كذلك.

الثاني: أن حبهم لله اقترن به الرجاء، والثواب، والرغبة في عظيم منزلته، والخوف من العقاب والأخذ في طريق التخلص منه، ومن يعبد الله ويعظمه على هذا الحد تكون محبته لله أشد<sup>1</sup>.  
وحب -هذه الفئة- هو حب في الله وهو من كمال الإيمان، والحب مع الله هو عين الشرك<sup>2</sup>.

وقد صنف بعض علماء الإسلام التوحيد إلى ثلاثة أصناف<sup>3</sup>:

**1- توحيد الربوبية:** وهو الذي أقر به الكفار على زمن الرسول ﷺ ولم يدخلهم في الإسلام وقاتلهم رسول الله ﷺ واستباح دماءهم وأموالهم وهو توحيد بفعله تعالى والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾<sup>4</sup>.

**2- توحيد الألوهية:** وهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العبادة، كالدعاء والنذر والرجاء، والخوف، والتوكل، والرغبة، والرغبة، والإنابة.

لأن أصل العبادة تجريد الإخلاص لله تعالى وحده وتجريد المتابعة للرسول ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾<sup>5</sup>.

**3- توحيد الذات والأسماء والصفات:** قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> محمد فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج4، ص 208.

<sup>2</sup> شمس الدين أبي عبد الله بن القيم الجوزية: الروح، حققه وقدم له وعلق حواشيه محمد اسكندر يلداء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 34.

<sup>3</sup> أحمد بن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ونخبة من العلماء: مجموعة التوحيد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 4-5.

<sup>4</sup> سورة يونس: الآية 31.

<sup>5</sup> سورة الأنبياء: الآية 25.

<sup>6</sup> سورة الإخلاص.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيهِ أَسْمَاءَهُ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>1</sup>.

وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>2</sup>.

كما صنف الشرك إلى ثلاثة أنواع:<sup>3</sup> شرك أكبر، أصغر، خفي.

النوع الأول: الشرك الأكبر بينه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>4</sup>.

وقال المسيح: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾<sup>5</sup>.

أنواع الشرك الأكبر: وهو أربعة أنواع:

1- شرك الدعوة: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِيهِ الْمُلْكَ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾<sup>6</sup>.

2- شرك النية والإرادة والقصد والدليل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِئْ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>7</sup>.

3- شرك الطاعة: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> سورة الأعراف: الآية 180.

<sup>2</sup> سورة الشورى: الآية 11.

<sup>3</sup> أحمد بن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ونخبة من العلماء: مجموعة التوحيد، ص 5.

<sup>4</sup> سورة النساء: الآية 116.

<sup>5</sup> سورة المائدة: الآية 72.

<sup>6</sup> سورة العنكبوت: الآية 65.

<sup>7</sup> سورة هود: الآية 15-16.

<sup>8</sup> سورة التوبة: الآية 31.

4- شرك المحبة: والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَحَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾<sup>1</sup>.

النوع الثاني: الشرك الأصغر وهو الرياء والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾<sup>2</sup>.

النوع الثالث: الشرك الخفي ودليله قوله ﷺ: "الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النملة السوداء على صفاة سودا في ظلمة الليل"<sup>3</sup> وكفارته قوله ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم"<sup>4</sup>.

وحاشى لمحبة الله أن تدنس بأي نوع من هذه الأنواع لأن حقيقة -محبة الله- أنها تورث الإخلاص له لأنها تطهر القلب من زخارف الدنيا وعلائقها... وتكون نورا يضيء له طريق العمل<sup>5</sup> لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾<sup>6</sup>.

ويقول: ﴿وَأَيُّهُمْ يَدْرُوعُ مِنْهُ﴾<sup>7</sup>.

وهذا هو السر في أنه لا يقع منه إلا الجميل والخير، ويتجنب كل مكروه وشر<sup>8</sup>، فعندها تأمن السنن والقوانين التخلف والضياع، لأنها تأسست على أخلاق كريمة إنسانية واستظهرت بها، والأخلاق لا تفي بإسعاد المجتمع ولا تسوق الإنسان إلى صلاح الأعمال إلا إذا اعتمدت على التوحيد، ولولا ارتضاع الأخلاق من ثدي هذه العقيدة -التوحيد- لم يبق للإنسان غاية في أعماله الخيرية إلا التمتع بمتاع الدنيا الفانية<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> سورة البقرة: الآية 165.

<sup>2</sup> سورة الكهف: الآية 110.

<sup>3</sup> جامع الأحاديث مسند أبي بكر، ج25، ص105، ح27714.

<sup>4</sup> الأدب المفرد، باب فضل الدعاء، ج1، ص250، ح716، قال الشيخ الألباني صحيح.

<sup>5</sup> محمد حسن الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج11، ص163-164.

<sup>6</sup> سورة الأنعام: الآية 122.

<sup>7</sup> سورة المجادلة: الآية 22.

<sup>8</sup> محمد حسن الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج11، ص164.

<sup>9</sup> نفس المرجع السابق، ص160.



## النتائج:

- 1- المحبة، أو الحب، خلق وجد مع وجود الإنسان ولولاها لما استطاع كل إنسان تقبل الآخر، والعيش، والتواصل معه.
- 2- المحبة، عرفت كل الديانات القديمة في عقائدها، وفي أسماء آلهتها، وتشريعاتها الدينية والحياتية.
- 3- إن مفهوم المحبة في الديانتين (المسيحية-إسلامية) خاصة فيما يتعلق بالعلاقات بين الأفراد البشرية كالحب الأبوي، والأخوي، والزوجي،... الخ واحد.
- 4- أما في مفهومه الخاص -حب الله- فهما متباعدان إلى حد التضاد، لأن أساس هذا الحب عقائدي، ولأن العقيدة الإسلامية تبني على التوحيد، أما العقيدة المسيحية فقد بنيت على التثليث، ولا لقاء بين التوحيد والتثليث.
- 5- حفلت المصادر المسيحية والإسلامية بذكر المحبة، ففي النص المسيحي لا يكاد يخلو الإنجيل بأجزائه من ذكر المحبة بكل أنواعها، وخاصة إنجيل يوحنا أو إنجيل المحبة، والذي كان أكثر تحليقا في الأجواء الصوفية رغم أنه الإنجيل الوحيد الذي نص على ألوهية المسيح، وقاسمه في هذه التسمية إنجيل لوقا، إنجيل الرحمة، الذي دعا إلى محبة الأعداء والتسامح معهم.
- 6- كما اعتمد بولس في دعوته إلى المسيحية الجديدة على المحبة، لكنه لم يفتأ من حين إلى آخر، أن يكشف عن حقيقته في بعض الألفاظ البشعة والقاسية، إذ كان يصف غيره بالكلاب والأشرار، والعملة... رغم ذلك فقد استطاع بدعوته كسب الكثير من القلوب وجعلها تلتف حول هذه الديانة على ما يكتنفها من الغموض، وسر هذا النجاح اعتماده على المحبة التي حجبت كل زلاته وزلات كل كتاب الأناجيل الآخرين.
- 7- أما في المصادر الإسلامية فقد جاء ذكر المحبة أو الحب في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في عدة مواضع، بأنواع وأساليب مختلفة بغرض الترغيب فيه والدعوة إليه، أو التهيب والتخويف من عاقبته، وإن التقت بنوعيتها في خدمة الحب، وذلك بالإقبال على الحب الإيجابي واجتناب الحب السلبي.



- 8- وكل الأنواع المذكورة في القرآن الكريم، فهي خادمة للحب، وموجهة إليه، وهو حب الله ورسوله ﷺ، ويبقى لب هذا الحب هو التوحيد هذه القاعدة الذهبية التي يبني عليها الإيمان فحب الله والحب في الله هو عين الإيمان، والحب مع الله هو عين الشرك، ويبقى الفضل الكبير للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في توجيه الإنسان نحو ربه، وبسبب الذكر الواسع للمحبة في كتاب الله وفي سنة نبيه ﷺ فقد ذهب البعض بتسمية دين الله بدين المحبة، والكتاب كتاب محبة، والأتباع أهل محبة.
- 9- وإذا كانت المحبة قد احتلت رقعة لا بأس بها في المصدرين المسيحي والإسلامي، ولها أهمية قصوى في الديانتين.
- 10- فهي جزء لا يتجزأ من التكوين الرباني للإنسان، وبها تحيا النفوس، وهي لبنة التقارب الإنساني، وتعظم وتقدس عندما تكون موصولة بالإله فلا حياة للمسيحيين بدون محبة الإله (الأب، الابن، روح القدس)، ولا حياة للمسلم دون محبة الله الواحد الأحد ورسوله محمد ﷺ، وكل الأنبياء، وهو شرط مهم من شروط الإيمان.

# الفصل الثاني

فلسفة المحبة المسيحية

وتطبيقاتها العملية في الدينين

المبحث الأول: فلسفة المحبة المسيحية وتطبيقاتها العملية

المبحث الثاني: تطبيقات المحبة الإسلامية

## المبحث الأول. فلسفة المحبة المسيحية وتطبيقاتها العملية:

### المطلب الأول. سر المحبة في الإيمان المسيحي:

إذا كان العهد القديم يوصف بشرية الخوف، والعهد الجديد بشرية الحب، وهذا وصف تقريبي يضع جانبا العديد من الفروق الدقيقة، فإن كان للخوف في العهد القديم شأن مهم، إلا أن شريعة الحب لها جذور فيه، وفي العهدين الخوف والمحبة يلتقيان، ولو في صور مختلفة.

ومن ناحية أخرى فإن الخوف لم ينسخ في الشريعة الجديدة من حيث اعتباره أساسا لكل موقف ديني أصلي<sup>1</sup> فمن الأهمية بمكان أن نميز بين المخافة الدينية، والخوف الذي يشعر به كل إنسان إزاء كوارث الطبيعة، أو هجمات العدو<sup>2</sup>، والمعنى الأول هو الذي يتكلم عنه الوحي الكتابي<sup>3</sup> على أن المخافة في حياة الإيمان الصحيحة تجد من جهة أخرى توازنا بفضل شعور مضاد هو: الثقة بالله، فالله لا يريد إرهاب البشر، حتى عندما يظهر لهم، بل بالعكس، يطمئنهم "لا تخف"<sup>4</sup>، وتلك العبارة يرددها المسيح، وهو يمشي على المياه<sup>5</sup>، كما أنه لا يكتفي بتقديم حبه، ولا بالمطالبة بحبنا بل يختن به قلب أتباع هذه الملة ليضمن لها البقاء "إن الرب إلهك سيختن قلبك وقلبك نسلك، لتحب الرب إلهك بكل قلبك، وبكل نفسك لكي نحيا"<sup>6</sup>، وينطلق المسيحيون في بناء إيمانهم من هذا المنطلق - المحبة - التي هي عمود كل أس من أسس إيمانهم.

### مفهوم الإيمان المسيحي:

يبني المسيحيون إيمانهم على أسس، تسمى بأسس الإيمان المسيحي، وهي: الله، التجسد، يسوع، ألقاب يسوع، الثالث (الوحدانية المسيحية)، مريم، الفداء، الكنيسة والأسرار، ولا يخلو أس من - المحبة -، فهي القاسم المشترك الذي يوصل حلقات هذه الأعمدة، وقبل محاولة الكشف

<sup>1</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 717.

<sup>2</sup> إرميا 6: 25، 20: 10.

<sup>3</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 718.

<sup>4</sup> قضاة 6: 23، دانيال 10: 12، لوقا 1: 13، 30.

<sup>5</sup> مرقس 6: 50.

<sup>6</sup> تثنية 30: 6.

عن كنه هذا الحب - المحبة - التي تبنى عليها المسيحية، يتحتم علينا الوقوف عند مفهوم الإيمان المسيحي استناداً إلى ما ورد في مصادرهم ومراجعهم، وقد ورد بعدة مفاهيم منها:

1- الإيمان المسيحي هو: روح ما يرجى من الأشياء وعربون ما لا يشاهد منها<sup>1</sup>.

2- الإيمان أمر فائق للطبيعة، مبني على المحبة ولا يكتمل إلا بها، فيها يحيى وينجي، ولا ريب أن الإيمان قد يأتي خالياً من المحبة، فالكبيرة تفقده المحبة، والكفر وحده يفقد الإيمان، لكنه بدون المحبة، يصبح إيماناً مشوهاً<sup>2</sup>.

3- الإيمان هو: لطف تفضل الله به على الإنسان، وعليه أن يتهيأ له، وألا يقيم في وجهه حائل<sup>3</sup>.

فإذا كان المفهوم الأول جعل من الإيمان روحاً أي: حياة ووجود كل الموجودات، وعربون الغيبات، فالثاني جعله أمراً فائقاً للطبيعة يعجز العقل الإنساني عن إدراكه، ومع أنه خارج عن الإدراك الإنساني إلا أنه يقول أنه يبني على المحبة، ولا يكتمل إلا بها، وهي حياته وفعالته، ونجاته من السقوط، واقتراف الكبائر (بالمفهوم المسيحي)، تفقده المحبة، فيصبح إيماناً مشوهاً، والإيمان لا يفقد إلا بالكفر، وبالتالي الإيمان هو لطف، وتفضل من الله، وعلى الإنسان أن يتقبل هذه المنة بكل جوارحه، لكن التساؤل الذي يطرح نفسه، أي إله من تفضل بهذا اللطف؟ الأب؟ أو الابن؟ أو الروح القدس؟.

وللأهمية القصوى التي يحظى بها - الإيمان - جعل كشرط مهم يجب توفره لدى العالم اللاهوتي لأنه لن يتلق مبادئ هذا العلم إلا بواسطة الإيمان<sup>4</sup>، لأن الإيمان الذي يقوم على المحبة يمد العالم اللاهوتي حتى في بحثه الفكري، بسبب التأييد الذي يأتيه من ذلك التآلف مع الأمور الإلهية والتي تكفله باللطاف الحكمة، وحياة النعمة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الرسالة إلى العبرانيين 11: 1.

<sup>2</sup> لويس غرديه. ج قنواي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، نقله إلى العربية صبحي صالح وفريد جبر، ج3، ص 66.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 67.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 66.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 67.

لكن ما هي مرجعية المسيحيين الإيمانية المشروطة بالمحبة، هل هو إيمان المسيح عيسى - عليه السلام - أم إيمان أتباعه؟

فمن بين الإجابات التي وردت في كتبهم، أن الديانة المسيحية مؤسسة على إيمان الرسل، وهم مجموعة الاثني عشر التي رافقت، وعاشت - عيسى عليه السلام - في سرائه وضرائه وتعلمت على يديه ومن أهم خصائصها:

"أثما جعلت جماعة -أغدق عليها روح الله (روح التنبؤ)-، أرسلت لتبشر بإتباع يسوع الذي أقامه الله من بين الأموات وجعله سيذا ومسيحا"<sup>1</sup>.

وبناء عليه، فإن إيمان الرسل هو النواة الأولى والثابتة وغير القابلة للتبدل، وذلك الإيمان سبق حتى الكتب المقدسة في الزمن، لا بل هو الذي أنتج الكتب المسيحية المقدسة وحددها، وعليه، يظل الكتاب المقدس في نظرة المسيحيين المرجع الأساسي في كل نقاش يدور حول شؤون إيمانهم<sup>2</sup>. وقد حدد هذا الكتاب أسس هذا الإيمان في العناصر السالفة الذكر. وإن كان الله يمثل الأسس الأولى لهذا الإيمان، ومنطلقه، فمن هو الله عند المسيحيين، وما هي طبيعة العلاقة التي تربطه بالأسس الأخرى؟ للإجابة عن مثل هذا السؤال يتوجب إفراد كل أس بدراسة مستقلة.

### 1- الله:

الإيمان بالله، عقيدة أساسية عند المسيحيين، ويدعى كذلك "الأب"، وهي صفة أساسية لله، كما هي عبارة ورثوها عن اليهود، وإله المسيحيين ليس بإله مبين الحقائق الهندسية، لكن لا يتعلق الأمر بإله يمارس عنايته الإلهية للحياة ومصالح العباد، ليعطي استمرارية طويلة للذين يعبدونه، إله المسيحيين، إنه إله الحب والتعزية (المأساة)، إنه الإله الذي يملأ نفس، وقلب الذين يمتلكونها - المحبة-، إنه الإله الذي جعلهم يحسون في داخلهم بحاجتهم (فقرهم) ومعاناتهم، ورحمته اللامتناهية، التي تجتمع في داخل نفسه وتملؤها تواضعا، وفرحة، وثقة، والحب يجعلهم غير قادرين (عاجزين) لنهاية أخرى غير نهايته<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، محاضرات ألقى في كلية الشريعة الإسلامية بأنقرة (تركيا)، نقلها عن الإنجليزية الأب كميل حشيمة اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ص 53.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 54. معجم اللاهوت الكتابي، ص 01.

<sup>3</sup> J. Vallentin : *La foi des chrétiens*, Editions Alsatia, Paris, P 30.

وكل هذه الأوصاف أجملت في هذا التعريف الذي استأثرت به المسيحية "الله محبة"<sup>1</sup>، وهذا التعريف من أبرز وأهم التعاريف للذات الإلهية في الكتابات المسيحية. ولكن مثل هذا التعريف يبقى مبهما، إن لم يفسر، وتفكك رموزه لأنه يدفع القارئ إلى طرح جملة من التساؤلات منها:

- هل المحبة هي الله، أو العكس؟ أم الابن؟ أم الروح القدس؟
- هل المحبة صفة لأحد الأقانيم الثلاثة، أم لأحدهم...؟
- هل الله ينفرد بهذه الصفة دون مخلوقاته؟
- هل الله لا يتصف إلا بهذه الصفة؟
- هل محبته جامعة لكل أنواع - المحبة - التي تجمع بين البشر؟
- هل الله يحب مخلوقاته دون استثناء، أم هناك من المخلوقات من استأثرت بمحبة الله دون سواها؟
- هل المخلوقات هي التي تحبه، أم هي محبة متبادلة؟

إن مثل هذه التساؤلات وغيرها تطرح نفسها بجدّة عند قراءة مثل هذا التعريف، ولن تجد لها إجابة إلا عند المسيحيين أنفسهم.

ومن بين التفسيرات التي حاولت أن تجلي هذا التعريف، هذا التفسير الذي جعل الله هو المنبع، والمصدر لكل الموجودات بما فيها الحب "الله منبع الحب، لأن الله مصدر كل شيء، وعليه لا يكون - الحب - إلا في الدرجة الأولى يتصدر طليعة كل الفضائل"<sup>2</sup>.

كما تنفي بعض التفاسير أن تكون المحبة صفة إلهية، بل هي أكثر من ذلك "المحبة الإلهية ليست صفة يتحلى بها الله ضمن صفات أخرى، بل هي جوهره وماهيته وكيانه فالله في حد ذاته محبة بصفة مطلقة لا نهائية..."<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> يوحنا 1: 4-8.

<sup>2</sup> A- D. Sertillanges : *L'amour chrétien*, P 4.

<sup>3</sup> الأب فاضل سيد اروس: بين وحي الله وإيمان الإنسان، محاضرات ألقيت في المعهد الإكليريكي للأقباط الكاثوليك بالمعادي، وفي معهد الدراسات اللاهوتية بالسكاكيني، القاهرة، ط2، دار المشرق، بيروت، ص 51.

ونفس التفسير في موضع آخر "قولنا أن "الله محبة" يعني: أن كينونته محبة، فليست صفة من صفاته الكثيرة، بل هي كيانه وجوهه"<sup>1</sup>.

لكن مثل هذا التفسير بحاجة إلى تفسير أعمق، فهل يجب الله ذاته؟ هل من طرف آخر، ينعم معه، أو يشاركه هذا الجوهر؟ أو هو يحتكره لنفسه؟

لكن الرد المسيحي يرفض مثل هذا الاحتمال الذي يتنافى والمحبة، لأن مثل هذه المحبة هي منتهى الأنانية، التي تتناقض كلياً والمحبة الإلهية<sup>2</sup>.

وإذا كان الاحتمال الأول مرفوضاً؟ فهل يعني أنه يجب إلهاً آخر مثله في الذات والصفات؟

فمثل هذا الاحتمال أيضاً مردود، لأن محبته لإله مثله مناف لوحدانيته "وتتضمن المحبة لهذا المفهوم أن في داخل الله ازدواجا وتبادلا بين طرفين، أو أكثر، نقول "في داخل" الله، على خلاف احتمال محبة الله لإله آخر خارج عنه ومستقل عنه، واحتمال محبة الله للإنسان الخارج عنه، ففكرة الازدواج أو التبادل تحترم وحدانية الله المطلقة من جهة (فلا إله إلا هو)؟، وتتضمن علاقة المحبة (تبادل في داخل الله) من جهة أخرى، فالله إذاً أحد، لا وحيد، بل في علاقة"<sup>3</sup>.

إن مثل هذا الكلام يتعب العقل الذي فطر على التوحيد إن أراد تفكيكه وتحليله حتى يفقهه، فكيف أن في داخل الله ازدواجا وتبادلا بين طرفين، أو أكثر، وفي نفس الوقت، هذه الازدواجية تحترم وحدانية الله المطلقة من جهة أخرى، وأن علاقة المحبة هي تبادل في داخل الله، يفهم من هذا الكلام أن الله يجب ذاته، وبالتالي يكون الكاتب قد أكد ما نفاه من قبل، وهو احتمال محبة الله لذاته، وذلك منتهى الأنانية.

وهناك من ذهب إلى تفسير هذا اللغز بقوله: "الله هو منبع الحب، لأن الله هو مصدر كل شيء، لكن على اعتبار أنه ينشأ من الله، الحب لا يكون في الدرجة الثانية، إنه يتصدر طليعة الفضائل"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الأب فاضل سيد اروس: سر الله، الثالث. الأحد، دار المشرق، بيروت، د.ط، ص 28.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 28.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 28-29.

<sup>4</sup> A- D. Sertillanges : L'amour chrétien.

الله محبة: لأنه يحب البشر، وهو المبادر بذلك، ويريد منهم أن يحبوا ابنه، ومن يبحث عن الله سيكتشف أنه محبة "وإذا أردنا أن نبحث عن الله نعني أخيراً، أن نكتشف أن الله وقد أحبنا أولاً<sup>1</sup> وهو الذي أخذ يبحث عنا، وهو الذي يجذبنا ليقودنا إلى ابنه"<sup>2</sup>.

"وهذه مبادرة إلهية، لم تكن بتدبير تمليه الغيرة لفرض احترام حق الله وسيادته، إذ الكتاب كله يبين أن الأولوية في ذلك إنما تكون للمحبة، وأن البحث عن الإنسان يقوم على حركة عميقة من قلب الله"<sup>3</sup>.

على الرغم من الحب الإلهي الكبير للإنسان، فهذا الأخير يمكن أن يرفض هذه المحبة بكفره لكن -الله محبة-، لن يملّ من أن يكون محبة<sup>4</sup>.

لكن هناك من لا يقبل هذا التفسير ويبقى غير كاف -الله محبة-، لأن المحبة ستصبح صفة ككل الصفات الأخرى، كالرحمة والعدل...، فالقصد هو "أن الله محبة في ذاته، في داخله في كيانه بغض النظر عن الإنسان الذي خلقه"<sup>5</sup>.

والمحبة هي نفسها حياة الله، الوحيد وليس المتوحد، وقد دعا الإنسان إلى أن يجيا معه هذه الحياة -حياة المحبة- والصدقة، "ومن ثبت في المحبة إلى النفس الأخيرة في حياته ثبت الله فيه إلى الأبد، وحصل على سعادة النعيم الخالدة، فتمتع بمحبة الله مدى الأبدية، وهكذا تستمر دورة المحبة، إنها تصدر عن الله وتعود في نهاية الأمر إلى الله"<sup>6</sup>.

ويبدو أن "الله محبة" سرّ في العقيدة المسيحية، وكلما تعمقنا في كشفه زاد الغموض لكثرة التفاسير، وتضاربها في بعض الأحيان، مثل هذه السرية يؤكد هذا الكلام، الله سر: إن الله "سر"

<sup>1</sup> يوحنا 1: 4-19.

<sup>2</sup> يوحنا 6: 44.

<sup>3</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 718.

<sup>4</sup> الأب الأغسطين دويره: دراسة في الإسكانولوجيا: الموت والقيامة السماء والمطهر وجهنم، نقله إلى العربية الأب صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ص 114.

<sup>5</sup> الأب فاضل سيد اروس: بين وحي الله وإيمان الإنسان، ص 51.

<sup>6</sup> الطرق الخاصة في التربية المسيحية، وضع بتكليف من وزارة التربية، الجمهورية العربية السورية، وزارة التربية، مديرية المطبوعات والكتب المدرسية، 1982-1983، ص 39.



ليس السر مما لا يستطيع الإنسان فهمه كما يظنه عامة المؤمنين، بل هو بحسب تعبير بعض القديسين، ما لا ينتهي الإنسان من فهمه كلما تعمق<sup>1</sup>.

ورغم هذا الغموض، الذي لم تنحل حقيقته بعد، نحاول على ضوء ما تقدم، من تفسيرات "الله محبة" أن نجمل الإجابة على التساؤلات المطروحة في الآتي:

- هذه المحبة هي جوهر، وحقيقة الله، وليست صفة من صفاته.

- الله لا يجب ذاته لأن ذلك منتهى الأنانية.

- الله لا يجب إلهاً آخر لأن مثل هاته المحبة تناقض الوجدانية.

- الله هو منبع كل أنواع المحبة التي تشهدا على مستوى الأفراد والجماعات.

- الله محبة، لأنه يجب كل البشر.

لكن المفارقة الكبيرة هي أن الله أحد، لكن ليس بوحيد، وهو يتبادل هذه المحبة بين طرفين أو أكثر، فمن هذا الطرف، أو من هذه الأطراف التي يبادلها الله -عز وجل- محبته؟

## 2- الابن:

الله محبة، والطرف الأول الذي يتبادل معه محبته هو ابنه -يسوع-، وهذه العلاقة الحميمة جعلت منهما عنصرين متماثلين، ولا تكتمل هذه الحميمة إلا بطرف ثالث ألا وهو الروح القدس "الطرف الثاني الذي يتبادل الله معه محبته هو ابنه -يسوع-، ومن شدة تلاحمهما ينشأ الروح، هو قبْلتهما وابتسامتهما..."<sup>2</sup>، ويقول آخر نحن نعرف أن كلا من الرب الأب والابن يتبادلان الحب بتواصل ليس فقط متبادلاً وإنما متماثلاً أيضاً، نحن نعرف أيضاً أن كلا من هاتين الشخصيتين اللامتناهيتين يرتبطان فيما بينهما بشخصية ثالثة مقدمة هي روح القدس<sup>3</sup>.

والمحبة الإلهية سر، والمسيح -عليه السلام- هو من كشف عن هذا السر -الله محبة-<sup>4</sup> وأوصل المسيحي إلى إدراكه لأنه عرف محبة الله في شخصه، ورغم العهد القديم كان سباقاً لهذا

<sup>1</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي، بين الوحي الله وإيمان الإنسان، ص 53.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 52.

<sup>3</sup> Felix Anizan Omi : Rayons du cœur tout aimant, P 117.

<sup>4</sup> يوحنا 1: 4-8 و16.

الكشف، فقد استطاع أن يستشعر أن المحبة هي الوصية الكبرى<sup>1</sup> والقيمة القصوى<sup>2</sup>، وهي التي يمكنها أن تعطي الله التصور الأفضل<sup>3</sup>.

وقبل الخوض في الكلام عن هذا السر الذي كشف ستره المسيح -عليه السلام-، وعلاقته به (السر)، يتحتم علينا أن نتعرف على حقيقة كاشفه -عند المسيحيين-.

إن المسيح -عليه السلام- لا يعرف عند المسيحيين بهذا الاسم فقط، بل يعرف بأسماء أو ألقاب عدة منها: "إسرائيل الجديد، ابن الإنسان، الرب أو (السيّد)، كلمة الله، عبد الله، المخلص، النبي، كاهن العهد الجديد، الراعي الصالح، الطريق، الحق والحياة، صورة الله غير المنظور، حمل الله، ابن داود، ابن الإنسان، الوسيط، رئيس الحياة، آدم الجديد، يسوع هذا<sup>4</sup>، رسول الخبر السار، المسيا، الملك، وابن الله<sup>5</sup>."

وفي محاولة للمسيحيين لتنزيه المولى -عز وجل- عن البنوة الجسدية، ذهبوا إلى فلسفته ليضيفوا عليه فعلا إلهيا، لتكون هذه الولادة (الإلادة) إلهية لا إنسانية، وهذه الولادة جعلت من يسوع (الابن الوحيد والحبيب)<sup>6</sup>.

فولادة هذا الابن الوحيد والحبيب، ليست ككل الولادات للاعتبارات التالية:

الإلادة روحية لا جسدية ولا مكانية: فالأب يتعالى على الزمان، فإنه أيضا يتسامى على المكان، وعليه فالإلادة ابنه، هي إلادة لا تخضع لا للزمان، ولا للمكان، وليست جسدية، بل هي روحية صرف، وسند هذا التفسير: "مولود الجسد يكون جسدا، ومولود الروح يكون روحا"<sup>7</sup>،

<sup>1</sup> تثنية 60: 5، متى 22: 37.

<sup>2</sup> نشيد 8: 6-7.

<sup>3</sup> خروج 34: 6.

<sup>4</sup> معناها الأول: أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه ربا ومسيحا. ومعناها الثاني: هذا الذي رفع عنكم سيعود كما رأيتموه، سهيل زكار: المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي، ج1، تعريب وتصنيف وتقديم: سهيل زكار، دار الكتاب العربي، ص 867.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 26، 38، 58، 59، 61، 100، 112.

<sup>6</sup> يوحنا 1: 14 و 18: 3 (16 و 18) 1: 4-9.

<sup>7</sup> يوحنا 3: 6.

وروحية لأنها أيضا إرادة من الروح القدس بماء المعمودية<sup>1</sup>، وهذه الإرادة لا تشتت توفّر علاقة بين عنصر ذكري، وعنصر أنثوي في إرادة الأب لابنه...، لأنه يجمع في كيانه العنصرين، فإن دعوة المسيح -عليه السلام- له أبا، لأنه أب وأم معا، لذا خلق الأبوة والأمومة، وما صفة الرحمة المتصف بها إلا اقتباسا من -رحم- الأم<sup>2</sup>.

وفي قوله: "أنت ابني الحبيب"، "فكل كيانه حاضر في هذا الفعل، وهذا القول، يعبران من جهتهما تعبيرا مطابقا لكيانه الأبوي"<sup>3</sup>، ولقد تكلم أوغسطين في المعنى نفسه فقال: "لا يسمى الأب أبا بالنسبة إلى ذاته، وإنما بالنسبة إلى الابن، وأما بالنسبة إلى ذاته فهو الله فقط"<sup>4</sup>.

ونتساءل، ما هو الدافع لهذه الولادة؟ هل الله بحاجة إلى ابن؟ أم يفتقر إلى عاطفة الأبوة؟.

الرد يقول: ليس دافع الإرادة الأب ابنه الوحيد إلا المحبة لأن (الله محبة)، ويذهب صاحب هذا الرد إلى القول: "فكما أن الولادة أزلية فالحبة أزلية...، والإرادة والمحبة حقيقة واحدة"<sup>5</sup>.

وهذه المحبة ليست امتلاكاً، أو استحواذاً، بل هي هبة مطلقة وبذل كامل، فالأب يهب ذاته ومحبه لابنه، ويجب أولاده في هذا الابن، لأنه خلقهم له، ووهبهم إياه... فيدخل أولاد الأب في صميم علاقة هبة ذاته لابنه الوحيد الحبيب<sup>6</sup>.

"ولذا، فإن كل جوهر المسيحية يكمن في تكريس الحياة المسيحية "لاسم ربنا يسوع"<sup>7</sup> وأعظم فرح يشعر به المسيحي هو أن يعدّ "أهلاً لأن يلقى الهوان"<sup>8</sup> وأن "يموت لاسم الرب يسوع"<sup>9</sup>.

ولهذه المحبة -محبة الأب لابن- أسباب منها:

<sup>1</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي، سر الله الثالث، ص 36.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 36.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 36.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 36.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 37.

<sup>6</sup> نفس المرجع السابق، ص 40.

<sup>7</sup> أعمال 15: 26

<sup>8</sup> أعمال 15: 41

<sup>9</sup> معجم اللاهوت الكناي، ص 866.

- الابن الذي خرج من الأب يبذل روحه إلى الأب، ثم إلى البشر "إن الأب يحبني لأني أبذل نفسي لأنها ثانية"<sup>1</sup>.

- ويبادل هذه المحبة بدون أن يحتفظ لنفسه بشيء فما تلقاه من الأب، كما يحب البشر بقدر المحبة التي أحبه بها الأب "فكما أحبني الأب فكذلك أحببتكم أنا أيضا"<sup>2</sup>.

- يجب لأنه المختار من الله، رغم أن العهد الجديد يطلق عليه هذه التسمية (المختار)، إلا ناذراً<sup>3</sup>.

وهذه المحبة استثنت هذا الابن الوحيد بصلاحيات يتساوى بها مع الأب نذكر بعضها:

- يمنح كل ما هو له لابنه<sup>4</sup>.

- يعزو إلى ابنه الحبيب، عمل الخلق ذاته<sup>5</sup>.

- يعطيه سلطة إحياء الموتى<sup>6</sup>.

- سلطة القضاء<sup>7</sup>.

وبناء على ذلك فالله يجب إلها آخر مثله في الذات والصفات، رغم أن الرد ينفي ذلك، لأن هذا القول يتنافى ووحدانيته؟!، "لأن الله واحد على الإطلاق، ولكنه ليس وحيدا منعزلا على الإطلاق"<sup>8</sup>.

ونرجع للقول، مجارة الاعتقاد السائد عند المسيحيين كيف لا يكون له ذلك، وهو من كشف عن الوحي بأن الإله القدوس، هو إله المحبة، يضيف على مطلب الكمال الناشئ عن العلاقة بالله، توجيهها جديدا، فحب الله هبة، ينبغي قبولها ثم نشرها، وبالتالي يصل المسيحي إلى إدراك سر

<sup>1</sup> يوحنا 10: 17.

<sup>2</sup> يوحنا 15: 9.

<sup>3</sup> لوقا 9: 23، 35. يوحنا 1: 43.

<sup>4</sup> يوحنا 3: 35، 5: 20.

<sup>5</sup> كولسي 1: 13 و 15-17.

<sup>6</sup> يوحنا 5: 21 و 25-26.

<sup>7</sup> يوحنا 5: 22 و 27.

<sup>8</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: سر الله الثالوث-الأحد، ص 28.

-الله محبة-، عندما يعرف في شخصه محبة الله له<sup>1</sup>، رغم أن هذه الفكرة لا يخلو منها العهد القديم الذي جعل من المحبة الوصية الكبرى<sup>2</sup> والقيمة القصوى<sup>3</sup>، وهي التي يمكنها أن تعطي عن الله التصور الأفضل<sup>4</sup>.

فإذا كان المسيح -عليه السلام- هو كاشف السر الإلهي الأعظم -المحبة- وبنيت علاقته بالله على هذا الأساس، فما هو دور روح القدس في مثل هذه العلاقة؟ وهذا الكشف؟

وقبل معرفة دوره في هذه العملية الحميمة المقدسة، نسأل: من هو الروح القدس؟

### 3- الروح القدس:

أقرت المجامع الكنسية الأولى التي انعقدت في نيقيا وأفسس، وخلقيدونية، والقسطنطينية أن الله واحد في ثلاثة أقانيم<sup>5</sup>، وإذا كانت هذه المجامع قد أقرت وحدانية الله في ثلاثة، فقد بقي تحديد علاقة هذا الأقنوم -الروح القدس\*، بالأقانيم الأخرى محل خلاف وجدال بين اللاهوتيين المسيحيين، ونتج عن ذلك نعت عدة للروح القدس، كما أسندت إليه مهام مختلفة نستشفها من هذه التعاريف.

1- الروح القدس: هو الله نفسه، وهو يجيا في قلوب البشر، والعالم المخلوق، ويعمل فيها، أي أنه وجود الله القادر الفعّال في العالم<sup>6</sup>.

2- يمثل الوجود الإلهي "... ويدعو المسيحيون "الأب" أو "أبانا" وهو الذي أوحى إلينا برسالته -أو بكلمته- الأزلية في الإنسان يسوع، كما أنه الوجود الفعّال المحيي في الخليقة وهذا الوجود هو في اعتقاد المسيحيين "الروح القدس"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 670.

<sup>2</sup> التثنية 60: 50. متى 22: 37.

<sup>3</sup> النشيد 8: 6-7.

<sup>4</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 95.

<sup>5</sup> ج. أقتوم: وهي يونانية الأصل، ويمكن تعريبها بعبارة "طريقة الوجود"، وعليه فالأقانيم الثلاثة في الله هي: ثلاثة طرق، أو ثلاثة حالات لوجود الله وعمله. الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 65.

\* ويدعى في أسفار العهد الجديد: المعزّي، روح الحكمة والإيمان، روح الشجاعة والمحبة والفرح. الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: سر الله الثالث-الأحد، ص 64.

<sup>6</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 66.

<sup>7</sup> نفس المرجع السابق، ص 66.

3- هو المحبة المتبادلة بين الأب والابن "يسمى يسوع الطرف الأول الأب، والثاني الابن، فالأب يحب الابن، والابن يبادل الأب محبته، وهذه المحبة المتبادلة هي الروح القدس عينه"<sup>1</sup>. وإن كانت الأناجيل تظهر -الروح- حالاً على يسوع في صورة حمامة ساعة اعتمد في نهر الأردن، والروح يرشد الجماعة المسيحية ويعلمها<sup>2</sup>، فكان أيضاً للفنانين المسيحيين تصورهم الخاص لعلاقة الأقانيم الثلاثة، "كتعبير أحد الفنانين الروسيين هو روبليف Roblev (ت 1430) عن هذه الدائرة ثفي أيقونته الشهيرة عن "الثالوث" إذ صور كل أقنوم ينظر إلى الآخر في دائرة المحبة والشركة والتشابه"<sup>3</sup>.

ولهذا الأقنوم الفضل الكبير في تمكين الأقنومين (الأب، الابن)، من تبادل المحبة بينهما، والابن في نظر أحدهما إلى الآخر "هو الذي يجعل الأب، والابن ينظران إلى بعضهما البعض ويتحرك الواحد حول الآخر ونحوه، وقد عبّر الآباء عن ذلك بالتعبير اليوناني Penichoresis\* وباللاتيني Crieumincessio\*<sup>4</sup>.

وإن كانت هذه العلاقة بين الأب، والابن سر، فهذا السر هو روح القدس "سر الابن هو سر اقتبال وتبادل في آن واحد إن الابن كله اقتبال غير أنه لا يحتفظ بشيء له، بل يبادل الأب كل ما يقبله منه: الأب، الذات، البذل، الروح، البشر. وإن هذا السر هو بالفعل سر روح القدس"<sup>5</sup>. وهو الذي يكشف عن أسرار الله، ويلهم محرري الكتب المقدسة ويسوع جليل به بقوة الروح القدس، وقاده إلى البرية قبيل انطلاقه للتبشير<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: سر الله الثالوث-الأحد، ص 107.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 64.

<sup>3</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: بين الوحي الله وإيمان الإنسان، ص 53.

\* Penichoresis: الرقصة الدائرية.

\* Circumincessio: السير الدائري.

Circuminsessio: الحضور بتداخل متبادل "بمعنى كل أقنوم يتحرك بالرقص أو بالسير". الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: سر الله الثالوث-الأحد، ص 107.

<sup>4</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: بين الوحي الله وإيمان الإنسان، ص 52.

<sup>5</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: سر الله الثالوث-الأحد، ص 51.

<sup>6</sup> نفس المرجع السابق، ص 64.

وهو منشئ الإيمان الذي يبعث في الإنسان حياة جديدة<sup>1</sup>.

وإذا كان الأب يشرك ابنه معه في بثق الروح، فهو يشرك أيضا الروح معه في إرادة الابن، فلا يحتفظ الأب بشيء لنفسه، بل يشرك الأقنومين الآخرين في جميع ما لديه، وهو يشركهما في ذاته الإلهية بصفته أصلهما<sup>2</sup>، ولكن من الأسبق في الوجود، هل الابن الذي أشركه في بثق الروح أم الروح الذي أشركه في إرادة الابن؟!.

وكيف بالروح الذي بثقه الابن يدفع الابن إلى الاقتبال والتبادل والهبة مع الأب؟!.

وللروح القدس أيضا دور فعال، في كونه عنصر توحيد الأب والابن، وفي الوقت ذاته فهو عنصر التمييز بينهما فليست الشركة وحدائية، بل هي وحدة تميز لأنها مبنية أساسا على المحبة<sup>3</sup>. ويضيف آخر أن هذه المحبة ليست بعاطفة، بل هي شخص حي، وهو الروح القدس الذي يجسد، في الثالوث الأقدس، الوحدة بين الأب والابن، وهو رباط المحبة بينهما<sup>4</sup>.

وهذا الثالوث، يحقق أمنية الحب على وجه كامل<sup>5</sup>، أمنية من؟ هل أمنية الأب، أو الابن، أو الروح القدس، أم لأقنوم آخر؟.

"وفي هذا الثالوث الأقدس، حيث التبادل هو تام، المحبة نفسها هي أقنوم، الروح القدس محبة الأب للابن، ومحبة الابن للأب، أو قبلة مشتركة، إن أردتم، أو تبادل المحبة المتحولة إلى أقنوم... في الثالوث، تعاش المحبة على وجه كامل: فهناك الحب والمحوب والمحبة، فالحب محبوب، والمحبوب محب والمحبة هي ديناميكية ذلك الاندفاع الذي به يصبح الاثنان واحدا أو يبقيان متميزين<sup>6</sup>".

<sup>1</sup> رومانو كوارديني: قيامة المسيح، نقله إلى العربية الأب جرجس المارديني، ط3، دار المشرق، ش.م.م، بيروت، ص 62.

<sup>2</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: سر الله الثالوث-الأحد، ص 104-105.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 106.

<sup>4</sup> الأب فرانسوا قاريون اليسوعي: فرح الإيمان بمحنة الحياة، محاضرات في أهم قضايا الإيمان المسيحي، جمعها الأب برنار هوسيه، نقلها إلى العربية الأب صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ط5، ص 123.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 141.

<sup>6</sup> نفس المرجع السابق، ص 143.



"... لو لم يكن الأقتوم الثالث، لوجد الأب في الابن، والابن في الأب، تملكا للنفس، ولكان الآخر لكل منهما إسقاطا للنفس وامتدادا للنفس، ولكان مثلهما مثل أبي عائلة ضحى بنفسه في سبيل ابنه ووهب له كل شيء، فهو، إذا شاهد ابنه، وجد نفسه هو: أنا من وهب كل شيء لابنه، فلو كان الأمر على ذلك في الثالث، لوجد الأب نفسه في الابن ووجد الابن نفسه في الأب، أما إذا انفتحت محبة الأب والابن المتبادلة على ثالث، حصل نفي مطلق لكل أشكال التملك، ولكل نظر إلى النفس، هذا هو خلوص المحبة المطلق، هذا هو فقر الله"<sup>1</sup>.

إن مثل هذا التفسير للمحبة المتبادلة بين الأقانيم الثلاث، فيه نفي -لله محبة- التي مرت علينا، فلولا هذا الروح الذي هو بدوره محبة، لما كان الله محبة عند المسيحيين، ولما استطاع أن يغدق ابنه بمحبته، لا لشيء، إلا لأن الروح القدس هو -المحبة ذاتها-، وهو همزة وصل بين الأب والابن في موضوع -المحبة-، ولولا -الروح القدس-، لعجز الأب أن يتواصل مع ابنه الذي خلقه في المحبة؟!، والذي هو نفسه محبة؟!، فما أقره العقل اللاهوتي في الجامع عجز على تفسيره العقل نفسه لأنه خاض في مجال لا عقلائي، واختلق ما لم يخلق، وأوجد ما لم يوجد، يقول الله تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>2</sup>.

ويقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ، لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا حَتَّى يَقُولُوا لِيَمْسَسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ مَذَابِحَ آلِهِمْ﴾<sup>3</sup>.

#### 4- مريم عليها السلام:

ومن المهام التي أسندت للروح القدس مهمة الحبل بالمسيح -عليه السلام- من مريم -عليها السلام-، والتي تدعى أيضا "أم الله"<sup>4</sup>، وهذا بند جوهرى من بنود الإيمان المسيحي، وقد أوردت

<sup>1</sup> الأب فرانسوا قاريون اليسوعي: فرح الإيمان بمحبة الحياة، محاضرات في أهم قضايا الإيمان المسيحي، ص 143-144.

<sup>2</sup> سورة آل عمران: الآية 64.

<sup>3</sup> سورة المائدة: الآية 72-73.

<sup>4</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 70.



الأنجيل رواية ولادة المسيح، وكان التفصيل فيها خاصة في إنجيلي "لوقا ومتى"، وقد أوردت هذه الأنجيل ذكر إخوة وأخوات -يسوع-، بيد أن الكاثوليك والأرثوذكس يؤمنون بأن مريم ظلت بتولا طوال حياتها<sup>1</sup>، ويفهمون كلام الأنجيل على أنه يعني "الأنبياء" أي: أبناء العم والحال، أو أعضاء عائلي يوسف، ومريم بالمفهوم الواسع، أما البروتستانت فيميلون إلى تفسير العبارة تفسيراً حرفياً ويقولون لئن ولد يسوع من مريم البتول، فمن الممكن أنه، بعد ولادته، قد أنجب يوسف ومريم أولادا آخرين<sup>2</sup>، وهذا ما ينفيه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ مِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَنْفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْنَاهُ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتُمْ مِنَ الْفَائِزِينَ﴾<sup>3</sup>. ويقول: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا﴾<sup>4</sup>.

كما يعتقد المسيحيون أن المسيح -عليه السلام- وحده من يرفع من كرامة المرأة ويكرسها، لأن العهد القديم لم يضيف على المرأة كرامتها السامية، وهذا ما تظهره الصلاة اليومية التي يتلوها اليهودي -حتى اليوم- في قولهم: "مبارك أنت يا رب لأنك لم تجعلني وثنيا ولا امرأة ولا جاهلاً"، بينما المرأة تكتفي بقولها: "مبارك أنت يا رب الذي خلقتني بحسب مشيئتك"<sup>5</sup>، لكن المسيح -عليه السلام-، في الاعتقاد المسيحي، أعاد للمرأة مكانتها وكرامتها<sup>6</sup> في قبوله أن تتبعه بعض النساء القديسات<sup>7</sup>، ووجدن فيه القدوة التي تحتذى بها العذارى الحكيمات<sup>8</sup> كما استودع

<sup>1</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 56.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 57.

<sup>3</sup> سورة المائدة : رقم: 82-85

<sup>4</sup> سورة مريم : الآيتان 22-23.

<sup>5</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 100.

<sup>6</sup> دانيال روبس: يسوع في زمانه، نقله إلى العربية الأب حبيب باشا البولسي، المنشورات العربية جونيا، لبنان، 1969 ص 240.

<sup>7</sup> لوقا 2: 1-3.

<sup>8</sup> متى 25: 1-13.

بعض النسوة رسالة خطيرة<sup>1</sup> ولذا كان للنساء حظ وافر في الإنجيل في إبراز مكانتهن، وخاصة الدور الفعال الذي يقمن به للإسهام في عمل الكنيسة<sup>2</sup>.

ولكي تحقق المرأة دعوتها، لا إلزام عليها أن تصبح زوجة، وأمًا، بل يمكنها أن تبقى عذراء، قلبا وجسدا...، وهكذا لم تعد المرأة الصورة المقابلة لآدم فحسب (في الزواج)، بل أصبحت صورة مواجهة للمسيح لأنها "تمثل الكنيسة"<sup>3</sup> ولأن "النفس الأنثوية قريبة إلى الحب، إنه قوتها اليومي، به تغتذي وتعيش... ولذا الكثيرات وجدن في الحب السماوي اللاهب ضمن الأديرة، ذاك الفرح الإنساني الذي تصبو إليه كل امرأة، ولا تصيبه إلا في غمرة التضحية"<sup>4</sup>.

لكن يتجسد المثل الأعلى للمرأة في مريم عليها السلام، "لأنها ولدت رئيس الحياة"<sup>5</sup> "فأمومة مريم روحية، وهي الثمرة التي تنتجها البتولية في الإيمان"<sup>6</sup>.

"وما زال آباء الكنيسة يرون في مريم العذراء صورة الكنيسة، صورة الإنسان المؤمن الذي لا يستطيع أن يحقق نفسه تحقيقا تاما إلا بعطية المحبة، وهي ما يسميها علم اللاهوت النعمة، المسيح هو العطية الموهوبة، ومريم هي العطية المقبولة"<sup>7</sup>، ولقد اختارها -المسيح عليه السلام-، منذ الأزل لتكون أما له ولكل المسيحيين "منذ الأزل اخترتها لتكون أُمي وأمك، ولكي تكون فخورة بمهمتها، غمرتها بعطاياي فلنحبها معا واعلم أنك أبدا لن تحبها مثلما أفعل"<sup>8</sup>، وفي قول آخر يبقى حبه للمسيح ناقصا إذا لم يتحد مع حب كل مسيحي لمريم والمسيح هو من طلب ذلك "أحبوا أُمي لأني بالرغم من مقدرتي على حبها حبا لامتناهيا، ولكن هذا الحب يبقى غير كاف إذا لم يتحد مع

<sup>1</sup> يوحنا 20: 17.

<sup>2</sup> أعمال 1: 14، 9: 36 و41، 12: 12 و16، 14: 15-14.

<sup>3</sup> أفسس 9: 22-24.

<sup>4</sup> دانيال روبس: يسوع في زمانه، ص 240.

<sup>5</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 100.

<sup>6</sup> لوقا 11: 28-29.

<sup>7</sup> الأب فرانسوا قاريون اليسوعي: فرح الإيمان بمحبة الحياة، ص 114.

<sup>8</sup> Felix Anizan Omi : Rayons du cœur tout aimant, P 179.

حبك لها"<sup>1</sup>، وهذا الحب قد وحد القلبين -المسيح-مريم-، وحتى الحب المطلوب من المسيحي هو أيضا حبا متحدا "إن قلبي وقلب أمي متحدان في الحب لذلك أحبنا حبا متحدا"<sup>2</sup>.

وتقدم الصلوات عن طريقها "أحب أن تقدم صلواتك لي عن طريق أمي، إذا رفضت صلواتك لي فسأقبلها إذا جاءتني عن طريق أمي"<sup>3</sup>، كيف لا تغدق بكل هذا الحب وهي المرأة الوحيدة التي حبلت برب وأحبته حب الأمومة "إن أمي استقبلت في رحمها ربا فأحبته حب الأمومة"<sup>4</sup>.

وأنشدت فيه:<sup>5</sup>

46 فقالت مريم

تعظم الرب نفسي

47 وتبتهج روعي بالله مخلصي

48 لأنه نظر إلى أمته الوضيعة

سوف تهئني بعد اليوم جميع الأجيال

49 لأن القدير صنع إلي أمورا عظيمة

قدوس اسمه

50 ورحمته من جيل إلى جيل للذين يتقونه

51 كشف عن شدة ساعده

فشنت المتكبرين في قلوبهم

52 خلع الأقوياء عن العرش

ورفع الوضعاء

<sup>1</sup> Felix Anizan Omi : Rayons du cœur tout aimant, P 180.

<sup>2</sup> Ibid, P 182.

<sup>3</sup> Ibid, P 183.

<sup>4</sup> Ibid, P 184.

<sup>5</sup> نشيد مريم، لوقا 1: 46-55.

53 أشبع الجياع من الخيرات

والأغنياء صرفهم فارغين

54 نصر عبده إسرائيل

ذاكرا، كما قال لآبائنا

55 رحمته لإبراهيم وذريته للأبد.

وحتى يثبت المسيحي حبه للمسيح، ومريم العذراء، فهو مطالب بترويض ابنه منذ الصغر على وسيلة كسب رضى السيدة مريم -عليها السلام-، بأن يكثر من ترديد كلمة -الحب- عند ذهابه لأول مرة إلى الكنيسة لإثارة رضاها لأن كلمة الحب بمثابة كلمة سحرية، أو مفتاح في الديانة المسيحية<sup>1</sup>.

لكن كيف يتضرع المسيحي الصغير، وحتى الكبير إلى مريم -عليها السلام-، لاستجاشة عواطفها، ونيل رضاها، وإلهه قد رضى عنه بفداء ابنه (الإله)، على خشبة الصليب.

## 5- التجسد:

إن كانت الأبوة، والبنوة من أهم العقائد المسيحية، بل من أسسها، فثمة اعتقاد لا يقل أهمية عنه، بل لا يكتمل إلا به، وهو التجسد، فلا يكتمل التعريف بالمسيح -عليه السلام-، في الاعتقاد المسيحي، إلا بالقول أن المسيح يمثل صورة الله "نؤمن بأن رسالة الله الأزلية وغير المخلوقة تجسدت وسكنت بيننا في شخص الإنسان يسوع، أو بعبارة أخرى، أن رسالة الله أي كلمته، أوحيت في يسوع الإنسان، وعليه فإن يسوع لا ينقل كتابا موحى بل يجسد وحي الله، إنه وحي الله"<sup>2</sup>.

ويسود الاعتقاد أن العلاقة الرابطة بين الأب، والابن من أكبر العلاقات، لأن المسيح هو صورة الأب غير المرئي "إن العلاقة العظمى" التي تحت الإنسان على الإيمان بالله، هي يسوع

<sup>1</sup> Droguet- Ardant Fayard : *Théo nouvelle encyclopédie catholique (Réflexions chrétiennes sur les problèmes moraux)*, P 798.

<sup>2</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 55.

المسيح نفسه فهو "صورة الله غير المرئي"<sup>1</sup> علاقة مرئية للأب غير المرئي، بحيث أن من رآه فقد رأى الأب، ذلك لأنه واحد مع الأب، ومطابق له، بحيث أن من يؤمن به يؤمن بالأب، ومن يعرفه يعرف الأب، ومن يقبله يقبل الأب<sup>2</sup>، بهذا المعنى يمكن القول إن يسوع المسيح "آية للأب"<sup>3</sup>.

وهذه الآية هي التي أكسبته الكمال في قول القديس إيريناوس "قد تكون النفس والروح جزءا من الإنسان، ولكن الإنسان على الإطلاق: فإن الإنسان الكامل هو مزيج واتحاد من النفس التي نالت روح الأب والتي مزجت بالجسد المصنوع على صورة الله"<sup>4</sup>.

كما تضمنت بنوته وتجسده "بكر لإخوة كثيرين"<sup>5</sup> إلا أنه يبقى "الابن الوحيد"<sup>6</sup> و"الابن الحبيب"<sup>7</sup>، لكن هذا لم يمنع أن يشرك البشر في بنوته الإلهية، معتبرا إياهم "إخوته" "لا أدعوكم خدما بعد اليوم، لأن الخادم لا يعلم ما يعمل سيده، فقد دعوتكم أحبائي، لأني أطلعتكم على كل ما سمعته من أبي"<sup>8</sup>، والله لم يخلق الإنسان إلا ليكون شريكا في الطبيعة الإلهية "فإن كان الله خلق الإنسان على صورته كمثاله"<sup>9</sup> وقصد البشر "قديسين، بلا عيب في المحبة"<sup>10</sup> فملاء قصده من خلق الإنسان إنما هو أن يصبح - البشر شركاء في الطبيعة الإلهية"<sup>11</sup>.

<sup>1</sup> قول 1: 15

<sup>2</sup> يوحنا 14: 9، 10: 30، 14: 7، 13: 20.

<sup>3</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: بين وحي الله وإيمان الإنسان، ص 103-104.

ويقول نميز من جهتنا بين "العلامة" (signe)، و"الآية" (Sacrement) في الهامش ص 104.

فالعلامة تشير وترمز إلى شيء آخر فحسب، وأما الآية فتحقق ما تشير وترمز إليه.

<sup>4</sup> الأب أوغسطين دويره لاتور: دراسة في الإسكاتولوجيا الموت والقيامة السماء والمطهر وجهنم، 125، نقلا عن:

*Saint Irénée Adversus haereses, V 6-1, (Sources chrétiennes), 1984, PP 582-583.*

<sup>5</sup> روم 7: 29.

<sup>6</sup> يوحنا 3: 16.

<sup>7</sup> مرقس 1: 111.

<sup>8</sup> يوحنا 15: 15. يوحنا 17: 20-24.

<sup>9</sup> تكوين 1: 26-27.

<sup>10</sup> أفسس 1: 4

<sup>11</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: بين وحي الله وإيمان الإنسان، ص 56.

وإن كان للبشر حظ في هذه الشركة الإلهية، فهذا من فيض محبة الله، الذي أظهر محبته أولاً في ابنه، وفي مجيئه الذي هو مبادرة منه، وتذكير برحمته<sup>1</sup> وإخبار عن النفس<sup>2</sup> وإظهار للمحبة<sup>3</sup>، ولم يجسد الابن صورة الأب فحسب بل جسد محبة الله "الله محبة"... فوجوده تجسيد للحب... فيحمل في كيانه صفتان، فهو بصفته إنسان يحقق الحوار البنوي مع الله، ويشهد له أمام البشر، وبصفته إله يأتي ليعيش حبه، في بشرية كاملة، ليسمع نداءها الحار في شخصه -يسوع-، ويجب الإنسان الله، كما أنه موضوع محبته وعنوانها<sup>4</sup>.

### التجسد سر إلهي وعنوان محبة:

التجسد من الأسرار الإلهية التي أرهقت العقل البشري لإدراكه، لكن استطاع هذا العقل لأن يجعل من المحبة عنواناً لهذا السر "حسب التجسد لا يدرك وكفاه، مع ذلك، أنه عنوان محبة فائقة"<sup>5</sup> عنوان المحبة لأن المسيحي يعيش واقعيتها في المسيح الذي جسّد صورة الله -المحبة- "إن مأساة المسيحي هي غالباً عندما لا يتمكن من إدراك بأية واقعية يتحدث الدين عن المحبة، لا يتمكن من التحدث مباشرة عن الله (لأن الله لا يعرفه أحد)، ولكن يقرأ في وجه المسيح بأن الله هو المحبة، وكون الإيمان بأن الله هو من تصور في هيئة الإنسان لولادة المسيح، هو الإيمان بأن هذا الحب هادياً وليس خيالياً"<sup>6</sup>.

وبإمكان هذا الحب أن يحوّله قائماً من الموت فقد كتب القديس يوحنا: الله محبة، وهذه المحبة الإلهية التي تجسدت في المسيح، هي التي تحوّله قائماً من الموت، إنها تلك المحبة التي تشارك فيها بالروح القدس، والتي هي النعمة: محبة الله، ومحبة البشر التي تصبح مبدأ قيامتنا في المجد، فإن "المحبة

<sup>1</sup> لوقا 1: 54-55. عبرانيين 1: 1-2.

<sup>2</sup> يوحنا 1: 18.

<sup>3</sup> رومة 8: 39. يوحنا 3: 1، 4: 9.

<sup>4</sup> معجم اللاهوت الكتائي، ص 714.

<sup>5</sup> رومانو كوارديني: قيامة المسيح، نقله إلى العربية جرجس المارديني، دار المشرق ش.م.م، بيروت، لبنان، ط2، 1991، ص 21.

<sup>6</sup> Droguet- Ardant/ Fayard : *Théo nouvelle encyclopédie catholique (Réflexions chrétiennes sur les problèmes moraux)*, P 798.

لا تسقط أبدا"<sup>1</sup>، ولذلك فإن "كل ما عشناه في المحبة الموهوبة من قبلنا للآخرين، والمحبة الموهوبة لنا من قبل الآخرين، بمشقة أحيانا، وفي العذاب وبعيدا عن الأضواء، وأحيانا في الثقة والفرح أيضا، كل ذلك يمر من خلال حياتنا وجسدنا وتاريخنا وموتنا، كل ذلك موعود بالتحول مع المسيح، وكيف سيتم هذا؟ لا يمكننا أن نعرف، لأنه يتخطى عقلنا ومخيلتنا، ولكن كل ذلك سيستعيده يسوع الابن، حين يسلم كل شيء إلى أبيه"<sup>2</sup>.

لا ينفرد هذا الكاتب بهذه الحيرة في مدى واقعية هذا السر، ويقاسمه، أو يشاركه هذا الكاتب الذي بعد مناقشة كبيرة لمدى واقعية التجسد، لم يجد في آخر المطاف إلا أن يقول "... ولكن حقيقة حب الله الذي وهب نفسه فيه لنا، ودور يسوع في نقل هذه الرؤية للحياة في هذا العالم سيقتيان، وفي نظري يبدو أن الكثير من اللغة التقليدية، والصور في موضوع التجسد تبقى مناسبة كطريقة صورية من التعبير عن هذه الحقائق"<sup>3</sup> من صور هذه الحقائق "المسيح في الأرض يعني وجود الله مع الناس، يشاركونهم أفراحهم وآلامهم، ويجرب أيضا ألم الموت"<sup>4</sup>.

وإن كان التجسد سر بحاجة إلى تفسير وتوضيح وشرح، فثمة أسرار يقوم عليها الإيمان المسيحي تشاركه في هذه السرية، وهذا ما يؤكد لنا هذا التصريح المسيحي "وإذ إن الوحي المسيحي يتمحور حول أسرار إلهية، ولاسيما التجسد "الكلمة صار بشرا"<sup>5</sup>، فالعقل يحاول أن يعرف هذا السر والتعمق فيه، فلفظة "كلمة" مثلا التي يستخدمها يوحنا تتطلب شرحا وفهما وتوضيحا وتفسيرا، وما يقال في سر التجسد، يقال في سر الفداء أيضا، ولاسيما سر موت المسيح وقيامته وبالمثل سر الثالوث"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> قور 13: 8.

<sup>2</sup> الأب أوغسطين دويره لاتور: دراسة في الإسكاتولوجيا والحياة، 127، نقلا عن:

*Claude Dagens : Op.cit, PP 12-13.*

<sup>3</sup> *Jhon Hick : The myth of god indcar nate*، جون هك: أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، تعريب: د. نبيل صبحي، دار القلم، الكويت، ط1، 1405هـ - 1985م، ص 27.

<sup>4</sup> *Store Mame : Jésus hier et aujourd'hui, P 20.*

<sup>5</sup> يوحنا 1: 14.

<sup>6</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: بين وحي الله وإيمان الإنسان، ص 93.



لكن إذا كان هذا النص يجعل من التجسد سرا من الأسرار التي يصعب على العقل إدراكها، فهناك من يرى في هذا السر كشف، وإجلاء لسر آخر... "هكذا تتجلى عقيدة التجسد بكل أبعادها، أرسل الله ابنه الواحد إلى العالم ليخلص العالم"<sup>1</sup>.

لكن يخلصهم من ماذا، وكيف، وأين محبة الله في كل ذلك؟

## 6- الخطيئة:

إذا كان المسلم يعتقد في آدم واحد -عليه السلام- أب لجميع البشرية وأما واحدة -حواء عليها السلام-، وهما أصلا الإنسان، بطبيعتهما البشرية وقعا في خطأ، بأكلهما من الشجرة المنهى عنها، فأمر المولى -عز وجل- بإخراجهما من الجنة إذ يقول المولى عز وجل: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ، فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ <sup>2</sup>﴾.

ولكن لم ينكر القرآن قط، أن ما وقع فيه آدم هو وزر، أو جرم، أو خطأ تتوارثه الأجيال المتعاقبة جيلا بعد جيل كمعتقد المسيحيين، فما وقع فيه آدم -عليه السلام-، في عقيدتهم، خطيئة ذات أثر عالمي، هو الموت<sup>3</sup>، فما هو مفهوم الخطيئة؟ ألم ترد هذه العقيدة في العهد القديم؟ وهل المسيحيون متفقون على نوع واحد لهذه الخطيئة؟ وما هي آثارها؟

الخطيئة هي هجرة لله<sup>4</sup>، والخطيئة هي "بمثابة الخيانة لعلاقات شخصية، ورفض من جهة الإنسان الذي لا يأتي تسليم ذاته لحب الله -الذي يتألم- لأنه غير محبوب، وكأن الحب جعله إذا جاز التعبير "قابلا للتجريح" إنه لن يكشف عنه كلية، إلا في العهد الجديد"<sup>5</sup>، وإن كان هناك

<sup>1</sup> سهيل زكار: المعجم الموسوعي، ص 35.

<sup>2</sup> سورة البقرة: الآيات 35-38.

<sup>3</sup> كورنثوس 15: 21-22.

<sup>4</sup> Felix Anizan Omi : Rayons du cœur tout aimant, P 84.

<sup>5</sup> معجم اللاهوت الكناي، ص 316.



كشفت في العهد الجديد، يعني ذلك أن هذه الخطيئة كانت جزءاً من العقائد السابقة، ويكفي أن نبحث عنها في العهد القديم الذي تؤكد نصوصه مثل هذا القول.

فلقد اعتبرت الخطيئة في العهد القديم إهانة لذات الله، "حتى وإن كانت لا تعكس الذات الإلهية، أو لا تجرحه في ذاته، إلا أنها تجرحه، قبل كل شيء، بقدر ما تصيب الذين يحبهم الله، وقد مثل لهذا القول أن داود "بقتل أوريا الحثي بالسيف وبأخذه زوجته"، وبهذا الفعل لم يعتد على شخص حتى وإن كان غير إسرائيلي، فتاتان يذكره باسم الله، بأنه "قد ازدري الله" نفسه، وبفعلته تلك قد عرض نفسه للعقوبة"<sup>1</sup>.

وأكثر من ذلك فالخطيئة قد تسببت في التفريق بين الإنسان والله -ينبوع الحياة الوحيد- تصيب بذات الفعل الله في تدبير محبته "إن شعبي استبدل مجده بما لا فائدة فيه... تركوني أنا ينبوع الحياة الحبة واحترفوا لهم آباراً، آباراً مشققة لا تمسك الماء"<sup>2</sup> كما اعتبرت الخطيئة جحوداً لابن إزاء أب محب للغاية<sup>3</sup> بل تجاه أم لا يمكن "أن تنسى مرضعها... ولو أن هؤلاء ناسين"<sup>4</sup>.

ونتيجة لهذا النقض تنشأ الانقسامات التي من شأنها أن تحطم وحدة الزواج، بالطلاق، وتعدد الزوجات<sup>5</sup>، وتحطم الوحدة بين الإخوة بالحسد القاتل<sup>6</sup>، والوحدة في المجتمع لانعدام التفاهم الذي يقوم رمزه المعبر عنه في تباين اللغات<sup>7</sup>.

ولكن تبقى إمكانية التطهير من الخطيئة ممكنة في اعتراف المرتل بخطيئته، إذ يسأل الله بنفسه أن "يغسله"، أو "يطهره" وأن "يخلق فيه قلباً نقياً"<sup>8</sup>، لأنه على يقين بأن التبرير من الخطيئة يتطلب فعلاً إلهياً محضاً، شبيهاً بفعل الخلق، بعد تقديمه لذيحة من عبد سري<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> صموئيل الثاني 12: 9-11.

<sup>2</sup> إرميا 2: 11-13.

<sup>3</sup> إشعيا 64: 7.

<sup>4</sup> إشعيا 49: 15.

<sup>5</sup> التكوين 4: 19. الثنية 24: 1.

<sup>6</sup> التكوين 4: 6-8، 24.

<sup>7</sup> التكوين 11: 9.

<sup>8</sup> مزمو 51.

<sup>9</sup> معجم اللاهوت الكناي، ص 316.

وهذا العبد الذي جاء ليخلص من الخطيئة هو ابن الله عينه<sup>1</sup>.

وإذا كانت الخطيئة في العهد القديم هي الحية التي أغوت آدم وزوجه حواء، وإذا كان آدم هو من فتح لدخول الخطيئة، فالعهد الجديد يجعل أيضا من آدم أصلا لهذه الخطيئة التي غيرت مجرى المصير الإنساني، إلا أنه يفصل أكثر في هذا الموضوع الحساس، فيجعل من الخطيئة خطايا، منها: الخطيئة الأبدية، وهي الخطيئة الناتجة عن التجديف في حق الروح القدس.

"الحق أقول لكم أن كل شيء يغفر لبني البشر، الخطايا والتجديف، مهما تمادوا في التجديف، وأما من جدف على الروح القدس فلن يغفر له إلى الأبد، لأنه مجرم بخطية أبدية"<sup>2</sup>.

أما يوحنا فيقسم الخطيئة إلى قسمين: الخطيئة المثالية، وهي خطيئة اليهود الذين لم يؤمنوا، وهي رفض إرادي للذي كان يستطيع أن يخلصهم "لو لم آت وأكلمهم، لما كانت عليهم خطيئة، ولكن لا عذر لهم الآن من خطيئتهم"<sup>3</sup>.

والنوع الثاني هي الخطيئة التي تؤدي إلى الموت، وسببها الرفض الإرادي لمحبة الله للعالم<sup>4</sup>.

لكن بولس يجعل من آدم -عليه السلام- أصل هذه الخطيئة، ومن آدم الثاني -المسيح عليه السلام-، مخلص البشرية منها، فعند بولس آدمان: آدم الآخر والحقيقي، أو آدم الأول وآدم الجديد رئيسي البشرية<sup>5</sup> والفرق بينهما:

الأول: نفس حية، أرضية بشرية. والآخر: روحا محييا، لأنه سماوي وروحاني<sup>6</sup>.

فالأول: خطيئته كانت ذات أثر عالمي هو الموت. الثاني صارت الطاعة والتبرير والحياة<sup>7</sup>

الأول: دخلت الخطيئة إلى العالم. الثاني: فاضت النعمة لأنه مصدرها<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> إشعيا 53: 11.

<sup>2</sup> مرقس 3: 28. متى 12: 31. لوقا 12: 10.

<sup>3</sup> يوحنا 15: 22.

<sup>4</sup> 1 يوحنا 15: 16.

<sup>5</sup> روم 5: 12.

<sup>6</sup> 1 كورنثوس 15: 45-49.

<sup>7</sup> 1 كورنثوس 15: 21-22.

<sup>8</sup> معجم اللاهوت الكناي، ص 27.

ولا يكفي بولس بذلك، بل يرجع وجود الموت إلى الخطيئة<sup>1</sup> وقوله واضح في هذا الاعتقاد، لكن بوجود اعتقاد آخر "أن آدم ليس من أدخل الموت في العالم، ولكن هي الخطيئة التي سببته، فالخطيئة هي قوة أشمل وأقدم من آدم، هي قوة موت بغض النظر عن آدم نفسه، هي شوكة الموت، أو بتشبيهه سفر التكوين هي الحية التي أغوت آدم وحواء، وآدم قد فتح الباب فدخلت الخطيئة"<sup>2</sup>.

وقد ذهب صاحب هذا التأويل إلى أبعد من ذلك بهذا القول "... وبعبارة أخرى يمكن فهم ذلك - وإن لم يقله بولس صراحة - على أن الله خلق الإنسان بمعزل عن الموت، فلم يكن في تدييره السابق أن يموت الإنسان، بل أن يظل حيا أبدا، ولكن الخطيئة هي التي غيرت مسار تخطيط الله فأدخلت عنصرا جديدا وهو الموت - هذا فيما يخص الموت الطبيعي -"<sup>3</sup>.

فيبدو أن الكاتب قد أشفق بشكل كبير على بولس الذي جعل من آدم - عليه السلام - مجرم إنسانية، لكن في دفاعه هذا أطلق العنان لعقله، وجعل لها أسبق للمولى عز وجل تسييره، وتسلبه، الإرادة، فيغير ما خطط مسبقا، فقد أله الخطيئة، وهذه خطيئة الخطايا.

والخطيئة الخاصة في الواقع تقوم على رفض الحب، وصاحبها قابل للصفح عنه لكن بقدر ما سيقبل أن يجب من جديد<sup>4</sup>، وحتى إن كان الإنسان يرفض حب الله، فالله لا يكف عن عرض هذا الحب عليه، وطالما يظل الإنسان قابلا للرجوع إليه، فالله يبحثه على أن يعود لكن بشروط؛ الاعتراف، والكفارة، والإيمان، والمغفرة، والتوبة، والاهتداء، والفداء<sup>5</sup>، وهذا دليل شفقة الله على المخطئ، لأنه بنفس المحبة التي تجعل الله يكره الخطيئة هي التي تجعله يشفق على المخطئ<sup>6</sup>، وإجلال المحبة الإلهية للإنسانية - المخطئة - فقد شبه الله بالراعي، ومخلوقاته بالقطيع، تسعة وتسعين منها من الملائكة، والنعجة المائة هي الإنسانية التي ضلت الطريق بسبب الخطيئة، وهي في خطر وضياع كبيرين، لكن - بالحب الإلهي - ينظر الله "الراعي" إلى الإنسانية - القطيع -، وعلى قدر كرهه للاثم

<sup>1</sup> روم 5: 12-21.

<sup>2</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس (17)، ص 46.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 46.

<sup>4</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 316.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 316.

<sup>6</sup> Felix Anizan Omi : Rayons du cœur tout aimant, P 84.

والحرام، على قدر الحب الذي يكره لقطيعه ونعاجه، وهو يكره عصيانها وخروجها عن القطيع، وكرهه للمعصية ينبع من حبه لقطيعه<sup>1</sup>.

وليس هناك من معصية -مهما خبثت- إلا ويستطيع الحب أن يفتديها بقدرته اللامتناهية، ماعدا تلك التي تتنكر للحب، ولا تقر بإثمها وتأبى الصفح...<sup>2</sup>.

وهذا الحب هو المسيح -عليه السلام-، الذي نزل إلى الأرض بسبب خطأ الإنسان "هذا الرب تنزل إلى الأرض فقط لأن الإنسان أخطأ، ولولا ذلك لما كان ليتزل إلى الأرض..."<sup>3</sup>.

ولكن المولى عز وجل ينفي أن تكون الخطيئة هي سبب الإرسال إذ يقول: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَإِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا، وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقُصِّصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا، رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾<sup>4</sup>.

لكن تبقى الخطيئة أسا مهما من أسس الإيمان المسيحي ولم يبعث المسيح -عليه السلام- إلا للتطهير منها، فهل طهر الإنسان من هذا الدنس الذي علق به ولم يستطع أن يطهره منه أي من الأنبياء السابقين عن عيسى -عليه السلام-، وكيف تم ذلك؟

## 7- الفداء والصلب والخلاص:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ، فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> Felix Anizan Omi : Rayons du cœur tout aimant, P 80-83.

<sup>2</sup> دانيال روبس: يسوع في زمانه، ص 263.

<sup>3</sup> Felix Anizan Omi : Rayons du cœur tout aimant, P 85.

<sup>4</sup> سورة النساء: الآيات 163-165.

<sup>5</sup> سورة البقرة: الآيات 34-37.

آدم أب البشرية أكرم خلق الله، أمر الله بسجود الملائكة له، أخطأ فتوجه إلى المولى عز وجل بالتوبة والمغفرة، فوسعت رحمة الله عبده فقبل توبة عبده الضعيف، وأرادت مشيئته أن تعمر هذه الأرض، من نسل آدم وحواء، وهيئا ربانيا حتى يكونا في مستوى هذه الخلافة يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِيهِ الْأَرْضَ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ»<sup>1</sup>.

ولم يذكر المولى البتة، زلة آدم -عليه السلام- ستتوارثها الأجيال إلى أن يبعث عيسى عليه السلام، ويكون كبش هذه الزلة البشرية التي تحمّل مسؤوليتها أب البشرية فعالجها بطلب المغفرة من -رب العزة- فغفر له.

لكن هذه الزلة -في العقيدة المسيحية- استدعت من عيسى -عليه السلام- الفداء لتخليص الإنسانية من وزرها.

عقيدة الفداء، تمثل أسا متينا في الإيمان المسيحي، وأسالت وتعرضت لنقد واسع، استأصلتها من جذورها، لكن ليس هذا هو الجانب الذي سيعالج في مثل هذا الموضوع -المحبة المسيحية-، وسيعالج من زاوية علاقة الفداء بالمحبة، أو الحب، أو علاقة الموت بالحب، أو علاقة الدم بالحب. لقد أعلن الإنجيل أن الصلب هي لحظة الحب الأعظم<sup>2</sup>، وعلى الصليب يكشف الحب شدته وطابعه الدرامي بطريقة حاسمة، كان يجب أن يتألم -يسوع-<sup>3</sup> لأنه بهذا الفعل أعلن نهائيا أنه ابن الله<sup>4</sup> بل تأكد أنه الإله، لأن الإله الذي لا يتألم إله لا يجب<sup>5</sup>، وأثبت حب الله للعالم، حتى أنه جاد بابنه الوحيد<sup>6</sup> يقول بولس: "قد دل الله على محبته لنا بأن المسيح قد مات من أجلنا"<sup>7</sup> لم ييخل بحبه

<sup>1</sup> سورة البقرة: الآيات 30-33.

<sup>2</sup> يوحنا 15: 13.

<sup>3</sup> لوقا 22، 17: 25، 24: 7 و26.

<sup>4</sup> مرقس 15: 39.

<sup>5</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: بين وحي الله وإيمان الإنسان، ص 62.

<sup>6</sup> يوحنا 3: 16.

<sup>7</sup> روم 5: 8.

على خاصته الذين في العالم، فبلغ به الحب إلى أقصى حدوده<sup>1</sup> أي إلى أن يبذل نفسه في سبيل أحبائه تعبيراً منه عن حب أعظم<sup>2</sup> إلى بذل روحه<sup>3</sup>.

لأن موته دليل على حب أبيه الكبير له، وهو بدوره يحب أتباعه الذين يجب أن يبقوا في حبه، وسيعطي كله لهم، لأن أباه أعطى كله له<sup>4</sup>. وجمع المسيح في حبه كل أنواع الحب، وكل الأحاسيس الجميلة التي تغمر قلب أي إنسان.

ولقد أعطى ذاته كلياً ولجميع الناس بدون استثناء<sup>5</sup> فالمسيحي يقدر هذه الموت، وهذا الذبح، لأنه من الحب "أكرز الذبيحة بالتحديد لأني أكرز الحب، لأن الحب والذبيحة مترابطان كيميياً كالشمس، والضوء لا نستطيع أن نحب بدون معاناة، ولا يجب أن نعاني بدون حب"<sup>6</sup> لأن "ابن الله أحبني وضحي بنفسه من أجلي"<sup>7</sup> ولذلك يصرح بولس "ما أنا أحيا بعد ذلك، بل المسيح يحيي فيّ، وإن كانت لي حياة بشرية، فإنها في الإيمان بابن الله"<sup>8</sup>.

قد حوّل المسيح بموته وبعظمة حبه حياة الإنسان وهو جدير باسم الحب المحوّل<sup>9</sup> و"ما من حب أعظم من حب من يبذل حياته في سبيل أصدقائه"<sup>10</sup> يقدر المسيحي هذا التحول الجدري لحياة الإنسان. أنا ضحيتكم لأني أحبكم كإنسان، أحبكم حب الأخ، حب الصديق، حب الزوج، حب مملوء بالشفقة، بالحنان، بالبهجة، حب يتجاوز الكل، ويصمد للكل، بهذا الحب نصبح ننفق بسخاء، نسلم (نترك) بدون أن نأبه لشيء، وفي النهاية نفرح، نموت من أجل الذين نحب،

<sup>1</sup> يوحنا 13: 01.

<sup>2</sup> يوحنا 15: 13، 15: 23.

<sup>3</sup> يوحنا 19: 30، 34.

<sup>4</sup> J. Vallentin : *La foi des chrétiens*, P 210.

<sup>5</sup> مرقس 10: 54، 14: 24.

<sup>6</sup> R.P Mateo crow ley- Boevey : *Jésus roi d'amour, Recueil des prédications de la congrégation des sacrés cœurs* (picpus, Paris, 1930, p 235.

<sup>7</sup> غل 2: 20.

<sup>8</sup> غل 2: 20.

<sup>9</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 78.

<sup>10</sup> يوحنا 15: 13.

وبداهة لا يوجد حب أكبر من هذا الحب الذي يميز، أحبكم لغاية ذلك، وفق قلبي الإنساني، ولكنه الحب الإلهي الأعظم، الحب الذي لا يفترق عن حب أبي لي...<sup>1</sup>.

وموت المسيح هي رحمة النجاة من الموت "ولكن الرحمة والعفو الذي تدين به للمسيح، يفوق بكثير غلظة آدم أي الإثم، لأن منبع هذه الحياة يفوق منبع الموت"<sup>2</sup>. بل أن موته أرحم من الرحمة ذاتها "يتقدم وينحني، أنه وزن الرحمة (والشفقة، والرأفة)، اللامتناهية، مضاعفة بوزن الرحمة الإنسانية، إنها ضعف الوزن الأوحده للرحمة الذي يربطه، أو يمثله نحونا، بعدما سبق وتقدم نحونا بشتى الطرق التي رسمها"<sup>3</sup>.

وهذه الرحمة بدلت وضع الإنسان كلياً ونهائياً، بأن جعلته يجب هذه الحياة التي أصبحت لا تطاق بسبب الخطيئة، وما يترتب عليها من بغض الإنسان لأخيه الإنسان<sup>4</sup> "فالصليب حقق قوة الله الخلاصية، فالله خلص العالم بقوة صليب ابنه يسوع المسيح"<sup>5</sup> والذي قبل آلامه وموته بملاء حريته ليمثل الجنس البشري فيكفر عن سائر الخطايا التي اقترفت فأهانت الله... وفي موته إقامة للعهد الجديد بين الله والبشرية جمعاء، لا بينه وبين الشعب اليهودي وحده... فالجنس البشري بأجمعه تصالح بواسطة مثله مع الله<sup>6</sup>.

فأعاد بذلك الأمل إلى الحياة بعد موتها بخطيئة -آدم- فأرسي بذلك قواعد لوضع بشري جديد، بأن أعاد لها وضعها الأول كما خلقها الله في البدء -وضع البر والقداسة- والنعمة والنبوة، وكان من الجماعة، لأنه لا يمكن أن يمتد عمل شخص إلى الجماعة إلا إذا كان هذا الشخص يمثلها إنه استحق بفعله الخلاص أن يطلق عليه "شخصية داخجة"<sup>7</sup> Corporate Personality<sup>7</sup>، أخرج

<sup>1</sup> J. Vallentin : *La foi des chrétiens*, P 386-387.

<sup>2</sup> Felix Anizan Omi : *Rayons du cœur tout aimant*, PP 48-51.

<sup>3</sup> *Ibid*, P 49.

<sup>4</sup> الأب أوغسطين دويره لاتور: دراسة في الإسكاتولوجيا الموت والقيامة، السماء والمطهر وجهنم، نقله إلى العربية الأب صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ص 48. (يضيف الكاتب في الهامش: في سفر التكوين تلي خطيئة آدم وحواء أي: "الانفصال عن الله بعضيان أمره" خطيئة قابيل إلى هابيل، أي أن الانفصال عن الله يسبب انفصالاً بين البشر وحقده بعضهم لبعض).

<sup>5</sup> الأب فيكتور شلحت اليسوعي: الإنسان في ضوء المسيح (مدخل إلى رسائل القديس بولس)، ص 51.

<sup>6</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 77-78.

<sup>7</sup> رومانو كوارديني: قيامة المسيح، ص 49.



الجماعة من عبودية الخطيئة وأسس "العهد الجديد" الذي سبق وأن بشر به أرميا<sup>1</sup>، هذا العهد الذي فيه تحس الإنسانية بوحدها الأخوية<sup>2</sup> بعد القضاء على سجان الشر الذي كانت البشرية حبيسته "إن سر الفداء هذا قدر وحده على التغلب على سر الشر الذي كانت البشرية سجنته، ففي آخر الأمر لا تفهم الخطيئة إلا عند قدم الصليب، فالأب الذي يغفر هو الذي يسلم ابنه إلى الخاطئين في مكائهم ولفائدتهم، ففي أية مأساة كانت البشرية غائصة لكي يبلغ هذا المبلغ"<sup>3</sup>.

أعطى بموته معنى جديد للحياة وحتى للموت "من أحب حياته هلك، ومن أعرض عن حياته في هذه الدنيا حفظها للحياة الأبدية"<sup>4</sup>.

فالحياة المسيحية تقوم على إعطاء الثمرة - المحبة - "عندما يحدثنا المسيح عن الحياة فإنه يصفها دوما لنا بـ: "هبة الذات" فهي تقوم في نظره على إعطاء الثمرة، وهذه الثمرة هي المحبة، وعندما، طالع الإنجيل، نتحقق أن المسيح يحن بصورة خاصة إلى كل ما يعبر في الأرض عن هذا العطاء، فيحب التربة حيث تنمو الغلال، والأشجار التي تحمل الثمار، والكرمة المزروعة بعناية في سبيل قطاف وفير"<sup>5</sup>.

وإذا كان صلب المسيح، أعطى للحياة معنى، فالموت كذلك أخذت معنى صليبا مميذا، فبموته تحقق السلام المسيحي رغم أنه تسبب في حزن كبير للطبيعة والإنسان "حقا حسب رأي القديس أوغسطين، احمرار السماء هو علامة الحزن لأن دماء المسيح منحت لنا السلام"<sup>6</sup>.

وهل السلام لا يمنح إلا بدم الأنبياء، وإهانتهم على خشبة الصليب؟!!!

وبموته، كشف عن الموت الحقيقي، الذي هو انفصال عن مصدر ومنبع حياة الله "إن كان الموت الطبيعي انحلالا للجسد (كأنحلال جسد الإنسان أو الحيوان) إلا أنه يشير إلى موت

<sup>1</sup> إرميا 13: 31-34.

<sup>2</sup> A. Verrielle Bloud et gay : *Le surnaturel en nous et le péché originel*, 1932, P 238.

<sup>3</sup> الأب أوغسطين دويره لاتور: دراسة في الإسكاتولوجيا الموت والقيامة، السماء والمطره وجهنم، ص 109.  
Pierre Grelot : *De la mort à la vie éternelle*.

<sup>4</sup> يوحنا 12: 4-25.

<sup>5</sup> الأب فيكتور شلحت اليسوعي: الإنسان في ضوء المسيح، ص 21.

<sup>6</sup> Felix Anizan Omi : *Rayons du cœur tout aimant*, P 260.



إسكاتولوجي حقيقي، وهو الانفصال عن الله، أي الخطيئة، فالانفصال عن نفس الله المحيية، بالخطيئة موت للإنسان، لأنه انفصال عن مصدر حياته ومنبعها الدائم<sup>1</sup>.

لقد انتصر المسيح على هذه الموت الانفصالية، وأشرك البشر في هذا الانتصار، والألم الذي يحدثه الموت لأحباء المفقود راجع إلى الخطيئة التي في البشر، فالأحباء يتألمون لخطيئة ميتهم وليس لفقدانه، والعزاء في الاتحاد بالمسيح<sup>2</sup>، لأن الموت أيضا هي تحول من حالة إلى أخرى، تحول حياة الإنسان من حياته الأرضية إلى الحياة مع المسيح، وإذا كان العهد القديم يرجو قيامة الأموات، فالمسيح جعل الرجاء حقيقة واقعة<sup>3</sup> بل أكثر من ذلك، جعل من موته المميز تفوق في الكمال ليصبح المسيحي مشاركا في حياة -المسيح- كولادة جديدة، فالموت طبيعة إنسانية، لكن جردها المسيح، فشرح أكبر بشرى للإنسانية<sup>4</sup>.

وتبقى حقيقة الموت أنها انتصار، فالصلب ما هو إلا تذكير مستمر بأن الله، انتصر على الخطيئة، وتغلب على الموت وسائر قوى الشر التي تقيد الإنسانية وتقهرها<sup>5</sup>.

"وكان الموت آخر عدو بيده"<sup>6</sup>، وبالتالي يستحق من المسيحيين لقب -أمير الحب- لأنه أباح لهم عن -حبه- بلسان هذا الحب<sup>7</sup>.

ويفسر أحدهم موت المسيح فيقول على لسانه:

المسيح أمير الحب لأنه:

- أحببتكم إلى مغارة الميلاد، إلى غاية الصليب، وإلى غاية الأفخارستيا.

- أحببتكم بدون مقابل من طرفكم، رغم استهجانكم (لومكم)... رغم معاناتكم...

لا بسبب معاناتكم.

<sup>1</sup> الأب أوغسطين دويره لاتور: دراسة في الإسكاتولوجيا، ص 47.

<sup>2</sup> الأب فيكتور شلحت اليسوعي: الإنسان في ضوء المسيح، ص 49.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 49.

<sup>4</sup> A. Verrielle *Bloud et gay : Le surnaturel en nous et le péché originel*, P 21.

<sup>5</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 76.

<sup>6</sup> 1 قور 15: 24-27.

<sup>7</sup> R.P Mateo *craw ley- Boevey : Jésus roi d'amour*, P 137-138.

- أحببتكم حبا مميّزا، مفضلا، تركت ألي في السماء، ملائكي لأني بينكم.
- ازدرت (استخفيت) كنوز الأرض... ولدت في فقر الزربية (الاسطبل).
- أحببتكم أكثر من حياتي، لأن حياتي أعطيتها (وهبتها) لكم، وعندما نعطي حياتنا فقد أعطينا كل شيء.
- ألي أراد أن يطبق العدالة... أردت أن أكون الضحية فارتمت بين غضبه وبينكم.
- جرحت من أجلكم، جرحت إلى غاية الموت بالحب.
- أحببتكم أكثر من جلالتي، انظروا إلى الإهانة التي تلقيتها... .
- أحبكم أكثر من مجدي، دائما، لأن هذا المجد سترته (حجبته) بكفن البلوى (الابتلاء)، وموت صوفي إلى سر جي... وما مدى الاحتقار الذي لم أعرضه، ولم أشرحه.
- أحببتكم... وأحبكم... وأنتم تحبونني<sup>1</sup>.
- وأشدد شاعر قديم: "سلام، أيها الصليب، الأمل الأوحيد، الشجرة الكريمة، العجيبة، التي تزين أرجوان الملوك، أنت يا من حظي عوده بأن يلمس تلك الجوارح المقدسة.
- إن سر الصليب يتألق حيث ماتت الحياة وبموثها استعيدت الحياة!
- طوباك أيها الصليب فإن فدية القرون منوطة بذراعيك!... أنت الميزان الذي زين به الجسد! أنت غلاب الجحيم!..."<sup>2</sup>.
- لكن كيف ينظر إلى الصلب بهذا المنظار، والمسيح -عليه السلام- لم يسلم نفسه إليه بمحض إرادته، لم يقدم هذه الخدمة للإنسانية طوعا، وحباً، بل إجباراً، أجبره عليها الخونة والأعداء، ولو غصنا في أغوار القضية لسمحنا لأنفسنا بالقول: أن هؤلاء من قدموا هذه المنة للبشرية -منة الموت على الصليب- (الفداء)، والخلاص، وبالتالي هم أحق -بالمحبة- من أي كان.
- وما هذه الثغرات العقائدية المفضوحة إلا تأكيد للقول الرباني -الذي ليس بحاجة إلى تأكيد-: «وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ مِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ

<sup>1</sup> J. Vallentin : La foi des chrétiens, P 238.

<sup>2</sup> دانيال دوبس: يسوع في زمانه، ص 460.

لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ حِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاحَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا<sup>1</sup>.

### 8- الكنيسة والأسرار:

كانت الكنيسة، ولا زالت معلما، ورمزا، من الرموز الدينية الفعالة داخل المجتمع المسيحي، وحتى خارجه، بل أكثر من ذلك فهي أس لا يتجزأ عن أسس الإيمان المسيحي، الذي ينطلق من -الله محبة-، فما هي طبيعة العلاقة التي تربطها بهذا الإله (الأب؟، الابن؟)، وما هو دورها في ترسيخ هذه المحبة الإلهية، وقبل معرفة هذه الأسرار نتعرف على مصطلح -كنيسة- من جانبين: الجذور، والمعنى.

الكنيسة والمواهب والأسرار: للكنيسة معنيان: قديم، وجديد.

أ- المعنى القديم: "الجماعة"<sup>2</sup> Kirche، عرفت الجماعة المسيحية، التي جاء وصفها في أسفار العهد الجديد بـ"الكنيسة الرسولية"، أي: كنيسة الرسل وأجيال المسيحيين الأوائل، وتمتد هذه الحقبة على وجه التقدير بين سنة 30 وسنة 100، أي بين العنصرة وتدوين آخر سفر من أسفار الكتاب المقدس<sup>3</sup>.

ب- المعنى الجديد: هو بناء تقام به شعائر العبادة، والأطر التنظيمية التي تطورت على مر الأيام<sup>4</sup>.

الكنيسة Ekklesia أي "الكنيسة" اليونانية، فهي الجماعة التي كانت تدعى (من فعل Kalein) للإدلاء برأيها في أمور سياسية فنصرتها الجماعة المسيحية الأولى لتصبح معناها الجماعة التي يدعوها الله، أو جماعة المدعوين، ولقد استخدمت معظم اللغات هذه اللفظة اليونانية

<sup>1</sup> سورة النساء: الآيتان 157-158.

<sup>2</sup> Kirche: الكنيسة الجامعة، الكاملة (الأب فاضل سيداروس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس، ص 58).

<sup>3</sup> توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 87. الأب فاضل سيداروس اليسوعي: مدخل إلى رسائل بولس، ص 58.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 80.

للدلالة على الطابع الجماعي: فاللاتينية Ecclesia، والفرنسية Eglise، وأما الألمانية فاستخدمت لفظة Gemeinde أي الجماعة، للدلالة على الكنيسة المحلية<sup>1</sup>.

إن المعنيين القديم، أو الجديد يصبان تقريبا في معنى واحد ألا وهو الجماعة، ويمكن أن يفسر أكثر في دور الكنيسة في المحبة.

وقبل أن نتكلم عن مسؤولية الكنيسة، أو عن دورها في -المحبة- أو علاقتها بها، نتعرف على الأسس أو القوائم التي تركز عليها لتبني هذا الدور.

### قوائم الكنيسة عند بولس:

يبني بولس الكنيسة المحلية على ثلاث قوائم: العماد، والعشاء، والمواهب، أو باختصار على أساسين: على المسيح والروح القدس؛ المسيح في "الأسرار"، والروح القدس في "المواهب"، فالأسرار والمواهب تبني الجسد وتتميه وتمنحه الكيان وتظهر هذا التأسيس في المحبة والوحدة بين أعضاء الجسد، فهم واحد في المسيح، وهم واحد فيه روم 8 (1)، 2 قور 5 (17)، غل 2 (17)، أي أنهم يندمجون في جسده مع الآخرين غل 3 (28) 1 (22)، روم 12 (5)، 16 (07) (11) 1 قور 1 (30)، 1 تس 2 (14)<sup>2</sup>.

ولقد أتم الله في جسد بولس ما نقص في آلام المسيح في سبيل جسده وهو الكنيسة قول 17 (24)<sup>3</sup>.

### الكنيسة ومواهب الروح القدس:

إن الكلمة اليونانية Kharisma أي "نعمة"، وكان الإمبراطور اليوناني يمنح لجنوده "Kharisma" أي مبلغا إضافيا على مرتبهم، دون أي حق لهم، بل بفيض منه، فهذه المواهب، فهي هبة ونعمة مجانية من الروح القدس للكنيسة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: بين وحي الله وإيمان الإنسان، ص 75.

<sup>2</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس، ص 62.

<sup>3</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: بين وحي الله وإيمان الإنسان، ص 63.

<sup>4</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس، ص 73. وقد ذكرت المواهب في العهد القديم: غل

1: 12-18، و22-28، وحز 3: 12.

وقد ظهرت هذه المواهب منذ حلول الروح على التلاميذ الرسل يوم العنصرة عندما "أخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم، وهي منحة من الروح القدس... فلما انطلقت أصواتهم أخذت الناس الحيرة من اللغات المختلفة التي تتكلم بها هذه الجماعة المؤيدة من الروح القدس"<sup>1</sup> وسميت هذه الموهبة "بموهبة الألسنة"، وهي على نوعين: طبيعية: ومنبعها الأب، وروحية ومنبعها الروح القدس، وقد تكون لا صلة لها ببعضها البعض، وقد تكون واحدة، وفوق هذه المواهب: المحبة<sup>2</sup>.

وهذه المواهب لا تنحصر في أعداد محددة، أو أنواع معينة، فالروح القدس له الحرية المطلقة لأن يمن بمواهب جديدة وفقا لمصلحة الكنيسة التي تتأسس على المسيح والروح القدس (على الأسرار المقدسة والمواهب الروحية) وكل كنيسة ينقصها أحد هذين القطبين لا تستفيد من جميع الوسائل التي يمنحها الله لأجل بنائها، ورغم ذلك فقد اعتمدت بعض كنائس الإصلاح على المواهب فحسب دون الأسرار، في حين أن الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية تعتمد أساسا على الأسرار فحسب دون المواهب<sup>3</sup> ولا ندرى كيف قامت لها قائمة استنادا لما قيل في أهمية هذه المواهب والأسرار في استفادتها من الوسائل الإلهية لأجل بنائها؟!.

وأيا كان عماد الكنيسة، المواهب، أو الأسرار، فما هي طبيعة العلاقة التي تربطها بالمسيح -عليه السلام-، وما هي علاقتها، أو ما دورها في ترسيخ المحبة التي دفع حياته مقابلا لينعم بها غيره، ويبدو أن كتاب الأناجيل، قد نسجوا خيوط هذه العلاقة بفنية راقية، ولم يكن اللاهوتيون أقل خبرة في مثل هذا المجال، ونلمس هذه الخبرة اللاهوتية في تنوع الصور التي صورت علاقة المسيح -عليه السلام- بالكنيسة.

<sup>1</sup> رسل 2: 4-7.

<sup>2</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس، ص 74.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 75.

## علاقة الكنيسة بالمسيح - عليه السلام -:

## 1- الرأس والجسد:

الكنيسة جسد المسيح، والمسيح رأسها، وقال بولس في أواخر حياته "إن هذا السر لعظيم، وأعني به سر المسيح والكنيسة"<sup>1</sup>. ويركز بولس في رسالتيه إلى قولسي وأفسس على "المسيح الرأس" أكثر منه على "الكنيسة الجسد"، أو على العلاقة بين الأعضاء، فالكنيسة تبدو جماعة المؤمنين به وتتجه نحوه<sup>2</sup>... فينمو الجسد نحو الرأس وينمو نحو الداخل بنمو الإيمان والمعرفة والمحبة في الآلام، وينمو حول الخارج بالبشارة والإعلان بحيث تصبح الكنيسة ملء الذي بمأ الكل في الكل<sup>3</sup>... والكنيسة الجسد تخضع للمسيح الرأس وتخدمه بكرازتها، ولكن هذا الخضوع ليس به إذلال أو تسلط من الرأس على الجسد بل هو مبني أساساً على المحبة<sup>4</sup>.

فكما ينبغي لأعضاء هذا الجسد أن يكونوا واحداً في المحبة "هناك جسد واحد وروح واحد، كما أنكم دعيتم دعوة رجاؤها واحد، وهناك رب واحد وإيمان واحد ومعمودية واحدة، وإله واحد أب لجميع الخلق..."<sup>5</sup>، وبذلك يكون قد قضى على العداوة بصليبه، وجعل من الجماعتين جماعة واحدة وجسداً واحداً في روح واحد<sup>6</sup>، وهذه الصورة -الرأس والجسد- ليست بالجديدة في الديانة المسيحية، بل كان السبق إليها للعقلية اليهودية السامية، والعقلية اليونانية والرومانية<sup>7</sup>. ويتجلى سر الكنيسة أكثر في كونها عروس، والمسيح عريسها.

<sup>1</sup> أفسس 5: 32.<sup>2</sup> أفسس 4: 15.<sup>3</sup> أفسس 1: 23.<sup>4</sup> أفسس 5: 21. قول 3: 18، 4: 1.<sup>5</sup> أفسس 2: 2-7، 4: 11-12.<sup>6</sup> أفسس 2: 14-18. قول 3: 11.<sup>7</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس، ص 65.

## 2- عروس وعريس:

وهذه الصورة يستخدمها كل من بولس ويوحنا ومتى<sup>1</sup> فالكنيسة هي عروس المسيح، والمسيح عريسها "يزفها إلى نفسه لكنيسة سنوية لا شائبة فيها ولا تغضن ولا ما أشبه ذلك بل مقدسة بلا عيب"<sup>2</sup>.

والكنيسة خاضعة لعريسها خضوع الحب<sup>3</sup>، والمسيح هو الذي يطهر عروسه ويزينها لنفسه بماء العماد<sup>4</sup> حتى أنهما باتحادها به تصبح أما خصبة<sup>5</sup>.

ولهذه الصورة -العريس والعروس- ما يمثّلها في العهد القديم، عند هوشع وإرميا وحزقيال خاصة، وهو يجمع بين طاعة الشعب العروس لإلهه العريس، وبين الحب المتبادل<sup>6</sup>.

وبما أن الكنيسة تجمعها بالمسيح -عليه السلام- هذه العلاقة الحميمة المتميزة التي لم توجد إلا بسبب الحب ولأجله، فبعد موت المسيح عليه السلام فمن المؤكد أنها تبنت هذا الحب واحتضنته لرعايته واجتهدت في سبيل ذلك للإبقاء على هذا -المولود الفكري- ليس قولاً، بل تطبيقاً.

## دور الكنيسة في رعاية المحبة:

يعد المسيحيون -فداء- المسيح عليه السلام و-قيامته-، قوة فوق الإنسانية لحق الكنيسة، ولأجل الحب، هذه الأخيرة التي أكملت نقصان آدم الجديد، ولم يكتمل إلا بها فهي علاقة ملموسة لا كتماله "إن أمنية الأنبياء في أخوة شاملة تصبح حقيقة في المسيح، آدم الجديد، وأن تحقيقها على الأرض في الكنيسة، مع كونه ليس كاملاً بعد، هو علامة ملموسة لا كتماله

<sup>1</sup> متى 9: 15، 13-1: 25. يوحنا: 3 29. رؤيا 21، 29، 19: 7-8، 22: 17.

<sup>2</sup> أفسس 5: 27.

<sup>3</sup> يوحنا 3: 29.

<sup>4</sup> جرت العادة في الشرق -وإلى اليوم في القرى- بغسل العروس وتزيينها قبل عرسها (الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس، ص 67).

<sup>5</sup> أفسس 5: 21، 2: 14.

<sup>6</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس، ص 67.

النهائي"<sup>1</sup>، ولولا هذه الوساطة -الكنيسة- لما أفاض الله بنعمه على البشر، فهي طريق، والوسيلة لهذا الفيض الإلهي<sup>2</sup>.

وبناء على هذه المكانة المتميزة فعليها أن تكمل الدور الرسولي الذي جاء من أجله المسيح -عليه السلام- وتتقوى بسلاح المحبة لبلوغ الهدف "إنما سلاح الكنيسة المحبة، وليست المعارك الدنيوية هي التي سجلت لها في التاريخ أجدى انتصاراتها، لأنه تبين مع تراخي الزمن، أن الفتوحات الصليبية باتت عبثاً عقيماً، لأنه لا يضيع سدى بذل رسول متواضع ولا إشعاع محبة في قلب راهبة، فالحبة إذا، إنما هي دليل حضور الله ووسيلته"<sup>3</sup>. ويلخص دورها في كونها:

### رسولية جامعة وموحدة:

إن مثل هذا الدور -الرسولي- يعد أمنية المسيح الذي أسسها عبر جميع تقلبات التاريخ، وقامت بخدمة البشرية، مربية إياها على أصول المحبة، ولذا يشترط في كل كنيسة أن تستمر على هذا الدرب، فتكون جماعة تسود فيها المحبة، ولا تكون فيها أية وظيفة ذات سلطة، وحتى المشاكل العويصة التي تعيشها الكنيسة، فعند البحث فيها يجب أن ينظر إليها في صلتها بمطلق المحبة!!؟ علماً أن الكنيسة هي تجسيد لهذه المحبة في التاريخ<sup>4</sup>.

وتبقى مكلفة بتجسيد محبة الله، ولا يمكن أن تكون هذه العطية خاصة، بل هي لجميع البشر في جميع الأزمنة وجميع البلدان، وكما أن المسيح هو سر الله، أي الله نفسه منظوراً، فالكنيسة أيضاً هي سر المسيح لجميع البشر. ويمكن أن يكون المعنى أعمق إذا فسر الجمع بقدرتها على الربط في يسوع المسيح، بين جميع الأمم، والعروق والثقافات، والحضارات<sup>5</sup>.

فالكنيسة إذا هي البطن الذي يحيا فيه المسيح، والأفراد هم أعضاؤه، وكل فرد منهم هو عضو الآخر وقوته وعونه<sup>6</sup> فهي القائمة على جمع قلوب المسيحيين، للحب، وفي الحب<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 42.

<sup>2</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: بين وحي الله وإيمان الإنسان، ص 74.

<sup>3</sup> دانيال دويس: يسوع في زمانه، ص 205-206.

<sup>4</sup> الأب فرانسوا قاريون اليسوعي: فرح الإيمان، بحجة الحياة، ص 126-127.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 125.

<sup>6</sup> روم 12: 5، 1: 12-13. كول 4: 4.

<sup>7</sup> J. Vallentin : La foi des chrétiens, P 333.



هذه المحبة هي رباط الوحدة في الكنيسة، ولا تعني عاطفة متبادلة، بل هي قدرة موحدة للحياة الزاخرة تسيل عطاء خلال الأعضاء أجمع بدءاً برجل الكنيسة، الذي لا يعرف إلا بها -علامته-، ويدعها تحترقه بتيار الكنيسة الحي ليوزعه على الآخرين<sup>1</sup> "فأنتم الذين اختارهم الله..."<sup>2</sup>.

والمسيحي يقدر هذا الدور أكبر تقدير، بأن يؤمن بها، ويحبها بالمحبة نفسها التي يغمر الله بها ابنه الوحيد<sup>3</sup> وليس أدل على ذلك مما يتلفظ به المسيحي في قانون إيمانه "نؤمن بكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية"<sup>4</sup> وهذا القول يساوي قول "الكنيسة سر المحبة"<sup>5</sup>.

ويجب على الكنيسة -جسد المسيح-، -عروس المسيح-، كي تحقق هدفها الرسولي -الجمع والوحدة-، وتبقي على استمرارية حياتها، وتحيا روح العالمية، أن لا تبقى هذه -المحبة- حبيسة جدرانها، فالمحبة هي سلاح الكنيسة في معركتها التبشيرية.

#### دور الكنيسة في التبشير بالمحبة:

الكنيسة جسم المحبة على الأرض، لكن لا سبيل لامتلاك المحبة لمن لا يريد نشرها في العالم أجمع، فالمثل المغلق لا يستطيع أن يحتفظ بحرارة هذه المحبة، والكنيسة لا تحيا إلا في روح عالمية، ولا تحيا إلا مرسله، ولا محبة بدون تبشير<sup>6</sup>، وعلى هذا الشكل فهم بولس الأشياء "إذا ما بشرت فليس لي في ذلك مفخرة، لأنها مفخرة لا بد منها، والويل لي إن لم أبشر"<sup>7</sup>، ويعلق الأب

<sup>1</sup> رومانو كوارديني: قيامة المسيح، ص 100.

<sup>2</sup> قول 3: 12-18.

<sup>3</sup> 1 يوحنا 3: 1.

<sup>4</sup> الأب فرانسوا قاريون اليسوعي: فرح الإيمان، بمحة الحياة، ص 122-123.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 122-123.

<sup>6</sup> برنار سيسويو: الإنجيل الحي في الكنيسة، تعريب الأب جرجس المارديني، دار المشرق ش.م.م، بيروت، لبنان، 1987،

ص 103-104.

<sup>7</sup> 1 كور 9: 16.

ده لوبك P. De Lubac " ... يا لها من كلمة عميقة سرية لأن أقف عن التبشير، فذلك لأن المحبة قد غادرتني"<sup>1</sup>.

وقد وهب السيد المسيح -عليه السلام- كنيسته تعليمه وأسراره الخلاصية، فهي اليوم تتابع هذه الرسالة على الأرض بالتعليم والإرشاد ونشر وسائل الخلاص، والتبشير بمبادئ المحبة لتعود بالناس أجمعين إلى ملكوت الله الدائم في النعيم الأبدي<sup>2</sup> فما هي هذه الأسرار التي استحوزت عليها الكنيسة؟

### أسرار الكنيسة:

لم يمت المسيح -عليه السلام- في "الاعتقاد المسيحي"، إلا بسبب، ولأجل الحب، والكنيسة خليفته لتجسيد ونشر ما ضحى من أجله المسيح، ولا تسمى الكنيسة كنيسة ولا تستطيع أن تقوم بهذا الدور الديني، إلا إذا قامت على قوائم أساسية، تسمى بأسرار الكنيسة وإن كان بولس يبني الكنيسة على ثلاث قوائم -كما مر علينا- العماد والعشاء والمواهب، وتختصر في أساسين: المسيح والروح القدس؛ المسيح في "الأسرار" والروح القدس في "المواهب"، وهذان الأساسان يبيان الجسد -الكنيسة- وينميانه ويمنحانه الكيان. والأهم، أن ثمار هذا التأسيس تظهر في المحبة والوحدة بين أعضاء الجسد، فهم واحد في، وبالمسيح<sup>3</sup>.

والاتفاق قائم على سرين أساسيين وهما: العماد، والأفخارسيا، أما الأرثوذكس، والكاثوليك يعتقدون إضافة إلى هذين السرين في خمسة أخرى، فيكون مجموعها سبعة، أما البروتستانت على الرغم من اختلافهم بشأن عدد الأسرار، إلا أن السواد الأعظم منهم يعتقد في سري العماد، الأفخارسيا، وكنائس بروتستانتية قليلة أمثال "الكويكرز"، و"جيش الخلاص"، لا أسرار عندها<sup>4</sup>. وأول الأسرار وأساسها الذي لا بد منه هو: العماد:

<sup>1</sup> برنار سيسبويه: الإنجيل الحي في الكنيسة، ص 104.

<sup>2</sup> وزارة التربية، الجمهورية العربية السورية: الطرق الخاصة في التربية المسيحية، الصف الثاني والثالث والرابع من دور المعلمين والمعلمات والصف الخاص، 1402-1403هـ/1982-1983م.

<sup>3</sup> روم 8: 1، 2 قور 5: 17. غل 2: 17.

<sup>4</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 81.

## 1- العماد:

إن موت المسيح -عليه السلام-، موت رأس البشرية، وآدم الحديد<sup>1</sup>، وهي موت الجميع<sup>2</sup>، وبالعماد إما غطسها في الماء -سواء في حوض في وسط الطبيعة أو خارجها-، أو سكبها على الرأس، فإنه يعني "الدخول في الجماعة المسيحية، وبه يأخذ الفرد على عاتقه رسالة الكنيسة عبر الأجيال، ألا وهي الشهادة لأعمال الله الخلاصية في يسوع"<sup>3</sup>.

وبقوة هذا السر الفعالة يتحد المسيحي مع المسيح المصلوب، وبالتالي موت عن الخطيئة، الجسد، الشهوات...<sup>4</sup> وإن كان في هذا السر يركز على الخلاص من الخطيئة -مصالحة مع الله-، ففي سر الثبوت "يسدد على الناحية الإيجابية في تأدية الشهادة لما حققه الله من أجل البشرية في يسوع وعلى استمداد القوة من الروح القدس للقيام بهذا الواجب"<sup>5</sup>.

ويتم بمسح طالبه بالزيت<sup>6</sup> في حين يقال له: "تقبل الروح القدس لتستطيع تأدية الشهادة للمسيح"، وقد تختلف تلك العبارة الأساسية اختلافا بسيطا باختلاف الكنائس مع المحافظة على جوهرها<sup>7</sup>، وما سر الزواج إلا تكريس أعمق لهذه الشهادة، لأن هذا السر ليس من الأمور الدنيوية، بل هو رمز إلى حب الله للبشرية وسيظل أميناً لوعوده لهم، لأن في اتحاد الرجل بامرأته علامة حية لحب الله للبشر ولحب المسيح لجماعة تلاميذه، ولهذا فالزواج التزام مدى الحياة، ولا فرقة مادام القرين حياً<sup>8</sup>.

ولا يمكن أن ينكر المسيحي الأهمية الكبيرة لهذا النوع من الحب، لأنها حقيقة مقررة من الله ويبقى هو دائما دليلاً، وهذا الحب هو اللغة التي تعلمه دوماً الاقتراب من الله والتشبه به، لذلك

<sup>1</sup> كورنثوس 15: 45. رومة 5: 14.

<sup>2</sup> كورنثوس 5: 14.

<sup>3</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 81.

<sup>4</sup> روما 6: 3-5. فيليبي 3: 10.

<sup>5</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 82.

<sup>6</sup> رمزية الزيت: الزيت علامة البركة الإلهية، وشجرة الزيتون الخضراء رمز للصالح المبارك من قبل الله. معجم اللاهوت الكتابي، ص 405.

<sup>7</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 82-83.

<sup>8</sup> نفس المرجع السابق، ص 83.

يمكن القول بأن حب الرجل للمرأة لا يمكن أن يوصف، أو يقتصر على مجرد الرغبة، ولكن قد يصل إلى درجة القدسية، فقد يشتمل على وفاء عميق، نداء، دعاء خفي قد لا يتفطن إليه من يعيش هذه التجربة، وبذلك يدخل المسيحي المحب في عالم من الحوار من المؤكد أن مصدره هو الله، وبذلك لا نتعجب إذا قرأنا أن المسيح عفا عن المرأة التي مارست الخطيئة فقط، لأنها بذلك أحبت كثيرا<sup>1</sup>.

ويطلب من الزوجين حبا لبعضهما البعض كما أحبهم الله، وإذا كان الزوجان مخلصين فسوف يرسل الله الحب ويزرعه في قلوبهما فيخلصهما بذلك من الأنانية، ويظهرهما ويعلمهما بأن وجود الشريك يعني وجود الله<sup>2</sup>، "وإذا كانت الخطيئة شوهت الزواج، فإن يسوع لا يكتفي برد نظام الزواج إلى ذلك الكمال الأصلي الذي كانت الخطيئة البشرية قد شوهته، إنما يقرر له أساسا جديدا يضفي عليه معناه الديني في ملكوت الله، فإنه، بالعهد الجديد الذي يؤسسه في دمه الخاص<sup>3</sup> يصير هو نفسه عريس الكنيسة، فخضوع الكنيسة للمسيح، وحب المسيح المخلص للكنيسة، التي افتداها ببذل ذاته من أجلها، هما القاعدة الحية التي يجب على الزوجين الاقتداء بها، وإثما لقادرين على ذلك، لأن نعمة الخلاص تمس حبهما ذاته، مكرسة له مثله الأعلى"<sup>4</sup>.

وإذا كان الزواج يتمتع بكل هذه القدسية، فلماذا لم يتزوج المسيح -عليه السلام-؟.

كما كان في اختيار المسيح للموت، ولم يكن هذا الاختيار كرها للحياة، وإنما ليعطيها بعدها الحقيقي، الأبدى، ليتمكن الناس من خلال محبتهم الخاصة إدراك أن الله أحب العالم بأكمله، ففي بقائه أعزبا ليس كرها بالنساء (كثير من النساء كن يردنه) وليس احتقارا للحب، ولكن لإعطاء الحب بعده الحقيقي<sup>5</sup>، وعليه يعد بولس حياة العزوبة المكرسة هي الحياة الأفضل<sup>6</sup> بل أكثر من ذلك "الذين لهم نساء فليحيوا كالذين لا نساء لهم"<sup>7</sup>، والأرامل لا يتزوجن.

<sup>1</sup> Jean Pierre Bayot : Pour vivre le mariage, P 66.

<sup>2</sup> Ibid, P 69. A.M. Carré : Compagnons d'éternité, P 116-117.

<sup>3</sup> متى 26: 28

<sup>4</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 404-405.

<sup>5</sup> Droguet- Ardant/ Fayard : Théo nouvelle encyclopédie catholique, P 798.

<sup>6</sup> 1 كورنثوس 7: 8، 25-28.

<sup>7</sup> 1 كورنثوس 7: 29.

إن مثل هذا السر -سر الزواج- لسر حقيقي، فكيف تكون دعوة للعزوبة؟ وأخرى للزواج؟

وخلاصة القول:

- الزواج رمز إلى حب الله للبشرية.
  - الحب في الزواج حقيقة مقررة من الله.
  - هذا الحب هو اللغة التي تعلمه كيف يقترب من الله.
- وجود الشريك يعني وجود الله... فكيف بالعقل الإنساني أن يجمع بين هذه الأقوال، والتفاسير، وبين الدعوة إلى البتولية واعتبارها الحياة الأفضل، وكيف للمتزوج المطلوب منه أن يبادل زوجته المحبة، لأن هذه المحبة بمثابة اللغة التي تجعله في صلة دائمة بالله (لا ندري من هو الأب؟ الابن؟ الروح القدس) وفي نفس الوقت يحيا حياة العازب!!؟.

وهذه الفئة -العزاب-، هي التي يتشكل منها السر الرابع وهو الدرجات المقدسة، أين "يكرس المسيحي حياته لخدمة الجماعة المسيحية، ومن خلالها جميع البشر؟!، وهناك ثلاث درجات أساسية: المطران، الكاهن، الشماس"<sup>1</sup>.

وبين أيدي هؤلاء يتم سر المصالحة، أو (سر التوبة) فيذكر أثناءها المسيحي بالحب الإلهي، وجوده، وكرمه على البشر<sup>2</sup>، الذي مثله العمل الفدائي من قبل ابنه الذي محا أثر الإهانة التي سببتها خطيئة آدم عن الله، وعن جميع البشر، لأن الإنسان عاجز عن مصالحة نفسه مع الخالق بعد أن

\* أما سائر الألقاب الكنسية الأخرى: البابا، رئيس الأساقفة، الكردينال، الأرشمدرت، المونسنيور،... فهي ألقاب تشير إلى وظائف معينة في الجماعة، ولا مدلول لها على صعيد الأسرار.

<sup>1</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 84.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 84.

أهانته بخطيئته<sup>1</sup> ولقد أحبهم وهم أعداء<sup>2</sup> فمات المسيح من أجلهم<sup>3</sup>، لذا فسر المصالحة متصل بسر الصليب<sup>4</sup> وبسر "المحبة العظمى" التي أحبهم بها المسيح<sup>5</sup>.

كما أن المصالحة تعمق العلاقات الشخصية في الحب<sup>6</sup> وهذا السر ليس بالجديد في الديانة المسيحية فثمة نصوص كثيرة في العهد القديم تحمل نفس المعنى: (إرميا 31 (31-33)، حزقيال 36 (24-30)، هوشع 2 (16-22)، حزقيال 18 (31-32)...) .

وإن كانت الخطيئة تهدد علاقة المرء بالله، فمرض الجسد أيضا يضع حدا للحياة الأرضية نفسها، وهو شر يعانیه البشر، كنتيجة للخطيئة ودليلا على تسلط الشيطان عليهم<sup>7</sup> لذا يشعر المسيح بالشفقة على المريض<sup>8</sup>، وما مجيئه إلى العالم إلا ليكون طبيب الخطاة<sup>9</sup> ليرفع عنهم العاهات والأمراض<sup>10</sup> ليحملها على عاتقه<sup>11</sup>، وفي هذه الحال يجب أن يشعر هذا المريض المهدد بالموت بوجود الله ومحبه في -سر مسحة المرضى-، وهذه المؤانسة من المسيح يقوده بها إلى الله مع جماعة من إخوانه المؤمنين التي تدعو له ومعه، بعد أن يمسح بالزيت، الذي هو دهن يبهج ويفرح بعطره، وهو رمز جميل للحب<sup>12</sup>، وللصداقة<sup>13</sup>، وللسعادة العلاقة الأخوية<sup>14</sup>، ورمز الفرح لأن به يشع

<sup>1</sup> 2 كورنثوس 5: 18.

<sup>2</sup> رومة 5: 18.

<sup>3</sup> رومة 5: 10.

<sup>4</sup> أفسس 2: 16.

<sup>5</sup> أفسس 2: 4.

<sup>6</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس، ص 45.

<sup>7</sup> لوقا 13: 16.

<sup>8</sup> متى 20: 34.

<sup>9</sup> مرقس 2: 17.

<sup>10</sup> متى 8: 17. أشعيا 53: 4.

<sup>11</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 725.

<sup>12</sup> النشيد 1: 3.

<sup>13</sup> أمثال 27: 9.

<sup>14</sup> مزمو 133: 2.

الوجه<sup>1</sup>، ولذلك فإن المسيحي سيبدل أمني الفرح والسعادة، ويقدم الصداقة والفخر في سكبته الزيت على رأس الإنسان<sup>2</sup>.

كما تضيء الزيوت المقدسة على المسيحي نعمة الروح القدس المتعددة الصور، هذا الروح الذي جعل يسوع حامل المسحة الأمثل وابن الله<sup>3</sup>، وتطبيق للمزمور 45 (8)، إعلان للاهوته<sup>4</sup> وليس المرض وسر المسحة فرصة أخيرة للتكتل المسيحي بل هناك فرص أخرى، تصنف من أهم الأسرار، وعمل أساسي في الإيمان المسيحي، وشعائر العبادة المسيحية وهي سر الأفخارستيا.

## 2- الأفخارستيا:

ليست الأفخارستيا في نظر المسيحي واحدا من الأسرار السبعة فحسب، بل هي العمل الأساسي في الإيمان المسيحي وشعائر العبادة المسيحية وتتضمن معان عدة منها:

شكر<sup>5</sup>، بركة، عرفان الجميل، الامتنان، التسبيح (قد يأخذ شكل الصلاة)<sup>6</sup>. والشكر أكثر تداولاً في اللغة الإغريقية العادية، ويوجد أيضاً في النص اليوناني للكتاب المقدس، خاصة في مجال العلاقات الإنسانية<sup>7</sup>.

والأفخارستيا في الاستخدام المسيحي دلالة على العمل الذي أسسه يسوع عشية موته، وثمة نصوص عديدة تورد تأسيس الإفخارستيا: متى 26 (26-29)، مرقس 14 (22-25)، لوقا 22 (15-20)، 1 كورنثس 11 (23-25) ...

<sup>1</sup> مزمور 104: 15.

<sup>2</sup> مزمور 23: 5، 92: 11. لوقا 7: 46. متى 26: 7.

<sup>3</sup> عبرانيين 1: 9.

<sup>4</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 406.

<sup>5</sup> تناول الأكل بشكر: رومة 14: 6، 1 كورنثس 10: 30، 1 تيموثاوس 4: 3-4. ويكون الشكر مرادفاً للتسبيح (Eulojein) 1 كورنثس 14: 6-18). الشكر: 2 مكابيين 1: 11، 1 تسالونيكي 3: 9، 1 كورنثس 1: 14، كولسي 1: 12.

<sup>6</sup> يأخذ شكل صلاة: حكمة 16: 27، تسالونيكي 5: 17-18، 2 كورنثس 1: 11، كولسي 3: 17.

<sup>7</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 85.

## أسرار الأفخارستيا: هي:

- 1- تذكّار: أعجوبة محبة يشترك هؤلاء فيها باتحادهم بالشركة في جسد المسيح الرب، وبه يتحدثون مع جميع أعضائه<sup>1</sup>.
- 2- الأفخارستيا: سر ذبيحة المسيح، سر المحبة، سر الوحدة في جسد المسيح<sup>2</sup>.
- 3- إن كانت الأفخارستيا تحمل معنى الشكر<sup>3</sup>، فالشكر هو الاعتراف بأن كل شيء هو نعمة، وإذا كان كل شيء نعمة فلا بد أن يكون كل شيء شكر<sup>4</sup>، والمحبة بدون الشكر لا تكون محبة مسيحية حقيقية، بل تكون من كرم الملاك<sup>5</sup>.
- 4- الأفخارستيا هي السر المثالي هي: "علاقات فعالة" لا يعني على الإطلاق أنها خارج الحقيقة، بل أنها أعمق الحقائق<sup>6</sup>.
- 5- هي ذكرى للمسيح<sup>7</sup> ويخبرون بموته إلى أن يأتي<sup>8</sup>.
- 6- الأفخارستيا هي عوض المسيح "حقيقة المسيح ودمه، بل عوضه حقيقة المسيح ومحبه"<sup>9</sup>، وهذا التفسير نتيجة استنكار يهود كفر ناحوم إذ قالوا "كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لناأكله"<sup>10</sup>.
- 7- الإشتراك في جسده ودمه هو الدواء لعدم الموت الذي يتكلم عنه الآباء اليونانيون لحياة بشرية، بل موت لحياة روحية دخلت كلها في الملء الإلهي<sup>11</sup>.

<sup>1</sup> 1 كورنثوس 10: 14-22.<sup>2</sup> 1 كورنثوس 10: 4-22.<sup>3</sup> كلمة أفخارستيا اليونانية مشتقة من فعل شكر.<sup>4</sup> الأب فرانسوا قاريون اليسوعي: فرح الإيمان، بمحة الحياة، ص 309.<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 312.<sup>6</sup> نفس المرجع السابق، ص 303.<sup>7</sup> 1 كورنثوس 11: 25. لوقا 22: 19.<sup>8</sup> 1 كورنثوس 11: 26.<sup>9</sup> رومانو كوارديني: قيامة المسيح، ص 21.<sup>10</sup> يوحنا 6: 52.<sup>11</sup> رومانو كوارديني: قيامة المسيح، ص 21.



8- الأفخارستيا عيد، بل هي شرط كل عيد، لأنه لولا الأفخارستيا، لما كان هناك رجاء قيامة، ولكان العبد البشري مقفلاً على نفسه في دائرة الموت<sup>1</sup>.

9- الأفخارستيا هي رمز الوحدة في جسد واحد، لاشتراكهم في خبز واحد<sup>2</sup> دون الفصل بين حب الأفخارستيا وحب الصليب والروح، لأن السعادة المسيحية الكاملة لا تتحقق مع تواجد أحد هذا الثلاثي دون تواجد الآخر<sup>3</sup>.

الأفخارستيا تحقق الوحدة التي أرادها المسيح، ولكن ليست الجماعة مجرد مجموعة، فلا وجود لها، إن لم يكن هناك روابط محبة وصدقة متبادلة<sup>4</sup>.

أما عن طريقة الاحتفال بهذا السر أو إحيائه، فتقام إما في البيوت أو في الكنائس، ولقد ابتكرت الكنائس طقوسها الخاصة للاحتفال، لكن في كل الأحوال هناك عنصران ثابتان في تلك الطقوس:

- القراءات في الكتاب المقدس (اثنان أو ثلاث).

- تناول القربان المقدس، وفي أثناء مباركة الخبز والخمر يتلو أثناءها المترنم كلمات يسوع في العشاء الأخير<sup>5</sup>.

أما عن دلالة الخبز والخمر تكمن في: يمثّلان جسد ودم المسيح، وبالتالي أن حضور المسيح في الأفخارستيا هو حضور حقيقي، بل أكثر أنواع الحضور لأنه يحقق حضوره في كل أعمال المسيحي الحرة<sup>6</sup> "من أكل جسدي وشرب دمي فله الحياة الأبدية"<sup>7</sup>.

ويعتبر الخمر الناتج عن الأرض المقدسة، مع القمح والزيت، جزءاً من الغذاء اليومي<sup>8</sup>، وهو يتميز بكونه يفرح قلب الإنسان<sup>9</sup>، ولذلك يكون أحد عناصر الوليمة الخاصة بالمسيح، وقيل كل شيء جزءاً من عشاء الأفخارستيا، حيث يعترف المؤمن الفرحة من منبعه في محبة المسيح<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> الأب فرانسوا قاريون اليسوعي: فرح الإيمان، بمحة الحياة، ص 313.

<sup>2</sup> 1 قور 10: 16-17، 11-26.

<sup>3</sup> R.P Mateo craw ley- Boevey : *Jésus roi d'amour*, P 233.

<sup>4</sup> الأب فرانسوا قاريون اليسوعي: فرح الإيمان، بمحة الحياة، ص 313.

<sup>5</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 85.

<sup>6</sup> الأب فرانسوا قاريون اليسوعي: فرح الإيمان، بمحة الحياة، ص 302.

<sup>7</sup> يوحنا 6: 54.

<sup>8</sup> التثنية 8: 8، 11: 4. 1 الأيام 12: 41.

<sup>9</sup> مزمو 104: 15. قضاة 9: 13.

<sup>10</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 330.

وإن كان السكر يمنع بلوغ الملكوت<sup>1</sup> إلا أنه أيضا يحاول أن يدخل في دائرة القدسيات فيشركه القورنثيون في طعام المحبة<sup>2</sup>.

كما يبحث الإنسان في السكر عن إظهار ذاته، والتحرر من كل المكبوتات، بعد إشراكه بنشيد الأناشيد بالحب<sup>3</sup> فيجد فيه فرحا كبيرا، إلا أن الروح هو وحده القادر على إعطائه هذا الكمال الحقيقي<sup>4</sup>.

وفي انتقاء -يسوع- الخبز والخمر، فإنه بذلك أعاد إلى أرض البشر قيمتها المقدسة، وما هي إلا صنع يديه وعلامة حضوره ومحبته، وإن كان البشر قد استخدموها وسوف يستخدمونها ليعرضوا عن الله "يدفنوا فيها وزنتهم"<sup>5</sup>، فالمسيح قد تولاهما<sup>6</sup> بأن جعلها جديرة بأن تحمل سره في أخذه ثمرةا -الخبز-<sup>7</sup>، ليترك حضوره بالجسد تحت علامة محسوسة<sup>8</sup>.

### المطلب الثاني. التطبيقات العملية للمحبة المسيحية:

لقد أحب المسيح -عليه السلام- على حد الاعتقاد المسيحي، البشر حبا فدائيا، أحبهم إلى حد الموت، فداهم بدمه على الصليب، فأحياهم بعدما أماتتهم خطيئة -آدم عليه السلام-، وبهذا الفعل الفدائي أثبت أن كله حب، لأنه ابن الحب، ورسالته للبشرية تحمل عنوان -الحب-، - المحبة-، فالمسيحي مدين لإله الحب بهذا الخلاص، ومستأمن على هذه الرسالة الإلهية التي أرادها الأب أن تخضب بدم ابنه -يسوع-، إنها محبة متميزة "الأعزب في الكون، محبة شبيهة بالمعجزة،

<sup>1</sup> 1 كورنثوس 5: 11، 6: 10. رومة 13: 13. غلاطية 5: 21. 1 بطرس 4: 3.

<sup>2</sup> 1 كورنثوس 11: 21.

<sup>3</sup> نشيد 5: 1.

<sup>4</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 422.

<sup>5</sup> متى 25: 18.

<sup>6</sup> كولوسي 1: 20.

<sup>7</sup> مزمو 104: 14.

<sup>8</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 64.

محبة لا تقاوم، والوحيدة التي لا تنقص أبدا ولا يحرم منها أحد<sup>1</sup>، إنها محبة ليست بالاختيارية، بل منة من القدر ويجد فيها المسيحي راحته-إن هو عاشها-.

وهذا القول المسيحي أفصح "لو تعرفون كم الله جميل، وكم هو طيب، لو تعرفون كيف يغمر المآسي برحمته الواسعة فسوف تفهمون كيف تفيض القلوب بحبه مما يمنحها القدرة على الحياة والكفاح، يا لها من راحة تلك التي تتولد عن الثقة في الله ومحبهه، ويا لها من طريقة للتخلص من حب النفس، كم أحس من الفرحة في قلبي نتيجة الانتقال من الحرمان إلى حضن المسيح، فحبنا لله ليس اختياريا ولكنه قدر، والحب لا يكون أنانيا، وفي هذا الحب تفاني لخدمة المسيح بقدسية"<sup>2</sup>.

هذا الإله الذي "لن يكون لها إذا لم يحظ بالتقدير الكامل فيجب أن يكون في الصف الأول من جملة التقديرات وفي الصف الأول للمحبوبين"<sup>3</sup>، لكن هذا الحب باعتباره من أسس العقيدة المسيحية، قد ظهر في تعاليم وأقوال السيد المسيح متصفا بصفتين، الأولى أنه قد ظهر في الأفعال وموعظة "الجبل" مؤكدا على السلوك العملي والبطولي والإيجابي تجاه الحياة، والصفة الثانية أن مسائل تطبيقية في الحياة العملية، قد تركت غامضة وغير واضحة<sup>4</sup>، ويفسر هذا الإجمال بالعمدي، لترك باب الاجتهاد مفتوحا، ويعقب على هذه الاجتهادات، بأنها قد انحرفت عن وجهة -السيد- إلا أنها أصبحت تشكل مساهمة أساسية في العقيدة المسيحية<sup>5</sup>.

وفي ثنايا مناقشته لمسألتين جوهريتين في -المحبة المسيحية-، -إدارة الحد-، ثم يتساءل "إذا كان المسيح قد حدد الله والجار كموضوعين للحب، فإن السؤال أصبح يدور حول الأعمال التي يجب أن يقوم بها المحب، للتعبير عن حبه لهذين الموضوعين، ويرى، أنه ربما تكون الإجابة واضحة بالنسبة لحب الله، فلقد حددتها العقيدة، بنقاء سريرة المحب، والولاء الكامل لله، والثقة والخضوع التام للإرادة الإلهية، أما مسألة حب الجار فقد تركها "السيد" غير محددة..."<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> Maurice Brillant : *Le plus bel amour, Bloud Gay, P 83.*

<sup>2</sup> Henri Bontoux : *Les étapes de déhival sans les voies de l'amour, P 450, 455, 517, 518.*

<sup>3</sup> A.D Sertillanges : *L'amour chrétien, P 51.*

<sup>4</sup> جوزايا رويس: فلسفة الدين، تعريب أحمد الأنصاري، مركز الكتاب للنشر، 2004، ص 299.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 299.

<sup>6</sup> نفس المرجع السابق، ص 301.

كما يرى أن "الصفة الثانية لمذهب الحب المسيحي لا تعد صفة بقدر ما تعد إشكالية عامة تتعلق دائما بين النظرية والتطبيق"<sup>1</sup>، وبالفعل إنها إشكالية، إشكالية تطبيق المحبة المسيحية، لأن هذه الديانة تفتقر إلى الشريعة بمفهومها الشامل للعبادات، والمعاملات، والأخلاقيات، والواقع أنه لا يوجد في الديانة المسيحية أحكاما شرعية تمس كل هذه المواضيع إلا في بعض الجوانب القليلة جدا.

ففي العبادات توجد الصلاة، والصوم، أما الزكاة فلا يوجد تحديد لنصاب، أو لمقدار محدد، والموجود، حث على التصدق، والترغيب في ترك الدنيا بالكلية، أما الحج يكون بزيارة الأماكن التي يعيش فيها المسيح في فلسطين. أما المعاملات المالية، فلا شيء فيها، لأن المسيح رفض أن يقسم مالا بين اثنين، أما النوع الثالث، الجنايات والحدود، والأخلاق فيطغى عليه الجانب الأخلاقي<sup>2</sup>.

والمقام لا يسمح بالتفصيل في مثل هذه المواضيع الشحيحة، لكن من الواجب الوقوف عند المحطات التي تترجم - المحبة - على أرض الواقع على مستويات:

- على مستوى العبادات.

- على مستوى العلاقات (الخاصة، والعامّة).

### 1- المحبة العملية في العبادات:

يقر المسيحيون أن العبادة التي يؤذونها انتقلت إليها بعض الطقوس من العبادة القديمة، إلا أنها اكتسبت جديتها من الذبيحة الكاملة، والنهائية التي قدمها المسيح ابن الله<sup>3</sup> فيستطيعون الاتحاد في هذه العبادة النبوية التي يقدمها المسيح للأب في السماء والتي حقيقتها هي الحياة الأبدية (عبرانيين 26/7، 1/8-2، 14/9-26)<sup>4</sup>.

كما ينظرون إليها على أنها تعبير عن إيمانهم بالله ومحببتهم له، والإيمان والمحبة من أسمى الفضائل الإلهية وأهمها "فالإيمان نور يهدي الإنسان، ويدله على الطريق السوي فيبعده عن

<sup>1</sup> جوزايا رويس: فلسفة الدين، ص 300.

<sup>2</sup> مصطفى شاهين: النصرانية تاريخا وعقيدة وكتب ومذاهب دراسة، تحليل، مناقشة، ص 227.

<sup>3</sup> (عبرانيين 1 : 2-3)

<sup>4</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 520.

الضلال، والكذب، والنفاق، والسحر والخرافات، والمحبة حياة الإنسان وسعادته على الأرض، وفي الآخرة، فلا هناء له إلا بالمحبة، كما أنه لا سلام ولا رفاة، ولا أمن للمجتمع إلا بالمحبة<sup>1</sup>.

والعبادة أنواع: منها الجماعية، والشخصية، لكن هذان النوعان لا بد من مرافقة أحدهما للآخر... فبدون العبادة يفقد الإيمان حيويته، كما يفقد الجسد حياته بدون الروح<sup>2</sup>.

وهناك تقسيم على أساس: الفردية، والعلنية، والفردية: وهي التي تعبر عما يضطرم في قلب المؤمن من عواطف الإيمان والمحبة، والرجاء، والسجود... والعلنية: وهي التي تظهر هذه العواطف بالألفاظ والإشارات، والرموز، كالصلوات التي يقوم بها المؤمنون بصورة علنية، وتضاف إليها الجمهورية، وهي التي تقيمها الكنيسة رسمياً باسمها واسم المؤمنين جميعاً كصلوات القديس الإلهي، والطقوس الدينية، ولكن يسوع يصبغها بالروحانية، لا تتم بمعزل عن الروح القدس، الذي يؤهل لها من هم مولودون منه الولادة الجديدة<sup>3</sup>.

واستناداً إلى هذه الأقوال، يمكن القول أن التطبيق العملي للعبادة يكمن فيما تركه من آثار على قلب وعقل -المسيحي-، إلى غاية إحساسه بالاتحاد معه. وتلخص هذه الآثار في النقاط الآتية:

- الشكر المسيحي الدائم للأب الذي دفع ابنه ذبيحة "تعبر العبادة الطقسية بما فيها تسابيح الحمد، عن العبادة الروحية بالشكر المسيحي الدائم للأب بابنه الرب يسوع"<sup>4</sup>.

- الصلاة والصدقة أحد الأركان الأساسية التي تعبر أمام الله، عن تواضع الإنسان ورجائه ومحبته<sup>5</sup>.

- العبادة تقوي الإيمان وتضرم نار محبته، وفي ازدياد الإيمان والمحبة ارتفاع النفس البشرية وتقربها من الله خالقها<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> وزارة التربية، الجمهورية العربية السورية: الطرق الخاصة في التربية المسيحية، ص 44.

<sup>2</sup> الأب فاضل سيد اروس اليسوعي: بين وحي الله وإيمان الإنسان، ص 154.

<sup>3</sup> يوحنا 4: 23-24، 7: 37-39، 4: 10 و 14.

<sup>4</sup> كولسي 3: 12-17.

<sup>5</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 488.

<sup>6</sup> نفس المرجع السابق، ص 524.

- العبادة الصادقة تسمو بالأخلاق وتطهر العادات وتكثر الفضائل، التي بها يصلح المجتمع، وتستقيم الأعمال، ويحسن الجوار، وتصدق المعاملات والوفاء بالعهود<sup>1</sup>.

والحقيقة أن هذا التطبيق يبدو ولا عملي، بل لا يتعدى صيته أطراف الألسنة، لأن واقع المسيحيين لا يقول بذلك وهي حقيقة يقر بها قلم أحد الكتاب المسيحيين إذ يقول: "يعاني المسيحيون غالبا من صعوبة الصلاة، ربما لجهلهم أهميتها ودورها، أو لأنهم لا يعرفون أوجه الصلاة المتعددة، ويعتبرونها كتمرين للخشوع، أو كواجب ثقيل الأداء، والبعض لا يعود للصلاة إلا في أوقات الأزمات، وسرعان ما ينسونها، بمجرد ظهور الحلول. إن تعريفا -ولو بسيطا- لطرق الصلاة سيشرح المؤمنين حتما على الاتحاد مع الله بالصلاة"<sup>2</sup>.

فقد استعمل الكاتب كلمة -معاناة-، إنها حقيقة معاناة الغرق في وحل المادية المعولة التي أنستهم إنسانيتهم وتعاليمهم -حتى وإن كانت مبنية على قاعدة هشة-، فصوبوا رشاشاتهم للقريب والبعيد، وهم أهل هذه الوصية التي أطلعهم بها الإنجيل "سمعت أنه قيل "أحب قريبك، وابغض عدوك" أما أنا فأقول لكم: "أحبوا أعداءكم وصلّوا لأجل الذين يضطهدونكم... فإنه، إن أحببتم من يبكم، فأى أجر لكم؟"<sup>3</sup>.

فالمطلوب من المسيحي أن لا يكتفي بعبادته الفردية ليثبت حبه لله، فالمطلوب منه أن يوسع علاقاته العامة.

## 2- تطبيقات المحبة في العلاقات (الخاصة والعامة):

من مقتضيات محبة الله محبة القريب (متى 22/39، مر 12/31)، ويفصل يوحنا أكثر "إن قال أحد أني أحب الله وهو مبغض لأخيه، فهو كاذب، لأن من لا يحب أخاه الذي يراه كيف يستطيع أن يحب الله الذي لا يراه؟ ولنا منه هذه الوصية: أن من أحب الله فليحب أخاه أيضا"<sup>4</sup>، ومن بين جوانب هذا الحب يتجنب بغض أخيه، لأن يسوع ضحية البغض، إلا أنه بموته يصرع

<sup>1</sup> معجم اللاهوت الكنابي، ص 527.

<sup>2</sup> Sator Mame : Jésus hier et aujourd'hui, P 82.

<sup>3</sup> متى 5: 43. لوقا 6: 32-33.

<sup>4</sup> يوحنا 4: 20-21.

البغض<sup>1</sup>، "لأن هذا الموت هو فعل حب يدخل المحبة من جديد إلى العالم، ويثبتها فيه نهائياً"<sup>2</sup>، وهي النور الذي يضيء حياة المسيحي لأنه "ومن يبغض أخاه فهو في الظلام"<sup>3</sup> فالأخ (اليهودي، والمسيحي) تقدم له كل المعونات المعنوية والمادية "وبهذا فقد عرفت المحبة أن ذاك قد بذل نفسه من أجلنا فيجب علينا أن نبذل نفوسنا من أجل الإخوة، ومن كانت له المعيشة العملية ورأى أخاه في فاقة فحبس عنه أحشاءه، فكيف تحل محبة الله فيه؟ أيها الأبناء لا تكن محبتكم بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق"<sup>4</sup>.

والمحبة المسيحية، تعبت بالممكنات، فهي تجتاز حدود المودات الأخوية القريبة، فتتخطى ذلك العطف الذي يشمل القرابة، ليطال محبة العدو، فالنصوص الإنجيلية تطلب أن يحب العدو ويصلي لأجله، بل أكثر من ذلك يسعد المسيحي لهذا الاضطهاد "كونوا سعداء إذا اضطهدكم الآخرون وشتموكم بشتى أنواع الشر لأنكم أتباعي، كونوا فرحين ومسرورين بذلك لأن مكافأة كبيرة تنتظركم في السماء، كذلك كان الأنبياء السابقون يضطهدون"<sup>5</sup>.

ويجلي أحد الكتاب المسيحيين هذه المسألة أكثر فيقول "إن الاضطهاد لا يفاجئ المسيحيين، ولا يغيّر من اتجاههم الإيجابي في العالم، والمسيحيون لا يستمتعون بالعذاب ولكن فرحتهم بالاضطهاد تنبع من السلم الذي يجدونه في الله عن طريق المسيح"<sup>6</sup>.

ودعى إلى الفصل بين كره الشر كشر، وبين كره المتسبب فيه، فهذا مدعاة لحيه، يقول: "إن كره الشر يختلف عن كره من يسببه، من الصعب التفريق بين الشر ومن يتسبب به، ولكن إذا انتبه كل واحد منا إلى طبيعته الميالة إلى فعل الشر فنستطيع أن نتفهم موقف الشرير، أو العدو ونحبه، إذا تذكرنا خاصة المسيح وحبه لمن كانوا يعذبونه مثلاً: "قاطع الطريق الذي صلب بجوار

<sup>1</sup> أفسس 2: 14 و16.

<sup>2</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 168.

<sup>3</sup> 1 يوحنا 2: 9-11، 3: 15.

<sup>4</sup> 1 يوحنا 3: 16-18.

<sup>5</sup> متى 5: 11-12.

<sup>6</sup> Sator Mame : Jésus hier et aujourd'hui, P 126.



المسيح"، فلا يمكننا إلا أن نقتدي به ونقول معه "أيها الأب، ساعهم لأنهم لا يدركون ما الذي يقومون به"<sup>1</sup> 2.

فالحبة لا تعرف اليأس، فهي تتميز بالصفح بدون حدود<sup>3</sup>، وبالمبادرة الطيبة نحو الخصم<sup>4</sup>، والصبر عليه، ومقابلة شره بخير<sup>5</sup>.

فالمسيحي يظهر طوال حياته أنه موجه بالمسيح يوجهه بمحبته لجميع الناس، ومسامحته لهم، وتواضعه وتضحيته بذاته إكراما لاسم يسوع، محاولا أن يعيش عيشة مسيحية، وإن يفعل ذلك إلا لينتصر على الخطيئة - كيف وقد انتصر عليها يسوع؟-، ويزيل السبب الحقيقي للانقسامات بين البشر على كافة المستويات: البشرية، السياسية، منها والاقتصادية، والاجتماعية - فخميرة الوحدة تكمن في المحبة-، وبدون هذه الخميرة سوف يكون كل حل بشري ضعيفا واهيا، وقد وضع الله هذه الخميرة في قلب كل إنسان<sup>6</sup> ليغير وجه العالم.

### المحبة الفعالة تغير وجه العالم:

المسيح، - في الاعتقاد المسيحي - هو عنوان محبة، أو المحبة بالذات، ومنذ أن تجسدت الكلمة تغلب الإنسان على الإنسان، وأصبح لوجود الإنسان على سطح الأرض معنى جديد، فما عاد العالم الجديد أمرا خياليا وهميا، وأصبحت الآلام علامة النمو والتقدم والازدهار، لأن الزمن لا يبدد، بل يستفاد منه للعمل على تجديد هذا العالم بأن ينفخ فيه المسيحي العامل، روح المسيح، روح المحبة والسلام<sup>7</sup>، وكي يكون فعالا "لا يقل كفاي حبا"<sup>8</sup>.

لأن المحبة ليست إلا فيضا لحب الله في هذا العالم، فعن طريقها يدخل الحب الإلهي في علاقات البشر ويغير وجهها، وبواسطتها ينتشر صلاح الله ويتحقق مشروعه في توحيد جميع

<sup>1</sup> لوقا 23-24

<sup>2</sup> Sator Mame : Jésus hier et aujourd'hui, P 128.

<sup>3</sup> متى 6: 12-14-15، 18: 21-22.

<sup>4</sup> متى 5: 23-24.

<sup>5</sup> روما 12: 14-21.

<sup>6</sup> الأب فيكتور شلحت اليسوعي: الإنسان في ضوء المسيح، ص 72.

<sup>7</sup> نفس المرجع السابق، ص 101-102.

<sup>8</sup> نفس المرجع السابق، ص 146.



البشر، وتسهم في إشعاع السلام بينهم<sup>1</sup> بفضل روح العدالة والمحبة التي تقودهم وتحقق التوازن البشري، فتحترم الشرائع الأساسية التي يجب أن تسوس البشر، ألا وهي العمل المشترك في حدود احترام كل إنسان وكرامته<sup>2</sup>.

### المطلب الثالث. الرهينة والتصوف المسيحي:

لقد استطاع كتاب الأناجيل أن يصوروا الله الصورة التي شاؤوها، كما كانت لهم القدرة الفائقة في تشكيل علاقة المؤمن -المسيحي- بالله -الواحد-، وليس -الوحيد- (الأب، الابن، الروح القدس)، الذي أحب البشر، فجاد بابنه الوحيد، وبلغت ذروة هذا الحب على الصليب لخلاص البشرية من خطيئة آدم والحب ثمنه الحب كما سبق الذكر-، وما على المسيحي إلا أن يرد الجميل بالجميل، والكنيسة هي الوصية، والساهرة على تجسيد هذا الرد الخلاصي، وما تعرضنا إليه من التطبيقات العملية يعد نوع من هذا الاعتراف، لكن هناك من التابعين من شق لنفسه طريقا آخر للتقرب من الإله، وإرواء ظمأ الحب الإلهي الذي اشتغل في قلبه، فأمات شهواته ليضاهي موت إلهه، أو ابن إلهه؟! على الصليب، واتخذت هذه الحياة الجديدة صورا، عرفت بمسميات مختلفة، الزهد، الرهينة، التصوف، وهي مصطلحات مترجمة عن كلمة Mystique، فهل هناك من فرق جوهرية بينها، أم هي واحدة في معناها ولا تفرق بينها إلا بترجمة المترجمين؟

#### 1- مفهوم الزهد:

فالزهد له علاقة وطيدة بعقيدة -الصلب والفداء-، وموت -المسيح- لن تكون واقعية ما لم يمت معها جسد المسيحي، وفي هذا القمع الجسدي حياة لجسده الذي هو على الأرض والتمثل في الكنيسة وتفصيل هذا الكلام في هذه المفاهيم المختلفة.

أ- الزهد هو الموت اليومي: يعتقد المسيحيون أن اتحادهم بموت المسيح، والمتحقق سريريا في المعمودية، يجب أن يتم فعليا في حياتهم اليومية، فهذا هو معنى الزهد عندهم، والذي بواسطته "يقمع" أو "يميت" فيهم أعمال الجسد<sup>3</sup>، أو "أهواء الأعضاء التي على الأرض"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الأب فيكتور شيلحت اليسوعي: الإنسان في ضوء المسيح، ص 138-139.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 41.

<sup>3</sup> روما 8: 13.

<sup>4</sup> كولوسي 3: 5.

إن مثل هذا الموت يحقق موت يسوع فعليا، ويمد خصوبته إلى جسده الذي هو الكنيسة<sup>1</sup>.

ب- الزهد هو كمال الاتحاد: يؤكد صاحب هذا التفسير بأن هذا هو المعنى الدقيق للزهد إذ يقول الكاتب: "... ولهذا فإن للزهد معنى دقيق جدا، فإن اتحدنا بموت المسيح، الذي تم في المعمودية، والذي لا يزال مشدودا نحو اكتمال يجب أن يدمج كياننا كله، يحقق بفضل ذلك الزهد، في أثناء حياتنا على هذه الأرض، بقدر ما "نميت أعضائنا الأرضية" (قول 5/3) وأن محبة الله في الروح القدس هي التي تجري فينا إعادة صهر الكائن فينا، أما موتنا الجسدي فهو فصلها الأخير"<sup>2</sup>.

ويبدو أن المعنى الأول والثاني اجتماعا في كون الزهد يتجسد في قهر الأعضاء وإماتتها، ويرى المسيحي في الموت رجاء مادام المسيح هو حياته<sup>3</sup> لأنه يرغب في أن يكون معه<sup>4</sup>. ويذكر بولس، أنه لابد للحكمة والمحبة من أن تنظما هذا الزهد<sup>5</sup>.

## 2- الرهينة:

هي أحد أنماط الحياة الإيمانية لدى المسيحيين لمن أراد، أو استطاع، فهي خاصة وليست عامة، كما ينفرد أهلها بعبادات متميزة، والبتولية شرط مهم لهذه الحياة، حتى وإن كان الراهب في بيته ومع زوجته؟! وتفصيل هذا الكلام في هذه التعاريف المتخصصة.

"الرهينة هي أحد أنماط عيش الإيمان المسيحي، وليست العيش المسيحي، شهادة إيمان معاشة تؤدي يوميا وفي كل لحظة على مسرح الحياة اليومية، تتجلى فيها طقوس عبادة صامته غالبا، لكن في دائبة الحركة الداخلية والبادية منها للعيان"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> معجم اللاهوت الكنابي، ص 786.

<sup>2</sup> الأب أوغسطين دوبريه لاتور: دراسة في الإسكاتولوجيا، ص 122 عن

*Pierre Grelot : Le monde à venir, Paris, Centurion 1974, P 119.*

<sup>3</sup> فيليبي 1: 21.

<sup>4</sup> فيليبي 1: 23.

<sup>5</sup> روما 14: 21. 1 كورنثوس 10: 31.

<sup>6</sup> مطران عربي: المسيحية والتصوف، مجلة المعارف، السنة 14، العددان 48-49، 1425هـ-2004م، ص 446.  
(مطران عربي: مطران في كنيسة العرب بدمشق، هو النائب البطريكي العام للروم الملكيين الكاثوليك).

ويحصل كلامه في قوله "والمحصلة هي خيار مستحب في المسيحية لمن يقدر على النهوض به، أو من شاء تدريب النفس عليه، وقد قال بولس الرسول علنا: من استطاع أن يبقى مثلي فحسننا يفعل، كما أن البتولية شرط هذه الحياة في المسيحية، بل ومفضلة، وقد حققها الكثيرون وهم في بيوتهم ومع رفاق حياتهم أيضا، وهي نمط سلوكي راق ومعروف أيضا..."<sup>1</sup>.

وينفي -المطران- أن يكون للرهبنة علاقة بالرهبة من الخطيئة في إجابته عن سؤال يقول: "يفسر البعض مفهوم الرهبنة بأنه الرهبة من الخطيئة، كيف يمكن أن نجتمع بين الحب والشوق إلى الله والخوف منه؟"<sup>2</sup>.

فكان الجواب "ليس ثمة علاقة بين الرهبنة كنمط للعيش في المسيحية، وبين الرهبنة، وحتى الرهبان...، وقضية الخوف تترجم في خوفنا على صفو عينيه مما يعكرها... خوفنا على قلبه مما يحزن... وليس من جحيمة"<sup>3</sup> ويلخص كلامه في "والرهبنة ليست من رهبة الخطيئة أبدا بل هي كل حالات هذا الحب وتوق إلى تلك العبادة"<sup>4</sup>، ولكن تبقى للخطيئة الأصل، أو المنبع لحالات الحب المختلفة سواء التي يعايشها الراهب، أو غيره من المسيحيين، فلولا الخطيئة، ولولا الخوف منها، لما عرف الحب المسيحي طريقه إلى الإيمان المسيحي، فيمكن القول أن الخطيئة والخوف منها، هي رحم هذا الحب، ونستخلص ذلك مما مر علينا.

أما عن التصوف، فقد فرّق بعض الباحثين بين مصطلح الرهبنة، والتصوف في سؤال: لماذا في المسيحية، الرهبانية وليس التصوف. وخلاصة الجواب: كل من الرهبانية والتصوف يجمعهما -سلوك فردي-، لكن في الرهبانية يكون الخضوع لرئيس، والتصوف هو السيطرة على النفس بمعيار أخلاقي من أجل إرضاء الضمير وهذا قوله:

"الرهبانية: هي الخضوع لرئيس يتمثل اللاهوت الكنسي"<sup>5</sup>

<sup>1</sup> مطران عربي: المسيحية والتصوف، ص 447.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 450.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 450.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 450.

<sup>5</sup> محمد عبد الحميد الحمد: الرهبنة والتصوف في المسيحية والإسلام، وزارة الإعلام، ط1، 2004، ص 45.

"التصوف: نسك فردي قائم على سيطرة نفس المرء المتصوف على انفعالاتها، ومعيارها التمسك بالواجب الخلقى من أجل إرضاء الضمير"<sup>1</sup>.

كما فرّق بين المصطلحين -الرهينة والتصوف- من جانب الأصول.

الرهبانية المسيحية استمدت أصولها عن طريق الإيمان بيسوع المسيح، لأنه هو الطريق إلى الحياة الأبدية. بينما التصوف الخلاص فيه يتم عن طريق الزهد، وبإطفاء إرادة الجسد للوصول إلى الاتحاد بالله<sup>2</sup>.

فالملاحظ أنه جعل من الزهد وسيلة من وسائل التصوف، فالخلاص في التصوف يتم عن طريق مجاهدة النفس، والسمو بها بالمعرفة الإلهية للوصول إلى الاتحاد بالله...<sup>3</sup>.

وإن خص هذا الكاتب المسيحية "بالرهينة" دون "التصوف" فإن المسيحيين يستعملون هذا المصطلح بشكل واسع، وبمفاهيم أوسع، لأن هناك من يراه أنه سر، والسر يصعب فهمه، ولأن الله سر، وطالبه سيخوض غمار طريق سري، وكل لحظة يجيهاها هذا الطالب في -الحب- تسمى خبرة صوفية. وفي هذه التعاريف التفصيل الأوضح.

**الصوفية Mystique:** لا تخلو هذه الكلمة من إهمام، فهي قريبة من كلمة سر *Mystère*، ما يعبر عما هو مطلق، وبالتالي عما يفوق معرفة الإنسان العادية، لأن الله في حد ذاته سر، والذي يبحث عن الله يخوض غمار طريق سري.

والخبرة التي يكتسبها عن الله في الصلاة، وفي العمل هي خبرة لعطية مجانية تحدث تغييراً عميقاً، ويتخللها ألم مطهر وفرح يفوق كل توقع ويجعل كل شيء جديداً، وكل لحظة من هذه المنهجية المفارقة للحب تستحق أن تسمى "خبرة صوفية"<sup>4</sup>.

معنى السر: في التعبير المسيحي يأخذ السر المعنى الصارخ الذي أعطاه له القديس بولس، إذ جعله يدل على مقصد لله تحقق في المسيح (أفسس 8/3-9)<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> محمد عبد الحميد الحمد: الرهينة والتصوف في المسيحية والإسلام، ص 45.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 45.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 45.

<sup>4</sup> برنار سيسبويه: الإنجيل الحي في الكنيسة، ص 99-100.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 99-100.

وعليه، ففي نظر المسيحي لا فرق، وبالتالي لا يمكن أن يفصل بين خبرة الله الصوفية، وخبرة المسيح الصوفية، فكلا التعبيرين واحد.

إن سر هذه الصوفية يكمن في الصلة الأساسية التي تذهب من يسوع الناصري إلى أبيه، وفي التحرك البنوي نحو الأب فتتحقق الصوفية المسيحية<sup>1</sup>.

وهناك من حصر التصوف في كونه خبرة دينية شخصية يصل إليها -المؤمن المسيحي- إلى معرفة الله المباشرة والاتحادية، وما يؤكد كسب هذه الخبرة هو النمو في أنواع الفضيلة، كالحب، والتواضع، والخدمة<sup>2</sup>.

وخلاصة ما تقدم من تعاريف: أن الزهد، والرهبنة، والتصوف مصطلحات يتداولها المسيحي، وقاسمها المشترك أنها سلوكات فردية لا تعتمد على زمرة من الناس تستدعي إمامة الشهوات الجسدية لتأكيد موت يسوع لإحياء جسده على الأرض والمتمثل في الكنيسة والغرض الأسمى لهذه السلوكات هو: الاتحاد بالمسيح.

أما عن موقف المسيحيين من التصوف ففيه تباين، بين الانحراف، وجوهر المسيحية، ومنهم بعض المفكرين البروتستانت أمثال المفكر نيوهر Niebuhr (ت 1971) الذي ذهب إلى أن التصوف انحراف عن رسالة الإنجيل لأنه -في رأيه- من مساعي هذه الرسالة -توطيد جماعة بشرية في عالم يهديه الله بهديه-.

ووجد من يناقضه في هذا الرأي، كالمفكر -برديايف- الذي اعتبر خبرة التصوف هي جوهر المسيحية<sup>3</sup>.

وما يمكن أن يقال، أن هذه الخبرة جزء لا يتجزأ من الديانة المسيحية، وإن اشتركت التسمية مع التسمية الإسلامية -التصوف-، فإنها لا تشترك معه جوهرًا، فالاشتراك بين الديانتين -تسمية وليس مفهوما- لقوله ﷺ: "لا رهبانية في الإسلام"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> برنار سيسبويه: الإنجيل الحي في الكنيسة، ص 100.

<sup>2</sup> الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص 131.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 130.

<sup>4</sup> لا إسناد له، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، ج 3.

وستنجلي معاني هذا الحديث حين الغوص في أغوار سرية هذه المفاهيم للكشف عن مكنونها. ونستهله بالجانب التاريخي، الذي نقف فيه - بإيجاز - على أصول الرهبانية المسيحية، لأن المولود يبقى مجهولاً إن جهل أصله.

### تاريخ الرهبنة المسيحية:

عانت المسيحية وهي في المهد، أنواعاً عديدة من الاضطهادات، على يد الوثنية المتمثلة في الرومان، بسبب عدم تقبلهم التعاليم الجديدة التي جاء بها المسيح - عليه السلام -، وكان المسيح أول من طالته أيادي المضطهدين، وكانت معجزة الله في نجاته من المؤامرة التي حيكت له لقتله مصلوباً.

ومن أبعث الاضطهادات التي عاناها المسيحيون في القرن الأول (68م)، كانت على يد "نيرون"، حيث ألقى بأجساد المسيحيين للوحوش، كما أشعلها لتكون مصابيح احتفالاته في قصره<sup>1</sup>.

وفي القرن الثالث ذاقوا نوعاً آخر من القمع والتعذيب، وكان ذلك في عهد الإمبراطور - دقلديانوس -، الذي هدم كنائسهم، وأتلف كتبهم، وآثار آبائهم، وأسقط حقوقهم المدنية، وغصت السجون بهم، بعد أن أمر بالقبض على رجال الدين، وسلط عليهم أنواعاً من التعذيب الجسدي إلى حد الموت، وسمي هذا العصر بعصر الشهداء<sup>2</sup>.

وفي مطلع القرن الرابع تغيرت أوضاعهم، بعد إصدار الإمبراطور قسطنطين مراسيم التسامح سنة 311 و313، وزادوا قوة بعد اعتناقه المسيحية بعشر سنوات، وأسست الجمعيات باسم الدين لتستأصل أثر الوثنيين، ومن بينها جمعية "الصليب المقدس" في "توريشو"، وسجل التاريخ أفضع المجازر لهذه المرحلة<sup>3</sup>، وطال هذا القمع حتى المسيحيين الذي رفضوا التعاليم الجديدة في المسيحية - كتأليه عيسى -، والتثليث، وخلق البدع في الكنيسة وغيرها... لأن المسيحية التي قويت

<sup>1</sup> زكي شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط، ص 101.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 108.

<sup>3</sup> أحمد شلبي: المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، ط8، ص 246 (عن طه المدور: بين الديانات والحضارات)

وانتشرت ليست هي مسيحية المسيح -عليه السلام-، بل هي مسيحية المبتدعين. وكان "أريوس"، من بين ضحايا هذا الرفض للبدع، ومن أشد المعارضين لألوهية المسيح<sup>1</sup>.

وبعد تمسح الإمبراطور الروماني، تمسحت معه السياسة الرومانية، وسرعان ما دخل موضوع الاستشهاد في عالم الذكريات، لكن كان من اللازم أن يخلقوا لهم بديلا واقعيا عن الاستشهاد، ليقفوا على الضروري الأوحـد -الإنجيل-، فكانت الرهبانية هي البديل<sup>2</sup>.

لكن هناك من أرجع هذا السلوك -الرهبنة- إلى أصول شرقة قديمة، غير أن مصطلح "Monachos" مسيحي الوضع والنشأة بلا ريب، وقد ورد في إنجيل توما غير المقنن، وبدلالات عامة، وغير محددة تفيد معاني الاعتزال<sup>3</sup>، وفئة أخرى ترجع بدايات، وأصول الرهبانية إلى أصول وبدايات مسيحية بدءا من إنجيل يوحنا (9/10)، وسفر الرؤيا (12)<sup>4</sup>.

إلا أن هناك من يرجع الرهبنة في سلوكاتها إلى الهندوسية، والبوذية وبدون أي تحريف<sup>5</sup>.

وأيا كان الخلاف المسجل بين المؤرخين في أصول الرهبنة المسيحية، فلا يختلف اثنان على أن الرهبنة جزء لا يتجزأ من الديانة المسيحية، وقد عرف التاريخ المسيحي تنوعا كبيرا في طرائق التصوف ومذاهبه، ولكل طريقة ومذهب شخصياته المنشئة له.

### الرهبنة المسيحية:

"شريعة الروح"<sup>6</sup> هكذا سميت مضامين العهد الجديد، وهذه التسمية ترجع إلى كون وصاياها لم تتعرض لوصايا العبادة، ولا للوائح الطهارة الشرعية، بل جلها وصايا أخلاقية للدخول في ملكوت الله، وهي حملة على جميع الذين يتباهون بأنفسهم، ويدعون البر والصلاح لتمسكهم

<sup>1</sup> زكي شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط، ص 149-152.

<sup>2</sup> برنار سيسبويه: الإنجيل الحي في الكنيسة، ص 88.

<sup>3</sup> عرفان عبد الحميد فتاح: النصرانية، نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، دار عمار، الأردن، 2000، ص 101. (عن دائرة معارف الدين، مادة الرهبانية، المجلد 10، ص 440).

<sup>4</sup> محمد عبد الحميد الحمد: الرهبنة والتصوف في المسيحية والإسلام، ص 72.

<sup>5</sup> أحمد شلبي: المسيحية، ص 246.

<sup>6</sup> جاك جوميه، مارتن إدوار سبانج: المسيح ابن مريم، ص 49.



بحرفية الناموس<sup>1</sup> "إن لم يزد برّكم على بر الكتبة والفريسيين، فلن تدخلوا ملكوت الله"<sup>2</sup>، ويرى القديس بولس أنه بالمسيح يصل المسيحي إلى الرب، وهذا التقارب هو تقارب روحي<sup>3</sup>، الذي هو الحب إذ يضيف القديس أوغسطين "بمحبتك للمسيح فإنك تحب ابن الإله، بمحبتك ابن الإله فإنك تحب الأب، يستحيل تقسيم الحب"<sup>4</sup> وهذا الحب كشفه موته الاستثنائي "فيسوع يكشف عن الوحي بأن الإله القدوس هو إله المحبة، وبالتالي يضيف على مذهب الكمال الناشئ عن العلاقة بالله توجيهها جديدا..."<sup>5</sup> والكمال الذي دعي إليه أبناء الله هو كمال الحب<sup>6</sup>.

لكن أي نوع من الحب؟ "عندما يتكلم المسيحي عن الحب في التنظيم الإنساني فإن أول اهتماماته يجب أن يكون الحب الإلهي... ولهذا فإن حب الله يلقب برباط الكمال، حب الله هو نقطة البداية ومركز ومربط الحياة الأخلاقية، يجب أن يوحد في كل مكان أين تحيا الأخلاقيات المسيحية، لكن وإن كان هذا الحب محصل عليه في كل مكان إلا أنه ليس متقد وحميم في كل مكان، إذ أن المضيق الغريب الذي ينشده فينا ليس بالضرورة هدف العبادة التي تمتص كل أو تقريبا حياتنا الخاصة، فقط الحب الصوفي يوفر هذا الشرط الأخير"<sup>7</sup>.

يوفره لأن الحياة الرهبانية في الالكليروس الرهباني تتركز على الشهادة للكمال<sup>8</sup> امثالاً للتوجيه الإنجيلي "كونوا كاملين كما أن أباكم السماوي كامل"<sup>9</sup>، وما يقابلها في العهد القديم "كونوا قديسين لأني أنا قدوس"<sup>10</sup>. والنتيجة أن المسيحي مطالب بالكمال ليرقى للكمال الأبوي، وهذا النوع من الكمال ما اصطلح عليه بالكمال "الحقيقي" أو "المطلق" وقد يأخذ مفاهيم عدة منها بلوغ الغاية وذلك في قول القديس توما:

<sup>1</sup> جاك جوميه، مارتن إدوار سبانج: المسيح ابن مريم، ص 47.

<sup>2</sup> متى 5: 20.

<sup>3</sup> Joseph Huby S.J. : *Mystiques paulinienne et johannique desclée de Brouwer*, P 59.

<sup>4</sup> *Ibid*, P 59.

<sup>5</sup> معجم اللاهوت الكتابي، ص 670.

<sup>6</sup> كولي 3: 14. رومة 13: 8-10.

<sup>7</sup> Richard Rolle *L'ermite de Hampole : Le feu de l'amour*, P 73.

<sup>8</sup> الأب فيكتور شلحت اليسوعي: الإنسان في ضوء المسيح، ص 124.

<sup>9</sup> متى 5: 48.

<sup>10</sup> لاويين 11: 45، 19: 2.



"يقال أن الشيء كامل بقدر ما يبلغ غايته التي هي في منتهى الكمال، وهذا هو الكمال المطلق، وما يقترب من هذه الغاية هو الكمال -التدرجي- أو -النسبي-، ويتحقق بممارسة كل الواجبات حسب رسوم الشريعة الواضحة"<sup>1</sup>. يفصل أكثر في قول آخر بتحديد هذه الغاية في الله، وهو مصدر كل كمال في قوله: "غاية الإنسان القسوى هي الخير غير المخلوق، أعني الله الذي يقدر وحده بصلاحه غير المتناهي أن يشبع تماما رغبات الإنسان"<sup>2</sup>.

ثم يحدد في قول آخر كيفية بلوغ هذا الكمال المطلق -الحقيقي-، وهو الحياة لأجل الله بالاتحاد بيسوع المسيح، وهذا ما يعمله الراغب في الكمال بممارسته الفضائل المسيحية والإلهية والأدبية، وهي كلها وسائل لتحقيق هذه الغاية وهي: الفطنة، القوة، القناعة، العدل... الخ.

ومن الفضائل التي تختصرها وتصنفها، وتزيل الموانع التي تبعد عن الله، أو تقللها هي محبة الله، ومحبة القريب<sup>3</sup> "لأن محبة الله والقريب هي فائقة الطبيعة بموضوعها كما في محركها ومبدئها، فالإله الذي نحبه هو الإله الذي أظهره الوحي، هو الإله المثلث الأقانيم، نحبه لأن الإيمان يظهره أنه صالح للغاية، ومحبوب للغاية أيضا... فجوهر المحبة هو التفاني، وهو عند الحاجة التضحية الكاملة لأجل الله، هو تفضيل إرادة الله على إرادتنا، وعلى جميع إرادة كل المخلوقات"<sup>4</sup>.

وما قيل عن محبة الله، يقال عن محبة القريب مع فارق في النسبة "لأن الله هو الذي يحبونه في القريب، صورة كمالاته الإلهية، وانعكاسها، وجودة الله التي تظهر في القريب هي الدافع إلى محبته، ثم يذهب إلى القول، أن سبب هذه المحبة -للإخوة-، أن الروح القدس قد سكن فيهم، فزينها بنعمته وافتداها يسوع بثمن دمه الكريم الأبدي، فالحبة فضيلة واحدة، فالله محبوب لأجل ذاته، والقريب محبوب لأجل الله، فهي روح جميع الفضائل، فمن امتلكها امتلك سائر الفضائل لأنه فيها يقوم جوهر الكمال"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> أدولف تانكره: خلاصة التصوف المسيحي، ترجمة الارشمندرت يوسف فرج، ق.ب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ص 122.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 123.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 124.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 123.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 124-125.

ونخلص إلى أن الكمال الحقيقي هو من، وإلى الله، حب قدسي، لا تجسده إلا التجربة الصوفية.

وهذا ما ذهب إليه أحد الفلاسفة في ثنايا تصديده لمسألة "الأخلاق والدين وما يرتبط بهما من أمور الحياة السياسية، بل ما يتصل بهما من تأمل عميق في رسالة الإنسان ومصيره ودوره في صنع العالم الإنساني المنشود"<sup>1</sup> ويرسم -برجسون- ثنائية في ميدان الأخلاق، ثمة منبعين للأخلاق "الإلزام من جانب، والصبوة والتطلع من جانب آخر"<sup>2</sup> والتجربة الصوفية في نظره، هي المصدر العلمي التجريبي الذي يملكه الإنسان إذا أراد أن يستبين حقيقة الدين ويدرك وجود الإله ويعي ما يطلبه منه<sup>3</sup>.

لكن وجهة نظره تحدد: أن الصوفية الكاملة هي في الحق الصوفية كبار المتصوفة المسيحيين... لأنه لا يشك أن معظمهم قد مرّ بأحوال شبيهة بالمراحل التي انتهت عندها الصوفية القديمة، ولكنهم مروا بها مروراً، وحين انطوا على أنفسهم يتحفزون لجهود جديدة كل الجدة، حطموا بذلك سداً<sup>4</sup>، والصوفية والمسيحية كل منهما شرط للآخر من غير تحديد، إلا أنه غير راض على صوفية الصوفيين، لأنه يرى أن صوفية كبار الصوفيين ناقصة كونها عبارة عن تقليد وإكمال للمسيح، ولكن يبقى هذا التقليد والإكمال ناقص لما كان عليه مسيح الأناجيل على نحو تام<sup>5</sup>.

وعلى الرغم من هذا النقص الصوفي الذي لا يرقى إلى ما كان عليه المسيح -عليه السلام- إلا أنه يرى أن هذا الحب ينفرد بخصوصيات:

أ- **الحب الصوفي سر من جوهر ميتافيزيقي لا أخلاقي:** الحب الصوفي أصل العاطفة، والعقل، وسائر الأشياء، لأنه متحد بحب الله لخلقه، وهذا الحب سر، وسر خلقه يسلمه لمن يستطيع أن يسأله إياه، وهذا الحب فهو من جوهر ميتافيزيقي، لا أخلاق فحسب<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> هنري برجسون: منبع الأخلاق والدين، تعريب سامي الدروي وعبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، ص 6.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 7.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 8.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 239.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 250.

<sup>6</sup> نفس المرجع السابق، ص 245.

ب- **الحب الصوفي قوة مبدعة:** إن قوة مبدعة هي الحب، تريد أن تستخرج من ذاتها كائنات جديدة بأن تحب، لتستطيع أن تنشر عوالم تكون ماديتها، من حيث هي نقيض للروحانية الإلهية، معبرة فقط عن التمييز بين ما هو مخلوق وبين من يخلق...<sup>1</sup>.

ومعالجة -ولتر ستين- لمثل هذا الموضوع -الحب الصوفي- نتائج لم تكن بعيدة بشكل كبير على طروحات -برجسون-، وذلك في ثنايا معالجته لنظرية "التصوف والأخلاق والدين".

### الحب والتجربة الصوفية:

لقد توصل هذا الفيلسوف -ولتر ستين- إلى نتائج في ثنايا مناقشته لنظرية "التصوف والأخلاق والدين"، ويتقدمها قوله "إن القيم الأخلاقية... تنشأ من التجربة الصوفية، وهذه التجربة نفسها نجد مصدرها في الواحد، أو في الذات الكلية، التي هي أساس العالم"<sup>2</sup>.

كما أن الحب والرأفة مشاعر هي جزء، أو مصاحب ضروري ومباشر للتجربة الصوفية، وما الحب الذي في قلوب الناس، والذي يتحكم في سلوكهم، ما هو إلا فيض من هذا المصدر -التجربة الصوفية<sup>3</sup>-، ثم يجري مقارنة بين متصوفة المسيحية ومتصوفة الهندوسية بشكل خاص، ومتصوفة العالم بشكل عام، ويجزم بعدها أن القوة الأخلاقية لمتصوفة المسيحية أكثر روعة من الحياة الأخلاقية لهؤلاء المتصوفة<sup>4</sup>.

وأشار في ختام مناقشته لهذا الموضوع، أن التصوف في ماهيته ينطوي على الحب الذي هو الدافع المطلق لجميع الأعمال الخيرة ونزعتة لابد أن تكون نحو الخير، مهما ما يلطخ هذه التزعة المثالية من شرور، وضعف وحماقات الطبيعة البشرية<sup>5</sup>.

ويمكن القول أن هذا النوع من الحب قد استمد قوته من خواصه القدسية.

**خواص المحبة القدسية:** ميزت المحبة القدسية عند المسيحيين جملة من الخواص منها:

<sup>1</sup> هنري برجسون: منبع الأخلاق والدين، ص 265.

<sup>2</sup> ولتر ستين: التصوف والفلسفة، ترجمة وتعليق وتقديم: عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ص 393.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 394.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 407.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 409.

1- المحبة القدسية لطف حميم، لأنها أمدت العاطفة من الداخل كي تتجه تجاه الشيء، أو الشخص الذي وجدته المرید طيباً ومناسباً<sup>1</sup>.

2- المحبة حققت المطلوب، والمتمثل في إسعاد روح أخرى، وهو ما يسمى في لغة اللاهوت -الإخراج L'extase<sup>2</sup>- ومعناه: "وضع الشيء خارجنا في كيفيات عديدة، فقد نخرجه لنعلو به، أو نهبط، نخرجه بالروح والقلب"<sup>3</sup>.

والإخراج الذي يعلي مرتبط بالإله وبكل ما يتعلق به، أما الذي يتزل فوصفه القديس -فرانسوا دوسال François de sales-، بأنه يخرج من باب الحواس ويتجه للمادة متنازلاً بذلك ومشابهاً للبهائم<sup>4</sup>، الشيء لا يجب لذاته، بل تكون محبته في الله والله<sup>5</sup>.

ومثل هذه المحبة لا تتحقق إلا في أحباب الله الحقيقيين الذين يحبون البشر بامتياز لأنهم يحبون بنقاء<sup>6</sup>.

3- الحب قوي كالموت كما يقول (Le cantique des contiques) فعمل التفريق الذي يقوم به الموت، تستطيع أن تقوم به المحبة في اضطراباتها لأن القلوب الملتهبة تتأكل، والبقايا الداخلية منها تصبح خارجية<sup>7</sup>.

كما تتماثل هذه المحبة مع الموت، في جذب الروح خارج هذا العالم لكن جذب الحب يكون في سعادة، لأنه زيادة حياة تخلق في القمم، وهي تجرح لتشفى، ممهدة بذلك للصحة الكاملة<sup>8</sup>.

4- على المسيحي أن يطابق حبه حب الله ولكي يتحقق ذلك عليه: أن يحب الأشياء جميعاً من أجل الله على نحو ما يحبها هو. يجب من أجل ذاته على نحو ما يجب هو ذاته، وهذا الحب من أجل كماله الخاص، ولا يوجد ما يحبه الله غير كماله الخاص، فحبه لذاته راجع لكماله الخاص.

<sup>1</sup> A.D Sertillanges : L'amour chrétien, P 51.

<sup>2</sup> أدولف تانكره: خلاصة التصوف المسيحي، ص 124.

<sup>3</sup> A.D Sertillanges : L'amour chrétien, P 81.

<sup>4</sup> Ibid, P 82.

<sup>5</sup> Ibid, P 83.

<sup>6</sup> Ibid, P 83.

<sup>7</sup> Ibid, P 88

<sup>8</sup> Ibid, P 90.

وفي إمكان المسيحي أن يحب لأن هذا الحب موجود في نفسه مادام الله قد خلقه بفعل أفعال الحب، ومشكلة كيف يحصل على حب الله لا تطرح، بقدر ما تطرح مشكلة الطريق الذي يجب أن يُسلك لبلوغ هذا الموضوع؟ والمشكلة بسيطة لأنها مسألة تربية فحسب (أو مشكلة إعادة تربية أو تعليم الحب من جديد)<sup>1</sup>.

5- كما أن الحب لا يسعى إلى أي جزاء، ولا ينتظر أية مكافأة، ولو كان كذلك لما كان حبا، ولا يطلب من المحب أن يستعيد المتعة التي يعطيها له موضوعه، لأن هذه المتعة جوهر الحب نفسه، وعليه فالحب الحقيقي هو الحب التريه، والنتيجة أن التراهة هي ماهية الحب الحقيقي<sup>2</sup>.

كما وصفه ابن العربي: الحب صلة إلهية مقدسة بين المحب والمحبوب، فإذا وجد الحب فلا توجد الوحدة بعد بينهما، ويفسر قوله هذا: إذا تمت الوحدة لا يبقى محب ولا محبوب، إذ يتلاشى اسم الحب بينهما لأنهما أصبحا واحدا لا اثنين، فمادام الحب موجودا هناك فرق بينهما، والمحـب لم يزل يشعر أن محبوبه ناقص لا يجوز إلا باتحاده به، فإذا اتحدا، حصل الكمال<sup>3</sup>.

ومهما قيل في هذا النوع من الحب، فكماله الحقيقي لن يكون إلا في الاتحاد، وهذه مسألة جوهرية في هذا الموضوع لم تخل منها الكتابات المسيحية التي وقعت بين أيدينا.

### الكمال في الاتحاد:

لقد أبدع اللاهوتيون المسيحيون في هذا الجانب وذهبوا لتصوير هذا الالتحام -الاتحاد- بين المحب والمحبوب إلى أبعد حد يمكن أن يصل إليه العقل البشري الذي اختار السباحة في الفضاءات الإلهية الوعرة، لكن رغم ذلك وظّف كل ما وهبه الله من قدرات عقلية وروحية للغوص في هذا البحر اللامرئي محاولة منه جعله أكثر رؤية لمن يرغب أن يراه، ويعيش هذا الكشف الإلهي بعقل بشري.

<sup>1</sup> اتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1996، ص 346.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 347.

<sup>3</sup> محمد عبد الحميد الحمد: الرهينة والتصوف في المسيحية والإسلام، ص 140.

ومن الصور التي صورت لنا هذا الكمال: "الروح الحنونة تنتشر في أداءاتها المحبوبة كما في إناء تلتحم مع كل جوانبه، وتستقبله بدورها كما لو كان يسبح فيها مغلقا من كل جهة، بدون أن تفسر أي مساحة من ملامسة المحبة"<sup>1</sup>.

هذه الصورة المادية لا توهم أكثر الناس روحانية، ولكنهم يستعملونها كتعبير أكثر معنى، وأكثر غنى بالأحاسيس... فالاتحاد الناتج بين الله والإنسان ليس مجرد الرابطة التي وصفت، بل رابطة كما ترتبها أوامر القدرة، رابطة أهدافها الآنية مع أهداف الخالق، فالطاعة والوفاء هي التحام حي، التحام مليء بالشوق<sup>2</sup>.

وذهب -ولترستين- إلى تأكيد أن التجربة الصوفية، ليست مجرد ذاتية، وإنما هي تجاوز الذاتية، فهي اتحاد مع الواحد، أو الذات الكلية التي هي أيضا المصدر الخالق للكون<sup>3</sup>. وقد استطاع أحدهم أن يجلي هذه الصورة أكثر في هذه اللوحة التي عنوانها: بحب الكاملين في الله.

### حب الكاملين في الله:

حب الكاملين في الله، يبدأ بالدخول في المحب، والتسامي في معارج الروح، للوصول إلى مخادع اللهب المتألق، وما كان يظهر للعين كالبرق الخاطف ويصبح نديما وجليسا للحبيب، ويستغرق العقل كله في تأملاته آمنة مطمئنا.

هناك يظهر للنفس البارة جمال كيانها، فتصير ذاتها كما هي وتجد صورة باريها، وتتسامى النفس في العليين، فتظهر أملاك السماء أمام باصرة العقل، كما تظهر المرئيات أمام العين والعقل في غمرات أنوار الله، وفي برهة خاطفة، وإذا بها في سحابة النور أمام العرش الأزلي، فتخشع النفس وتذوب في الذات الإلهية وهنا ينتهي المطاف، وقد يطول زمن التجلي في الاختطاف وهنا تظهر الحقيقة الروحية ساطعة، كل ذلك يحدث، والنفس والعقل يطمحان إلى اختطاف جديد، للوصول ثانية إلى الملأ الأعلى، فينسى كيانه العاقل، لأنه يجد نفسه في مطافه الساطع كأنه شبيه بالله، فيقول: أنا في الأب والأب فيّ وأنا والأب واحد، وإن إيرثاوس معلم ديونيسيوس الأربوفاغي لم

<sup>1</sup> اتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ص 347.

<sup>2</sup> A.D Sertillanges : L'amour chrétien, P 79-80.

<sup>3</sup> ولترستين: التصوف والفلسفة، ص 393.

يسمح لتلاميذه التعبير عن تلك الحالة بالكلمة الحية، وهذه الحالة يسميها فلاسفة الأفلاطونية المحدثه، التشبه بالله بقدر المستطاع<sup>1</sup>.

هذه صورة من صور الأجواء الداخلية التي يعيشها الراهب المسيحي، وصل إليها بوسيلة درجة -مطابقة الإرادة الإلهية-، ونقول درجة، لأن القديس "برنردوس" يميز بين طبقات ثلاث لهذه الفضيلة "فالمبتدئ الذي يحركه الخوف يحتمل صليب المسيح بصبر، والنامي الذي يحركه الرجاء بحمله شيء من الفرح، والكامل المتفاني بالمحبة يعانقه بحرارة"<sup>2</sup>.

وهذه الرغبة لن تتأت إلا بالعمل، ومن بين صور هذا العمل -الصلاة- وهذا ما تؤكد عليه القديسة "تريزا" "الطمع الوحيد لمن يشرع في الصلاة -لا تنس هذا فهو مهم جدا- ينبغي أن يكون العمل بنشاط لجعل الإرادة مطابقة لإرادة الله... بهذا يقوم الكمال الأسمى كله الممكن الوصول إليه في الطريق الروحية، فكلما كانت المطابقة تامة، تنال من الله أكثر، ونتقدم كثيرا في هذا الطريق"<sup>3</sup>.

وإذا كانت القديسة "تريزا" تجعل من الصلاة نشاطا، أو عملا من الأعمال المهمة في حياة الراهب الطامح للكمال، والذي خضع لشروط إتباع سيده وهي:

الفقر<sup>4</sup>، ويفضله على أبيه وأمه وكل عياله<sup>5</sup>، ويكفر بنفسه، ويحمل صليبه، ويخسر حياته عن رضى ليخلصها<sup>6</sup> وباختصار: على المرء أن يدع له التصرف الكامل بحياته كلها بدون أن ينظر إلى الوراء<sup>7</sup>.

ويكون تفعيل هذه الشروط في الالتزامات التي ألزم نفسه بها منها:

<sup>1</sup> محمد عبد الحميد الحمد: الرهينة والتصوف في المسيحية والإسلام، ص 160.

<sup>2</sup> أدولف تانكره: خلاصة التصوف المسيحي، ص 195.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 198.

<sup>4</sup> متى 9: 21، 19: 12.

<sup>5</sup> متى 10: 37.

<sup>6</sup> متى 16: 24-25.

<sup>7</sup> لوقا 9: 62.



الالتزام المبني على النذور: فهذا الذي وهب ذاته لله، وتخصص به، عليه أن ينذر هذه النذور الثلاثة ليؤكد رغبته في الكمال المطلق.

هذه النذور بلا شك أنها تنهك الجسد وتتعبه، لكن الحب لا يشعر به، وإذا شعر به سيحبه، وهذا يتضمنه قول القديس "أوغسطين" "إذا كنت تحب فلن تشعر بالتعب وإذا ما اعتراك التعب فسوف تحب التعب"، فالراهب مجبر أن يكون داعية، وعاملاً<sup>1</sup>.

"إن من يدعوه الله غالباً ما يكون ذلك على الرغم منه، يقع في وضع مأساوي، لأنه من يرفض دعوة كبيرة من الرب، يعرض خلاصه الأبدي للخطر، وتقع عليه مسؤولية جسيمة ليس الرب "بمفرده" يعتمد على جوابه، بل الكنيسة جمعاء تدعوه في المسيح، وسوف تتألم لتخلفه، فمسيرة الملكوت تتعرض للخطر بسبب خطأ شخص واحد لاسيما إذا ما كان الأمر متعلقاً بالدعوة"<sup>2</sup>.

وحتى لا يوقع نفسه في هذا الوضع المأساوي عليه بخدمة الكنيسة ليشهد أمام الناس كيف يكون العمل بدافع الحب وهذه هي بداية المشاريع الإرسالية الناجحة، فالرهبان الوافدون إلى بلد وثني كانوا يباشرون العمل قبل أن يباشروا الكرازة والوعظ، وهذا ما فعله رهبان القديس مبارك البندكتانيون، ورهبان اليسوعيون في الصين<sup>3</sup>، وفي كل دعوة فهو شاهد للمسيح "يرتبط دور المسيحي في المجتمع ارتباطاً وثيقاً بدوره كشاهد للمسيح، سواء أكان ذلك في الحياة الرهبانية أو في الزواج، فاتحاد الراهب بالمسيح، واتحاد الزوجين الواحد بالآخر على أنه علامة لاتحاد المسيح بالكنيسة، هما أساس عمل الراهب، والمتزوجين في العالم، ففي الحالتين يشهد الراهب والزوجان لحب المسيح ويحولون العناية اليومي إلى "مهنة" وإلى خدمة للناس"<sup>4</sup>.

وقد عرض ابن العبري في كتابه الأخلاق أو علم الأخلاق Ethicon، الذي أراد منه أن يكون مرشداً ودليلاً للمسيحي الكامل، مراحل تدرج الراهب في السلوك العملي وكيفية الوصول

<sup>1</sup> الأب فيكتور شلحت اليسوعي: الإنسان في ضوء المسيح، ص 126.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 128.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 127.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 127.



إلى مرحلة الراهب الصالح الكامل السلوك<sup>1</sup>، والذي أنجزه في 15 تموز سنة 1279م قبل وفاته بسبع سنوات. يضعه بين يدي المسيحي الذي يصبو إلى الكمال، ويوضح فيه المراحل العملية- السلوكية التي ينهجها الراهب لكي يصل إلى مرحلة الراهب الصالح الكامل السلوك<sup>2</sup>.

يتألف الكتاب من أربع مقالات، يكرّس المقالة الأولى للبحث في ترويض حركات الجسد وتقويمها بـ:

**1- الصلاة:** وكل ما يتعلق بها، من طريقة الأداء، والأركان، وقال أحد الشيوخ في الصلاة: "إني لأشعر بجهد في الصلاة، فليست الصلاة نابعة من إرادتي، بل أصبح إلى الروح ينطق فيّ، وهذا معنى الكتاب (الروح يصلي من أجلنا)"<sup>3</sup>.

**2- القراءة:** يقرأ الراهب فصولاً من الكتب المقدسة، فصلاً من رسائل بولس، وفصلاً من أعمال الرسل، وفصلاً من الرسائل الجامعة، بحسب مقدرته جالساً أو قائماً، ويقرأ من كتاب فردوس الرهبان، أو أن يتأمل في الطبيعة<sup>4</sup>.

**3- الصوم:** حدد الرسل والقديسين والآباء صوماً بسيطاً دون توضيحهم لكيفيته، وكان ذلك سبباً لاختلاف المسيحيين في تقاليد الصوم رغم اتفاقهم على أن أهدافه إذلال للجسد، وكنم الأهواء وإخماد الميول الجسدية لكي تضيء النفس ظلام الجسد<sup>5</sup>.

**4- عزلة الراهب:** قال مار إسحاق: "إننا نتعلم الفضيلة أولاً في المجتمع وبعد التحلي بها نخلد إلى العزلة، وعند استغراقنا بها تعلقنا حتى زقزقة العصافير"<sup>6</sup>.

**5- الحج بزيارة أورشليم:** وفيه رأيان: - النساء الكاملين والأتقياء المتأدبين، لا يجدون هذه الزيارة ضرورية. - المؤمنون البسطاء يروا في هذه الزيارة أنها واجبة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> محمد عبد الحميد الحمد: الرهينة والتصوف في المسيحية والإسلام، ص 145.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 145-146.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 147.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 148.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 148.

<sup>6</sup> نفس المرجع السابق، ص 149.

<sup>7</sup> نفس المرجع السابق، ص 150.

**6- العمل اليدوي للنسك المبتدئين:** أما الكاملين، والمنصرفين إلى الأعمال الروحية الصرفة، إذ سدوا حاجاتهم بدون الصدقة فإنهم لا يشتغلون، أما الرهبان الذين يمارسون الخدمة الكنسية يأكلون أينما وجدوا، أما الآباء الذين يرأسون الشعب وينتشرون بشاراة المسيح لهم حق العيش من مكان وجودهم إلا أن العيش من عملهم أفضل لقول بولس لأهل تسالونيفي "إننا لم نأكل خبزا مجانيا من أحدكم، ولكننا كنا نشتغل وندأب ليلا ونهارا، لئلا نثقل على أحد منكم ليس لأنه لا يحل لنا، بل لكي نعطي لكم بذاتنا قدوة لتتقيدوا بنا"<sup>1</sup>.

وفي مرحلة تنقية النفس من الأهواء الشريرة عرض مراحل السفر الروحي عند الراهب المبتدئ والذي يجب أن يتوقف أثناء سفره الروحي في أربع محطات هي: الخلوة، الصمت، الجوع، والسهر<sup>2</sup>.

وفي المقالة الأخيرة عرض الفضائل التي تحمل النفس<sup>3</sup>: فضيلة العلم، فضيلة الإيمان، فضيلة التوبة، فضيلة الصبر، فضيلة الشكر، فضيلة الخوف من الله، فضيلة الفقر، فضيلة الزهد، فضيلة التوكل. هناك تفصيل كبير لهذه الفضائل التي أردفها بفضيلة المحبة.

وجاء تعريف المحبة: "هي نزوع النفس إلى أحد المدركات، لأن من لا يدرك كنه أحد، ولا يعقل صفاته، لا يتزع إلى اللحاق به أو الحصول عليه، والموضوع الذي يحب، إما أن يدرك بالعين الباصرة بالجمال أو بحاسة الشم كالعطور، أو بالقوة العاقلة كشعورنا بلذة الفكر في الأمور السامية"<sup>4</sup>.

ثم يحدد للمحبة أنواعا خمسة هي:

1- محبة الوجود والتزوع إلى البقاء.

2- محبة الخير وفاعله.

3- حب الجمال الظاهر.

<sup>1</sup> محمد عبد الحميد الحمد: الرهينة والتصوف في المسيحية والإسلام، ص 151.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 152.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 154.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 159.

## 4- حب الجمال الباطن.

## 5- التناغم الخفي والتشابه السري بيننا وبين الله.

ويستشهد بقول -أوغريس- ليظهر أثر هذا النوع على الإنسان "إذا تكامل إنسان بمحبة الله تكاملاً تاماً، يظهر كأنه نشوان، لأنه مخطوف بحب الله، فهو لا يرى العالم وما فيه إلا من خلال حبه لله، لأن فكره مستقر في السماء فطوبى لمن مُنح هذه النعمة"<sup>1</sup>، أما درجات المحبة فتمّ ذكرها سابقاً.

وبرجسون يجزم بأن هناك اتفاق بين الصوفيين جميعاً على أن الله بحاجة للإنسان، وهذه الحاجة سببها المحبة في قوله: "والواقع أن الصوفيين متفقون جميعاً على أن بالله حاجة إلينا كحاجتنا إليه، وهل يحتاج إلينا إلا ليحبنا"<sup>2</sup>.

ويقر بأن هذه النتيجة هي خلاصة فيلسوف في قوله: "تلك هي النتيجة التي يجب أن يستخلصها الفيلسوف الذي يعنى بالتجربة الصوفية، يجب أن يتصور الخلق على أنه إرادة الله في أن يخلق خلاقين، في أن يلحق به كائنات جديرة بحبه"<sup>3</sup>.

**الخلاصة:** أيا كانت التسميات، والطرق، والالتزامات التي يتقيد بها الراهب، أو المتصوف المسيحي، فغاياته هي بلوغ الكمال والاتحاد في إلهه بعد أن يلهب نار المحبة في قلبه فيعمى بصره عن كل الموجودات، فتخمد كل غرائزه، ولا يرى الوجود إلا ببصيرته التي يسلك بها طريقه للانصهار في الحب الإلهي (الثالوث)، وتمثل لهذا الحب بقديسين من أشهر وأكبر القديسين عند المسيحيين وهما القديس أوغسطين والقديسة تريزا الأفيلية.

**القديس أوغسطين:**

يرى بعض الكتاب المسيحيين بأن القديس أوغسطين قد استهوى كتاب السير، بسبب سيرته الحافلة بالأحداث والمتقلبة من حال إلى حال، والتي كشف عن كل تفاصيلها في كتاباته وخاصة في كتابه "الاعترافات"، والأكبر مبيعاً في الأدب العالمي<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمد عبد الحميد الحمد: الرهينة والتصوف في المسيحية والإسلام، ص 159.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 264.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 264.

<sup>4</sup> أندريه ماندوز: تاريخ الكنيسة المفصل، نقله إلى العربية الأبوان أنطوان الغزال وصبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، القديس أوغسطين، الفصل 15، ص 207.

وإذا كان هذا القديس قد استهوى كتاب السير، فقد استهواني أنا كذلك لاختياره كنموذج للرهينة المسيحية، لأن حياته من بدايتها إلى نهايتها حافلة بالأحداث المستجدة والمتغيرة من مرحلة إلى أخرى إلى أن أصبح من أكبر القديسين في الكنيسة المسيحية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن هذا القديس -أوغسطين- كان مسقط رأسه هذا الوطن العظيم -الجزائر- وهذا ما سنكشفه في سيرته الذاتية.

### مولده:

في تاغسطا -سوق أهراس- بالجزائر ولد أغسطين، من أب وثني وأم مسيحية في 13 تشرين الثاني سنة 354، وفي مجتمع روماني من العلم والثقافة العالية.

بدأ ينهل العلم في سن مبكر إلى أن وصل إلى سن السادسة عشرة من عمره، جره أترابه في المدرسة إلى مداعبة الإثم والارتداء في أحضانه، وما زاد في انفتاح باب اللهو أمامه واسعا عجز والده عن تأمين سفره إلى قرطاجنة لتابعة دروسه، فتعرف على امرأة وكان له ولد منها سماه أديودات<sup>1</sup>.

ولكن بعد عودته إلى المدرسة سطع بين زملائه في فن الخطابة، ودرس الحمامة دون امتهاها، وقال فيها: "نجاح المرء في فن الحمامة رهين بكذبه ونفاقه"<sup>2</sup>.

غرق أوغسطينوس في شهوات الجسد، واعتنق المانوية لسبيين: الأول لأنه استشف عند أنصارها رغبة شديدة في الكمال، والسبب الثاني أن الطريقة المتبعة عندهم للوصول إلى الكمال تزعم أنها مستمدة من العلم لا من الإيمان<sup>3</sup>.

وبعد نهاية دروسه عاد إلى مسقط رأسه، ثم سافر من جديد إلى قرطاجنة حيث أسس بمساعدة أحد أثرياء المدينة معهدا للتدريس الخطابة، ثم انتقل إلى روما، وبعد مرور سنة انتقل إلى ميلانو سنة 384 -والتي كانت في ذلك الوقت مقر للإمبراطور، ومكانا للبلاط الإمبراطوري-

<sup>1</sup> أوغسطينوس: اعترافات القديس أوغسطينوس، نقلها إلى العربية الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ص 01.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 02.

<sup>3</sup> أندريه ماندوز: تاريخ الكنيسة المفضل، ص 209.

ولحقت به والدته التي ألحت عليه بقطع علاقته بالمرأة التي كان له ولدا منها -غير شرعي- والذي مات في سن الثامنة عشرة (18)<sup>1</sup>.

وقد غمره أصدقاؤه هناك من الإفريقيين بعطفهم ومحبتهم، وحاز في ميلانو تعيينا مشرفا بصفة أستاذ البلاغة وكان ذلك بفضل يسماخس ممثل التقليد الوثني العريق وحاكم المدينة، وقد حاول أوغسطين في تلك السنة 384 أن يعيد مذبح النصر إلى قاعة جلسات مجلس الشيوخ الروماني، لكنه لم يتوصل إلى ذلك، إذ وجد تصد ومعارضة كبيرة من أمبروسيوس -حاكم سابق على مقاطعة إميليا ليغوريا- وأسقفا مختارا من شعب ميلانو منذ عشر سنوات، وكان لقاء أوغسطين وأمبروسيوس لقاء حاسما، وهو يستمع لخطبه، فاستمالته مهارته في التفسير الروحي، إذ يقول أوغسطين: "أدركت في بدء الأمر أن أفكار أمبروسيوس مقبولة في حد ذاتها، وغيّرت رأبي في الإيمان الكاثوليكي، فمن عاجزٍ عن رد انتقادات المانويين القهارة، أصبحت اليوم قويا، ولاسيما بعد أن سمعته يشرح شرحا تمثيلا بضعة مقاطع من العهد القديم حيث كنت أضني نفسي بشرحها حرفيا، وما إن شرح عدة نصوص شرحا روحيا حتى شعرت بأني أستنكر فتور همتي الماضي..."<sup>2</sup>.

وبعد تعرفه على أسقف مدينة ميلانو ومعايشة الكاثوليك ومصادقة الكثير منهم، حظي حتى بصداقة الكاهن الشيخ، واقتنع بضرورة العماد فاعتمد، وكان اهتداؤه إلى الكتلثة حدثا صاعقا في ميلانو<sup>3</sup>.

وكان لتعليم أمبروسيوس -بحسب ما اكتشف مؤخرا- وضع في خدمة الكتاب المقدس سلسلة كاملة من المفاهيم التي ألفها أوغسطين فكان يوفق بين المسيحية والفلسفة بيسر كبير/ فأفلطون اليوناني وشيشرون اللاتيني كانا يتناوبان، وبفضل هذا أصبحت قراءة الكتاب المقدس ممكنة. كما انكب على قراءة رسائل القديس بولس، وما كتبه القديس يوحنا وما حدث في حديقة منزله في ميلانو، وفهم بعد اضطرابات رهيبة أن ما من شيء يمكنه أن يروي غليله إلا التخلي عن كل شيء من أجل المسيح<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أوغسطينوس: اعترافات القديس أوغسطينوس، ص 03.

<sup>2</sup> أندريه ماندوز: تاريخ الكنيسة المفضل، ص 209.

<sup>3</sup> أوغسطينوس: اعترافات القديس أوغسطينوس، ص 3-4.

<sup>4</sup> أندريه ماندوز: تاريخ الكنيسة المفضل، ص 210.

وقد قدّم للكنيسة الكاثوليكية خدمات كبيرة، جعلته يرتقي في المناصب إلى أن نصب أسقفاً رغماً عنه، والرواية التي ذكرها أوغسطين نفسه عن الحادثة هي أكثر إيجاءاً "لقد أجبروني... وقدمت إلى هذه المدينة (هيبونة) لأرى صديقاً... فقبضوا عليّ، ورسمت كاهناً، وقادني ذلك في آخر الأمر إلى الأسقفية"<sup>1</sup>، وكان ذلك في سنة 387 والتي شبهها بالحمل الثقيل إذ يقول: "إن الأسقفية حمل ثقيل"<sup>2</sup> مشبهاً إياها بالأمتعة التي كان الجندي يحملها معه دائماً.

ورسم كاهناً في هيبيون في 391، وأسقفاً لها في 392، فأصبح عندها المرجع الوحيد للجميع، كما حارب مذاهب المانويين والدوناطين والبيلاجيين، وأنشأ جماعة متوحدين<sup>3</sup>. ولم تمنعه هذه المسؤوليات عن تأليف العديد من الكتب.

### مؤلفاته:

ألف الكثير من الكتب في اللاهوت، لكن نظريته في القدر أثارت مناظرات طويلة، مات في 430 في مدينة هيبيون التي يحاصرها الونداليون، أهم مؤلفاته "مناجيات النفس" و"مدينة الله" (413-426)، "والاعترافات" و"في الثالوث" (398-416)، و"الطبيعة والنعمة" (415)... الخ<sup>4</sup>.

بالإضافة إلى 225 رسالة حفظت من مراسلاته الواسعة، و500 عظة بغض النظر عن نحو 300 عظة أخرى ومقالات في إنجيل يوحنا، وشروح المزامير، فهناك وثيقة ثمينة تساعد على تكريس فكرة عن نتاجه، فقبل وفاته بثلاث أو أربع سنوات عكف على مراجعة في مؤلف يحمل عنوان "استدراكات Rétractations" وغالبا ما يترجم خطأ بـ "مراجعات"<sup>5</sup>.

والحقيقة أن مبدأ تصنيف مؤلفات أوغسطين يتجاوز المؤلفات نفسها، ومن يحرص أوغسطين في أبعاد "مناضل فعال" أو لاهوتي عادي يرتكب خطأ فادحاً، لأن سره أنه عمق لا

<sup>1</sup> أندريه ماندوز: تاريخ الكنيسة المفضل، ص 210.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 211. (الرجوع إلى الاعترافات).

<sup>3</sup> الأب صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، أعاد النظر من الناحية المسكونية الأب جان كوريون بالتعاون مع مجلس كنائس الشرق الأوسط، دار المشرق، بيروت، ص 80-81.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 81.

<sup>5</sup> أندريه ماندوز: تاريخ الكنيسة المفضل، ص 214.

يبحث عنه إلا في علاقاته الحميمة بإلهه<sup>1</sup>، لأنه لم يبادر قط إلى كتابة أحد مؤلفاته أو إلى الإقدام على عمل ما من دون أن يضع نفسه صراحة في نظر الله، أو من دون أن يشهده أو من دون أن يلتزم في حضرته<sup>2</sup>.

ويلخص ذلك بعبارة "إن هذا التعليم يأتي عن المعلم الوحيد والحقيقي" والذي دعاه "المعلم الباطني"<sup>3</sup> والذي أسأل الكثير من الحبر ليكشف عن المراحل التي مر بها للوصول إلى معرفة كيفية حبه له.

### أوغسطين يغير فكرته الخاطئة عن الله:

في كتابه "الاعترافات" تأسف كثيرا على الأوقات التي قضها في اللعب واللهو والذي تسبب في تأخره عن تلقن العلوم<sup>4</sup>. كما اعترف بكل زلاته الشبابة<sup>5</sup>، فمنذ أن مات فيه عهد الشباب الأثيم الفاسد، ودخل طور الرجولة، وكلما تقدم في السن ازداد خجلا من بطلان أعماله منذ إشراق نور الحكمة عليه ما تصور الله على شكل إنسان واغتبط كثيرا لوجود هذا الرأي المستقيم في إيمان كنيسة الله الكاثوليكية<sup>6</sup>.

وبقي أمله الوحيد معرفة الله "سوف أعرفك يا من تعرفني، أدخل على نفسي يا قوام نفسي واسكن فيها واملك عليها وحوّلها إليك، مترهة عن كل عيب ذاك هو رجائي...". واعتبر أن ما يكتبه في تلك الآونة من اعترافات يريد به عمل الحق ويكشف ما في نفسه من كراهية لنفسه إذ يقول: "فقد أصبحت نوري وفرحي وحيي ورجبتي، ولذا فإني أخجل من نفسي وأطرحها جانبا، وفيك وحدك أبتغي رضى نفسي ورضاك"<sup>7</sup>. إلى أن ييوح عن سبب حبه الكبير لله وكيف يحبه، فمن يحب الله يجب أن يرتفع فوق المحسوسات "أحبك يا رب بضمير ثابت لا لوم عليه، لقد فتحت قلبي بكلمتك فأحببتك، ها أنا كل ما حولي، السموات والأرض وكل ما فيها يدعوني إلى

<sup>1</sup> أندريه ماندوز: تاريخ الكنيسة المفضل، ص 215.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 215.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 215.

<sup>4</sup> أوغسطينوس: اعترافات القديس أوغسطينوس، ص 17.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 30.

<sup>6</sup> نفس المرجع السابق، ص 121.

<sup>7</sup> نفس المرجع السابق، ص 193.



محبتك ولا تفتأ تقوله لكل الناس "لئلا يكون لهم عذر" ستزداد رأفتك لمن ترأفت عليه ورحمتك لمن رحمته وإلا فالسماوات والأرض تردد تسايححك أمام جماعة من الصم. وماذا أحب، حين أحبك؟ لا أحب الجمال الجسدي ورونقه الزائل ولا أحب النور الساطع، الذي تعشقه عينانا، ولا أنغام الأناشيد العذبة المختلفة الأصوات ولا أريج الزهور الفواح ولا العطور ولا الطيوب ولا المن ولا العسل ولا الأعضاء المكونة لقبلات اللحم، كلا لا أحب شيئا من ذلك كله، وماذا أحب إذا حين أحب إلهي؟ من هو هذا الكائن الذي يعلو نفسي؟ أود بمساعدة نفسي ذاتها أن ارتفع إليه؛ أجل، سأخطئ قدرتي التي تشدني إلى جسدي وتملأ بجيويتها كل ما يحيط بي لأنها لا تستطيع أن توصلني إلى إلهي وإلا لكان الحصان والبغل، العديما الفهم يدركانه كذلك إذ أن جسديهما يعيشان بفضل تلك القوة. بي قوة لا تحيي وحسب بل تجعلني أشعر بجسدي الذي هو من صنع الرب، إنه يأمر العين بألا تسمع والأذن بألا ترى وهذه بأن تسمع وتلك بأن ترى؛ وكذلك كلا من الحواس الأخرى، وفقا لمقامها ومهمتها؛ وفضلها أتم تلك الأمور وأحافظ على وحدتي الروحية، هذه القوة سأخطأها أيضا لأن الحصان والبغل يشاركان بها طالما أنهما يتمتعان هما أيضا بحس جسدي<sup>1</sup>.

وأما عن حقيقة الله يكشفها بقوله: "وهكذا عندما نتكلم عن الله لا نتكلم عن مبدئين أو ثلاثة ولا عن إلهين أو ثلاثة، وإن كنا نعترف بأن الأب أو الابن أو الروح القدس هو الله ولا نقول مع دعاة بدعة سايبيلوس إنه هو ذاته الابن والروح القدس هو ذاته الأب والابن؛ بل نقول إن الأب هو أب الابن وأن الابن هو ابن الأب وأن الروح القدس هو روح الأب والابن وأنه ليس الأب ولا الابن<sup>2</sup>. وهو يستغيث بهذا الإله الواحد، أو الثلاثة! كي يكون معه في أداء رسالته الجديدة.

### الله هو الأساس في السعادة:

في ثنايا مقارنة أوغسطين مدينة الله والمدينة الأرضية أفصح عن الكثير من أفكاره اللاهوتية، بعد أن شن حربا على أوثنان روما العاجزة عن تحقيق الآمال. فالسعادة التي هي أمل كل الناس،

<sup>1</sup> أوغسطينوس: اعترافات القديس أوغسطينوس، ص 197-200.

<sup>2</sup> القديس أوغسطينوس: مدينة الله، المجلد الأول، نقله إلى العربية الخور أسقف يوحنا الحلو، ط2، دار المشرق، بيروت،

2006، ص 494-495.



في اعتقاده هي من صنع الإله وتوزيعه يهبها بحسب نظام الأشياء والأوقات، وكل الخيرات الزمنية التي يتوق إليها الناس، والعاجزون على تصور أفضل منها هي في يد الله وحده، ولا علاقة لعظمة الآلهة الكذبة بها والذين اعتبرت روما عبادتهم واجبة<sup>1</sup>.

لأن الله هو الخالق لكل شيء "إن الإله السامي الحق، مع كلمته وروحه القدوس، الثالث الواحد، الإله الواحد القدير الخالق لكل نفس وجسد، ينبوع السعادة لكل من هو سعيد حقا، وليس عن بطلان؛ هو الله الذي صنع الإنسان..."<sup>2</sup>.

والإنسان بطبيعته يتوق إلى تحقيق المجد البشري، ولكن في اعتقاد أوغسطين أن مثل هذا المجد البشري والتقوى والإيمان لا يلتقيان إذ يقول: "عندما تتغلب شهوة المجد في قلب الإنسان على مخافة الله ومحبه فتلك رذيلة من ألد أعداء الإيمان والتقوى؛ حتى إن السيد قال فيها: "كيف تقدر أن تؤمنوا وأنتم تقبلون المجد بعضكم من بعض ولا تقبلون المجد الذي من عند الله وحده"<sup>3</sup>.

لذا فالفرق بين جزاء القديسين الذين يتأملون من أجل المرتبة الإلهية، وما أكرهه جزاء على محبي هذا العالم، فمدينة الله أبدية لا ولادة فيها، إذ ليس فيها موت<sup>4</sup>. فالجد الحقيقي يكمن في رضى الله<sup>5</sup>.

وفي واقع الأمر ما أسهل أن ينسب الإنسان إلى الله الحقيقي خالق الكون، وفي هذا يقول: "وكل نفس وجسد فيه كل ما ينسبه ذاك اللاهوت إلى الكون بواسطة الأسباب الطبيعية من دون الخوف من الوقوع في ما ينتهك المقدسات! وإني أثبت هذه الحقيقة كما يلي: إننا نعبد الله، من دون السماء والأرض، الجزأين اللذين يكونان العالم؛ ولا نعبد النفس ولا الأنفس المنتشرة في كل الأجساد الحية، بل نعبد الله خالق السماء والأرض، وكل ما فيهما؛ إنه الخالق لكل نفس أيا تكن. نستعرض أعمال الله، الأحد، الحق، التي منها صنع أولئك الآلهة الكثيرون الكذبة، محاولين إضفاء

<sup>1</sup> أوغسطينوس: اعترافات القديس أوغسطينوس، ص 214-215. القديس أوغسطينوس: مدينة الله، ص 213.

<sup>2</sup> القديس أوغسطينوس: مدينة الله، ص 238-239.

<sup>3</sup> يوحنا 5: 44

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 250.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 253.

معنى ما مقبول على أسرارها المرذولة، ونعبد هذا الإله الذي يرسم إلى الطباع أصولها؛ هو خالقها ومبدأها وغاية حركتها ومداتها في الزمن؛ فيه مبدأ العلل ومعرفتها وتنظيمها، هو الذي أعطى البذور الطاقة ووهب مخلوقات حية معروفة<sup>1</sup>.

وبهذه المخلوقات يعطينا شهادة عظمى على محبته والتي تختص فقط بالصالحين، والتي تبقينا عاجزين على شكره شكرا واجبا لأن التفكير في رحمته التي أخرجت الإنسان من ثقل الخطايا بإرسال كلمته -ابنه الوحيد- الذي تنازل ولبس ضعف البشر وتألم ليعلم ما قيمة الإنسان في نظر الله، فطهرهم بهذه الذبيحة الجديدة، ويفيض بذلك المحبة في القلوب مع روحه القدوس ليدخل المؤمنين في راحة أبدية، ويتلذذ بشكل لا يوصف في المشاهدة السعيدة، فلا توجد بعد ذلك قلوب ولا كلمات كافية لرفع آيات الشكر. وبتلك الديانة الصحيحة وحدها أقنع آلهة الأمم بأنهم أرواح شريرة فحسب<sup>2</sup>.

والذبيحة الواجبة تقديمها إلى الله هي مقدمة النفس، والذبيحة التي تليق بالله هي القلب المنسحق الذي لا يرذله الله، وعبادته عبادة عقلية وباطنية لكونه يتنازل ويقيم فينا -في المسيحي- ولذلك يكون المسيحيون مع الأرواح مدينة واحدة يقدم فيها الملائكة معهم عبادة لله موحدة<sup>3</sup>.

وهذه بعض الأقوال عن الله قطرة من الفيض الفكري الذي غطى صفحات مؤلفاته، والتي كشف فيها أيضا عن حقيقة المسيح -عليه السلام-

#### أوغسطين يصحح اعتقاده بالمسيح:

أوغسطين يعتقد أن المسيح قوة الله وحكمته "... أما نحن فإننا نركز بالمسيح مصلوبا، شكرا لليهود، وجهالة للأمم، أما للمدعوين من اليهود واليونانيين، فالمسيح هو قوة الله وحكمته لأن ما يبدو حماقة لدى الله هو أحكم من الناس وما يبدو أنه ضعف من الله هو أقوى من الناس"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> القديس أوغسطينس: مدينة الله، نفس ص 354-355.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 356-357.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 455.

<sup>4</sup> القديس أوغسطينس: اعترافات القديس أوغسطينوس، ص 20-25.

وفي تساؤله عن الوسيط الذي من يصلحه مع الله كان رده "أن الوسيط الحقيقي الذي شئت برحمتك الخفية فأرسلته وأظهرته للبشر كي يتعلموا منه التواضع، إن هذا الوسيط بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح ظهر بين الخطاة المعدين للموت والبار الذي لا يموت، مائتا كالبشر، بارا كالله...<sup>1</sup>".

ثم يتساءل عن كل هذا الحب الإلهي للبشر، والذي لم يشفق على ابنه من أجلهم "كيف أحببتنا أيها الأب الصالح يا من لم تشفق على ابنك بل سلمته عنا نحن الخطاة، كيف أحببتنا نحن الذين من أجلنا لم يعتد مساواته لله اختلاسا بل أطاع حتى الموت موت الصليب، حر وحده بين المائتين...<sup>2</sup>".

وسيكون هو من الطائعين، الشاكرين، وهذه كلمات من صلاة شكره لله الذي أنار قلبه بنور معرفته بواسطة ابنه الوحيد الذبيحة: "أيها الرب، عبدك أنا، وابن أمتك، لقد حطمت قيودي فأليك أذبح ذبائح الحمد"<sup>3</sup> فليشكرك قلبي ولساني ولتقل كل عظامي: "من مثلك يا رب؟" لتقل، هي، أما أنت فأجيني وقل لنفسي: "خلاصك، أنا هو". من أنا؟ وأي شر لم آتة فعلا أو قولاً أو إرادة؟ أما أنت أيها الرب الصالح والرحيم فقد سيرت بنظرك لجة موتي؛ ومن عمق قلبي استأصلت الفساد فكفرت بكل ما كنت أريد واعتنقت كل ما تريد.

وطاب لي، تحت ناظريك، أن أقطع كل علاقة بالماضي دون تشويش فأسحب لساني من سوق الكلام وأتخلى حرا عن الطلاب الذين وضعوا كل همهم في الترهات الكاذبة وفي معارك الساحة العامة واتخذوا كلامي سلاحا لهم في غضبهم، متغافلين عن شريعتك وسلامك. ولحسن حظي بيني وبين قطاف العنب أيام قلائل فصبرت حتى ذلك اليوم، مصمما على ألا أعود أبيع نفسي لأنك افتديتني. هذا ما عقدنا النية عليه أمامك، وبقي عزمك خفيا، إلا عن المقربين إلينا من الناس؛ واتفقنا معا على كتماننا، برغم أنك قدمت "سهاما حادة ونارا آكلة" ونحن صاعدون من وادي الدموع نرتل أناشيد المراقبي ضد كل لسان لئيم يخالف، متظاهرا بالنصح، ويلتهم، متظاهرا بالحب الشديد، كمن يلتهم غذاءه.

<sup>1</sup> القديس أوغسطينس: مدينة الله، ص 236-237.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 236.

<sup>3</sup> مزمو 115: 16

بسهام حبك خرقت فؤادنا وحمّلنا كلماتك محفورة في أحشائنا وأما خدامك الذين نقلتهم من الظلمة إلى النور وأحييتهم بعد أن كانوا أمواتا فقد كانوا في تفكيرنا بمثلهم كومة حطب تحترق وتلتهم ضعفنا وتراخينا ولم نعد نشعر بوطأته تشدنا إلى الدنيا بل نحس بشدة حرارته التي لم يستطع اللسان الشرير أن يحمدها بل بالأحرى كان يزيد لها اضطراماً<sup>1</sup>.

"وماذا أحب (يا رب)، حين أحبك؟ لا أحب الجمال الجسدي وامتيازته الزائل، ولا أحب النور الساطع -الذي تعشقه عيناى- ولا أنغام الأناشيد العذبة المختلفة الإيقاع، ولا أريج الزهور الفواح ولا العطور ولا الطيوب، ولا المن ولا العسل ولا الأعضاء التي تتعرض لعناق اللحم والدم. لا أحب شيئاً من ذلك كله حين أحب الله. ومع ذلك هناك نور، وصوت، وشذا وقوت وعناق أحبها حين أحب إلهي: هو نور الإنسان الباطني وصوته وشذاه وعناقه الذي فيّ، حيث يستطع لنفسي ما لا يحده مكان، ويدوي ما لا يسلبه الزمان، ويعطر ما لا تبدده الريح، ويذاق ما لا يفنيه النهم، ويبقى معانقا ما لا يفكه الشيع. ذاك ما أحب حين أحب إلهي<sup>2</sup>.

هكذا أحب أوغسطين الإله (الثالوث)، وعاش بمدينته السماوية، وفاض هذا الحب على لسانه، فتشكل من هذا البحر الروحي كتب كشفت عن فلسفته اللاهوتية، والتي خدمت المحبة المسيحية، وأصبحت قناعة واعتقاداً مسيحياً تشدو به كل أسنة المسيحيين وبالأخص من سلك درب القداسة. وقد كان لأفكار أوغسطين المدونة في كتبه التأثير الكبير على الكثيرين ومن بين هؤلاء عظيمة من عظماء الحب الإلهي -بالمفهوم المسيحي- تريزا الأفيلية

يعج القرن السادس عشر بالقدسين والقديسات الذين ملأوا الدنيا بعبير قداساتهم، أمثال تريزا الأفيلية والقديس يوحنا الصليب والقديس اغناطيوس دي لويولا والقديس فرنسيس بورجيا وغيرهم. غير أن تريزا تبقى في طليعة هؤلاء القديسين لما امتازت به من شخصية جذابة وقوية، إذ أقدمت على إصلاح شامل للرهبانية الكرملية بفرعها النسائي والرجالي، وتركت لرهبانيتها وللكنيسة جمعاء، تراثاً ضخماً من أعمال وإنشاءات وكتابات واختبارات روحية، وضعت تريزا في مصاف كبار معلّمي الكنيسة، وبين كبار مؤسّسي طريق الكمال المسيحي.

<sup>1</sup> أوغسطينوس: اعترافات القديس أوغسطينوس، ص 168.

<sup>2</sup> أندريه ماندوز: تاريخ الكنيسة المفصل، ص 215.

هناك أكثر من قديسة تحمل اسم تريزا، لمعت في سماء الكرمل والكنيسة، الأولى هي تريزا الأفيلية، إسبانية من مواليد القرن 16 والثانية هي تريزا دي ليزيو فرنسية من مواليد القرن 19، والأولى هي تريزا اليسوع 1970، والثانية هي تريزا الطفل يسوع، الابنة البارة لتريزا اليسوع، وقد أعلنتها الكنيسة "معلمة لها" سنة 1997 على مثال أمها الروحية تريزا، وهناك تريزا اليسوع الأندلسية، تريزا بنديكتا للصليب، تريزا ماريا للصليب...<sup>1</sup>.

### تريزا الأفيلية Thérèse d'Avila (1515-1582):<sup>2</sup>

تعرف تريزا الأفيلية بمصلحة الكرمل، شخصية نشطة، وغير عادية، وصلت بالترجمة الروحية (الغيبية) إلى أقصى درجات التحقيق والتحليل، ولدت القديسة تريزا سنة 1515 في "آبله (أفيلا) في إسبانيا" من عائلة نبيلة من أصل يهودي، تأثرت الطفلة الصغيرة بتفضيل أبيها لها (تحتوي العائلة على تسعة أطفال وبنات)، وكانت جميلة ولامعة ومهذبة. تأثرت محيطها الاجتماعي وكبرت في أفيلا -Avila- مدينة صارمة ذات طابع ديني محسوس، في وسط الشرفاء، وهي نفسها تلقت تربية خاصة بنات النبلاء، في عصرها حيث تربت تربية مسيحية أثرت بها تأثيرا بالغا.

فنشأت متوقدة الذهن، مشتعلة حماسة لإيمانها المسيحي، وخير دليل على تلك الحماسة تأثيرها وإقناعها لأخيها الأكبر -رودريك- بالذهاب إلى بلاد المغاربة، وعندما اكتشف الأمر من قبل العم ولام ابن أخيه الأكبر كان رده "إن الصغيرة هي التي أقنعتني واقتادتني إلى ذلك العمل" وكان ردها على لوم عمها "كنت أريد أن أرى الله، ولكي أراه كان يجب أن أموت". هذا ومنذ حدثتها كانت ألعابها وتسلياتها تقوم على بناء صوامع وأديار في الرمل والتراب وتنحني بالقرب منها للصلاة، كما كانت والدتها تنفرد بها في أمسية الشتاء فتحدثها عن محبة الله، وعن التعبد لمريم العذراء، وعن الفرسان الأبطال ومغامراتهم، وقد أخذت في سن العاشرة تقرأ قصص الفروسية وتحمس لها.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الأب ميشال حداد الكرمل: القديسة تريزا الأفيلية، منتديات باقونا، ص 201

<http://www.kobayat.org.decembre22/2006/14:37>

<sup>2</sup> Dictionnaire historique des ordres religieux, préface de Jaques le Goff, librairie Arthème Fayards, 1998, p 576.

<sup>3</sup> الأب ميشال حداد الكرمل: القديسة تريزا الأفيلية، منتديات باقونا، ص 4-5.

<http://www.kobayat.org.decembre22/2006/14:37>

وعند فقدانها لوالدها في سن الثالثة عشرة من عمرها، أحست عندها بالضياح، كما انصرفت إلى اللهو والتبرج، ففقدت تقواها، وفترت عبادتها، فقررت والدها وضعها كطالبة داخلية في مدرسة الراهبات الأوغسطينيات Saint Augustin في دير "سيدة النعم"، فرجعت إلى حياة العبادة<sup>1</sup>.

لكن أصابها المرض فرجعت عند والدها، لكنها اختارت الحياة الدينية التي كانت ضد رغبة والدها، وبعد صراع داخلي كبير هربت من بيت والدها سنة 1595، ودخلت معبد الراهبات الكرمليات في Avila. هذه الوضعية كان لها الأثر في حياتها اللاحقة، اختيارات قامت بها في الأم على حساب راحتها، وقد مرضت بسبب هذه الاختيارات إلى حد أنها وصلت إلى حافة الموت، لم تتعاف أبدا من المرض إذ لم نقل أنها هي التي لا تريد الابتعاد عن المرض، لكن عندما تدعى إلى القيام بأي نشاط هام فإنها تجد سريعا القوة والصحة<sup>2</sup>.

في Carmel حياتها الداخلية (الروحية) استمرت في العذاب إلى درجة عالية، فرضت على نفسها عدة عقوبات (كانت تلوم نفسها) بسببها أصيبت بالمرض. كانت تبحث على السبيل بقرب العديد من المدراء الروحانيين، وكانت تقوم كثيرا ببعض الصلوات الخاصة إلى أن اكتشفت كتاب François d'Osuna طريقة الخضوع أو التأمل التي بجلها وامتدحها وجرها Franciscain إلى أول تجربة روحية لها، وهي اللقاء المباشر مع الله، لكنها لم تتوصل دائما إلى الابتعاد عن ميولها إلى العلاقات الاجتماعية أو الدنيوية وصدقاتها مع الناس الذين ليست لهم علاقة بالمجتمع الديني، في هذا العصر الراهبات أو المتدينيات لم تكن مقيدات بالأسوار ولكن كانت تستطيع استقبال كل من ليست لهم علاقة بالدين داخل المعبد.

في 1539 أصابها المرض الشديد مرة أخرى، شفيت في ربيع 1542 بعدما قضيت ثلاثة سنوات في مشفى المعبد، لكنها كانت تعاني دائما وكثيرا لأنها لم تتمكن من الخروج من حيرتها بين أمرين: الرغبة في التواصل مع عالم لا يرضيها واستمتاع غير كامل بالله، استمرت في البحث، في قراءة المراجع الدينية بالرغم من أن الحقائق المعرفية والعلمية لم تكن يوما تعينها.

<sup>1</sup> الأب ميشال حداد الكرملبي: القديسة تريزا الأفيلية، متدييات باقونا، ص 5.

<http://www.kobayat.org.decembre22/2006/14:37>

<sup>2</sup> Dictionnaire historique des ordres religieux, Op.cit, p 576.



القراءة لـ Saint Augustin كانت مصيرية، أشعلت "صعودها الروحي" هذا الصعود أنشأ على جودة أو خاصية الحياة الداخلية، معرفة الناس واعتقاداتها، مثل Saint Augustin، هي غير قادرة بأن تقوم بأي عمل غير حقيقي بنفسها، مقابلة لذلك "الاستحقاقات الروحية" تتضاعف وتشتد، في 1555 عرفت أول نشوة لها ووجدت نفسها مستعدة لآخر المراحل الروحية، كان عمرها 41 سنة، واستمرت صراعاتها الروحية 20 سنة.

تطورت تجربتها واعترف لها أنها روح مليئة بالله، وعندها رأى المسيح، La transverberation.

في سياق هذه الظاهرة التي تكررت مرات عديدة، رأت أمامها ملاك يحمل بين يدين سهمًا طويلًا مصنوعًا من الذهب اخترق به قلبها وتركها متوهجة بحب الله، وجدت نفسها بعدها في حالة شلل (لا تستطيع الحركة ووجدت صعوبة في التنفس) هي نفسها الحالة أثناء نشواتها، تحاليل حديثة أُنجزت على إثر شهادة Thérèse نفسها في سيرتها الذاتية أثبتت بأن هذا هي علامات الهستيريا، كذلك نوباتها ومرضها الدائم يكشفان عن قلق عميق (عن حالة نفسية مرضية).

1560 سجلت أيضا مرحلة جوهرية في حياتها لأنه في سبتمبر من هذه السنة، قررت المحتمل عن اقتراح من طرف ابنة أخيها أو أختها، تأسيس معبد جديد تلاحظ فيه المتدينيات القاعدة أو القانون الأولي للكرمل، رفضت القانون "المخفف"، والمल्पف، وفي سنة 1563 أين أصبحت Thérèse المسيح، وأسست المعبد الجديد (وجدت في ذلك حلا بمفهومها إلى عذبتها طويلا)، لا يملك شيئا ويعيش على الصدقة، العمل والصلاة متلازمان، أعمال التقوى والقانون الأولي رجعوا إلى طبيعتهم: حرمان دائم من اللحم وصيام 8 أشهر في العام، أحذية قماشية من قنب كانت معتمدة، كانت ترمز إلى الإصلاح لأن الكرمليين والكرمليات المعنيين بالإصلاح سموا "الحفاة" عندما كانت تكتب "الطريق إلى الكمال"، تلقت Thérèse من عند كبير الكهنة ترخيص بالشروع في مؤسسات جديدة، في عامها 52، كان لها نشاطا بارزا تمثل في تأسيس 15 معبد، وإدخال عدة إصلاحات عليها، لكن واجهتها صعوبات جمة في هذه العملية (الإصلاح)<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> Dictionnaire historique des ordres religieux, Op.cit, p 577.



## الصعوبات التي واجهتها أثناء عملية الإصلاح:

خلال نشر الإصلاح، التقت كل أنواع الصعوبات وأساءها، كذلك معارضات قوية وشديدة من طرف الملطفين الذين كانوا يخشون الخضوع لبعض الأعمال (أعمال التقوى) التي كانوا يرفضونها، بعض المدارس الدينية كانت تنشط في الليل لتضع المعارضة أمام الأمر الواقع<sup>1</sup>.

لكن في سنة 1581 أعطى البابا موافقته للمعابد المصلحة وعددها 20 أم يشكلوا مقاطعة خاصة ولا يكونون تحت سلطة الكرمليين الملطفين، سنة 1582 حررت Thérèse قانون ودساتير حكم الإصلاح، وماتت في Alba de tormes في ليلة 4 إلى 5 أكتوبر سنة 1582، وكرمت سنة 1622 من طرف Grégoré XV<sup>2</sup>.

العمل الكتابي لـThérèse كان معتبرا، كل رواياتها كأها لكاتب موهوب وهذه الروايات صنعت منها كاتبة في الأدب العالمي، كانت كتاباتها تصف في ذلك كل تجاربها الروحية ثم تطلب من المقربين لها والكتاب المعروفين مراقبتها، ماعدا "الطريق إلى الكمال" الذي نشر بعد موتها سنة 1583 كان قد صنع من أجل نشر سيرتها الذاتية "طريق الحياة" الذي أنجز في سنة 1574-1575، كان موجهها للمقربين لها (Gufesseurs)، لكن ظهرت في سنة 1588 كذلك "كتاب المساكين Le livre des demeures" أو "القصر الداخلي Château intérieure" الذي حرر في سنة 1577، هذا الأخير يظهر طابع آخر للتطور الروحي لمصلحة Carmel، "كتاب الأسس Le Livre des fondations" الذي كتب ابتداء من سنة 1577 يحكي أنشطة هذه المرأة المدهشة التي مزجت التأمل والإرادة لتنقد مذنبين وبروتستانت لهذا العمل المعتر، أضف تحرير دساتير الكرمليات Les carmelites الحفاة وأكثر من 400 رسالة.

لم تدرس أحكام الدين وينقصها تكوين نظري، فلسفي وروحي، لذلك أنتجت عملا ينتمي إلى "الروحية الملموسة" وتقدمها كمرجع لطريق الروح إلى الله، وصفت فيه Thérèse ما كانت تشعر به: كل أعمالها وانتماءاتها كانت مركزة حول سير الروح في البحث عن الله، وبالنسبة لـThérèse الله هو كل شيء، اكتشافها لوجود الله في كل مكان شكل بالنسبة لها أكبر حقيقة كانت تنتظرها للاقتراب من الله، كانت تظن أنه يجب المرور بواسطة ابنه الذي تتكلم عنه

<sup>1</sup> Dictionnaire historique des ordres religieux, Op.cit, p 577.

<sup>2</sup> Ibid, p 578.

تقريبا كعاشقة عندما أحست بحضور المسيح في داخلها، عرفت آخر مرحلة للزواج الروحي؛ الاتحاد الكامل للحب مع المسيح، الحب حاضر دائما داخلها، تتكلم عن حب مرهف للمسيح، روحانية Thérèse لا جدال فيها مميزة بالإنفرادية.

رغم أنها لا تتصور البحث عن حب الله بدون أن تعرج على حب الآخر: "المولى يريد أعمال، قالت لا يعني أن نبقي مكتوفين ولا نجراً أن نتحرك وأن نغير فكرة القديس" تأسيس روحانية Thérèse وسر نجاحها يكمن احتمالاً في تطبيقها للقديس، يعني الصلاة الصامتة. السيدة دون جدال، في سيرتها الذاتية تحكي بحثها عن الله عن طرق القديس (الصلاة) إنه لا يعني أنها خطوة معرفية كما هو الحال بالنسبة للتأمل، لكن البحث عن اتصال شخصي وحركي مع الله، تبجل حوار حقيقي يشبه الحديث الحميم وحر الشكاوى، اللوم، الرغبات والعشق يمكن أن يعبر عنها بطرق مختلفة: كلمات، صراخ، تنهد أو صمت، نجد هنا مجال غير عادي لمن تأسف أن تعرف الرؤية، النشوة والترفع لم تعرف بدكتوراة الكنيسة إلا في عصر (1963-1978)<sup>1</sup>.

وهذه بعض المقتطفات من كتابها "طريق الكمال" "Chemin de perfection".

### تعليمها للكماليات:

وفي هذا الجزء تبين تريزا كيفية تحقيق حياة تتميز بالكمال في مؤسستها وكيف تكون الصلاة هي الوسيلة لتحقيق ذلك فتقول:

### 1- تحسيسهم بمسئوليتهم اتجاه مؤسستهم:<sup>2</sup>

لقد رأيتن المؤسسة التي سوف تديرونها بإحكام بالنسبة للأسقف الأعلى -الذي هو مسؤول عليكن- وبالنسبة للنظام، لقد قلته سابقاً لأن كل شيء هو في صالح الكنيسة وهذا واجب، إذن فأنا أكرره فإن التي تشجعت على قيادة مثل هذه المؤسسة بإحكام، فإنها لا تكون، لو لم ترد أن تظهر بالمخاطرة في عين الله والدنيا؟ من الواضح أننا يجب أن نعمل كثيراً وسوف تكون لنا إعاقة كبيرة عندما نتمسك بأفكارنا إلى الأعلى لأننا بذلك نستطيع أيضاً رفع أعمالنا، في الوقت الذي نحاول بكل عناية أن نحافظ بإحكام على قاعدتنا ودينايتنا، أتمنى أن المولى يقل مناجاتنا،

<sup>1</sup> Dictionnaire historique des ordres religieux, Op.cit, p 578.

<sup>2</sup> Thérèse d'Avila : Le chemin de perfection, manuscrit de l'Escorial, traduction de Jeannine Poitrey, notes de tomas Alvarey, O.C.D, les éditions du cerf, 29, bd Latour Maubourg, Paris, p33.

لأنني لا أطلب منكم شيئا مجددا سوى أن تكن مخلصات لوعود وظيفتك، هذه هي رغبتنا ونحن مطالبين بذلك رغم أن الحفاظ عليه فيه اختلافات كثيرة.

## 2- حثهم على الصلاة دون توقف:<sup>1</sup>

قاعدتنا الأولية تقول أننا يجب أن نصلي دون توقف لو نفعل ذلك بكل العناية التي تستطيعها - هنا النقطة الأكثر أهمية - الصيام، الطاعة والصمت الذي يفرضه نظامنا كل هذا سوف ينظر إليه، وأنت تعلم ذلك (L'oraison) الصلاة لتكون حقيقة، يجب أن نساعدنا بكل ذلك لأن الصلاة (Oraison) وراحة النفس لا يتعايشان معا.

توسلن إلي لأكلمكن عن (L'oraison) بالمقابل عما أقول أن تطبقن وتقرأن كثيرا من كل قلب كل ما قلت لحد الآن، قبل أن أتكلم عن الداخل أي عن نفسها أشير إلى بعض الأشياء المهمة للواتي يزعمن أن يكن أرواح صلاة، هذه الأشياء مهمة كأهمية هذه الأرواح دون أن تكون محذرة جدا، تستطيعن لو تنظرن إليها أن تجد نفسها متقدمة جدا في خدمة المولى ولكن بدونها لا تستطيعن أن تكن محذرات كبيرات ولو تظنن أنهن سوف تكن كذلك وإنهن تكذبن على أنفسهن. ليرضى المولى وبمنحني امتيازه ويقول لي كل ما يجب أن أقول لكي أجد المجد آمين.

ومن بين المزايا العديدة لهذا الحب الرباني هي تجاوز عواطف هذا المستوى الحقيق، لو نحبه فنحن مطمئنين أنه يحبنا، بناقي! خذوا بعين الاعتبار المزايا التي يحملها هذا الحب معه، والخسائر التي تكون عندما نحرم منه لأننا بذلك سوف نكون عرضة لأيدي الشيطان، أيادي قاسية، أيادي عدوة للخير وصديقة للشر.

## 3- تذكير الكرميليات بالموت واليوم الآخر:<sup>2</sup>

تذكرهم في هذا الجزء بويلات جهنم، وأن يجتهدوا كثيرا في العمل حتى لا يسقطوا في الإغراءات، تقول: ماذا سيجري لتلك الروح التي عندما تخرج الأوجاع والقلق الشديدين كما عند الموت، تسقط سريعا في مثل هذه الأيدي؟ بائسة ستكون موتها، بائسة تسقط ممزقة في جهنم، أي مسكن ملعون إذا كانت ليلة واحدة في فندق رديء لا تحتل لأشخاص يحبون كثيرا راحتهم وهؤلاء هم الذين سوف يملؤون جهنم كيف يحتلمون دائما، دائما هذا المضجع الخالد؟ ماذا

<sup>1</sup> Thérèse d'Avila : Le chemin de perfection, Op.cit, p 33.

<sup>2</sup> Ibid, p 33-34.

ستحس هذه الروح المفلسة؟ إنها ليلة واحدة تقضيها في هذا الفندق الرديء، لنشر الله ولنحرص على التوسل إليه ليمسكنا من يدنا نحن وكل المذنبين ولا يتركنا نركع أو نسقط أمام هذه الإغراءات المقنعة.

#### 4- استحضار ثلاث أشياء مهمة للحياة الروحية:<sup>1</sup>

تتكلم تريزا في هذا الجزء عن المعاناة التي تلاقيها النساء الكرميليات وأنواع العذاب الذي يتعرضن له للارتقاء إلى الحياة الروحية، ورجاؤهن كبير في تقبل الإله، هذا العمل من نساء لأنه من مستحقات ابنه ودمه، يظهر لي من الجرأة أن أتخيل أنني أستطيع المساهمة للوصول إلى هذا الهدف، أضع ثقتي يا إلهي، في خادماتك المجتمعات هنا، لأنني أعلم أنهن لا يردن إلا إرضاءك، بالنسبة لهن فإنهن تخلين عن القليل الذي كان لديهن وتمنيت أن يكون عندهن أكثر لتقدمه قربانا لك. يا خالقي، أنت لست جاحدا وليس لي أي عذر لأفكر أنك تعطي أقل مما يطلب منك، بل أنك تمنح أكثر ولم تكن يا مولى روحي، لتكره النساء لما عشت في هذا العالم، بالعكس، لقد كنت تفضلهن دائما وتعاملهن بكثير من الرحمة ووجدت فيهن كثيرا من الحب وأكثر إيمان من الرجال، واحدة منهن والتي نلبس ثوبها كانت أمنا القديسة (ربما تعني مريم) وفضائلها تعيننا على استحقاق ما فقدناه من خلال ذنوبنا، أليس من الكافي، مولاي أن الدنيا تضعنا على الجانب، يجب أن نعمل شيئا يشجعك أمام الناس، ولا نجراً الحديث عن بعض الحقائق التي نبكيها في السر؟ ألا يستلزم أن تستمع إلى هذه الشكوى العادلة؟ لا أستطيع أن أقبل ذلك، مولاي بطيبتك وعدالتك لأنك قاض عادل، لست كقضاة الدنيا الذين كأبناء لآدم.

وأخيرا كلهم رجال يشككون في أي ميزة للمرأة، نعم يا سلطاني، يصل اليوم الذي يكشفون فيه، لا أتكلم لنفسي لأن الدنيا تعرف مسبقا معاناتي -وأنا أبتهج لأنها مشهورة- لكن إنني أرى الأزمان أصبحت غير معقولة لدرجة أنها ترفض الأرواح الفاضلة والقوية حتى ولو كانت أرواح نساء، عندما نطلب منكم تكريمات، ثروات أو أي شيء دنيوي، يا مولاي لا تسمع لنا ولكن عندما يعلق الأمر بتكريم ابنك لهذا لا تسعمننا، الأب الخالد، اللواتي من أجلك تفقد ألف تكريم وألف حياة؟ وليس بسبب استحقاقاتنا، مولاي، لأننا لا نملك أي واحد، لكن بسبب الدم واستحقاقات ابنك.

<sup>1</sup> Thérèse d'Avila : Le chemin de perfection, Op.cit, p 31-33.

يا أيها الأب الخالد، كثيرا من ضربات السوط، كثيرا من السب، كثيرا من الأوجاع القاسية لا يمكن نسيانها! كيف إذا يا خالقي أحشاء محبة مثل أحشائك لا تستطيع أن تتحمل ما حقق ابنك بكل حب شغوف لكي يرضيك - ألم تأمره أن يجبك؟- ويكون إلى هذه الدرجة محتقرا؟ ألا يستهزؤون اليوم بـ، ألا يجرمونه من مسكنه، ألم يحطموا كئاسه؟ لو أنه قصر في أي شيء لإرضائك، لكنه أتم كل شيء بإتقان. ألم يكفي أنه، يا أيها الرب، لم يجد حتى مكان يرتاح فيه ذهنه طيلة حياته على الأرض وأنه عاش في أوجاع مستمرة؟ أيجب أن نحرم أصدقاءه من الملاجئ التي آمنهم فيها؟ لأنه يعرف ضعفهم وأنه يعلم لكي يتحملوا الأعمال فهم محتاجون إلى تغذية من هذا النوع من الطعام، ألم يدفع من قبل الثمن الكافي، أو أكثر، بسبب الذنب الذي اقترفه آدم؟ وكلما اقترفنا ذنبا، فإنه هو الخروف الوديع الذي يدفع الثمن عنا؟ لا تسمح بهذا، يا أيها الإمبراطور، جلالتك هي التي تهدأ، لا تنظر إلى ذنوبنا لكن قدر أن ابنك الطاهر أنقذنا فحمن في مزاياه، مزايا ابنك ومزايا الكثير من الشهداء الطاهرين الذين ماتوا من أجلك.

ثم تصف نفسها بالمسكينة - أو الدودة الصغيرة - التي تجرأت على مناجاة الرب، وكانت الوسيطة بين النساء الناسكات والإله، يا للأسف، مولاي، أنا المسكينة، كيف تجرأت أن أوجه لك هذه الشكوى باسمهن؟ ما هذه الوسيطة السيئة التي اخترتن يا بناتي، لتستحق أن تسمع وتطرح طلبكن، هذا العاهل القاضي لما يراها جريئة أفلا يسخط أكثر فأكثر؟ سيكون ذلك بسبب وبعدالة، لكن قدر يا أيها الإمبراطور أنك إله الرحمة، فطبقها على هذه المذنبه المسكينة، هذه الدودة الصغيرة التي تتشجع كثيرا أمامك. أنظر، يا مولاي، رغباتي والدموع التي أرجوك بها، إنني أحلفك بجبك لنفسك أن تنسى أعمالي وترأف بالعديد من الأرواح التي تضيع واحمي كنيستك، لا تسمح أبدا، مولاي أن تدك المسيحية أكثر من هذا، إبعث النور وسط هذه الظلمات.

ثم تؤكد على الصلاة والرغبات والصيام لتحقيق الغاية التي من أجلها اجتمعن، إنني أطلب منكن أخواتي، من أجل حب الله أن توصوا جلالته على هذه المخلوقة المسكينة الجريئة حتى يمنحها التواضع، ولو في يوم ما لم تتمكن صلواتكن ورغباتكن وصيامكن من تحقيق ما قلته تأكدن من أنكن لن تحققن الهدف الذي جمعتن هنا من أجله، المولى لا يسمح أن يذهب كل هذا من ذاكرتكن من أجل حب جلالته.

5- حب الله: <sup>1</sup>

ثم تذكر المجتمعات بعداوة الشيطان ودوره في زرع الشك في قلوبهن وإبعادهن عن الله، وتوجههن إلى إظهار حبهن لله بالمدح والشكر، وإنه حقيقة يستحق هذا الاسم -الحب- لكن إغراءات الدنيا سلبت منه اسمه، لكن إرادته شاءت أن يذيقهن و(هم) محبته حتى يمثل -كل مسيحي- (كل محب) أمام المحكمة الربانية وهو مطمئن، أتظن بناقي، أن الشيطان لا يهمله كثيرا أن يزرع الشك إلى هذا الحد؟ إنه يربح في ذلك كثيرا، لأنه يسبب ضررين جد معروفين، دون أن نتكلم عن الأضرار الأخرى، أولا يعبئ بالمخاوف الأرواح التي تريد عمل الصلاة لأنها بدورها، هذه الأرواح، خائفة بأن يغرر بها، ثانيا يعمل على صرف الكثيرين عن الاقتراب من الله، هناك الكثير من الأرواح التي تؤمن بأن الله، بطيبته العظيمة، يتصل حميميا مع شخص بئس، يظنون (الأرواح) أنه (الله) يعمل نفس الشيء معهن ولهن الحق أعرف البعض منهن وأصبحن أرواحا حقيقية للصلاة، وقد منحنا الله في وقت قصير كرامات كبيرة.

لذلك، أخواتي لما تعترفن بهذا الحب عند الواحدة منكن، امدحن الله واشكراه ولا تظنن بذلك أن هذه الأخت في أمان بالعكس ساعداها باستمرار وصلوا من أجلها لأن ولا شخص يستطيع أن يكون في أمان مادام يعيش في هذا المستوى الضعيف غارقا في أخطار هذه البحر التي تسافر فوقها ولكن أن أكرر، نعترف أو نقر حالا هذا الحب أينما يوجد، لأننا غير قادرين على إخفاء حب رجل مسكين لامرأة وبالعكس كلما أردنا أن نخفيه كلما ظهر بالرغم أنه حب لا يستحق هذا الاسم ولا يتأسس على شيء، وإنه ليقلقن أن أقوم بهذه المقارنة، كيف نستطيع أن نخفي حب قوي مثل هذا لله، حب يرتكز على مثل هذه الأساسيات، عنده أشياء كثيرة تحب وأسباب كثيرة ليحب؟ أخيرا، إنه حقا الحب يستحق هذا الاسم وإغراءات هذه الدنيا اغتصبت منه اسمه، يا إلهي، يجب أن يكون هذين النوعين من الحب قد ظهرا مختلفين بالنسبة للذي أحس بهذا وبذلك.

رضي جلالته أن يذوقنا هذا الحب الرباني قبل أن يعزلنا عن الحياة لأن ساعة الموت (لما نذهب إلى اتجاه غير معروف) سوف تكون بالنسبة لنا شيء غير مرغوب فيها حتى نحب فوق كل شيء، نحب بشغف يقودنا إلى أن نتعدى أنفسنا، هذا المولى الذي سوف يحاكمنا، نستطيع أن نمثل

<sup>1</sup> Thérèse d'Avila : Le chemin de perfection, Op.cit, p 180-181.



مطمئنين أمام محكمته لنرجع ديوننا، لأنه ليس الذهاب إلى أرض غريبة ولكن إلى بلدنا بلد الذي نجه كثيرًا.

### مقاطع من كتاباتها في الحب الإلهي:

جمال المسيح الذي لا حد له:

"إن المسيح، حين رأيته، طبع في جماله الذي لا حد له، وهو لا يزال فيّ حتى اليوم.

مرة واحدة كانت كافية، ولا سيما أن الرب غالبًا ما ينعم عليّ بهذه النعمة!

أحرزت تقدمًا هائلًا، وإليكم ما هو.

كنت مصابة بنقيصة كبيرة جدا ألحقت بي ضررًا جسيماً،

إذ إنني ما إن كنت أشعر بأن أحداً يكن لي المودة وبأنه يعجبني،

حتى كنت أغتر بنفسي فلا تعود ذاكراتي تتخلص منه.

لم يكن قصدي أن أهين الله،

ومع ذلك كنت سعيدة برؤيته وبالتفكير فيه وفي جميع الحسنات التي أراها فيه.

وكان هذا الأمر شيئاً حتى إن نفسي كانت تائهة بسببه.

ولكن، بعد أن شاهدت جمال الرب الرائع،

لم يبد لي أحد جميلاً بالمقارنة به، ولا جديراً بأن يشغلني.

كفاني أن أحقق عيني الاعتبار إلى الصورة التي في نفسي.

وأصبحت حرّيتي بعد ذلك اليوم كبيرة حتى إن كل ما أراه ينفري،

إن قارنته بالسموّ والجمال اللذين رأيتهما في الرب.

وما من علم ولا متعة إلا وتعد لا شيئاً،

لقاء كلمة واحدة من ذلك الفم الإلهي الذي غالباً ما خاطبني"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> أندريه ماندوز: تاريخ الكنيسة المفصل، ص 184.



### خلاصة: أهم الأحداث في حياة القديسة تريزا الأفيلية:<sup>1</sup>

- 1515: في 28 آذار في مدينة آفيل (إسبانيا) مولد تريزا دي أهومادا أي ثيبدا، عمّدت في 4 نيسان، يوم تدشين دير التجسد للراهبات الكرمليات في المدينة.
- 1522: محاولة هربها مع أخيها رودريغو إلى "بلاد المغاربة" للاستشهاد.
- 1528: موت والدتها بياتريث دي أهومادا.
- 1531: دخولها دير ومدرسة سيده النعمة كطالبة داخلية.
- 1528-1531: إقبالها على مطالعة كتب الفروسية.
- 1532: مرضها وخروجها من دير سيده النعمة.
- 1533-1535: نضوج دعوتها الرهبانية بتأثير صحبة عمها بدر و مطالعة رسائل القديس إيرونيموس.
- 1535: 2 تشرين الثاني، هربها من البيت ودخولها دير التجسد.
- 1536: 2 تشرين الثاني، اتشاحها بالثوب الرهباني.
- 1537: 3 تشرين الثاني، إبرازها النذور في دير التجسد.
- 1538: مرضها الخطير، تخرج من الدير للمعالجة؛ تطالع الأجدية الثالثة للاريدو.
- 1539: تعود في تموز إلى آفيل، قبيل عيد انتقال السيدة (15 آب) تصاب بغيوبة طويلة أربعة أيام فيظنونها ميتة، ثم تستفيق، وتعود إلى دير التجسد، وتبقى ثلاث سنوات كأنها كسيحة.
- 1541: اغناطيوس دي لويولا يؤسس جمعية اليسوعيين.
- 1542: شفائها بفضل القديس يوسف، ولادة خوان دي بيبس (القديس يوحنا الصليبي).
- 1543: موت والدها، بناء على نصيحة معرفها الأب بارون، تعود إلى حياة التأمل.
- 1544-1554: حياة تريزا تتأرجح بين الحرارة والفتور.

<sup>1</sup> منتديات باقونا: مواضيع مسيحية، التاريخ الكنسي، مرجع سابق.

1554: أمام تمثال المصلوب المثخن جراحا تحوّل جذري في حياتها.

1554-1560: تتضاعف الظواهر الخارقة، كالانخطافات والرؤى والأحاديث، وتأمل السكنية والاتحاد.

1556: نعمة الخطوبة الروحية.

1557: لقاءها القديس فرنسيسكو بورخا (فرنسيس بورجيا).

1559: أول رؤيا حظيت بها عن المسيح، رئيس محاكم التفتيش يمنع الكتب الروحية باللغة الإسبانية لمحاربة المنوّرين Alumbrados وهم جماعة من المشعوذين.

1560: رؤيا جهنم، رؤيا الكارويم يطعنها الحب الإلهي، مشروع تأسيس دير القديس يوسف للإصلاح، لقاء القديس بدر ودي ألقنطره، تكتب التقرير الأول، رؤيا المسيح القائم من الموت.

1562: تقضي فترة في منزل السيدة لويسا دي لاثيردا في توليدو، حزيران: تنتهي من وضع كتاب السيرة، آب: تأسيس دي الإصلاح على اسم مار يوسف في آفيلا، تباشر كتابة طريق الكمال.

1563: آب: تنتقل إلى دير القديس يوسف، حيث تكتب رسوم الراهبات الكرمليات الحافيات.

1565: تنتهي من كتابة السيرة، صيغة ثانية أي الحالية.

1566: تكتب حواطر في حب الله.

1562-1567: فترات راحة وسلام وتأليف في دير مار يوسف في آفيلا، شعورها بضرورة وجود رهبان يمارسون نمط الحياة السائد في دير القديس يوسف.

1567: رئيس العام يفوضها تأسيس أديرة مثل دير القديس يوسف، آب: لقاءها الأب يوحنا للقديس متيّا، وإقناعه ببدء الإصلاح بين الرهبان، سلسلة الأديار المؤسسة.

1567: مدينا دل كمبو.

1568: مالاغون-فاليادوليد، دورويلو للرهبان.

- 1569: توليدو وباستراننا.
- 1570: سلمنكا.
- 1571: اليا دي تورمس، تعيين رئيسة على دير التجسد في آفيلا.
- 1573: تباشر تدوين التأسيسات.
- 1574: سيقوفيا، تعود إلى دير مار يوسف.
- 1575: بياس وأشبيلية، قضاة التفتيش يصادرون مخطوط كتاب السيرة.
- 1577: 2 حزيران - 5 تشرين الثاني، تكتب المنازل أو القصر الداخلي، يشتد الاضطهاد على تريزا وراهباتها ورهبانها مدة سنتين، ثم بعدها تكوين إقليم مستقل للكرملين الحفاة.
- 1579-1582: زيارة الراهبات وتأسيس الأديار.
- 1580: تأسيس دير فيلانويفا.
- 1581: تأسيس دير صوريا، انتخاب تريزا رئيسة على دير مار يوسف.
- 1582: نيسان: تأسيس دير بورغوس.
- 20 أيلول تصل مريضة منهوكة إلى ألبا دي تورمس Alba de Tormes، وتلزم الفراش، 4 تشرين الأول عند التاسعة مساء تفيض روحها "ابنة الكنيسة".
- 1583: يفتح التابوت وينقل جثمانها إلى آفيلا، نشر كتابها طرق الكمال.
- 1586: بأمر بابوي يعاد إلى البا دي تورمس حيث يرقد الآن.
- 1588: نشر مؤلفاتها الكاملة بدعم الأب يوحنا الصليبي، الأب لويس دي ليون الأوغسطيني.
- 1614: الباب بولس الخامس يعلنها طوباوية.
- 1622: البابا غريغوريوس الخامس عشر يعلنها قديسة.
- 1970: 27 أيلول الباب بولس السادس يعلنها أول امرأة "معلمة الكنيسة".

وبعد هذه الوقفة المقتضية عند هذه القديسة، التي تعدّ من أعظم القديسات، والقديسين الذين عرفتهم الديانة المسيحية، نقول، وبدون مناقشة عقيدتهم وأفكارهم لأن هذا موضوع له رجالاته، أن الباحثين عن قمة الحب الإلهي كثر بكثرة عباد الله، والكل قد اجتهد في هذا الطريق بغية تحقيق هذه الغاية، وكلما اقتربوا زادوا شغفا ولهفة للوصول السريع، وهذا ما يعني أن الحب الإلهي يسكن كل القلوب الإنسانية بدرجات تحددها اجتهاداتهم الخاصة، ولا يصل إلى القمة إلا المتفاني، الصلب الذي لا يرجع إلى الخلف أبداً، وسواء كان مسيحياً أو مسلماً أو على دين آخر.

### المطلب الرابع. وقفة عند المحبة المسيحية:

بعد هذه الدراسة للمحبة في المصادر المسيحية نخلص إلى أن المحبة أخذت حصة الأسد بين فضائل عدة والدعوة إليها، وبذلك يكون بولس اليهودي الأصل، والذي ترعرع في ظل ديانة ظلت أسيرة الانغلاق على نفسها، استطاع -بفضل ذكائه، وثقافته الواسعة بالعقائد والفلسفات السابقة-، الوقوف على الداء الذي يعاني منه أهل ديانته، التي تميزت -بالروح العدائية- ومستغلاً ما وصف به المسيح -عليه السلام- من الرحمة، والعطف، وحب الناس...، استطاع بذلك بولس أن يعمق في هذه الديانة هذا الوازع الاستقطابي الصامت باختلاق عقيدة التثليث -الثالوث- (الأب-الابن-روح القدس)، مستغلاً طبيعة العلاقة التي تربط هذا الثالوث -المختلف- وهي المحبة التي عاجلت الخطيئة -خطيئة آدم، بالصلب والفداء والخلاص.

عقيدة التثليث في المسيحية من أهم العقائد وأخطرهما، والبحث في أصولها يكشف أنها لم تستحدث في الديانة المسيحية بل جذورها ضاربة في القدم، ومتأصلة في العقائد والحضارات القديمة يقول برتشرود: "لا تخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة من مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث، أو الواحد الثلاثي (أي: الأب والابن وروح القدس)<sup>1</sup>.

وما اعتمده المسيحيون من التثليث هو ما قرره مجمع نيقية، وهذا المعتقد يتفق مع وثنية قسطنطين، وما قرره مجمع القسطنطينية في ألوهية روح القدس يتفق مع وثنية الرومان، والمصريين والديانات الوثنية التي قالت بالتثليث<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> محمد علي بروعاملي: الكتاب المقدس في الميزان، ط4، بيروت الدار الإسلامية، 1993م، ص 334.

<sup>2</sup> عبد الغفور عطار: الديانات والعقائد في مختلف العصور، ص 183.

وخلاصة المحبة التي تربط بين الثالوث المسيحي هي "الله محبة".

### المسيحية مدينة لآدم - عليه السلام - في محبتها:

ليس من الصواب في مثل هذا البحث مناقشة العقائد المسيحية من جانب بطلانها، لأن مثل هذه المناقشة قد أخذت حقها في بحوث كثيرة ومتعددة، وأبانت بالدليل والحجة زيغ هذه المعتقدات المتجذرة في القدم، قدم المعتقدات الإنسانية المنحرفة، والتي تشبعت بها المسيحية، وبتت على أشلائها دينا بأكمله يقوم على "الله محبة"، عبارة تدغدغ العواطف وتوقظها من سباتها لتبحث عن هذا الإله وتحبه لأنه "محبة"، ولكن في حقيقة الأمر حق أريد به باطل، لأن هذه العبارة استغلت أبشع استغلال في تحريف المسيحية عن صورتها الأصلية وبنيت على أركان وأسس مكذوبة، من بينها الخطيئة، والتي لولاها لما اكتشف المسيحيون "الله محبة"، فالمسيحية مدينة لآدم بسبب الخطيئة التي كشفت عن جوهر، وحقيقة، وذات الله، على أنه محبة - والأصوب لو كان هو المحبة -.

فلولا آدم - القديم -، لما بعث آدم - الجديد - أمير الحب.

فآدم القديم هو من غير إرادة الله، فالموت لم يكن ضمن الإرادة الإلهية، لكن خطأه - حسبهم - هو من أدى إلى تبدل الأقدار الإلهية، فتقرر وضع حد لحياة البشر، سيموت الجميع وهم يحملون وزر أبيهم آدم المخطئ، رغم أن الخطيئة - في اعتقادهم - أشمل وأقدم من آدم - عليه السلام -.

لكن بعد هذه الزلة لأب البشر أنزل الله حبه إلى الأرض لينخلص البشرية من إثم لم تقترفه، وليداوي هذا الألم الأزلي بالدم، ولن يكون إلا بدم الابن الوحيد والحبيب على الصليب.

فأصبحت قضية الصلب من القضايا الأساسية في إيمان المسيحيين فالمسيح انتهت حياته بالصلب، وهذه النهاية ضرورة للتكفير عن خطايا البشر حسب نظرية بولدس، وبذلك تقلدت المسيحية وسام المحبة، فالصلب هو لحظة الحب... الأعظم، وهي اللحظة التي أعلن فيها - المسيح - أنه ابن الله الوحيد، المحب للبشرية، لأن الإله الذي لا يتألم إله لا يجب - دمه على الصليب طهر البشرية من الخطيئة، وبدل حياتها بعد أن كانت لا تطاق، ومسيح السلام، أقام عهدا جديدا بينها وبين الله، فأسس، وأعطى بفدائه معنى جديدا للحياة، وحتى للموت.

مع أنه لم يكن يريد هذه النهاية - الموت على الصليب -.

وفي كل الأحوال تبقى البشرية مدينة لهذا الابن الذي كان يبادل المحبة مع أبيه وروح القدس، والتساؤل، من يبادل الأب المحبة بعد موت الابن، وإن كان روح القدس هو المحبة المتبادلة بين الأب، والابن، وسر العلاقة بين الاثنين، فهذا الدور، وهذه العلاقة قد انتهت لحظة الصلب وبزوالها زالت المحبة.

وبقي إله المسيحيين وحيدا لا يجد من يبادل المحبة، ولا من يقوم بهذا الدور، بالصلب بل غابت صورته -صورة الله غير المرئي- التي تجسدت في المسيح -عليه السلام- كما غاب عن الكنيسة (العروس) عريسها، التي كانت خاضعة له خضوع حب، فتحررت من مثل هذه العلاقة ولكن الإشكال الذي يطرح نفسه بجدة، فكيف للكنيسة بعد موت عريسها، أن تقوم بدورها -رعاية الحب- وكيف لها أن تربي البشرية على أصول المحبة، وتجمع المسيحيين للحب وفي الحب؟.

وهل بإمكان المسيحيين أن يحسوا بالمحبة نفسها التي غمر بها الله ابنه الوحيد؟ وقد فقدت منبع هذا الحب الذي ضحى به الله لتطهير البشر من خطيئة لم يقترفوها، وكادت لعنتها لا تفارقهم لولا دم المسيح المسفوح على الصليب، والذي داوى فزع المسيحيين من تبعات الخطيئة، وهذه شهادة أحد الدكاترة المسيحيين المصريين يعبر فيها عن مدى إرتياحه بعد رفع هذه الزلة عن البشرية بعدما كانت تنغص عليه حياته في طفولته<sup>1</sup>.

فيقول: "وإن أنس لن أنسى القلق الذي ساورني وشغل خاطري من ملايين البشر قبل المسيح، أين هم؟ وما ذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة

والحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى الموروثة إلا من نشأ في ظل تلك الفكرة القائمة التي تصبغ بصبغة الخجل والتأتم كل أفعال المرء، فيمضي في حياته مضي المريب المتردد، ولا يقبل عليها إقبال الوثائق، بسبب ما انقضض ظهره من الوزر الموروث

إن تلك الفكرة القاسية تسمم ينابيع الحياة كلها، ورفعها عن كاهل الإنسان منة عظمى، بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه، بل هو ولادة جديدة حقا، ورد اعتبار لاشك فيه أنه تمزيق صحيفة السوابق، ووضع زمام كل إنسان بيد نفسه".

<sup>1</sup> يوسف القرضاوي: الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1405هـ-1985م، ص 83.

لكن وجد من المسيحيين من يتأسف على الذين يحملون عبء الدفاع عن العقائد التقليدية.

"وأسفاه على الذين يحملون عبء الدفاع عن العقائد التقليدية في الفداء والكفارة، فالإفلاس الكامل أفضل من التخمينات الفارغة التي لا نهاية لها... وموت يسوع ما هو حقا إلا تتويج حياته

وهكذا كان الحال مع يسوع أن يعيش حياة محبة ويدعو للمحبة ويؤسس مجتمع المحبة... هذه زادت من احتمال الصلب، والتقليد يقول أن يسوعا عرف ذلك منذ البداية وكانت له النبوءة الإلهية، بالإضافة للمنطق، موجهة له في حياته، لذلك نحن لسنا بحاجة إلى نظرية الكفارة، والفداء لتفسير ما هو مفسر أصلا، لقد أنقذنا في مجتمع المحبة..."<sup>1</sup>.

وهناك مقولات كثيرة ترفض مثل هذه الأباطيل والتي أبطلت ربانية هذا الدين.

يقول أرثوويجال:

ومن المشهور عن يسوع هو تفسيره الأصيل لمملكة الله على أنها حكم المحبة...<sup>2</sup>.

وأصالة يسوع ليست في أنه قدر المحبة، فكل تعاليمه تقريبا لها ما يوازيها في المصادر اليهودية...<sup>3</sup>.

... مما يمكن أن نقوله هو أن الحب هو الصيغة الطبيعية ليسوع كما صورته الأناجيل، وللكنائس كما صورتها السجلات الدينية...<sup>4</sup>.

لم يدع يسوع فقط إلى أولوية محبة متفتحة غير أنانية، ولم تكن فقط، كما قال الشاعر الإنجليزي أنه بدأ بتطبيقها على نفسه، بل أسس أيضا مجتمعا على هذا الشعار، ووضع المسيحيون كل آمالهم على استمرارية هذا المجتمع...<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> جون هك: أسطورة تجسيد الإله في البشر المسيح، ص 104.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 96.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 97.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 97.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 97.



وآخرون عن كتاب العهد الجديد اعتبروا أن الإيمان والأمل والمحبة هي روح هذا المجتمع، والمحبة في المرتبة الأولى<sup>1</sup>.

والدليل العالم في قبول يسوع للمنبوذين اجتماعيا في مجتمعه حيث قبلهم هو نفسه مع الذين يفترون كثيرا من الأمور الفاضحة في حياتهم...<sup>2</sup>.

ونريد أن نؤكد الوجهة الإيجابية أيضا فعندما وجد المنبذون أن المجتمع قبلهم وأحبهم صارت لديهم القدرة على محبة الآخرين الذين لم يعرفوهم قبلا<sup>3</sup>، المسلم يجب أخاه المسلم دون مقابل: "إنما المؤمنون إخوة".

... ولكن انخرطنا يتأتى في انخرطنا في جسمه، وهو الكنيسة، حيث تتنفس روحه فينا ونعيش عيشة المحبة التي عاشها...<sup>4</sup>.

فالمحبة هي الخلاص.

وهناك من المسيحيين من يرفض فكرة الفداء والخلاص يقول أثروجيلال في تعليق له على مبدأ الكفارة في كتاب "الوثنية في مسيحيتنا": "لم يعد من الممكن أن نقبل بهذا المبدأ اللاهوتي المروع الذي يقول بضرورة التضحية المناسبة لسبب غامض، إنه يسيء إلى مفهومنا عن الإله القادر ومفهومنا عن الإله الغفور الرحيم على السواء، لقد قال دكتور كرودن باعتقاده أن الغرض من التضحية "أن يعاني المسيح الألم العظيم الذي أنزله به الرب"، هذه الفكرة وحدها كفيلة بأن تثير إشمئزاز العقل الحديث، بل يمكن أن نسميها فكرة لمبدأ بشع لم تنعدم صلته بالميول السارية والقسوة في تعذيب الآخرين التي كانت سائدة في طبيعة الإنسان البدائي، الواقع أن لها أصولا وثنية، بل ربما كانت بجد ذاتها أوضح آثار علقت بالدين من عالم الأوثان"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> جون هك: أسطورة تجسيد الإله في البشر المسيح، ص 98.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 98.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 98.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 103.

<sup>5</sup> ألفت عزيز الصمد: الإسلام والمسيحية، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، دار القرآن الكريم، بيروت، 1404هـ - 1984م، ص 83.

ومثل هذه الأقوال ممكن أن لا يكون لها وزنها في مثل هذا الموضوع الحساس -إبطال الخطيئة والصلب والفداء والخلاص-، لكن وجدت من النصوص الإنجيلية التي يمكن اعتبارها أقوى من أقوال البشر -رغم أنها لا تعدو أن تكون كذلك-.

لنرجع إلى الأسفار في هذه القضية لنعلم منها -حقيقة- ما حدث للمسيح -عليه السلام- هل حقيقة ارتضى لنفسه هذه النهاية الموحجة ليكفر عن خطايا البشر، ويكشف عن حبه الأعظم للبشرية.

1- ما جاء في الأناجيل: أن المسيح عليه السلام لما كان في الحديقة وشعر بالخطر يتهدده فخاف وارتعب، وصلى طالبا من الله النجاة فظهر له ملاك من السماء يقويه<sup>1</sup>.

2- المسيح كان يجهل سبب مجيء يهوذا، لأنه سأله عن ذلك<sup>2</sup>.

3- المسيح كان يرجو إطلاق سراحه، لأنه سئل في المحاكمة إن كما هو المسيح، فقال لهم: "إن قلت لكم لا تصدقون، وإن سألت لا تجيبوني، ولا تطلقوني"<sup>3</sup> والذي تفسيره: "إلهي، إلهي لماذا تركتني"<sup>4</sup>.

وقوله (الوى، الوى، لم شبتني؟!)<sup>5</sup> والذي تفسيره (إلهي، إلهي لماذا تركتني؟).

فالمسيح إذا، كان يرجو إطلاق سراحه، وهذا ينفي ما ورد في رسائل بولس، وما اقتبس منها في الأناجيل كقوله: إن المسيح (بذل نفسه لأجل خطايا البشر لينقذنا من العالم الشرير) أو أنه (بذل نفسه فدية لأجل الجميع)، وهذا يسقط مقولة: "الله محبة".

4- المسيح تنبأ بمحاولة قتله، والنجاة منه في قوله للخدام الذين بعث بهم الفريسيون ورؤساء الكهنة ليمسكوا به، إذ قال لهم: (أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضى إلى الذي أرسلني ستطلبوني، ولا تجدوني، حيث أكون أنا لا تقدرُونَ أنتم أن تأتوا)<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> مرقس 4: 36-3، لوقا 22: 43-44.

<sup>2</sup> متى 26: 50.

<sup>3</sup> لوقا 22: 66-68.

<sup>4</sup> مرقس 15: 24.

<sup>5</sup> يوحنا 7: 32-34، مرقس 15: 24.

<sup>6</sup> يوحنا 7: 32-34.

5- لا أثر لجثة المسيح -عليه السلام- في القبر، وهذا دليل على أنه لم يدفن<sup>1</sup>.

6- المسيح لم يصلب، وصعد إلى السماء (منذ الآن يكون ابن الإنسان جالسا عن يمين قوة الله)<sup>2</sup>.

يعتقد المسيحيون أن المسيح بعد هذا الفداء الوهمي قام والتحق بأبيه، وهذه القيامة ليست بالجديدة في المسيحية فهي تشبه أسطورة عشتار (إينانا) إلهة الحب حيث عادت إلى الحياة وجاءت إلى ملكوتها لتصريف الأمور بعد موتها ثلاثة أيام، وهذه الأسطورة مروية قبل ميلاد المسيح بخمسة عشر قرنا<sup>3</sup>.

كما نجد تشابها كبيرا لقيامة المسيح بعد موته في قيام كرشنا وبوذا<sup>4</sup>.

الأهم في الأمر أن المسيحيين يعتقدون بقيام المسيح وجلسه بجوار الأب، ويبدو أن في مثل هذا الاعتقاد أن الأب قد صحح خطأ اقترفه في حق ابنه الوحيد الحبيب، الذي طلب منه الإغاثة ولم يغته، وفيه ندم على مثل هذا الفعل (سفك الدم-الصلب-الفداء-الخلاص) فهل ندم أيضا على حبه للبشرية، وعلى تطهيرهم من خطيئة أبيهم آدم، فأبطله بتكليف ابنه حساب الناس على ما فعلوه إن مثل هذا التراجع الأبوي ينفي عن ذات الله "الله محبة" كما ينفيه عن ابنه، ويطلق "المحبة المسيحية".

و هذه النصوص والمقولات كافية لإبطال "الله محبة" المتأتية عن الاعتقادات السابقة، عن المسيحية.

وفي إبطالها إبطال للمحبة المسيحية التي بنيت عليها المسيحية.

والنتيجة أن هذه الديانة تعرضت لتحريف كبير أخرجها عن الربانية، وعن حقيقة ما دعا إليه عيسى -عليه السلام- من توحيد الله، والرحمة، والتسامح، والمحبة الطاهرة من دمه المسفوح على الصليب بسبب خطيئة آدم -عليه السلام- الذي تاب إلى ربه فتاب عليه.

<sup>1</sup> متى 12: 40، متى 17: 23، مرقس 9: 31، لوقا 9: 22.

<sup>2</sup> لوقا 22: 69.

<sup>3</sup> عبد الغفور عطار: الديانات والعقائد في مختلف العصور، ج3، ص 125.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ج3، ص 126.

إن مثل هذا الاعتقاد، وغيره التي بنت عليه المسيحية عقيدتها أصبحت من الماضي، ولا يمكن لعقل مفكر، متدبر، الاقتناع به يقول أحد الأساتذة المسيحيين، وهو محاضر في الأناجيل في جامعة لندن "إقناع المسيحيين بترك التعابير القديمة عن المسيح مثل (ابن الله) و(الله)، للتاريخ... لأنها لا تصلح برأيه للحاضر، ولا يمكن الدفاع عنها بالمفهوم الحرفي، فهي رمزية، وليست حقيقية"<sup>1</sup>.

والتحريات في التاريخ بتقنيات بارعة توصل الباحثون إلى وقائع وأسماء تشير إلى أن اليهودية الهلينية تأثرت بالأساطير الوثنية اليونانية<sup>2</sup>.

ولهذا فهذه المعتقدات غير واضحة، وغامضة، وصعبة الاستيعاب على العقل البشري وهذا ما يؤكده أحد الأساتذة المسيحيين في قوله: (من الواضح تماما أن المعتقدات التقليدية عن (الله) و(المسيح) و(الخلاص) و(الدينونة) ... وغيرها ليست متماسكة وغير مفهومة...)<sup>3</sup>.

وبعد هذه الهزة "لله محبة" التي تتغنى بها المسيحية وتجعل منها شعار ديانتها، أصبح من العيب عقد مقارنة بين ديانة وضع أساسها على خرافات وافتراءات، وأكاذيب، وتضارب في الكثير من نصوصها من إنجيل إلى آخر، وحتى في نفس الإنجيل كما تبين لنا، ضف إلى ما تعرض له كتاب الأناجيل من قدح في شخصياتهم، وفي مستوى علمهم، فقد تعرضوا لنقد لاذع من قبل المسيحيين أنفسهم -تم تبيينها في بحوث كثيرة- شرحت كل كاتب تشريحا دقيقا، أسفرت نتائجها أن هؤلاء الكتاب لم تتوفر فيهم المؤهلات التاريخية، ولا العلمية لكتابة أقوال تنسب إلى -عيسى عليه السلام-، فهدموا بها حقيقة ما دعا إليه المسيح -عليه السلام-، بما نسبوه إليه من ألوهية، وفداء، وتخليص البشرية من خطيئة لم يقترفها وانمحت بتوبة آدم -عليه السلام- وتجسيد، والذي يقول في شأنه أحد الكتاب المسيحيين (إذا كان الله ذاته متجسدا كليا في المسيح يمكن عبادة يسوع عبادة مباشرة على أنه الإله دون المخاطرة بخطأ أو تجذيف، ويمكن الدفاع هكذا عن مذهب لعبادة المسيح متميز عن مذهب عبادة الله...)<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> جون هك: أسطورة تجسيد الإله في البشر المسيح، ص 14.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 13.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 10.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 279.

ويعلق آخر (... ولكن الإيحاء بأن عقيدة التجسد لا تنتمي لروح المسيحية بل تنتمي لفترة من تاريخ الكنيسة انتهى وقتها، ... هذا الإيحاء سيصيب، بالتأكيد بعض المسيحيين بالذعر، ومع ذلك فأنا أعتقد أنه هو الحقيقة)<sup>1</sup>.

ويقول آخر (وأنا أقترح أن أحسن تعبير عن ذلك هو القول أن فكرة التجسد هي أسطورة -ميثولوجية- واستعمل هنا تعبير أسطورة بمعنى قصة ترى ولكنها ليست -حرفيا- حقيقة)<sup>2</sup>.

فالتجسد بإقرار بعض المسيحيين أنفسهم لا يعدو أن يكون أسطورة لتأليه المسيح، ومحبه، والتفاني في هذا الحب الوهمي وفي هذا يقول أحدهم (ولكن كيف وصل اليهود مع الأميين من المسيحيين إلى عبادة كائن بشري محطمين بذلك هكذا فكرتهم في وجود إله واحد)<sup>3</sup>.

ولكن إن أبشع ما تولد من هذا المعتقد، عقيدة تتقزز منها النفوس، وهي شعيرة العشاء الرباني ويكفي في ذلك تعليق -لول ديوردنت- (بهذه الطريقة تعظم الحضارة الأوروبية والأمريكية اليوم شعيرة من أقدم الشعائر في الأديان البدائية وهي أكل الإله)<sup>4</sup>.

والتساؤل المطروح هنا أي نوع من الحب هذا الذي يستطيع بدافعه التلذذ بأكل لحم الإله وشرب دمه.

وخلاصة القول أن المحبة التي تتغنى بها المسيحية باطلة، لأنها تولدت من أكذوبة، وما بني على باطل فهو باطل.

وبهذه النتيجة أستطيع إنهاء الموضوع عند هذا الحد.

لأن المحبة المسيحية والمحبة الإسلامية عقائديا لا يلتقيان أبدا، لأن الأركان التي كانت سبب هذه المحبة في المسيحية غيرها تماما في الديانة الإسلامية، فكيف يمكن مقارنة محبة بنيت على أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ومحبة بنيت على ثلاث آلهة وما تعلق بكل واحد منهم من أساطير وخرافات لا يتقبلها عقل عاقل.

<sup>1</sup> جون هك: أسطورة تجسيد الإله في البشر المسيح، ص 15.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 18.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 18.

<sup>4</sup> لول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ج5، مجلد 04، ص 20.

إنه من الصعب جدا على باحث مسلم عقد مثل هذه المقارنة - غير المتوازنة - بين حب وهمي، وآخر حقيقي.

لكن عقد المقارنة حتمية من وجهين:

- عنوان البحث يفرض عقد هذه المقارنة بأي شكل من الأشكال.
- الاحترام والتقدير الذي يوجبه ديننا حيال كل ديانة وضعية كانت أو سماوية.

## المبحث الثاني. تطبيقات المحبة الإسلامية:

المطلب الأول. محبة الله للعبد ومحبة العبد لله ورسوله ﷺ:

أولاً. محبة الله للعبد:

من أسمى الغايات، وأنبى الأغراض التي يستهدفها المرء في حياته، الظفر بمحبة الله، وتحصيل به ورضاه.

إن حب الله للعبد من عبيده، أمر عظيم، لأنه تفضل من خالق الأكوان ومسيرها لمخلوق من مخلوقاته الضعيفة، فأذقتها معرفته التي لا نظير لها في مذاقات الحب كلها، لأننا علمنا خصوصيات الخالق في أسمائه وصفاته «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»<sup>1</sup>.

وكذلك القصور البشري في إدراك الذات الإلهية حيث قال تعالى: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ»<sup>2</sup>، فعندها ندرك الحيرة التي جعلت الكثير من أهل العلم يتوقفون عن تفسير معنى حب الله، أو يختلفون في تفسيره، وأجازوا لأنفسهم الوقوف عند الحدود اللغوية التي ربما اصطلحت على تعريف معنى حب الله تعالى وفي ذلك يقول الإمام الرازي: "أجمع المسلمون على أن المحبة صفة من صفات الله تعالى، لأن القرآن نطق بإثباتها في آيات كثيرة واتفقوا على أنه ليس معناها شهوة النفس، وميل الطبع وطلب التلذذ بالشيء، لأن كل ذلك في حق الله محال بالاتفاق، واختلفوا في تفسير المحبة في حق الله تعالى على ثلاثة أقوال"<sup>3</sup>.

القول الأول: أن المحبة هي عبارة عن إيصال الله الثواب والخير والرحمة إلى العبد.

القول الثاني: الحب عبارة عن إرادة الله تعالى لإيصال الثواب والخير إلى العبد ومعنى هذا القول: إن من أثبت الإرادة لله تعالى فسر المحبة بإرادته لإيصال الثواب إليه، ومن نفى الإرادة في حق الله تعالى فسر المحبة بمجرد إيصال الثواب إلى العبد.

<sup>1</sup> سورة الشورى: الآية 11.

<sup>2</sup> سورة الأنعام: الآية 103.

<sup>3</sup> محمد فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج14، ص107.



القول الثالث: إن محبة الله تعالى صفة مع كونه مريدا لإيصال الثواب إليه<sup>1</sup>.

ويقول حجة الإسلام الغزالي: "محبة الله للعبد حقيقة وليست مجازا... الأسماء كلها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تطلق عليهما بمعنى واحد أصلا، حتى إن اسم الوجود الذي هو أعم الأسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد، بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى، فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع... وواضع اللغة، إنما وضع هذه الأسماء أولا للخلق، فإن الخلق أسبق إلى العقول، والأفهام من الخلق، فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل... والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائم، وهذا إنما يتصور في نفس ناقصة فاتما ما يوافقها فتستفيد بنيه كما لا فتلتذ بنيه، وهذا محال على الله تعالى"<sup>2</sup>.

وكلما صار العبد أكمل صفة، وأتم علما، وإحاطة بحقائق الأمور، وأثبت قوة في قهر الشيطان، وقمع الشهوات، وأظهر نزاهة عن الرذائل صار أقرب من درجة الكمال، ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله... .

"فإن محبة الله للعبد تقربه من نفسه بدفع الشواغل، والمعاصي عنه، وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا، ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه"<sup>3</sup>.

ويبدو أن الخوض في مثل هذا الموضوع شاق على العقل الإنساني، وفي أقوال العلماء تأكيد لمحبة الله للعبد مهما كان معناها، ويكفي أن القرآن قد ذكرها حتى وإن لم ينقل كيفيتها، ففي ذلك حكمة ربانية لا يعلمها إلا الله عز وجل، ويمكن تفسير هذا الإجمال الرباني لمحبه لعبد - حب في حد ذاته، حتى يسعى إليه كل مرید بكل ما أوتي من طاقة روحية وبدنية فيتحقق المراد بمحبة الله لعبد.

إن هذا الحب العظيم، من الله العلي القدير لعبد الضعيف، لم يشبهه القرآن الكريم، إلا لذوي الأعمال العظيمة، فوصف هؤلاء العباد المحبوبين بأوصاف هي أمهات الأخلاق ومنابع الفضائل النفسية التي تجعلهم جديرين بمثل هذا الحب.

<sup>1</sup> عمر شاكر الكبيسي: الحب في القرآن الكريم، ص 28-29.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، ص 318-319.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 318-319-320.

أوصاف من يحبهم الله: <sup>1</sup>

1- التوابون: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ <sup>2</sup>.

والقرآن الكريم قد استعمل صيغة المبالغة (التوابون) أي: كثيري التوبة <sup>3</sup>.

من طبيعة الإنسان الوقوع في الخطأ، لأنه ليس من الملائكة، وفي ذلك يقول النبي ﷺ "كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون" <sup>4</sup>.

فالمطلوب من الخاطئ سرعة رجوعه عن خطئه، وكثرة استغفاره، وقد ثبت عن النبي ﷺ قوله: "إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة" <sup>5</sup>.

فعلاقة العبد الموحد بربه علاقة رحمة، قائمة على الإنابة إليه كلما أخطأ في حق نفسه، أو في حق غيره، أو في حق ربه.

2- المتطهرون: قال تعالى: ﴿فَبِهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ <sup>6</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ <sup>7</sup>.

وقد غني القرآن الكريم بالطهارة، وجاءت ألفاظها دالة على معان عدة منها:

- الطهارة البدنية: بمعنى النظافة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ <sup>8</sup>.

وقوله: "ولا تقربوهن حتى يطهرن" <sup>9</sup>. أي: يغتسلن من الحيض.

الطهارة المعنوية من الذنوب: وهي الكفر بالله لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ <sup>10</sup>.

<sup>1</sup> عمر شاكر الكبيسي: الحب في القرآن الكريم، ص 41-46.

<sup>2</sup> سورة البقرة: الآية 222.

<sup>3</sup> الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص 169.

<sup>4</sup> أخرجه الترمذي، ج 4، ص 659، ح 2499.

<sup>5</sup> أخرجه البخاري ج 5، ص 2324، ح 948 من حديث أبي هريرة.

<sup>6</sup> سورة التوبة: الآية 108.

<sup>7</sup> سورة البقرة: الآية 222.

<sup>8</sup> سورة المائدة: الآية 6.

<sup>9</sup> سورة البقرة: الآية 222.

<sup>10</sup> سورة التوبة: الآية 28.

وقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾<sup>1</sup>.

وشريعتنا ثرية. تمثل هذه النصوص، والتي تصب كلها في معنى واحد، وهو أن الله يحب الطاهر جسداً وروحاً.

3- المحسنون: سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الاحسان قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"<sup>2</sup>.

ويؤكد هذا الجزء من الحديث على جدية العمل والاجتهاد فيه وإتقانه ومجال الإحسان رحب الدائرة، وقد أشار كتاب الله إلى حب المحسنين في أكثر من موطن، وذلك عبر المعاني القرآنية الآتية:

1- الإنفاق: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّمَلُّكِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>3</sup>.

2- العفو والصفح: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>4</sup>.

3- الثبات على المبادئ: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>5</sup>.

4- التقوى والعمل الصالح: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا كَانُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>6</sup>.

وقد خص المولى عز وجل أحبائه المحسنين بمبات فوق هبة حبه منها:

<sup>1</sup> سورة الواقعة: الآية 79.

<sup>2</sup> أخرجه البخاري، ج 4، ص 179، ح 4499، ومسلم، ج 1، ص 30، ح 106 عن أبي هريرة.

<sup>3</sup> سورة البقرة: الآية 195.

<sup>4</sup> سورة آل عمران: الآية 134.

<sup>5</sup> سورة آل عمران: الآية 147-148.

<sup>6</sup> سورة المائدة: الآية 93.

أ- معية الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>1</sup>،  
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾<sup>2</sup>.

ب- الزيادة في الأجر: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>3</sup>.

ج- الرحمة القريبة: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>4</sup>.

د- الهداية: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾<sup>5</sup>.

4- المتقون: والتقوى فيها جماع الخير كله، وهي وصية الله تعالى، في الأولين والآخريين  
﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا﴾<sup>6</sup>.

كما بينها المولى عز وجل في قوله: ﴿الْم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ  
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ  
وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْلَعُونَ﴾<sup>7</sup>.

كما عرفها القرآن الكريم في نفس السورة ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ  
وَالْمَغْرِبِ وَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ  
عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ  
الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ  
الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> سورة العنكبوت: الآية 69.

<sup>2</sup> سورة النحل: الآية 128.

<sup>3</sup> سورة الأعراف: الآية 161.

<sup>4</sup> سورة الأعراف: الآية 56.

<sup>5</sup> سورة لقمان: الآية 2-3.

<sup>6</sup> سورة النساء: الآية 131.

<sup>7</sup> سورة البقرة: الآيات 1-5.

<sup>8</sup> سورة البقرة: الآية 177.

وخص بالذكر الموفون بعهده ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>1</sup>.

وفي قوله: ﴿فَاتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>2</sup>.

فإن الله عز وجل يحب كل من اتصف بصفة الوفاء بالعهد والتزم به مع أهل ملته، أو مع غيرهم.

5- الصابرون: يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾<sup>3</sup>.

عني القرآن الكريم بالصبر، ومدحه، ورفع منزلته، وأثنى على المتحلين به ثناء لا نزيد عليه، وجاء ذكره في أكثر من تسعين موضعا، وله المقدار الأوفر في القرآن الكريم، لأنه أساس الكثير من الفضائل<sup>4</sup>.

- الشجاعة هي الصبر على مكاره الجهاد.

- العفاف هو الصبر على الشهوات.

- الحلم هو الصبر على المثيرات.

- الكتمان هو الصبر على إذاعة الأسرار.

وكل خصلة خير بحاجة إلى صبر. وفيه يقول الرسول ﷺ: "ما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر"<sup>5</sup>.

وإذا كان الصابرون قد حباهم الله بمزايا كثيرة، منها محبته لهم، فقد كشف محبته للمجاهدين في ساحة الوغى الثابتين على المبادئ، الصابرين على أذى القتال بكل أشكاله<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سورة آل عمران: الآية 76.

<sup>2</sup> سورة التوبة: الآية 4.

<sup>3</sup> سورة آل عمران: الآية 146.

<sup>4</sup> أحمد نصيب الحاميد: الحب بين العبد والرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ط2، 1405هـ - 1985م، ص 58-59.

<sup>5</sup> أبو داود، ج2، ص42، ح1646 عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

<sup>6</sup> عمر شاكر الكبيسي: الحب في القرآن الكريم، ص 45.

6- المجاهدون في سبيل الله صفا: يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانُوا مِنْهُمْ بُدْيَانًا مَرْصُوصًا﴾<sup>1</sup>.

إذا اقتضت المواقف مواجهة العدو، لإعلاء كلمة الله، فلا خصام، ولا جدال في ساحة القتال، بل يشكلون كتلة قوية، متماسكة، صامدة، تؤدي رسالتها وتندفع بكل بسالة وإقدام، فتستحق نصر الله، وتأيده وبالتالي محبته<sup>2</sup>.

كما هدد القرآن الكريم، كل من يخذل هذه الرسالة، ويدبر عن هذا الواجب في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَمْزَجةً عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَوْمَةٍ لَوْمَةً لَا لِيَوْمِئِذٍ﴾<sup>3</sup>. فالجهاد لله، تدفعه محبة الله، لنيل حب الله بتوكل عليه.

7- المتوكلون: يقول تعالى: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَخْضَلُوا مِنِّي بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنِّي أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةً وَمَا أُخْبِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَعْطَاكُمْ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾<sup>4</sup>، ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>5</sup>.

لقد أغدق القرآن الكريم عطاءه لمن أحسن التوكل عليه في كل عمل خير يجد وبلا تردد وبالأخص إذا تعلق الأمر بالجهاد في سبيل الله.

يقول تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا حَلِيمًا فَطَأَّ الْقُلُوبَ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَاشَاوَرَهُمْ فِيهِ وَالْأَمْرُ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا خَالِجَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سورة الصف: الآية 04.

<sup>2</sup> أحمد نصيب الحاميد: الحب بين العبد والرب، ص 14.

<sup>3</sup> سورة المائدة: الآية 54.

<sup>4</sup> سورة يوسف: الآية 67.

<sup>5</sup> سورة التوبة: الآية 51.

<sup>6</sup> سورة آل عمران: الآية 159-160.

وإن فرض الله الجهاد والتوكل عليه لمواجهة الأعداء، فإنه أمر بالإنصاف والعدل معهم، وهي غاية لا يستطيعها إلا من حباه الله بالشجاعة والقوة<sup>1</sup>.

**8- المقسطون:** وقد وردت ثلاثة آيات تتحدث عن حب الله لهذا الصنف من العباد:

1- الحكم بين أهل الكتاب من اليهود: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِللَّعْنَةِ إِنْ جَاءوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَصْرُوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>2</sup>.

2- العدل بين الإخوة: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَظْهِرُوا بَيْنَهُمَا إِنْ بَغْتَهُ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَظْهِرُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>3</sup>.

3- القسط مع المودعين من الكفار: ﴿لَا يَنْهَآكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَكَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>4</sup>.

هؤلاء هم المقسطون الذين يزنون أعمالهم، وأقوالهم بالقسطاس الرباني، يحاسبون أنفسهم وغيرهم بالحساب الرباني، فكان الفوز العظيم بمحبة الله.

هذه هي صفات المحبوبين عند الله عز وجل، وهذه هي الزمرة التي نالت الشرف الكبير -حب الله تعالى- لأنهم نالوا أعلى وأسمى الصفات في التقدير الرباني، فمنحهم المولى عز وجل، هذا الوسام الرفيع وصرح بمحبتهم، والله فعّال لما يريد، يوفق للخير ويثبت على الفعل، ويمدح بما فعل، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. ولكن هناك من فاته هذا الخير الوفير، وصرح القرآن بنفي المحبة عنهم وجردهم منها وهم المحرومون من حب الله تعالى.

<sup>1</sup> عمر شاعر الكبيسي: الحب في القرآن الكريم، ص 46.

<sup>2</sup> سورة المائدة: الآية 42.

<sup>3</sup> سورة الحجرات: الآية 09.

<sup>4</sup> سورة الممتحنة: الآية 08.



المخرومون من حب الله تعالى: <sup>1</sup>

والقرآن الكريم إذ يعرض هيه الأوصاف، فإنه يجذر المسلمين منه، ومن طريقه، فإن كان منهم من تنقصه الهمة لنيل -حب الله-، فليقي نفسه من الوقوع في المزالق التي تقذف به إلى أن يتصف بواحدة من هذه الأوصاف.

1- الكافرون: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَمَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾<sup>2</sup>، ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَحَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾<sup>3</sup>، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾<sup>4</sup>... والآيات كثيرة في مثل هذا الوصف بالذات.

2- المتكبرون: على الله، وعلى الخلق، ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾<sup>5</sup>، ﴿وَالْمُجْرِبُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾<sup>6</sup>، ﴿لَيْلًا تَأْسُوا عَلَى مَا قَاتَكُمُ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾<sup>7</sup>، ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> عمر شاعر الكبيسي: الحب في القرآن الكريم: ص 51.

<sup>2</sup> سورة الروم: الآية 45.

<sup>3</sup> سورة النحل: الآية 112.

<sup>4</sup> سورة الأنبياء: الآية 94.

<sup>5</sup> سورة النحل: الآية 22.

<sup>6</sup> سورة النساء: الآية 36.

<sup>7</sup> سورة الحديد: الآية 23.

<sup>8</sup> سورة لقمان: الآية 18.

3- الخائنون: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>1</sup>، ﴿وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ كُلَّيَّ سَوَاءٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾<sup>2</sup>، ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>3</sup>، ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا﴾<sup>4</sup>، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾<sup>5</sup>، ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنْبَىٰ لَهُمْ أَلَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾<sup>6</sup>.

والخيانة في هذه الآيات أصناف: خيانة الله ورسوله، الخيانة الاجتماعية، الخيانة الحسية.

4- المسرفون: وذكر القرآن أنواعا للإسراف:

- 1- الإسراف في المعصية: ﴿قُلْ يَا مَعْزِلِي الَّذِينَ اسْرِفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>7</sup>.
- 2- الإسراف في القتل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾<sup>8</sup>.
- 3- الإسراف في الطعام: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>9</sup>.
- 4- الإسراف في الإنفاق: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> سورة الأنفال: الآية 27.

<sup>2</sup> سورة الأنفال: الآية 58.

<sup>3</sup> سورة الأنفال: الآية 71.

<sup>4</sup> سورة النساء: الآية 107.

<sup>5</sup> سورة النساء: الآية 105.

<sup>6</sup> سورة يوسف: الآية 52.

<sup>7</sup> سورة الزمر: الآية 53.

<sup>8</sup> سورة الإسراء: الآية 33.

<sup>9</sup> سورة الأعراف: الآية 31.

<sup>10</sup> سورة الفرقان: الآية 67.

## 5- الفرعون: والفرح نوعان:

أ- فرح محمود: وهو فرح المؤمنين المتصفين بصفات أحباب الله، وفرحهم مخصوص، لأنه فرح بأمور الآخرة.

ب- فرح مذموم: والمقصود به البطر والتمسك بالدنيا الذي يلهي عن الآخرة<sup>1</sup>.

وقال بعضهم: "أنه لا يفرح بالدنيا إلا من اطمأن إليها لأن الذي يعلم فراق الدنيا لا يفرح بها"<sup>2</sup>.

والآيات التي ذمت هذا النوع من الفرح، كفرح قارون في قوله تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾<sup>3</sup>.

وقوله أيضا: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِيهِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾<sup>4</sup>، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقَطَّعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>5</sup>.

## 6- المفسدون: والفساد أنواع:

أ- سياسي واقتصادي: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾<sup>6</sup>.

ب- فساد ديني: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ

<sup>1</sup> عمر شاكر الكبيسي: الحب في القرآن الكريم، ص 55.

<sup>2</sup> محمد فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج 25، ص 14.

<sup>3</sup> سورة القصص: الآية 76.

<sup>4</sup> سورة الرعد: الآية 26.

<sup>5</sup> سورة الأنعام: الآية 44-45.

<sup>6</sup> سورة البقرة: الآية 205.

طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا  
لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ<sup>1</sup>.

7- الظالمون: وأعظمه الكفر والشرك والنفاق: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ  
لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ<sup>2</sup>، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ  
يُغْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْقَاءُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لعنةُ اللَّهِ عَلَى  
الظَّالِمِينَ<sup>3</sup> وقد عرض القرآن الكريم كل أنواع الظلم.

الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ<sup>4</sup>، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ  
افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُغْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْقَاءُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى  
رَبِّهِمْ أَلَا لعنةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ<sup>5</sup>.

الثاني: ظلم بينه وبين الناس: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي  
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ<sup>6</sup>، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ  
قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا<sup>7</sup>.

الثالث: ظلم بينه وبين نفسه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ  
ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ<sup>8</sup>.

وقد أسهب القرآن الكريم في الكلام عن هذا الداء، ونفاه عن المولى عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا  
يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> سورة المائدة: الآية 64.

<sup>2</sup> سورة لقمان: الآية 13.

<sup>3</sup> سورة هود: الآية 18.

<sup>4</sup> سورة لقمان: الآية 13.

<sup>5</sup> سورة هود: الآية 18.

<sup>6</sup> سورة الشورى: الآية 42.

<sup>7</sup> سورة الإسراء: الآية 33.

<sup>8</sup> سورة فاطر: الآية 32.

<sup>9</sup> سورة النساء: الآية 40.

**8- المعتدون:** تحدث القرآن الكريم ضمن الأعمال السلوكية الممقوتة التي تنأى بذويها عن حب الله تعالى، والاعتداء والعدو ومجازرة الحق ومنافاة اللثام، وبتصاريفها تحمل معان واعتبارات متعددة فباعتبار القلب يقال عداوة وباعتبار الإخلال بالعدالة في المعاملة يقال العدوان والعدو<sup>1</sup> ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَسُبُوا اللَّهَ مُخْذَوًّا يَغْيِرُ لِمًا﴾<sup>2</sup>.

وجاء معنى الاعتداء بمعان عدة:

- الاعتداء بمعنى الإسراف في القتال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>3</sup>.

- الاعتداء على النفس بالحرمان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>4</sup>.

- الاعتداء في الدعاء: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>5</sup> (الدعاء بصوت عال، الدعاء بما لا يجوز).

- الدعاء على الآخرين: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾<sup>6</sup>.

- تنفير الناس بطول الدعاء في النوافل<sup>7</sup>.

وإذا كان العلماء تحدثوا عن علامات حب العبد لله، فقد أسهبوا أيضا في تبين علامات حب الله للعبد.

<sup>1</sup> عمر شاکر الکیسی: الحب في القرآن الكريم، ص 60 عن مفردات ألفاظ القرآن.

<sup>2</sup> سورة الأنعام: الآية 108.

<sup>3</sup> سورة البقرة: الآية 190.

<sup>4</sup> سورة المائدة: الآية 87.

<sup>5</sup> سورة الأعراف: الآية 55.

<sup>6</sup> سورة النساء: الآية 148.

<sup>7</sup> عمر شاکر الکیسی: الحب في القرآن الكريم، ص 61-62.

## علامات حب الله للعبد:

إن حب الله لعبدته الذي تحلى بالأوصاف المذكورة أو بإحداها تأكيد رباني لا ريب فيه، لكن هذا الحب يبقى مجهولاً ما لم تظهر للعبد بعض العلامات والتي صرح بها النبي ﷺ بأنها من علامات حب الله للعبد.

ونكتفي بما ذكره حجة الإسلام في الإحياء.

قال ﷺ: "إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه، قيل وما اقتناه؟ قال: لم يترك له أهلاً ولا مالاً"<sup>1</sup>.

- أن يوحشه من غيره، ويجول بينه وبين غيره.

- قيل لعيسى عليه السلام لم لا تشتري حماراً فتركه، فقال: أنا أعز على الله تعالى من أن يشغلني عن نفسه بحمار.

وقد أجمل أبو حامد هذه العلامات في هذا القول: "يتولى الله تعالى أمره، ظاهره وباطنه، سره وجهره، فيكون هو المشير عليه، والمدبر لأمره، والمزين لأخلاقه، والمستعمل لجوارحه، والمسدد لظاهره، وباطنه، والجاعل همومه هما واحداً، والمبغض للدنيا في قلبه، والموحش له من غيره، والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته، والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته، فهذا وأمثاله هو علامة حب الله للعبد"<sup>2</sup>.

ولا ريب أن كل من سلك طريق محبة الله، وتعلق قلبه بالمنعم عليه بهذه النعمة والتي لا تضاهيها نعمة في هذا الوجود، فهذا النوع من الحب - حب الله -، لا يساويه أي نوع من الحب قد يحرك القلب البشري، الذي في أصله أوجد لذلك، وإلا أصبح عليلاً، ولا يداوي إلا بدواء الحب الإلهي، والذي لا يغتني إلا بالحب النبوي.

<sup>1</sup> جامع الأحاديث، ج2، ص188، ح1123.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، ص320.

ثانيا. محبة العبد لله ولرسوله ﷺ:

لا نزاع بين الأمة الإسلامية في إطلاق هذه اللفظة -الحب- المحبة، لأن القرآن الكريم نطق به، وكذا سنة النبي ﷺ، بل أجمعت أمة محمد ﷺ على أن الحب لله، ولرسوله فرض، وأن المحبة لله، ولرسوله هي الغاية القصوى من المقامات التي يصل إليها السالك إلى الله عز وجل، وغيرها من المقامات التي ينالها السالك، ما هي إلا ثمرة حبه لله تعالى. وفي ذلك يقول حجة الإسلام -الإمام الغزالي-: "من أحب غير الله لا من حيث نسبته إلى الله فذلك بجهله وقصوره في معرفة الله تعالى، وحب الرسول ﷺ محمود لأنه عين حب الله تعالى، وكذلك حب العلماء والأتقياء لأن محبوب المحبوب محبوب، ورسول المحبوب محبوب، ومحب المحبوب محبوب، وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوزه إلى غيره، فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر إلا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه"<sup>1</sup>.

ومثل هذا النوع من الحب أسباب، سبق ذكرها عند الإمام أبي حامد الغزالي، كما ذكرها غيره من العلماء المسلمين كهذا القول "حب العبد لله، فهو الذي يجب أن يكون فوق كل حب، لأنه سبحانه وتعالى هو المتصف وحده بكل ما من شأنه أن يُحب من جمال وكمال، وبر وإحسان، وكل من يُحب، وما يجب في الوجود فهو من صنعه، وفيض جوده وإحسانه، ومظهر أسمائه الحسنى وصفاته، فمن الطبيعي والمعقول أن يكون حب الوالد للولد، وما يتضمنه من عطف وأمل، شعبة من حب واهبه، ومودع العطف والرحمة في قلب والديه له..."<sup>2</sup>.

وإذا كانت المحبة هي فيض من الله تعالى، وإحسانه وجوده وإمداده، فعلى الإنسان الأخذ بأسبابها، بالنظر والتأمل في مملوكاته ليقف على دقائق حكمة الله تعالى وقدرته في مخلوقاته، ولن تنال محبته إلا بتمام علمه بكماله<sup>3</sup>.

لكن هناك من ذهب إلى القول بأن الله ليس بحاجة إلى محبة العباد لأنه محبوب في ذاته ولذاته، وحب خدمته، أو حب ثوابه، فهي درجة نازلة، واحتج أهل هذا الرأي وهم - العارفون

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، ص 293.

<sup>2</sup> محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج10، ص 232.

<sup>3</sup> محمد فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج4، ص 206.



بالقول: "إن وجدنا أن اللذة محبوبة لذاتها، والكمال محبوب لذاته، والمحبوب الحق هو الله تعالى، وأنه محبوب في ذاته، ولذاته، سواء أحبه غيره، أو ما أحبه غيره"<sup>1</sup>.

أما جمهور المتكلمين يرون "أن المحبة نوع من أنواع الإرادة، والإرادة لا تعلق لها إلا بالجائزات، فيستحيل تعلق المحبة بذات الله تعالى وصفاته، فإذا قلت نحب الله فمعناه نحب طاعة الله، وخدمته، أو نحب ثوابه، وإحسانه"<sup>2</sup>.

وحتى وإن اختلفت هذه الآراء حول ماهية محبة الله، فإنها في حقيقة الأمر تجتمع في حقيقة، وهي أن الإنسان يجب الله عز وجل، لأن أسباب محبته لا تحصى، وكل الموجودات تدل على وجوده، وقدرته وعظمته، ورحمته مدعاة لحيته.

كيف لهذا الكائن البشري الضعيف لا يغذي قلبه بحب الله، وهو في أمس الحاجة إليه، حتى وإن كان المولى عز وجل في غنى عن مثل هذا الحب، لكن الإنسان لا تستقيم حياته ولا تسعد إلا بعد أن يغمر هذا النوع من الحب قلبه لشدة حاجة الإنسان لهذا الحب.

وقد تكفل القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ بتوجيه عواطف المسلم، بالحب والولاء نحو من يدين له بالولاء، والطاعة، والعبادة.

كما تعامل القرآن الكريم مع الإنسان، من خلال طبيعته الخلقية التي جبل عليها، وذلك من خلال الأمور التي يطمح الإنسان إليها وتدفعه إلى الإيمان، وتزيد من اعتقاده بالله، وذلك وفق الأمور التالية:<sup>3</sup>

### 1- مضاعفة الثواب: في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ مِثْرُهَا﴾<sup>4</sup>.

وأقوال النبي ﷺ في هذا المجال كثيرة من بينها: "إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عز وجل عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها

<sup>1</sup> محمد فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج4، ص 206.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 205.

<sup>3</sup> عمر شاكر الكبيسي: الحب في القرآن الكريم، ص 35-36-37.

<sup>4</sup> سورة الأنعام: الآية 160.

الله عنده عشر حسنات إلى سبع مائة إلى أضعاف كثيرة، وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همّ بما فعلها كتبها الله سيئة واحدة<sup>1</sup>، وهل هناك أعظم من هذا الجزاء؟

**2- إقالة الثغرات:** وما أكثر ثغرات الإنسان، لأنه بطبيعته خطاء لقوله ﷺ: "كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"<sup>2</sup>.

وعالج القرآن الكريم بفتح باب التوبة، بالاستغفار والإنابة إليه عز وجل، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا مَعْزِبِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾<sup>3</sup>.

وما أعظم هذا الحديث القدسي الذي كله رحمة، ومغفرة، بل وتودد من الله عز وجل لعبده الضعيف حتى يُقلع عن ذنوبه حتى وإن بلغت عنان السماء، ولا يلقي ربه إلا نظيفاً، كما خلق من بطن أمه، يقول الحديث القدسي "يا ابن آدم إئتك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابك مغفرة"<sup>4</sup>.

وفي هذا قال أحد الحكماء "ليس العجيب أن يتودد العبد لسيده إنما العجيب أن يتودد السيد لعبده"<sup>5</sup>.

**3- التسخير الكوني لمصلحة الإنسان:** في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِيهِ الْأَرْضُ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>6</sup> ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِيهِ الْبِحَارُ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ

<sup>1</sup> صحيح مسلم، ج 1، ص 127، ح 131.

<sup>2</sup> سنن الترمذي، ج 4، ص 659، ح 2499.

<sup>3</sup> سورة الزمر: الآية 53.

<sup>4</sup> أخرجه الترمذي، ج 5، ص 512، ح 3540.

<sup>5</sup> عمر شاكر الكبيسي: الحب في القرآن الكريم، ص 36.

<sup>6</sup> سورة البقرة: الآية 29.

اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ<sup>1</sup>

مع الأمر بالتمتع بكل الطيبات التي أحلها الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾<sup>2</sup> ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾<sup>3</sup> ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ﴾<sup>4</sup>

4- التفضيل الخلقى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>5</sup> ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾<sup>6</sup> ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>7</sup>

وذلك يبعث في الإنسان الشعور بالعزة بالأفضلية، فيندفع قلبه نحو من حباه بهذه النعمة.

وبما أن الحب الإلهي غيب لا يستطيع الإنسان تلمسه، فكان للنبي ﷺ، الدور الأكبر في تحريك، وتوجيه العواطف البشرية، والسلوك العملي نحو حب الله من خلال هذا النموذج من الوقائع النبوية<sup>8</sup>.

أولاً. تكريس الواقع العاطفي نحو الخالق: كهذه الواقعة التي رواها عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم رسول الله بسبيي، فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبياً في السبي أخذته

<sup>1</sup> سورة إبراهيم: الآيات 32-34

<sup>2</sup> سورة البقرة: الآية 172.

<sup>3</sup> سورة الأعراف: الآية 32.

<sup>4</sup> سورة النحل: الآية 53.

<sup>5</sup> سورة التين: الآية 04.

<sup>6</sup> سورة الأعراف: الآية 11.

<sup>7</sup> سورة الإسراء: الآية 70.

<sup>8</sup> عمر شاكر الكيسي: الحب في القرآن الكريم، ص 36.

فألصقته ببطنها فأرضعته فقال رسول الله ﷺ "أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟" قلنا: لا والله، فقال: "الله أرحم بعباده من هذه بولدها"<sup>1</sup>.

وفي مثل هذا المشهد العاطفي الذي صورّه النبي ﷺ من واقعهم، تحريك لعواطف الصحابة نحو الله عز وجل.

وفي اختيار النبي ﷺ لهذا المشهد "امرأة"، لأنها أميل للعاطفة إضافة إلى أنها أم، فذلك أبلغ في التأثير، وأوسع في الرحمة. ولكن المولى عز وجل أرحم على عبده، الذي يعيش في حنين دائم إليه، ولا حياة لعبده الضعيف إلا بفيض رحمته ومحبه.

ثانياً. المكافأة على التوحيد: التوحيد من أقدس الصفات الإلهية التي تُثَرّه المولى عز وجل من دنس الشرك وأدغال الكفر، فلا يكفي أن يؤمن الإنسان بوجود خالق وحبه، إذا كان قلبه يفتقر إلى أقدس صفة لله عز وجل وهي التوحيد -والتي غابت عن المحبة المسيحية- أو بالأحرى عن إلهها. معرفة الله تعني توحيده، وكل معرفة تفتقر لهذا الاعتقاد فهي قاصرة محقورة.

والشرك من أكبر الخطايا التي لا تغتفر، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾<sup>2</sup>.

وما رواه النبي ﷺ عن ربه تبارك وتعالى: "... لو جئتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة"<sup>3</sup>.

ثالثاً. الدعوة السببية لحب الله: دعا النبي ﷺ إلى التفكير بنعم الله تعالى، التي أغدق بها على عباده فقال: "أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحي"<sup>4</sup>، وهي إشارة من النبي ﷺ لتحريك القلوب والعقول نحو خالق هذا الكون، والتأمل في النعم التي أغدق بها على عباده، ومثل هذا الأمر يقود الإنسان لمحبة الخالق المتفضل بكل هذه النعم يقول الله تعالى: ﴿مَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> البخاري، ج 5، ص 2235، ح 5653. مسلم، ج 8، ص 97، ح 7154 عن عمر.

<sup>2</sup> سورة النساء: الآية 48.

<sup>3</sup> أخرجه الترمذي، ج 5، ص 345، ح 3546 وقال حديث حسن.

<sup>4</sup> أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب أهل البيت ح 3789، قال الترمذي هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه، وضعفه الألباني.

<sup>5</sup> سورة النحل: الآية 53.

وهذا النموذج من التدابير الشرعية يدفعنا إلى القول، أن للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، الفضل الأكبر في توجيه وبناء أسمى أنواع الحب، الذي لا غنى للفرد المسلم عنه. وتبقى مسؤولية المسلم في بذل قصارى جهده في كسبه وتقويته باتخاذ كل الأسباب المحققة لهذا الهدف والتي نوجزها في هذه النقاط التي فصل فيها أبو حامد الغزالي في كتابه الإحياء.

**الأسباب المقوية للحب:**

يستهل أبو حامد الغزالي قوله "اعلم أن أسعد الخلق حالا في الآخرة أقواهم حبا لله تعالى ويحصل ذلك بسببين"<sup>1</sup>.

1- قطع كل علائق الدنيا، وإخراج حب غير الله من القلب، لأنه - ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه- وكمال الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه لا تُشغل أية زاوية بغيره، وبقدر ما يشغل قلبه بغير الله ينقص منه حب الله، وهذا المعنى تقرره الآيات: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ خَرِمْ فِيهِ خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾<sup>2</sup> وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾<sup>3</sup>، بل هو معنى قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>4</sup> أي: لا معبود ولا محبوب سواه. ولذلك قال: "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة".

2- والسبب الثاني هو نتيجة السبب الأول وهو: اتساع المحبة واستيلائها على القلب بعد قوة معرفة الله تعالى، وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها، وبذلك تكون تلك الشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وإليها الإشارة في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾<sup>5</sup>، أي: المعرفة، والعمل الصالح يرفعه.

ويضيف محمد رشيد رضا: كثرة الذكر والفكر، وتديير القرآن مع التزام سائر أحكام الشرع مع حين النية، وصحة القصد، وتأمل سنته وآياته في الخلق<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، ص 307-308.

<sup>2</sup> سورة الأنعام: الآية 91.

<sup>3</sup> سورة فصلت: الآية 30.

<sup>4</sup> سورة الصافات: الآية 35.

<sup>5</sup> سورة فاطر: الآية 10.

<sup>6</sup> محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار، ج10، ص 238.

لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا... رَجِيمًا<sup>1</sup> .

وتتلخص هذه الأسباب المقوية لحب المولى عز وجل في هذا القول: "من أقام فرائض الله تعالى كما أمر، وترك معاصيه كما نهى، وداوم على التقرب إليه بالنوافل كما ندب، وأكثر من ذكره كما أحب"<sup>2</sup>.

كما أن التقصير في الأخذ بهذه الأسباب يجعل من المؤمنين متقاربين في درجة محبتهم وتعلقهم بالله عز وجل إذ يقول أبو حامد الغزالي: "اعلم أن المؤمنين مشتركون في أصل الحب لا اشتراكهم في أصل المحبة، ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وحب الدنيا، إذ الأشياء إنما تتفاوت بتفاوت أسبابها"<sup>3</sup>.

لكن من سلك هذا الطريق، وأخذ بهذه الأسباب رسخت في قلبه محبة الله، وعمقت جذورها، لأن الله هو الغاية، ولأنه آثره على كل شيء، وضحى لأجله بكل شيء فتذوق حلاوة الإيمان، ولذة اليقين، وحسن الصلة به، ما يجعل جميع أنواع اللذائد تصغر، بل تحقر أمام هذه اللذة الروحانية العظيمة.

وبالرغم من هذا التفاوت بين المؤمنين في محبة الخالق إلا أن آثارها، أو علاماتها تظهر على صاحبها مهما كانت درجة تطلعه في هذه المحبة.

### علامات محبة العبد لله:

ما أسهل أن يدعي الواحد منا -المحبة لله-، وما على المدعي إلا أن يثبت دعواه بالبراهين والأدلة، لأن المحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وثمارها تظهر في القلب، واللسان والجوارح، وهي كثيرة منها:<sup>4</sup>

1- حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام، قال رسول الله ﷺ: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سورة الأحزاب: الآية 41-43.

<sup>2</sup> محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار، ص 239.

<sup>3</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، ص 311.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 321-322-323.

<sup>5</sup> البخاري ج5، ص 2386، ح 6142. مسلم، ج8، ص 6565، ح 6996، عن عبادة بن الصامت.

حتى أن بعضهم أحب لقاء الله على السجود: قال بعض السلف: "ما من خصلة أحب إلى الله أن تكون في العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود، فقدم حب لقاء الله على السجود"<sup>1</sup>.

2- الشهادة في سبيله: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا﴾<sup>2</sup>. وقال: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾<sup>3</sup>.

3- حب القرآن الكريم: قال ابن مسعود: "لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله"<sup>4</sup>.

4- يجد أنسه في الخلوة ومناجاة المولى عز وجل وتلاوة كتابه، فيواظب على التهجد، ويغتنم هدوء الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق، والتلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته، أقل درجات الحب، ومن يجد في النوم والاشتغال بالحديث لذته، وأطيب من مناجاة الله، فكيف تصح محبته؟

ويشترط -أبو حامد الغزالي- لصحة محبة العبد لله عدم التظاهر بها "فاعلم أن المحبة محمودة، وظهورها محمود أيضا، وإنما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار، فالحب ينبغي أن يظهر حبه لمن يحب فقط، أما إرادة إطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه، إلا إذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الأعضاء فلا يلام فيه صاحبه"<sup>5</sup>.

ومحبة العبد لربه تستوجب رضا العبد بكل ما يأتيه عن الله جل جلاله، ولو كان ابتلاء أو اختبارا أو تمحيصا، لأنه القائل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَدُونَ﴾<sup>6</sup>.

ولذلك يقول عمر بن عثمان المكي: "اعلم أن المحبة داخلية في الرضا، ولا محبة إلا بالرضا، ولا رضا إلا بمحبة ما لأنك لا تحب إلا ما رضيت وارتضيت، ولا ترضي إلا ما أحببت"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، ص 321.

<sup>2</sup> سورة الصف: الآية 04.

<sup>3</sup> سورة التوبة: الآية 111.

<sup>4</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، ص 323.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ج4، ص 328.

<sup>6</sup> سورة البقرة: الآيات 155-157.

<sup>7</sup> الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، ص 38-39.



وإجمالاً كل محاسن الدين ومكارم الأخلاق فهو علامة للحب، وما لا يثمره الحب فهو إتياع الهوى، وهو من رذائل الأخلاق<sup>1</sup>.

ومن أقرب الناس للنبي ﷺ الذين تذوقوا هذا الرحيق وعاشوا بنسيمة، وكانت أخلاقهم تشهد على مستوى علاقتهم بمن أحبوا، وألستهم استرسلت في وصف حبهم لحبيبتهم ففاضت بالكثير من الأقوال، فكانت كثيرة، على كثرة وحرارة حبهم للمولى عز وجل وللنبي ﷺ ويقول أبو حامد "قد ورد في حب الله تعالى من الأخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاضر وذلك أمر ظاهر، وإنما الغموض في تحقيق معناه مشتغل"<sup>2</sup>.

### حب النبي ﷺ:

الحب النبوي من ألوان الحب التي أمر الله تعالى بها، كما أكد عليها النبي ﷺ، ويأتي هذا التأكيد بناء على الرسالة التي أوكلت للنبي ﷺ، من تعريف بالله، وهداية الناس إليه، وإرشادهم إلى طاعته لنيل مرضاته ومحبته.

وطاعة الله ومحبته تستلزم طاعة النبي ومحبته بعد محبة الله عز وجل.

ذهب بعض العلماء في تفسير المحبة على أنها "إرادة الطاعة، وجعلت مستلزمة لإتياع الرسول ﷺ في عبادته والحث على طاعته"<sup>3</sup> ويرى الغزالي أن حب الرسول ﷺ هو عين حب الله في قوله: "حب الرسول ﷺ محمود، لأنه عين حب الله تعالى، وكذلك حب العلماء، والأتقياء لأن محبوب المحبوب محبوب، ورسول المحبوب محبوب، ومحب المحبوب محبوب، وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل، فلا يتجاوز إلى غيره، فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر إلا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه"<sup>4</sup>.

والحب الصحيح لله ورسوله هو آية الإيمان، ويثبت، ويتحقق بالإتياع وإقامة الدين<sup>5</sup>، بل لا لذة لهذا الإيمان، ولا حلاوة له بدون محبة النبي ﷺ.

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، ص 329.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ج4، ص 288.

<sup>3</sup> أبو حامد الغزالي: مكاشفة القلوب، دار الكتب العلمية، بيروت. 1982، ص 55.

<sup>4</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، ص 293.

<sup>5</sup> محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار، ج7، ص 548.

عن أنس: أن النبي ﷺ قال: "لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى أكون أحب إليه من أهله وماله وولده والناس أجمعين"<sup>1</sup>.

وكما أوجب القرآن الكريم على الصحابة إتباع الرسول وطاعته في حياته، وجب عليهم وعلى من بعدهم من المسلمين إتباع سنته بعد وفاته لأن النصوص التي أوجبت طاعته عامة لم تقيد ذلك بزمن معين، ولا بصحابته دون غيرهم.<sup>2</sup>

والقرآن الكريم لم يميز في أمره بمحبة الرسول ﷺ الفئة التي عايشته والفئة التي لم تنعم بصحبته ومشاهدته، لأن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ تكفلا بالتدابير التي تدفع المسلمين إلى هذه المحبة التي هي شرط لكمال الإيمان.

### أولاً. التدابير القرآنية: 3

من السهل إدعاء حب النبي ﷺ، لكن ليس من السهولة تجسيده ولأن القرآن الكريم هو الموجه الروحي والدستوري لكل الأزمان والأجيال، فقد كان الموجه الأول في التأكيد على وجوب محبة النبي ﷺ.

- 1- التفصيل الوصفي لشخصية النبي ﷺ: ذكر القرآن الكريم أخلاق النبي ﷺ، وامتدحها، وعظّمها، في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>4</sup>.
- لأنه هو رحمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>5</sup>.
- وهو الرؤوف الرحيم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا مَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> أخرجه البخاري، ج 1، ص 14، ح 16، ومسلم، ج 1، ص 48، ح 147 عن أنس.

<sup>2</sup> مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق، 1985، ص 55.

<sup>3</sup> عمر شاعر الكبيسي: الحب في القرآن الكريم، ص 81-86.

<sup>4</sup> سورة القلم: الآية 04.

<sup>5</sup> سورة الأنبياء: الآية 107.

<sup>6</sup> سورة التوبة: الآية 128.

- شديد الحرص على أمته: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾<sup>1</sup>، ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبِ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾<sup>2</sup>.

وغيرها كثير في كتاب الله، فهو مجمع لكل ما يحبه الله في خلقه.

2- توحيد المحبة بين الله ورسوله ﷺ: (وقد سبق الكلام فيه)

في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾<sup>3</sup>.

3- توحيد الطاعة بين الله ورسوله ﷺ: يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>4</sup>، ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾<sup>5</sup>، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾<sup>6</sup>.

4- رفع منزلة النبي ﷺ وتعظيم قدره: ومن مظاهر هذا التكريم الرباني لسيد الخلق:

- تشريف النبي ﷺ بصلاة الله عليه، والملائكة، وأوجب ذلك على سائر المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ فَذَكَرُوا فِيهِمْ فَحَتَمُوا عَلَيْهِمْ﴾<sup>7</sup>.

- مخاطبة النبي ﷺ بصيغ التحبب: خاطب الله تعالى أغلب أنبيائه بأسمائهم صراحة، في حين خاطب النبي بصفاته فقه: "يا أيها النبي"، "يا أيها الرسول".

<sup>1</sup> سورة الكهف: الآية 06.

<sup>2</sup> سورة فاطر: الآية 08.

<sup>3</sup> سورة آل عمران: الآية 31.

<sup>4</sup> سورة النساء: الآية 69.

<sup>5</sup> سورة النساء: الآية 80.

<sup>6</sup> سورة النساء: الآية 150-151.

<sup>7</sup> سورة الأحزاب: الآية 56.

وزاده تشريفا حينما أقسم به في قوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾<sup>1</sup>.

- ذكر اسم النبي ﷺ يوما مع اسم الله في الأذان إلى يوم القيامة.

- إلزام المسلمين بذكر اسمه في الصلاة الواجبة وصلاة التطوع.

ومثل هذه التدابير الكثيرة في كتاب الله وفي أقوال النبي ﷺ، والعظيمة بعظمته ﷺ تُصور لكل مرید مكانة النبي ﷺ، وتناهى بالمؤمنين عن المعاصي، التي لن تجد لها مكانا في قلوب طهرها حب الله، وحب نبيه الكريم ﷺ.

### ثانيا. الدعوة النبوية للحب النبوي:

يقول ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين"<sup>2</sup>.

وقوله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"<sup>3</sup>.

### ثالثا. تسبيب الحب:

جُبِلَ الإنسان إلى الميل بقلبه وجوارحه نحو من يحسن إليه، بأي نوع من أنواع المعروف، المادي، أو المعنوي، وقد جسّد النبي ﷺ مثل هذا الأمر في حياته اليومية، واحتكاكه مع الآخرين من خلال الأمور التالية:

أ- تهيئة الناس عن طريق الأخلاق: وهو الأمر الذي امتدحه القرآن الكريم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>4</sup> فهو من كان يقابل الإساءة بالعفو والتسامح التزاما لقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>5</sup> ليس مع المؤمنين فحسب بل حتى مع العصاة وغيرهم ﴿فَبِمَا

<sup>1</sup> سورة الحجر: الآية 72.

<sup>2</sup> أخرجه البخاري، ج 1، ص 14، ح 14، ومسلم، ج 1، ص 49، ح 177، عن أنس.

<sup>3</sup> أخرجه البخاري، ج 1، ص 14، ح 16.

<sup>4</sup> سورة القلم: الآية 04.

<sup>5</sup> سورة الأعراف: الآية 199.

رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِنَّكَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ<sup>1</sup>.

ب- السعي النبوي في الدفاع عن الأمة: قد ورد الكثير من مساءلة النبي ﷺ لربه عن أمته حتى قال له ربه جل وعلا كما جاء في الحديث "إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوك"<sup>2</sup>، فاطمأن النبي ﷺ لذلك مبشرا أمته بأنه شفيعهم وفرجهم يوم القيامة<sup>3</sup>.

#### رابعاً. تكريم المحب بأعلى المراتب:

ويتجلى ذلك الأمر في جواب النبي ﷺ للأعرابي الذي سأله عن موعد الساعة، فسأله وما أعددت لها فقال: والله ما أعددت لها كثير صيام أو صلاة إلا أنني أحب الله ورسوله، فقال له النبي ﷺ: "أنت مع من أحببت"<sup>4</sup> حتى قال بعض الصحابة ما فرحنا بشيء فرحنا بهذا الخبر لما نعلم من حبنا لرسول الله ﷺ<sup>5</sup>.

ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾<sup>6</sup>.

وثمره هذه التداير أول ما ظهرت في كل من كان يعايش النبي ﷺ ويقترب منه، ولا نجد نموذجاً أحسن للتمثيل به من صحابته، الذين تمكنوا بفضل طاعتهم ومحبتهم لله عز وجل ولنبيه الكريم ﷺ، أن يقودوا الأمة من بعد فراق حبيبهم المصطفى ﷺ، فكانوا خير خلف لخير سلف.

<sup>1</sup> سورة آل عمران: الآية 159.

<sup>2</sup> أخرجه مسلم باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمنته، ج1، ص132، ح250..

<sup>3</sup> الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي: تفسير ابن كثير، ج2، طبعة جديدة ومنقحة مأخوذة عن مخطوطة دار الكتب المصرية، صححها لجنة من الأساتذة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 1410هـ/1990، ص712.

<sup>4</sup> أخرجه البخاري، باب علامة الحب في الله عز وجل، ج5، ص2283، ح5819.

<sup>5</sup> ابن كثير: تفسير ابن كثير، ج2، ص712.

<sup>6</sup> سورة النساء: الآية 69.

في حب أبي بكر الصديق رضي الله عنه:<sup>1</sup>

إن كتب السيرة جلها تحمل بين صفحاتها ما قام به أبو بكر رضي الله عنه ليلة الإذن بالهجرة النبوية إلى المدينة المنورة، فقد أعد لها العدة، ورصد لها كل ماله، وحين أعلمه النبي ﷺ بإذن الله بالهجرة، طلب منه الصحبة، قال له الرسول: "الصحبة" فسر بذلك سرورا بالغاً أدى به إلى البكاء.

وكان أبو بكر أول من دخل إلى -غار ثور- ليتأكد من خلوه من أي أذى يمكن أن يؤدي النبي ﷺ.

ويقول النبي ﷺ حين هدأه من روعه وخوفه حين أدركهم طلب قريش: "أما والله ما على نفسي أخاف -يا رسول الله- ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره"، فيجيبه ﷺ: ﴿لَا تَخْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾<sup>2</sup>، ويقول: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين، الله ثالثهما"<sup>3</sup> ثم عطف عليه الرسول الكريم، فدعا له بالطمأنينة والهدوء، فتزلت عليه سكينه من الله عز وجل، وفاز الصديق بشرف نزول الآية الكريمة ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ...﴾<sup>4</sup>.

في حب عمر رضي الله عنه:<sup>5</sup>

أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن هشام، قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي ﷺ: "لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك" فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال رسول الله ﷺ: "الآن يا عمر"<sup>6</sup>.

ولا يفهم من هذه المحاور أن عمر رضي الله عنه كان يحب نفسه أكثر من النبي ﷺ، بل بعد تنبيه النبي ﷺ، تحسس حال قلبه فوجد أن حبه للنبي ﷺ يرجح على محبته لنفسه، فقد نبهه

<sup>1</sup> أحمد نصيب الحاميد: الحب بين العبد والرب، ص 142.

<sup>2</sup> سورة التوبة: الآية 40.

<sup>3</sup> أخرجه البخاري، باب سورة التوبة، ج 4، ص 1712، ح 4386.

<sup>4</sup> سورة التوبة: الآية 40.

<sup>5</sup> أحمد نصيب الحاميد: الحب بين العبد والرب، ص 149.

<sup>6</sup> أخرجه البخاري، ج 6، ص 2445، ح 6257.

هذا الحوار إلى ما كان غافلا عنه، لا ما كان خلوا منه، فقله ﷺ: "الآن يا عمر" فمعناه: الآن أصبت في قولك وأحسن التعبير عما في نفسك.

ومن آثار هذه المحبة المتبادلة بين النبي ﷺ، وعمر، أن طلب الرسول منه أن يذكره في دعائه، ولا ينساه، فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، استأذنت رسول الله ﷺ في العمرة، فأذن لي، وقال لي: "لا تنسانا يا أخي من دعائك- أو قال: أشركنا يا أخي في دعائك". قال عمر: "فقال كلمة ما يسرني أن لي بهذه الدنيا"<sup>1</sup>.

### في حب عثمان بن عفان رضي الله عنه:

عثمان بن عفان بن أبي العاص، الأموي القرشي، ذو الأخلاق الكريمة والسييرة الحسنة، من السابقين إلى الإسلام، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، إلا بدرا بسبب تمرير زوجته، بنت رسول الله ﷺ.

ومن المواقف الدالة على حبه للنبي ﷺ، نفقته من ماله في تجهيز جيش "العسرة"، وفي شراء بئر روعة وجعلها سقاية للمسلمين تلبية لرغبة النبي ﷺ، وفي توسعة مسجد رسول الله ﷺ.

فقد أخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه قال: "شهدت رسول الله ﷺ وهو يحث على تجهيز جيش العسرة فقام عثمان بن عفان، فقال: يا رسول الله، علي مئة بعير، بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش، فقام عثمان فقال: عليّ مئتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله..."<sup>2</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: "من يشتري بقعة آل فلان" فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة". فاشترها عثمان بعشرين ألفا، أو بخمسة وعشرين ألفا وجعلها في المسجد<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب دفع الضعفة من النساء وغيرهن من مزدلفة إلى منى في أواخر الليل قبل زحمة الناس رقم 1290.

<sup>2</sup> أحمد نصيب الحاميد: الحب بين العبد والرب (المعجم الأوسط، ج6، ص98، ح5915)، ص152-153.

<sup>3</sup> أخرجه النسائي، ج6، ص235، ح3608.



## في حب علي كرم الله وجهه: <sup>1</sup>

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ﷺ، كان أول من أجاب إلى الإسلام، كما كان له الشرف في بيّاته في موضع رسول الله حين ترك مكة مهاجراً... وكان له الأثر الحمود والمقام الذي لا يجهل، في جميع الغزوات، لأنه كان شجاعاً، مقداماً يخوض الغمرات، ولا يبالي بالشدائد، ولا يهاب الأبطال... .

ومن أبرز أعماله التي تدل على عظيم محبته، وعظيم تضحيته، وعظيم فدائه، ما فعله كرم الله وجهه يوم الهجرة، هجرة النبي ﷺ، حين خلف النبي ﷺ في فراشه، وشبان أعدتهم قريش يحاصرون داره في الليل مخافة أن يفر، وبعد ليلة كاملة من الحراسة، لم يجدوا في المكان إلا حبيب النبي ﷺ، الذي اجتث حبه للنبي ﷺ خوفاً من تنفيذ ما خططوا له، ولو في غيره، لأنه سيثير غضبهم أنه هو السبب في عدم نجاح خطتهم، فهل هناك حب أعظم من حب الفداء بالنفس؟

وهذه الصفوة من المؤمنين الذين أحبوا الله ورسوله ﷺ واجتهدوا في هذا الحب المثالي وارتقوا في أدراج المحبة إلى أن نالوا محبة الله لهم ورضاه عليهم بتبشيرهم بجنّته.

وتبقى العبادات الفعالة هي الترجمة الحقيقية لما يختلج في القلوب المؤمنة المحبة للمولى عزّ وجل

## المطلب الثاني. دور العبادات في تثبيت المحبة وتمتين العلاقات الإنسانية:

الإسلام متوقف في ظاهره على جملة من الأركان: الشهادتان، الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، والتي جاء ذكرها في هذا الحديث:

عن عمر رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد... .

يا محمد ما الإسلام: قال أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت... قال: صدقت... <sup>2</sup>.

<sup>1</sup> أحمد نصيب الحاميد: الحب بين العبد والرب، ص 156-157.

<sup>2</sup> أخرجه مسلم باب معرفة الإيمان والإسلام، ج 1، ص 28، ح 102.

والشهادتان تنصدر هذه الأركان، وبذلك تكون هي ركن الأركان لاعتبارات عدة تكشفه لنا هذه النصوص.

### الشهادتان:

قال ﷺ: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل"<sup>1</sup>.

وقال: "ثنتان موجبتان، فقال رجل: يا رسول الله ما الموجبتان؟ قال: من مات يشرك بالله شيئا دخل النار ومن مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة"<sup>2</sup>.

فإذا كان الإسلام لا يقوم إلا على أركانه الخمس، فإنه بدون الشهادتين، لا يكون موجودا أصلا، فهي روح الإسلام، وروح كل يصدر من الإنسان يقول الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا نَمَلُّوهُا مِنْ عَمَلٍ فَنَجْعَلُنَا لَهُ سَبَاءً مُّنتُورًا﴾<sup>3</sup>.

وهاتان الشهادتان لا تنفصل إحداهما على الأخرى.

وشهادة لا إله إلا الله تقتضي سلوكا معيناً، ومعاني معينة، ولها حقوق وعلى صاحبها واجبات، ويترتب على كليهما جزاء. وكل ذلك لا يعرف إلا بواسطة الرسول ﷺ، الذي اصطفاه الله عز وجل لهذه الرسالة الربانية العظيمة لذلك كان التلازم كاملا بين شهودي لا إله إلا الله وشهودي أن محمدا رسول الله<sup>4</sup>.

وحقيقة الشهادة من جانبها الروحي وعلاقتها بالحب - المحبة - قد تجلى لنا في المباحث السابقة - الجانب الإسلامي -، ولم يتبق إلا الجانب العملي الذي هو ترجمة للجانب الروحي وستكشفه المطالب اللاحقة.

<sup>1</sup> أخرجه البخاري، ج3، ص67، ح3252 عن عبادة، ومسلم ج1، ص43، ح151 عن عبادة.

<sup>2</sup> جامع الأصول في أحاديث الرسول الفصل الأول في فضل الإيمان، ج9، ص365، ح7009.

<sup>3</sup> سورة الفرقان: الآية 23.

<sup>4</sup> سعيد حوى: الإسلام، ص22.

## العبادات:

أما الأركان الأربعة الأخرى فاصطلح عليها اسم العبادات، وفي حقيقتها هي "طاعة الله، والخضوع له، والتزام ما شرّعه من الدين"<sup>1</sup> يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْعِبَادَ لِلَّهِ أُمَرَاءَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾<sup>2</sup>.

والعبادة بهذا المعنى تجعل الإنسان لا يخضع إلا للحق الذي أوحاه الله، وتجنبه الظنون، والأوهام، والأباطيل، وتحوّل بينه وبين الخضوع لسيطرة رجال الدين، وتفتح الطريق للناسك ليتصل مباشرة بالله، هي في الوقت نفسه تذكير بالله، والتذكير بالله يعمر القلوب بعظمته<sup>3</sup>.

والعبادة مست كل جوانب حياة الإنسان من بدايتها إلى نهايتها ديناً ودنيا فهي: "العبودية معنى وحقيقة، أنت عبد والله معبودك، فكل ما يأتي به العبد في طاعة معبوده هو عبادة"<sup>4</sup>.

فحياة المسلم كلها عبادة، فحتى الأكل والشرب، والنوم، واليقظة، والقعود، والقيام، والمشى، والكلام، والسكوت إلا من العبادة<sup>5</sup>.

وبما أن العبادة تسع كل حياة الإنسان فقد ذهب بعض العلماء إلى تقسيمها إلى أنواع: اعتقادية، لفظية، بدنية، ومالية.

- الاعتقادية: تتعلق باللوازم الإلهية، من توحيد، وعدم الإشراك به.
- اللفظية: وهي النطق بكلمة التوحيد.
- البدنية: كل ما يقوم به المسلم في صلاته، من ركوع وسجود، وكل فعل يقوم به في الصوم، وفي الحج<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> السيد سابق: إسلامنا، دار الكتاب العربي، بيروت، 1978، ص 114.

<sup>2</sup> سورة يوسف: الآية 40.

<sup>3</sup> السيد سابق: إسلامنا، ص 114.

<sup>4</sup> أبو الأعلى المودودي: مبادئ الإسلام، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ص 116-117.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 116-117.

<sup>6</sup> الإمام محمد بن إسماعيل الصنعائي المعروف بالأمير: تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد، حققه وشرحه وعلّق عليه موفق فوزي جبر، دار الحكمة للطباعة والنشر، ط3، 1415هـ-1994م، ص 17.

والعبادة حق من حقوق الله سبحانه، فإن من عرف الله عرف استحقاقه للحب، والتعظيم، والثناء، والشكر. فعن معاذ بن جبل قال: كنت ردف النبي ﷺ فقال: "يا معاذ، أتدري ما حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله، ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا"<sup>1</sup>.

"والعبادة تحمل أصليين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع، فمن أحبته ولم تكن خاضعا له، لم تكن عابدا له، ومن خضعت له بلا محبة، لم تكن عابدا له حتى تكون محبا خاضعا..."<sup>2</sup>.

وتبقى العبادة سر من أسرار المولى عز وجل، لم يكشف الله عز وجل لعبده إلا جانبا منه، وهو جانب الأثر الطيب الذي تتركه هذه العبادات على عقل، وقلب، وحياة الإنسان ككل، فتزيد في تمتين حبل المحبة بين العبد وخالقه، وكل من يحيط به، وهذا ما سيتم الوقوف عنده بإيجاز.

## 1- الصلاة:

**معنى الصلاة:** كلمة الصلاة لم يستحدثها الإسلام بل استعملها العرب قبل الإسلام. بمعنى الذكاء والاستغفار، وهي مشتقة من الصلة لأنها تصل الإنسان بخالقه وتقربه من رحمة ربه<sup>3</sup>. أما الإسلام فأطلق اللفظ على الصورة المعهودة من العبادة التي علمها الرسول ﷺ للمسلمين وهي: أقوال وأفعال يقصد بها تعظيم الله، مفتححة بالتكبير (الله أكبر)، ومختمة بالتسليم (السلام عليكم) بشروط شرعية خاصة<sup>4</sup>.

وقد ثبتت فرضيتها بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ مَكَلًّا الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا﴾<sup>5</sup>. وقال: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> أخرجه البخاري، ج 1، ص 24-28، ح 5622 عن معاذ بن جبل، ومسلم، ج 1، ص 44، ح 153 عن معاذ بن جبل.

<sup>2</sup> ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج 1، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ص 50.

<sup>3</sup> غفيف عبد الفتاح طبارة: روح الصلاة في الإسلام، ط 17، الموزعون الوحيدون دار العلم للملايين، بيروت، ص 23.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 23.

<sup>5</sup> سورة النساء: الآية 103.

<sup>6</sup> سورة التوبة: الآية 11.

وقال الرسول ﷺ: "بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت"<sup>1</sup>. وقال: "بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة"<sup>2</sup>.

واستنادا إلى هذه النصوص وغيرها في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ رأى بعض أئمة الإسلام أن تارك الصلاة كافر، ورأى البعض الآخر أنه عاص فاسق يعزر ويجس ثم يضرب حتى يعود إلى الصلاة<sup>3</sup>.

والصلاة أول عبادة فرضت على المسلمين، وقد فرضت في مكة قبل الهجرة بسنة ونصف في ليلة الإسراء والمعراج، وإن دل هذا على شيء إنما يدل على أهميتها القصوى في هذا الدين، والعناية الإلهية الخاصة بها.

وهي العبادة الفريدة التي أمر نبينا الكريم ﷺ أن يأمر بها الأولياء أبناءهم قبل سن البلوغ، في سن السابعة، ويضربوهم عليها إن تركوها في سن العاشرة<sup>4</sup>.

يقول ﷺ: "مروا صبيانكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع"<sup>5</sup>.

ولم يأمر النبي ﷺ بذلك إلا لتعويد الأبناء على الطاعة من الصغر وغرس حبها في قلوبهم.

### الصلاة دعامة كل الأديان:

والصلاة أقدم عبادة عرفت في كل الأديان السابقة عن دين محمد ﷺ وقد دعا إليها كل الرسل، لما لها من الأثر العظيم في تهذيب النفوس والقربى من الله.

جاء في كتاب الله على لسان إبراهيم عليه السلام داعيا ربه ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> أخرجه البخاري، ج 1، ص 27، ح 50، ومسلم، ج 1، ص 30، ح 106.

<sup>2</sup> مشكل الآثار للطحاوي، باب بين الرجل وبين الكفر، ج 7، ص 188، ح 2685..

<sup>3</sup> عفيف عبد الفتاح طيارة: روح الصلاة في الإسلام، ص 25.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 26.

<sup>5</sup> رواه أبو داود، باب متى يؤمر الغلام، ج 1، ص 185، ح 495.

<sup>6</sup> سورة إبراهيم: الآية 40

ويقول المولى في شأن إسماعيل عليه السلام: «وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ مَحْتَدًا رَبَّهُ مَرْضِيًّا»<sup>1</sup>.

وقال عز وجل مخاطبا رسوله موسى عليه السلام: «إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي»<sup>2</sup>.

وتؤمن مريم عليها السلام: «يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ»<sup>3</sup>.  
كما يحدث عيسى عليه السلام بنعمة ربه فيقول كما جاء في القرآن الكريم: «وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْحَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا»<sup>4</sup>.

ويأمر بني إسرائيل إذ يقول: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ... وَأَتُوا الزَّكَاةَ»<sup>5</sup>.

ويقول الله مخاطبا سيدنا محمد ﷺ: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى»<sup>6</sup>.

وفي احتلال هذه العبادة الصدارة بين الأركان لتأكيد على أنها فنديل الحياة، وقد سالت الكثير من أعلام العلماء في محاولة لهم للكشف على أسرارها وتأثيرها على حياة مؤيديها.

### حِكْمِ وَأَسْرَارِ الصَّلَاةِ:

أول حقيقة يجب أن يتفطن لها المسلم، أن الصلاة هي مدرسة روحية، أو معراج روحي، يدفع المؤمن التقي الخاشع نحو الكمالات، والمراتب النورانية، والمدارج الربانية ليستمد منها طاقة روحية وقوة إيمانية عالية.

<sup>1</sup> سورة مريم: الآية 55

<sup>2</sup> سورة طه: الآية 14

\* اقنتي: قنت: خضع لله وأطاعه.

<sup>3</sup> سورة آل عمران: الآية 43

<sup>4</sup> سورة مريم: الآية 31

<sup>5</sup> سورة البقرة: الآية 83.

<sup>6</sup> سورة طه: الآية 132.

وإذا كان الإيمان يكتسب بطرق عدة وعلى رأسها الصلاة، بأركانها وشروطها، أهمها شرط الخشوع، يقول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ... خَالِدُونَ<sup>1</sup>﴾.

والخشوع هو انقطاع شعوري مؤقت عن الدنيا وقضاياها، ومشاغليها، والارتباط الوثيق بالله تعالى، ومناجاته. وهذا الارتباط، والمناجاة هي عين حب المخلوق لخالقه.

والصلاة مصفاة روحية لا تترك ذنبا إلا محتته، ولا سيئة إلا أزلت أثرها، وذلك دليل على رحمة الله عز وجل بعبده الضعيف الخطاء، وحبه الكبير له، إذ كيف يترك الله عز وجل حبيبه الذي يرجو فضله ورحمته ومنته ملطخا بالذنوب والمعاصي والآثام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أرأيتم لو أن نहरًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، فقال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا"<sup>2</sup>.

وإذا كانت الصلاة تؤدي وظيفة روحية سامية، من حيث تطهيرها للنفس وجعلها مطمئنة، فإنها أيضا تقوم بأدوار أخرى لا تقل أهمية عن ذلك، لأنه لا يوجد انفصال أو تمايز بين الوظيفة الروحية، وسائر الوظائف الأخرى، ولكن يوجد تكامل عضوي متين بين هذه وتلك.

وهنا يحق لنا طرح السؤال إلى ماذا تدعو الصلاة من الوجهة الخلقية، أو ما هي القيم الخلقية التي يستقيها المسلم من صلواته، ويتدرب بممارستها، ويزورها إلى ميدان الواقع السلوكي.

إن موقف الإسلام واضح في مثل هذه القضية، فالمسلم المؤدي لصلاته، خضوعا لأمر ربه، ولأجل مرضاته، والتقرب إليه أكثر لأجل أن يكون من المحبوبين، يدرك تماما مدى مسؤوليته وواجباته تجاه ربه ونفسه، وأسرته، ومجتمعه والإنسانية جمعاء، لأنه لا انفصام بين مسؤولية وأخرى، فكل المسؤوليات لخدمة المسؤولية الأم، وهي الفوز بمرضاة الله، الذي يتحقق عندما يغرس حبه في أغوار القلب المؤمن<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سورة المؤمنون: الآيات 1-11.

<sup>2</sup> أخرجه البخاري، ج1، ص197، ح505 عن أبي هريرة، ومسلم، ج2، ص131، ح1554.

<sup>3</sup> عبد الحميد بوزوية: الصلاة وقيمها التربوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون-الجزائر، ص46.



عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم، وخياركم لنسائهم"<sup>1</sup>.

وهذه أهم القيم الخلقية التي لها شديد الارتباط بالصلاة:

- حسن التخلق: عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم، فقال: "البر والإثم؟ البر حسن الخلق، والإثم ما حال في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس"<sup>2</sup>.

وإن رتبة حسن الخلق لتفوق أجراً وثواباً رتبة الصيام والقيام، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم"<sup>3</sup>.

- الاستقامة: المؤمن القائم لصلاته يتصف بالاستقامة في كل شيء، في هندامه، وفي علاقاته مع جميع الناس لأنه يقرأ يومياً قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>4</sup>.

عن أبي عمرو رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: "قل آمنت بالله ثم استقم"<sup>5</sup>.

وللاستقامة الجزاء الكبير عند الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>6</sup>، " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِّنْ غَمُودٍ رَّحِيمٍ<sup>7</sup> .

- حفظ اللسان: لأن اللغو يولد قسوة القلب.

<sup>1</sup> أخرجه ابن ماجة، ج1، ص636، ح1978، والترمذي، ج3، ص466، ح1162.

<sup>2</sup> أخرجه البيهقي، ج10، ص192، ح2574، والترمذي، ج4، ص597، ح2389، ومسلم، ج8، ص6، ح6680.

<sup>3</sup> أخرجه ابو داوود، باب حسن الخلق، ج4، ص400، ح4800.

<sup>4</sup> سورة الفاتحة: الآية 06.

<sup>5</sup> أخرجه ابن ماجة، ج2، ص1314، ح3972، والدارمي، ج2، ص386، ح2710.

<sup>6</sup> سورة الأحقاف: الآية 13-14.

<sup>7</sup> سورة فصلت: الآيات 30-32.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي"<sup>1</sup>.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده"<sup>2</sup>.

ومن آفات اللسان: الغيبة، والنميمة، اللتان تقطعان كل أوصل المودة، والمحبة مع الله، ومع عباده.

- الحياء: الحياء شيمة المصلي، فالمستحي من الله وهو بين يديه يستحي منه في كل الظروف والأحوال، وبذلك يكسب مودة وحب كل الناس، عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله: "الحياء لا يأتي إلا بخير"<sup>3</sup>.

- الوقار: المصلي بين يدي الله عز وجل يحس بالراحة والاطمئنان، وهذا ينعكس على شخصيته بالاتزان، والتروي، والحلم... يقول الله تعالى: ﴿وَمَحَابَدُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾<sup>4</sup>.

- الحب في الله: مناجاة العبد المؤمن لربه في الصلاة، تنبعث عن إيمانه به، وحبه إياه، ومن مستلزمات حب الله، حي من يحب الله ﴿مُعَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِيهِ وَجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>5</sup>.

وتبقى فوائد الصلاة أعظم، وأوسع وسع هذا الدين الذي جاء ليجمع القلوب في قلب واحد بمحبة واحدة، في حبيب، ولحبيب أوحد.

<sup>1</sup> شعب الإيمان للبيهقي، باب فصل في فضل السكوت، ج4، ص245، ح4951.

<sup>2</sup> أخرجه البخاري، باب المسلم من سلم المسلمون، ج13، ح10، مسلم ج1، ص47، ح170.

<sup>3</sup> أخرجه مسلم، باب شعب الإيمان، ج1، ص46، ح165.

<sup>4</sup> سورة الفرقان: الآية 63.

<sup>5</sup> سورة الفتح: الآية 29.

كيف لا، وهو الذي أكد تأكيدا شديدا، على أن يؤدي المسلمون فريضة الصلاة جماعة، وإن حالت الظروف دون الاجتماع طيلة أيام الأسبوع، ففرصة الاجتماع تكون يوم الجمعة من كل أسبوع، ومن غاب عن الصلاة في هذا اليوم بغير عذر شرعي أثم.

فالصلاة جماعة تنشئ الاتحاد والمحبة، والإخاء بين المسلمين.

فعندما يجتمعون في مكان واحد -المسجد-، على هيئة واحدة، لغرض واحد، تأتلف قلوبهم، وينشأ فيهم الشعور بأنهم إخوة فيما بينهم، فلا شريف فيهم ولا دنيء، ولا رفيع ولا ضيع، ولا غني ولا فقير... يقول تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾<sup>1</sup>.

لا غنى لدرجة التقوى عن قيم روحية، أو أخلاقية -سلوكية-، لأن الإسلام يرفض رفضا تاما الانفصام بين القيم الروحية ومجالات الحياة كلها، وهذا الانفصام الخطير تدعو إليه المسيحية التي تترك الإنسان المسيحي في بحر أسبوع كامل يشبع غرائزه الحيوانية، بلا قيد ولا شرط، ثم يجيء في نهاية أسبوعه إلى الكنيسة طالبا الغفران ليعود إلى الرذيلة بعد خروجه منها.

فأي محبة تدعيها هذه الديانة، وهي تفتح الباب أمام الفسق، والفجور، وتدوس على كل القيم التي تدعيها بتبنيها واحتكارها. وأي حب هذا الذي يذكر فيه الله -الثلاثة- المحبة، إلا ساعة في بحر أسبوع كامل.

وفي المقابل يدعو -الإسلام-، إلى إيجاد وحدة واحدة بين تعاليمه وعقائده، ومبادئه، وبين حياة الإنسان من أبسطها إلى أعقدها لغاية واحدة، وهي نيل مرضاة الله، وحبّه.

وإذا كانت الصلاة من أهم الأركان والتي بني عليها الإسلام، وتتجلى أهميتها في الحكيم والأسرار التي لأجلها وجدت، وذكرنا نموذجا منها، وهذه الأسرار يمكن إجمالها في شيء واحد، إذ تتكثل في مؤديها، والمحافظة عليها كل أوصاف المحبوبين عند الله تعالى (وقد سبق ذكر هذه الأوصاف) لأنها العبادة الوحيدة التي تربط المؤمن بربه كل يوم خمس مرات، ولا تسقط عنه في أي مكان، وفي أي زمان، وفي أي حال من الأحوال، فهي التي تربطه بربه حتى وهو طريح الفراش عندما يؤديها بقلبه.

<sup>1</sup> سورة الحجرات: الآية 13.

والذي يحافظ على هذا الركن، من أركان ديننا بهذا الشكل، فلاشك أنه يحافظ على ركن الزكاة، والصوم، والحج، والتي لا تخلو هي الأخرى من حكم وأسرار نوجزها في هذه النقاط.

## 2- الزكاة:

إن الإسلام في حقيقته هو استسلام العبد لله عز وجل، وبأن الله وحده له الحق في تنظيم حياة الإنسان، لأنه المالك الأصلي لهذا الكون وما حوى. ومن هذا المنطلق، فله وحده الحق في تنظيم قضية التملك، والزكاة هي التعبير العملي عن هذا كله.

والزكاة هي رمز الاستسلام لله في قضايا المال كلها<sup>1</sup>، إذ يقول الرسول: "الصدقة برهان"<sup>2</sup>، لذلك أولها القرآن الكريم أهمية، وحظاً أوفر في الذكر، (فمن بين ست آلاف آية اختصت الزكاة باثنين وثمانين آية منها)<sup>3</sup> وهي من أسباب الفلاح يقول الله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾<sup>4</sup>.

ويقول: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>5</sup>.

ويقول ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَكَفِيٌّ مُّزِيذٌ لِلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ حَاكِمَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>6</sup>.

وفي مثل هذا السبق الإسلامي برهان على أن الحضارة الإسلامية تقوم على أساس من الأخلاق الفاضلة، والمبادئ السامية التي توجه الأموال والاقتصاد وتسخرهما في الوجوه المشروعة، وتحل الكثير من المشاكل الاقتصادية المطروحة.

وهذه شهادة -ليودوروش-: "لقد وجدت في الإسلام حلاً للمشكلتين اللتين تشغلان العالم طراً: الأولى: قول الإسلام: "إنما المؤمنون إخوة" فهذه أعظم مبادئ الاشتراكية، والثانية: فرض الزكاة على كل ذي مال"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> السعيد حوى: الإسلام، ص 115.

<sup>2</sup> شعب الإيمان للبيهقي، باب الطهارات، ج 3، ص 3، ح 2709.

<sup>3</sup> أحمد إسماعيل يحي: الزكاة عبادة مالية وأداة اقتصادية، دار المعرفة، القاهرة، 1986، ص 195.

<sup>4</sup> سورة المؤمنون: الآيات 1-4.

<sup>5</sup> سورة النور: الآية 56.

<sup>6</sup> سورة الحج: الآية 40-41.

<sup>7</sup> أحمد إسماعيل يحي: الزكاة عبادة مالية وأداة اقتصادية، ص 182.

وهذا وجه من وجوه الأسرار التي لأجلها فرضت الزكاة فضلا عن أنها:

- تجعل المسلم يتحلى بأوصاف التضحية، والإيثار لوجه الله تعالى، وتزيل عن قلبه الأثرة، وحب المال وعبوديته.

- الزكاة وجه من وجوه التكافل، والتناصر بين المسلمين فلا ينفق أحدهم ماله في البذخ والترف، وهو يعرف أن لفئة المحرومين قسطا من هذا المال<sup>1</sup> يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>2</sup>.

وصرف الزكاة ليس مقصورا على هذه الفئة التي ذكرتها الآية، فكل ما يخدم المصلحة العامة للمسلمين فهو مصرف لها، وهذا يرجع إلى تقرير أولوا الأمر وأهل الشورى في الجماعة المسلمة: مثل إعطاء المؤلفة قلوبهم، وإعداد العدة والعدد للجهاد في سبيل الله، وتجهيز الدعاة بما يسهل أداء مهمة الدعوة بنشر رسالة الإسلام في العالمين...<sup>3</sup>.

أليس مثل هذا التشريع جدير بالاحترام والتقدير والانقياد إنه ليس مجرد مواد وفقرات جامدة لا صلة لها بواقع الحياة الإنسانية، ولا فعالية له، وتشريع ينفرد بمثل هذه الخاصية، والتي من شأنها أن تجعل من المال -وهو من أحب المحبوبات الدنيوية-، يصرف، ويسخر لتألف القلوب وخدمة دين الله، ونصرته، وما ذاك إلا رهن لكسب محبة مالكة الأصلي.

### 3- الصوم:

إن ضبط النفس لا غنى للبشرية عنه، فما من إنسان عاقل، إلا ويدرك أنه لو أطلق العنان لأهواء نفسه لفقدت الإنسانية خصوصياتها، إن لم تندثر في زمن قصير، والرمز العملي لضبط النفس هو الصوم المفروض، وهو طريق من الطرق التي توصل إلى التقوى، والمتقون هم من أحبب الله. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أبو الأعلى المودودي: مبادئ الإسلام، ص 126-127.

<sup>2</sup> سورة التوبة: الآية 60.

<sup>3</sup> السعيد حوى: الإسلام، ص 124.

<sup>4</sup> سورة البقرة: الآية 183.

والصوم المفروض على أمة محمد ﷺ هو شهر رمضان، ومدرسة يتعلم فيها المسلم كيفية ترويض نفسه وتطويعها لنيل رضى الله عز وجل ومحبته. ويمكن إجمال فوائد هذه المدرسة في هذه النقاط المختصرة:<sup>1</sup>

- الصيام من الطرق التي توصل إلى محبة الله يقول ﷺ في الحديث القدسي "وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه"<sup>2</sup> وفي حديث قدسي آخر "وأنا معه إذا ذكرني"<sup>3</sup>.

- الصيام هو المدرسة التي يجدد فيها المسلم تشبثه بدينه، ويأخذ بما فاته من قبل.

- شهر رمضان هو الطريق الذي يسير فيه المسلم بشكل عفوي نحو التقوى، إذا قام بما سنه النبي ﷺ في هذا الشهر من سحور قبل الفجر، فيعوده على صلاة الفجر في وقتها، ويكثر من الاستغفار، ويتلو أذكارا ماثورة عن النبي ﷺ.

ومن بين سننه ﷺ الدعاء المأثور عند الفطور، اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، الإكثار من قراءة القرآن، والإنفاق في سبيل الله، فقد كان رسول الله ﷺ في رمضان أجود من الريح المرسلة.

كما تعمر المساجد بحلقات العلم، والوعظ، والتذكير، وهي فرصة لتنقية القلوب مما علق بها من شؤون الدنيا، فتنهض الهمم، وتشد العزائم نحو الله عز وجل. وآثار تربية هذه المدرسة يظهر في كل شيء، في الفرد، وفي الأسرة، وفي علاقات المسلمين بعضهم ببعض.

ويكفي هذه العبادة تميزا في أنها ربع الإيمان<sup>4</sup> بمقتضى قوله ﷺ: "الصوم نصف الصبر"<sup>5</sup>. وتميزت بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان. قال الله تعالى فيما حكاه عنه ﷺ: "كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> السعيد حوى: الإسلام، ص 176-179.

<sup>2</sup> أخرجه البخاري، ج 6، ص 2694، ح 6970.

<sup>3</sup> أخرجه البخاري، ج 5، ص 2384، ح 6137.

<sup>4</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 1، ص 231.

<sup>5</sup> الموطأ، ج 2، ص 154، ح 345، وابن ماجه، ج 1، ص 555، ح 1745، والترمذي، ج 5، ص 536، ح 3519.

<sup>6</sup> الموطأ، ج 1، ص 310، ح 683، والبيهقي، ج 4، ص 299، ح 8257، والترمذي، ج 3، ص 136، ح 764.

وإذا كانت مثل هذه العبادة تختص بكل هذا التميز، فبشرى لكل مؤمن صائم بتميز مكانته عند الله عز وجل، وتميز درجته في الجنة، يقول ﷺ: "للجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون وهو موعود بقاء الله تعالى في جزاء صومه"<sup>1</sup>.

قال: "للصائم فرحتان، فرحة عند إفطاره، وفرحة عند لقاء ربه"<sup>2</sup> أليس هذا الفرحة لأنه من المحبوبين عند الله عز وجل.

#### 4- الحج:

الحج ركن أساسي من أركان الإسلام، فرضه الله تعالى مرة في العمر إلا على الذين يستطيعون السبيل إلى مكة المكرمة، من أغنياء المسلمين، والذين يتمتعون بصحة تمكنهم من أداء كل مناسكه.

وحقيقة الحج تتجلى في هذه الآية: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِيهِ الْحَجِّ... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُذَكِّرَ الْبَشَرَ...﴾<sup>3</sup>.

- الحج رمز للحب الإلهي لأن هذا البيت يذكرنا بحياة إيمانية عظيمة عاشها عباد من أصلح عباد الرحمن على وجه الأرض، فهي تبدأ بتاريخ إبراهيم خليل الله الذي شكر الله له هذا السعي، وتقبله منه، وشكر حبه وإخلاصه حتى نسب هذا البيت إلى نفسه ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْمَبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُطَّئِينَ وَإِذْ نَادَىٰ إِلَىٰ رَبِّهِ أَن إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ قَبْلِهِ مَسْجِدًا لِلنَّاسِ وَأَمْرًا لِلنَّاسِ وَالرُّكُوعَ لِلنَّاسِ وَالسُّجُودَ﴾<sup>4</sup>.

وتنتهي هذه الحياة بتاريخ نبي آخر الزمان محمد ﷺ، ويذكرنا كيف يضحي عبد من عباد الله بكل ما لديه في سبيل ربه.

- كما أمر المسلمين أن يزوروه ولو مرة في العمر فيطوفوا معربين عن حبهم وشكرهم لله عز وجل، يمثل الحب الذي كان عليه إبراهيم أثناء عبادته لله عز وجل ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ قَبْلِكَ مَسْجِدًا لِلنَّاسِ وَأَمْرًا لِلنَّاسِ وَالرُّكُوعَ لِلنَّاسِ وَالسُّجُودَ﴾<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أخرجه البخاري، ج2، ص671، ح1797، ومسلم، ج3، ص158، ح2766.

<sup>2</sup> أخرجه مسلم، ج3، ص158، ح2763، والبخاري، ج2، ص673، ح1805.

<sup>3</sup> سورة البقرة: الآية 197.

<sup>4</sup> سورة البقرة: الآية 125.



ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ خَيْرٍ ذِي زَرْعٍ مَحْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ<sup>1</sup>.

- وحب الله، والطمع في مرضاته، هي النية المرادة من خروج المسلم من بيته وفي قصده لهذا البيت الإلهي، وهي السبب في تركه أهله وبلده وتجارته، وحتى يؤكد نيته، فيطهر قلبه، ويكبح شهواته النفسية، ويجتنب الفسوق والجدال وسفك الدماء والفحش من الكلام، ويكون في كامل الأدب والاحترام، والعجز والخشوع لله تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِيهِ الْحَجُّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ<sup>2</sup>﴾.

- إن جل همهم في هذه الرحلة منصرفاً إلى الله تعالى، وتزداد في قلبه عواطف الحب والاشتياق إلى بيت الله الحرام، وعلى قدر ما ينطوي عليه بعد السفر، ويشعر بدنو الكعبة، تزداد فيه عاطفة الحب وتتضاعف جاذبية الشوق، وينفر قلبه عن الذنوب والمعاصي ويندم عن ذنوبه السالفة، ويدعو ربه ويتضرع إليه أن يوفقه لطاعته في الأيام الباقية من حياته، ويبدأ يشعر بلذة غير عادية في ذكر الله تعالى وعباداته، ويسجد سجدة طويلة لا يطيب له أن يرفع منها رأسه، وكذلك عندما يتلو القرآن، فشتان بين ما يحسه من اللذة، وما كان يحسه منها من قبل، وعندما يصوم يجد حلاوة ما كان يجدها من قبل ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْمَدْيَنِيَّ وَالْقَلْبَدَ ذَلِكَ لِيَتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ<sup>3</sup>﴾.

- وعندما يدخل أرض الحجاز ويطأها بقدمه، يتمثل في عينيه تاريخ الإسلام في مراحل الأولى، ويشاهد في كل بقعة من بقاع تلك الأرض الطاهرة، آثار الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأحبهم وأحبه، وضحوا في سبيله بأموالهم وأنفسهم، وتشهد له كل ذرة رمالية في تلك البقعة بعظمة الإسلام، وقدسية أرضها فيمتلئ قلب المسلم ولعا بالله تعالى، وحبا لدينه، ويبقى هذا الحب حياً إلى آخر لحظة في حياته.

<sup>1</sup> سورة إبراهيم: الآية 37.

<sup>2</sup> سورة البقرة: الآية 197.

<sup>3</sup> سورة المائدة: الآية 97.

- الحج عبادة جامعة، ففيه إنفاق المال، ومشقة الجسد، وذكر الله، والتضحية في سبيله... فالحج عبادة تشمله روح كل العبادات الأخرى بصورة أو بأخرى.

- الحاج يعاهد ربه بأنه لو طرأت الحاجة، فإنه سوف يحطم حياته القائمة ليتقدم نحو الحق تاركاً عن رضى، وحب الراحة والرفاهية واختيار القناعة والبساطة، وأنه سيسعى من أجل الله، وسيطوف حوله ويرمي تقاليد الشيطان بالجمار، ويدور حيثما دار به دين الله، وأنه مستعد للذهاب من أجل هذا الدين إلى أبعد ما يشق على أحد وهو أن يذبح ابنه ابتغاء مرضاة الله<sup>1</sup>.

- ومكة المكرمة هي مركز المسلمين، تهوى إليه النفوس المسلمة من كل بقاع الأرض على اختلاف سلالاتهم وألوانهم، ففرصة هذا التلاقي العالمي تربي فيهم الأخوة الإسلامية العالمية على الاتحاد، والمحبة والتعاون<sup>2</sup> قال تعالى: ﴿وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾<sup>3</sup>.

إذا كان البشر سيمثلون أمام ربه بعد الموت، فالمؤمن يمثل بين يديه قبل أن يأتيه الموت فحضور الآخرين أمام الله حضور المجبور الذي لا حيلة له، أما حضور المؤمن فباختياره، وهذا هو المنظر الذي يقدمه اجتماع الحجاج من كل أنحاء العالم في ميدان عرفات، ولعل هذا ما أدى بالنبي ﷺ: "الحج عرفة"<sup>4</sup>.

يقال أن الإمام أبا حنيفة كان يراوده تردد في تحديد أفضل العبادات الإسلامية... وعندما حج قال: "أيقنت الآن أن الحج أفضل العبادات"<sup>5</sup>.

لقد شرع الله تعالى ما هو أساس لصرح الإسلام وقواعده، لا يقام ولا يكمل إلا بها، فكانت هذه القواعد والأسس من أقوى العوامل التي تؤدي إلى إقامة علاقة الإخاء والمحبة بين

<sup>1</sup> وحيد الدين خان: حقيقة الحج، ترجمة ظفر الإسلام خان، دار الصحوة، القاهرة، 1987، ص 28.

<sup>2</sup> أبو الأعلى المودودي: مبادئ الإسلام، ص 129.

<sup>3</sup> سورة الحج: الآية 27.

<sup>4</sup> الموطأ، ج 2، ص 191، ح 5114، وابن ماجه، ج 2، ص 1003.

<sup>5</sup> أبو الأعلى المودودي: مبادئ الإسلام، ص 130.

أبنائه، وتجعلها منه لحمه واحدة في التآلف والتعاطف يقول ﷺ "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"<sup>1</sup>.

ومن هذه التشريعات ما هو أساس لصحة الأعمال وقبولها، كالنطق بالشهادتين، والاعتقاد الصحيح، والصادق بمدلول هذا اللفظ، ومنها ما هو بدني يصل الإنسان بخالقه، ويقوي علاقته بإخوانه المؤمنين كالصلاة، ومنها ما هو روحي يعمل على تصفية القلوب ونقاؤها، ويبعث على الشفقة والعطف بالفقراء والمحتاجين كالصيام، ومنها ما هو مالي يعمل على تصفية النفوس من الشح والبخل والطمع ويقيم فيما بين الأفراد التكافل الاجتماعي كالزكاة، ومنها ما هو جامع بين النواحي البدنية والروحية والمالية كالحج.

وهدف هذه التشريعات واحد، صلة الإنسان بربه وصلته بأخيه الإنسان فيتحقق المراد ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾<sup>2</sup>.

بعد أن تبين لنا كيف أن الاعتقاد اليقيني بوجود إله واحد لا شريك له، هو محرك، ودافع المؤمن نحو تطبيق كل ركن من أركان دين الله، والتي تزيد في انتعاش -حب الله-، فيقف بمقتضاها العابد خاشعا متذللا أمام أوامره.

ولا ريب أن في أداء هذه العبادات عن يقين وحب، وفي المواظبة عليها أسرار وحكم -كما تبين لنا- لا يشعر بنعمتها ولا يتلمسها إلا مؤديها، وحتى من يحيط به.

وتبقى العبادات هي اللبنة التي تبنى بها العلاقة الروحانية مع الله عز وجل، وبها تشيّد العلاقات الإنسانية مع الأهل من نفس الملة، وحتى مع غيرهم.

وفي هذا البناء الإنساني، سيكون للحب النصيب الأوفر، سواء في كونه هو السبب في إيجاد مثل هذه العلاقة الربانية، أو في تشيبتها في القلوب.

### مفهوم العلاقات الإنسانية:

يطلق مصطلح "العلاقات الإنسانية"، على أساليب التعامل بين الناس وتفاعلهم في المجتمع الذين يعيشون فيه، في شتى جوانب الحياة الاجتماعية، والثقافية والسياسية، ومرافقه العملية

<sup>1</sup> أخرجه مسلم، ج8، ص20، ح6151.

<sup>2</sup> سورة المائدة: الآية 54.

التعليمية، والأسرية وينطبق ذلك بطبيعة الحال على المؤسسة، أو المنظمة التي تجمع الناس في شكل من أشكال التنظيم بغرض الوصول إلى هدف معين مشترك.

وبعبارة أكثر وضوحاً فإن "العلاقات الإنسانية" تطلق على تلك الروابط القائمة بين الناس أفراداً وجماعات، سواء كان ذلك على مستوى الأسرة، كالعلاقة بين الزوجين، والعلاقة بين الآباء والأبناء، أو على مستوى المجتمع على اتساعه، أو على مستوى الاتصال الإنساني، والتفاهم البشري بشكل عام، في كافة جوانب الحياة ومجالاتها<sup>1</sup>.

والعلاقات الإنسانية لا تحدّها الحدود، ولا المعتقدات، والقرآن الكريم في دعوته للتواصل مع كل الناس، فإنه يقرر أن الإيمان والكفر سيعيشان جنباً إلى جنب مادامت الحياة الدنيا باقية.

والقرآن الكريم قبل أن يرسم للمسلمين ما يجب عليهم في علاقاتهم مع كل صنف من الأصناف التي ذكرها، فإنه بنى لمثل هذه المهمة الإنسانية، الشخصية الإسلامية التي تتجمع فيها كل الشروط والمؤهلات التي تكون حقيقة قادرة على أن تبني هذه العلاقة الإنسانية الواسعة.

وإذا كانت الحكمة الإلهية أرادت أن يكون التعارف والتواصل بين المسلمين وغيرهم من أهداف التشريع الإسلامي، فالمؤمن هو المسؤول الأول لتجسيد هذا الهدف، سواء في علاقاته مع المؤمن أو غير المؤمن. والقرآن الكريم قد رسم طريق هذه العلاقة، وجعل نقطة انطلاقها مع إخوانه المؤمنين، على أساس الأخوة الدينية، والمودة، والرحمة.

### القرآن الكريم يشيد علاقة المؤمنين على الأخوة الدينية والمحبة:

منذ أن جاء الإسلام الحنيف، وبدد بأنواره ظلام الجاهلية واختلاف أهلها، ربط بين أتباعه بأوثق الروابط وأقواها وتزلت آيات القرآن الكريم تضع المنهج القويم الذي على أساسه يتعامل المؤمنون.

<sup>1</sup> عودة عبد عودة عبد الله: أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1425هـ-2005م، ص 47-48.

فأقامت علاقة الإسلام بين الناس جميعاً على اختلاف أوطانهم واتفق عقيدتهم على صرح الأخوة والمحبة والوئام، وكان لهذه العلاقة أسسها ومقوماتها التي لا بد منها حتى تتحقق في أجمل صورة وتظهر في أعظم إطار<sup>1</sup>.

ولقد وحد الإسلام بين أبنائه وجمعهم حول العقيدة الصادقة والمبادئ السامية، وأصبح الإخاء العام بينهم هو الرباط والدعامة التي بنوا عليها علاقاتهم وتعاملهم، وكانت الأخوة الدينية أصدق تعبير، وأسمى هدف وأجل غاية<sup>2</sup> وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>3</sup>.

وقد ورد في تفسير هذه الآية أن الأخوة أنماط:

- أخوة طبيعية: لا أثر لها في الشرائع والقوانين، وهي: اشتراك إنسانين في أب وأم، أو فيهما معا.

- أخوة اعتبارية: لها آثار اعتبارية، وهي ما تعرف في الإسلام بالأخوة النسبية، ولها آثار في النكاح والإرث.

- أخوة رضاعية: لها آثار في النكاح دون الإرث.

- أخوة دينية: وهذا النوع له آثار اجتماعية ولا أثر له في النكاح والإرث<sup>4</sup>.

يقول ﷺ: "المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه، ولا يظلمه، ولا يغشه، ولا يعده عدة فيخلفه"<sup>5</sup>.

ويوضح -أبو حامد الغزالي- مكانة هذا النوع من الأخوة في قوله: "فإن التحاب في الله تعالى والأخوة في دينه من أفضل القربات وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات، ولها شروط بما يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تعالى وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة عن

<sup>1</sup> مجاهد محمد هريري: منهج القرآن والسنة في العلاقات الإنسانية، ط1، 1998م، ص 55-56.

<sup>2</sup> الإمام أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، المجلد 2، دار البيان العربي، ص 155.

<sup>3</sup> سورة الحجرات: الآية 10.

<sup>4</sup> محمد حسن الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج 18، ص 321.

<sup>5</sup> أخرجه مسلم، ج 4، ص 139، ح 3529.

شوائب الكدورات ونزعات الشيطان، فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله زلفى، وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى<sup>1</sup>.

كما جعل الألفة ثمرة لحسن الخلق، والتفرق لسوء الخلق، وحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق، وسوء الخلق لا يثمر إلا التبغض، والتدابير والتحاسد<sup>2</sup>.

وحسن الخلق لا تخفى فضيلته، وهو ما مدح به نبينا الكريم ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>3</sup>. وقال: "أكثر الناس ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق"<sup>4</sup>.

وقال: "بعثت لأئمة مكارم الأخلاق"<sup>5</sup> وقال: "أثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن"<sup>6</sup>.

فكل من عقد الله بينهما برباط الأخوة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>7</sup> توجب على كل منهما مبادلة أخيه بلوازم الحب في الله، لأن مثل هذا التآلف، والإخاء لا تكتمل صورته إلا بالممارسة الميدانية، والتي هي ليست بمنة، بل هو حق أقره من عقد بينهما بهذا الرباط المقدس بعد أن بين القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة كيفية تحصيله نذكر نماذج منها.

يطلب إخبار المرء أخاه بأنه يحبه في الله تعالى مادام في طاعته وإتباع سبيله، فعن أبي كريمة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه<sup>8</sup>.

وعن أبي إدريس الخولاني -رحمه الله- قال: دخلت مسجد دمشق فإذا فتى براق الثنايا، وإذا الناس معه فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن رأيه، فسألت عنه، فقيل هذا معاذ بن جبل رضي الله عنه فلما كان من الغد هجرت فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلي فانتظرت حتى قضى صلاته، ثم جئته من قبل وجهه، فسلمت عليه ثم قلت: والله إني لأحبك، فقال

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ص 155.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 155.

<sup>3</sup> سورة القلم: الآية 04.

<sup>4</sup> أخرجه الترمذي، ج 4، ص 363، ح 2004.

<sup>5</sup> أخرجه البيهقي، ج 10، ص 193، ح 2571.

<sup>6</sup> تفرد بإخراجه الحميدي في مسنده ج 1 ح 53 من طريق أبي الدرداء.

<sup>7</sup> سورة الحجرات: الآية 10.

<sup>8</sup> أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب الرجل يحب الرجل على خير ح 5124 وقال الألباني صحيح.

الله؟ فقلت الله، وقال الله فقلت الله، فأخذني بحبوة ردائي فجدبني إليه فقال: أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: " قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ والمتبادلين فيّ"<sup>1</sup>.

إفشاء السلام: قد علمنا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أن الوسيلة الفعالة لتقوية الحب في الله هي: إفشاء السلام.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّبْتُمْ إِلَىٰ بِرَائِهِمْ فَكَبِّرُوا بِالْحَسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾<sup>2</sup>.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>3</sup>، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَيْهَا فَطَبَعُوا عَلَيْهَا سَلَامًا﴾<sup>4</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"<sup>5</sup>.

كما عدت السنة النبوية التحية من خير الأفعال الإسلامية الفاضلة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رجلا سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: "تطعم الطعام، وتقرا السلام على من عرفت ومن لم تعرف"<sup>6</sup>.

ومن معاني السلام:

أ- السلام اسم من أسماء الله الحسنى، لذا كان جبريل عليه السلام يحيي رسول الله ﷺ قائلا له: "السلام يقربك السلام".

<sup>1</sup> الموطأ، ج2، ص953، ح1711، والبيهقي، ج10، ص15، ح19524.

<sup>2</sup> سورة النساء: الآية 86.

<sup>3</sup> سورة النور: الآية 06.

<sup>4</sup> سورة النور: الآية 27.

<sup>5</sup> أخرجه مسلم، ج1، ص53، ح203.

<sup>6</sup> أخرجه البخاري، ج1، ص13، ح12، ومسلم، ج1، ص47، ح169.



ب- السلام هو أيضا الأمن والاطمئنان، فالحيي يدعو الله لغيره بذلك، وغيره يدعو له كذلك بذلك.

ج- إشعار الناس بأن السلام والأمن والاستقرار من ضرورات الاجتماع البشري السليم.

د- إفشاء السلام يقوي المحبة والإخاء بين المؤمنين وهذا هو شريط الإيمان بالله تعالى، ومن ثم نستنتج أن للإيمان أبعاد اجتماعية قوية، لا تبعث إلا منه<sup>1</sup>.

أداء حق الجوار: الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه أخوة الإسلام، إذ قال النبي ﷺ: "الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، والجار المسلم ذو الرحم له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم، وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك"<sup>2</sup>.

وقد قال ﷺ: "أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما"<sup>3</sup>، وقال ﷺ: "أول خصمين يوم القيامة جاران"<sup>4</sup>.

الإحسان إلى المساكين: سئل رسول الله ﷺ ما الإيمان؟ فقال: "إطعام الطعام وإفشاء السلام"<sup>5</sup>.

الرفق: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: "إن الله رقيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه"<sup>6</sup>.

ومن مظاهر الحلم وفروعه والتيسير على الناس، لا التعسير عليهم، وكظم الغيظ، واختيار أسهل الأمرين، فعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "يسرروا ولا تعسروا، وبشروا ولا

<sup>1</sup> عبد الحميد بوزوينة: الصلاة وقيمتها التربوية، ص 112.

<sup>2</sup> أخرجه البيهقي، باب من شعب الإيمان، ج 7، ص 83، ح 9560.

<sup>3</sup> أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الزهد، باب الورع والتقوى ح 4217، وقال الباني صحيح

<sup>4</sup> مسند أحمد، ج 4، ص 151، ح 17410 من حديث عقبة بن عمار الجهني.

<sup>5</sup> أخرجه البخاري، ج 1، ص 13 باب الطعام في الإسلام.

<sup>6</sup> أخرجه مسلم، ج 8، ص 22، ح 6766.

تنفروا"<sup>1</sup>. وقال ﷺ: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر"<sup>2</sup>.

وبين الرفق والخير صلة وطيدة وعلاقة متينة، فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من يحرم الرفق يحرم الخير كله"<sup>3</sup>.

وفي سيرة رسول الله ﷺ نماذج رائعة كثيرة، منها النموذج التالي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بال أعرابي في المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ: "دعوه وأريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين"<sup>4</sup>.

ولا محالة أن جزاء المتصف باللين والرفق هو الجنة والنجاة من النار، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أخطركم بمن يحرم على النار-أو بمن تحرم عليه النار-؟ تحرم على كل قريب هين ليس سهل"<sup>5</sup>.

**العفو:** هذه الفضيلة مرتبطة بسابقتها ارتباطا عضويا وسببيا، فالحليم لاشك أنه يعفو ويصفح عند المقدرة، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>6</sup> وقال تعالى: ﴿فَاَصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾<sup>7</sup>. وقال: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾<sup>8</sup>.

وقد ذهب الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ...﴾<sup>9</sup> إلى القول: "أن المراد بالموصول القاتل والعفو القاتل، إنما يكون في حق القصاص، فالمراد بالشيء هو الحق، وفي تنكيهه تعميم للحكم، أي: أي حق كان سواء كان تمام الحق، أو بعضه، كما إذا تعدد أولياء

<sup>1</sup> أخرجه البخاري، ج 1، ص 38، ح 69، ومسلم، ج 5، ص 141، ح 4626.

<sup>2</sup> سنن الترمذي، ج 4، ص 321، ح 1919، وأبو داود، ج 4، ص 441، ح 4945.

<sup>3</sup> أخرجه مسلم، ج 8، ص 22، ح 6763.

<sup>4</sup> أخرجه النسائي، ج 1، ص 47، ح 54.

<sup>5</sup> أخرجه الترمذي، ج 4، ص 654، ح 2488.

<sup>6</sup> سورة الأعراف: الآية 199.

<sup>7</sup> سورة الحجر: الآية 85.

<sup>8</sup> سورة النور: الآية 22.

<sup>9</sup> سورة البقرة: الآية 178.

الدم، فعفى بعضهم حقه للقاتل، فلا قصاص حينئذ بل الدية، وفي التعبير عن ولي الدم بالأخ إشارة لحس المحبة والرأفة، وتلويح إلى أن العفو أحب<sup>1</sup>.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"<sup>2</sup>.

فما أعظم هذا الدين الذي يأمر أتباعه بإخماد نار الغضب بفضيلة الحب.

**الوفاء:** أن المسلم قد عاهد الله تعالى في الشهادتين أن يحافظ على الصلوات ويؤديها في أوقاتها الشرعية، كما عاهده على تطبيق التعاليم الربانية التي يتلقاها في أجواء الصلاة... وينجم عن هذا أن معاملاته تكون ظاهرة، وأفعاله حميدة، ووعوده صادقة، لذا نرى الإسلام يحضنا على ضرورة الالتزام بوعودنا والوفاء بعهودنا مع الناس، قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾<sup>3</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"<sup>4</sup>.

يقول ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يكذبه ولا يظلمه إن أحدكم مرآة أخيه فإن رأى به أذى فليمطه عنه"<sup>5</sup>.

**التناصح:** لن يستقيم الدين في المجتمع، ولن تكون دعائمه وطيدة في أعماق الحياة، إلا إذا اتخذت لذلك سبل النصح وطرائق الإرشاد.

<sup>1</sup> محمد حسن الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج1، ص 433.

<sup>2</sup> أخرجه البخاري، ج3، ص1282، ح3290.

<sup>3</sup> سورة الإسراء: الآية 34.

<sup>4</sup> أخرجه البخاري، ج1، ص21، ح534، ومسلم، ج1، ص56، ح219.

<sup>5</sup> أخرجه البخاري، ج2، ص862، ح2310، ومسلم، ج8، ص10، ح6706.

فعن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "الدين النصيحة" قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله، ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"<sup>1</sup>.

**عيادة المريض:** يعتبر المريض من الأفراد الذين مسهم الضعف، فحال دون مواصلة السيرة الاجتماعية، وقطع صلتهم بالأحياء والخلائق، لذا فهم في حاجة ماسة إلى زيارة الأحباب والإخوان والخلائق ليشعروهم بعنايتهم وتتبع أحوالهم، وبأخوتهم وحبهم المتواصل والدائم لهم.

وكان اهتمام الإسلام كبيرا بهذه الفئة التي يمكن أن يعزلها المرض عن المجتمع، إذ جعل زيارتها حق يجب أدائه للإبقاء على جبل المودة والألفة والمحبة التي لا تخلو منها علاقة المسلمين فيما بينهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "حق المسلم على المسلم خمس، رد السلام، وعيادة المريض، وإتباع الجنائز وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس"<sup>2</sup>.

ولم يجعل ديننا عيادة المريض حق من حقوق المريض فحسب، بل أكثر من ذلك، إذ جعلها من سبل الظفر بالجنة، لأن ما يدفع هذا الزائر لمثل هذا الفعل هو حبه لله وفي الله.

قال ﷺ: "من عاد مريضا، أو زار أخا له في الله تعالى ناداه مناد أن طيب وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلا"<sup>3</sup>.

**التهادي:** الهدية رمز للمحبة والمودة وطريق للسلام والوئام.

يقول ﷺ: "تهادوا وتحابوا"<sup>4</sup> وقد أصّل الإسلام لهذه المبادئ والأخلاقيات والسلوكيات عندما حارب كل همسة من شأنها أن تتسبب في قطع جبل التواصل المبني على الأخوة والمحبة التي أمر بها المولى عز وجل.

<sup>1</sup> أخرجه مسلم، ج1، ص53، ح205.

<sup>2</sup> أخرجه البخاري، ج1، ص418، ح1183، ومسلم، ج7، ص3، ح5776.

<sup>3</sup> أخرجه مسلم، ج8، ص12، ح6717 من حديث ثوبان.

<sup>4</sup> أخرجه الترمذي، ج4، ص441، ح2130.

محاربة الظلم الاجتماعي: يقول تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْعَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾<sup>1</sup>، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾<sup>2</sup>، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾<sup>3</sup>.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه"<sup>4</sup>.

### محاربة الآفات الاجتماعية:

1- شهادة الزور: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ حِنْدِ رَبِّهِ وَأَحْلَتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾<sup>5</sup>.

2- التجسس: الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>6</sup>.

3- السب: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "سباب المسلم فسوق، وقتله كفر"<sup>7</sup>.

4- الظن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> سورة غافر: الآية 18.

<sup>2</sup> سورة الحج: الآية 71.

<sup>3</sup> سورة هود: الآية 102.

<sup>4</sup> أخرجه البخاري، باب المسلم من سلم المسلمون، ج 1، ص 12، ح 171، ومسلم، ج 1، ص 4، ح 170.

<sup>5</sup> سورة الحج: الآية 30.

<sup>6</sup> سورة الحجرات: الآية 12.

<sup>7</sup> أخرجه الترمذي، ج 4، ص 353، ح 1983.

<sup>8</sup> سورة الحجرات: الآية 12.

5- الاحتقار: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ مَّسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ مَّسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَابِ بِنِسِ الْأَسْمِ الْمُسَوِّقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>1</sup>.

6- الشماتة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>2</sup>.

7- الطعن: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "اثنان من الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت"<sup>3</sup>.

8- الغدر: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾<sup>4</sup>. عن ابن مسعود وابن عمر وأنس رضي الله عنهم قالوا: قال النبي ﷺ: "لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال هذه غدره فلان"<sup>5</sup>.

9- الرشوة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لعنة الله على الراشي والمرتشي"<sup>6</sup>.

يقول ﷺ: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله تعالى، المسلم أخوه المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه، التقوى ههنا، التقوى ههنا، ويشير إلى صدره، ألا لا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> سورة الحجرات: الآية 11.

<sup>2</sup> سورة النور: الآية 19.

<sup>3</sup> أخرجه مسلم، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة على الميت، ج1، ص58، ح236.

<sup>4</sup> سورة الإسراء: الآية 34.

<sup>5</sup> أخرجه البخاري، ج3، ص1164، ح3015، ومسلم، ج5، ص141، ح4627.

<sup>6</sup> أخرجه ابن ماجه، ج2، ص775، ح3313، وأحمد، ج11، ص391، ح6778.

<sup>7</sup> أخرجه البخاري، ج5، ص1976، ح4849.

ولم يكتف الرسول ﷺ بدعوة المسلمين إلى الإخاء والتواد والتراحم، والتعاطف، والتعاون، والتماسك، بل مارس ذلك في المجتمع الإسلامي منذ بداية تأسيسه في المدينة المنورة.

إن في عملية المؤاخاة التي قام بها النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار وما ترتب عليها من تقوية روابط الأخوة والمحبة والتكافل بين المسلمين لانتصار عظيم لنبي الإنسانية جمعاء.

إن لمثل هذا الفعل آثاره البعيدة في استقرار المجتمع الإسلامي بالمدينة المنورة مما ساعد على تفرغ المسلمين من أجل العمل على نشر الدعوة الإسلامية التي حطمت أسوار الشرك وبددت ظلمة الجهل واقتلعت جذور عبودية الإنسان لأخيه الإنسان لتغرس مكانها الحب والذي يجعلهم يتبوأون منزلة لا تضاهيها منزلة، ويغبطهم عليها النبيون والشهداء.

قال أبو إدريس الخولاني لمعاذ: إني أحبك في الله، فقال له: أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس وهم لا يفرحون، ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فقيل: من هؤلاء يا رسول الله؟ فقال: هم المتحابون في الله تعالى".

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور وليسوا بأنبياء ولا شهداء، ويغبطهم النبيون والشهداء، فقالوا يا رسول الله صفهم لنا، فقال: هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله، والمتزاورون في الله".

قال ﷺ: "أوثق عرى الإيمان، الحب في الله والبغض في الله"<sup>1</sup>.

عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: "إن رجلا زار أخا له في الله فأرصد الله له ملكا فقال: أين تريد؟ قال: أريد أن أزور أخي فلانا، فقال: حاجة لك عنده؟ قال: لا، قال: لقراءة بينك وبينه؟

<sup>1</sup> أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه من حديث البراء بن عازب، ج7، والبيهقي في شعب الإيمان باب أوثق عرى الإيمان، ج1، والطيالسي في مسنده باب أي عرى الإيمان أوثق، ج2، وصحيح الجامع 2539 للألباني.



قال: لا، قال: فبنعمة له عندك؟ قال: لا، قال: فبم؟ قال: أحبه في الله، قال: فإن الله أرسلني إليك يخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة"<sup>1</sup>.

وقد اختصر شيخ الإسلام -ابن تيمية- الخلق الحسن مع الناس في قوله: "وجماع الخلق الحسن مع الناس: أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام والدعاء له والاستغفار والثناء عليه، والزيارة له وتعطي من حرمك من التعليم والمنفعة والمال، وتعفو عمن ظلمك في دم أو مال أو عرض، وبعض هذا واجب وبعضه مستحب"<sup>2</sup>.

كان العالم يئن تحت وطأة الضلال الروحي، والاضطراب النفسي، والانقسام الطبقي، سيد ومسود، حر وعبد، حاكم ومحكوم، ذكر وأنثى، أبيض وأسود، وهذا من عنصر وذاك من عنصر آخر، مما تولد عنه الصراع النفسي المقيت الذي يمزق كل العرى الإنسانية.

خرجت هذه الشريعة على العالم تبعث قسما ت المحبة والألفة لتفضي على كل ما كمن في النفوس، من بغض وكراهية، بعد أن خلصته من أغلال الشرك والعبودية والعنصرية، والطائفية والطبقية.

جاء دستور السماء بالدواء الشافي لكل أنواع الأسقام، ورسم كل السبل التي تهدف إلى عقد رباط وثيق بالخالق طمعا في مرضاته وحبّه، ووحدت الصف وجمعت الشمل، ومنتت بالحب الروابط، وأوجدت الألفة، ونشرت المساواة بعد أن وضعت الأسس الصحيحة للأخوة الإيمانية الصادقة من بينها:

### المساواة في غريزة التدين والانتساب للخالق:

إن المنهج الإسلامي لم ينشأ في فراغ، ولم ينشأ في قوالب ومظاهر مثالية، إنما ينشأ في الواقع، الواقع الموضوعي للحياة الإنسانية، فينطلق من أغوارها وأعماقها ومشاعرها الباطنية بواقعية، واقع الإنسان من حيث هو إنسان لما يحمل من غرائز روحية ومادية، ولهذا فهو يساوي

<sup>1</sup> أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل الحب في الله ج16 ح2567.

<sup>2</sup> أحمد ابن تيمية: الزهد والورع والعبادة، تحقيق عماد سلامة، إشراف محمد عويضة، شركة الشهاب، الجزائر، ص90.

بين الناس جميعا في إيداع أهم الغرائز في ذواتهم، وهي غريزة التدين، والشخص نحو المطلق، ويسوي بينهم في التأثير الوجداني بعالم الغيب<sup>1</sup>.

يقول بوشيت: "إن اعتقاد الأفراد والنوع الإنساني بأسره في الخالق اعتقادا اضطرارا قد نشأ قبل حدوث البراهين الدالة على وجوده، مهما صعد الإنسان بذاكراته في تاريخ طفوليته، فلا يستطيع أن يجد الساعة التي حدثت فيها عقيدته بالخالق، تلك العقيدة التي نشأت صامتة، وصار لها أكبر الآثار في حياته"<sup>2</sup>.

وغريزة التدين مشتركة بين الناس جميعا كما ورد في معجم لاروس للقرن العشرين "إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، حتى أشدها همجية، وأقربها إلى الحياة الحيوانية... وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي، وبما فوق الطبيعة هو إحدى التزعات الخالدة للإنسانية"<sup>3</sup>. وقال باسكال: "... كل شيء غير الله لا يشفي لنا غليلا"<sup>4</sup>.

وقد أكد القرآن الكريم على هذه الحقيقة بقوله: ﴿وَلَكِنَّ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>5</sup>.

ويقول الرسول ﷺ: "يولد الولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"<sup>6</sup>.

والناس متساوون في موجبات الهداية، وموجبات الإيمان، فكل ما في الكون ينطق بما زودتهم به الفطرة، ولإعمال العقل الدور الأكبر في تحريك حقيقة وحدانية الله عز وجل من خلال التفكير في الكون والحياة وفي أنفسهم يقول الله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَهْلًا تُبْصِرُونَ﴾<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> شهاب الدين الحسيني: مبادئ العلاقات وحقوق الأقليات الدينية، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، 1423هـ - 2003م، ص 13.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، عن دائرة المعارف القرن العشرين 1/483، ص 14

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، عن معجم لاروس للقرن العشرين (الدين/82)، ص 14

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، عن دائرة المعارف القرن العشرين 1/482، ص 14

<sup>5</sup> سورة لقمان: الآية 25.

<sup>6</sup> أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين ج 3 ح 1385.

<sup>7</sup> سورة الذاريات: الآية 21.

ويقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>1</sup>.

ويقول: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونٍ مِنْ بَطُونٍ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>2</sup>.

والناس متساوون في الرأفة، والرحمة الإلهية، يقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>3</sup>.

ويقول: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾<sup>4</sup>.

ويقول: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾<sup>5</sup>.

والهنا الواحد الأحد سوى بين كل عباده في الخصائص الإنسانية، فمصدر النشأة والابتداء واحد.

كما سوى بينهم في العقوبة إن غيروا المسلك الذي رسمه لهم المولى عز وجل في كل مجالات حياتهم، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ مَلَكِي أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾<sup>6</sup>.

وهذا المسلم عنوانه الإسلام، وهو الدين الذي حمل رايته جميع الأنبياء والمرسلين، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ مِثْقَالَ حَبِّ الْإِسْلَامِ... سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>7</sup>.

أي: أن جميع الملل والشرائع التي جاء بها الأنبياء روحها الإسلام والانقياد والخضوع لله تعالى، وإن اختلفت في بعض التكليف، وصور الأعمال، وبه كان الأنبياء يوصون، فالمسلم

<sup>1</sup> سورة الرعد: الآية 03.

<sup>2</sup> سورة النحل: الآية 78.

<sup>3</sup> سورة البقرة: الآية 207.

<sup>4</sup> سورة الشورى: الآية 19.

<sup>5</sup> سورة البقرة: الآية 163.

<sup>6</sup> سورة العنكبوت: الآية 34.

<sup>7</sup> سورة آل عمران: الآية 19.

الحقيقي من كان خالصا من شوائب الشرك مخلصا في كل أعماله، ولا اعتبار لزمان أو مكان وجوده<sup>1</sup>.  
عندما تطمس الفطرة وتحجر العقول، وترضى بالموروث الديني أبا عن جد، دون تنقيته مما علق  
به من شوائب عندها ينحرف الإنسان عن المنهج السليم، ويتيه في غياهب الضلال، فيشوّه المفاهيم،  
يُغيب الحقائق، ويخلق دينا على مقياس الهوى.

وقد أكد الرسول ﷺ هذه الحقيقة في حوارهِ مع اليهود: "قالوا له: يا محمد، أُلست تزعم أنك  
على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها من الله حق؟ فأجابهم: بلى، ولكنكم  
أحدثتم وحدثتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها، وكنتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس،  
فبرئت من إحدائكم"<sup>2</sup>.

لكن رغم هذا الحيف، والشذوذ الديني، يبقى الإنسان في نظر الإسلام مخلوق متميز عن سائر  
المخلوقات، بما حباه الله من تكريمات. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾<sup>3</sup>.

وآيات التكريم الواردة في القرآن الكريم لم تكن خاصة بفئة من الناس دون غيرهم، بل هي عامة  
لجميع الأجناس، على اختلاف ألوانهم، وألسنتهم، ومعتقداتهم.

ولذا أكد الإسلام صيانة الكرامة الإنسانية، ووضع تشريعات وقوانين لحمايتها وصيانتها، فحرم  
إيذاء الإنسان لأخيه الإنسان مهما كان نوعه، ووضع تشريعات وقوانين لإشاعة القيم النبيلة والأخلاق  
الفاضلة في التعامل مع بني الإنسان، لأن في الإسلام السلام، والرحمة، والرفقة والمحبة... ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ  
إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>4</sup>.

علاقة الفرد المؤمن بغير المؤمن: يقول الله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا  
الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ... ذُرِّ السَّمَاءِ الْعَظِيمِ﴾<sup>5</sup>. وقال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ... إِنْ  
اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>6</sup>. وقال: ﴿لَتُبْلَوْنَ فِيهِ أُمُورًا كَثِيرًا... مِنْ مَنَازِلِ الْأُمُورِ﴾<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج10، دار إحياء التراث، د.ت، ص 119.

<sup>2</sup> أبو محمد عبد الملك بن هشام المعاري: السيرة النبوية، ج2، قدم لها وعلق عليها وضبطها طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ص 217.

<sup>3</sup> سورة الإسراء: الآية 70.

<sup>4</sup> سورة الأنبياء: الآية 107.

<sup>5</sup> سورة البقرة: الآية 105.

<sup>6</sup> سورة البقرة: الآية 109.

<sup>7</sup> سورة آل عمران: الآية 186.

إذا كان القرآن الكريم نهي أتباعه عن موالاة غير المؤمنين، واتخاذهم بطانة وأحلاء فثمة أسباب بنى عليها هذا النهي يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ... صُدُّوا عَنْكُمْ كِثْرًا ۗ﴾<sup>1</sup> وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مِّن مِّنِين﴾<sup>2</sup>.

لكن في الوقت نفسه نجد القرآن الكريم بأمر بالمعاملة الحسنة إليهم للأسباب السالفة الذكر، ولأن الجميع يتنفس من نفخة الله الروحية فاستبقاء أسباب الود في القلوب والنفوس قائمة بين الطائفتين إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

ولأن الإسلام جاء من أجل إتمام مكارم الأخلاق وتقريرها في الواقع المعاش، فجاءت توجيهاته وتعاليمه لإنابة القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة في التعامل الإنساني، وقد جسّد النبي ﷺ تلك القيم في تعامله مع غير المسلمين.

فقد عاد غلاماً يهودياً في جوار، وجلس عند رأسه، رغم الأذى الذي سببه له<sup>3</sup>.

ومرت عليه جنازة فقام لها، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: "أليست نفساً"<sup>4</sup>.

وفي موقف آخر غضبت إحدى زوجاته على اليهود الذين قالوا له: السم عليك، بدلاً من السلام عليك فأجابها: "... إن الفحش لو كان ممثلاً لكان مثال سوء، إن الرفق لم يوضع على شيء قط إلا زانه، ولم يرفع عنه قد إلا شأنه"<sup>5</sup>.

وقد جسّد الخلفاء من بعده أخلاقه ﷺ في التعامل مع غير المسلمين، وكانوا يسمعون إلى شكواهم واقتراحاتهم، ويوصون بحسن السيرة معهم.

<sup>1</sup> سورة آل عمران: الآية 118.

<sup>2</sup> سورة المائدة: الآية 57.

<sup>3</sup> شهاب الدين الحسيني: مبادئ العلاقات وحقوق الأقليات الدينية، ص 20، عن المهذب في فقه الإمام الشافعي، 2/292.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 35، عن اللؤلؤ والمرجان، ص 195.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 56، عن الكافي، 2/648.

ففي عهد الإمام علي رضي الله عنه لواليه على مصر أوصى بالرحمة مع الناس مسلمين وغير مسلمين "واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق"<sup>1</sup>.

وفي مجلس ضم المسلمين والنصارى عطس رجل نصراني، فقال له المسلمون "هداك الله، فقال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: قولوا: "يرحمك الله"، فقالوا له: إنه نصراني، فقال: لا، يهديه الله حتى يرحمه"<sup>2</sup>.

وحتى يتولد هذا الود، والتآلف بين الطائفتين فقد أباح الإسلام زواج المسلم بالكتابية، ولم يفرق القرآن في ذلك بين النصرانية واليهودية. ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَآئِمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَكَوْاْ أُعْجِبْتُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَكَوْاْ أُعْجِبْتُمْ أُولَئِكَ يَدْخُلُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْخُلُ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةَ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾<sup>3</sup>، ﴿الْيَوْمَ أَجَلٌ لَّكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلْلٌ لَهُمْ وَالْمُنْعَنَاتِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُنْعَنَاتِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُنْصِفِينَ خَيْرٌ مِّسَافِحِينَ وَلَا مَنَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>4</sup>، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قِسْيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾<sup>5</sup>.

وفي إباحة مثل هذه العلاقة دليل على أن الإسلام لا يعرف التعصب ولا يدعو إليه، لأنه من الأسباب التي تخلق الكراهية، والبغض وتقترب الود والمحبة في القلوب الإنسانية.

والمبادئ الأخلاقية للإسلام واحدة في حالة السلم، أو في حالة نشوب الحرب، والإسلام لم يرغب في القتال ولم يدع إليه، لأن الأصل فيه السلام، والقتال، أمر طارئ، تفرضه الظروف والتحديات وحتى في خضم هذه الظروف، فالإسلام ينتهز كل الفرص للعمل بالأصل وللحماية

<sup>1</sup> شهاب الدين الحسيني: مبادئ العلاقات وحقوق الأقليات الدينية، ص58، عن نهج البلاغة، ص427.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص60، الكافي، 656/2.

<sup>3</sup> سورة البقرة: الآية 221.

<sup>4</sup> سورة المائدة: الآية 05.

<sup>5</sup> سورة المائدة: الآية 82.

على سلامة القلوب من الأحقاد، والضغينة. يقول تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>1</sup>.

وكان النبي ﷺ ينهى عن تمني لقاء العدو فيقول: "لا تتمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموه فاصبروا"<sup>2</sup>. والكفر في ذاته لا يبيح قتال أصحابه، إنما يبيحه اعتداؤهم ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَطْلُونِ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطْنَا عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ احْتَمَلْتُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوْمَ إِلَى كُمْ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾<sup>3</sup> ﴿سَيَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَحْتَضِرُوا لَكُمْ أُبَدِلُوا بِالْآخَرِينَ وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلٌ﴾<sup>4</sup>.

ولم يشرع القتال في سبيل الله -الجهاد- للسيطرة على الأراضي، وطمعا في الغنائم، ولا لمجد شخصي أو قومي أو طبقي، وإنما لإعلاء كلمة الله تعالى، ودفاعا عن المفاهيم والقيم النبيلة التي يحاول أعداؤه تعطيلها وإلغائها، أو ردعا للعدوان الواقعي أو المحتمل الوقوع.<sup>5</sup> والإسلام قد قنن علاقة المؤمنين بغيرهم في مثل هذه الأوضاع.

- ابتداءً منى أتباعه عن الاعتداء عليهم ماداموا مسالين ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>6</sup>.

- أمر ببرهم وقسطهم ماداموا لم يرفعوا السيف في وجوههم ولم يظاهروا عدو عليهم ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا بِعَدَاوَتِكُمْ أَنْ تَتَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>7</sup>

<sup>1</sup> سورة الأنفال: الآية 61.

<sup>2</sup> أخرجه مسلم، باب كراهية تمني لقاء العدو، ج5، ص143، ح4640.

<sup>3</sup> سورة النساء: الآية 90.

<sup>4</sup> سورة النساء: الآية 91.

<sup>5</sup> محمد إبراهيم مهنا: الإنسان في القرآن الكريم، من التفسير الموضوعي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص 13.

<sup>6</sup> سورة البقرة: الآية 190.

<sup>7</sup> سورة الممتحنة: الآية 8-9.



وفي حال استحكام العداوة، وتكون الظروف مهددة باحتمال وقوع حرب، وضع الإسلام كل واق ما من شأنه يبعد المواجهة بين الطرفين حتى وإن كان المسلمون في قمة قواهم، فأوصى بقبول كل الشروط التي يعرضها المخالفون إذا كانت تؤدي لحقن الدماء، وصيانة الحرمات، وحسن العلاقات بين الجانبين<sup>1</sup>.

والمعاهدة التي وقعها النبي ﷺ في صلح الحديبية لأكبر دليل على أن هذا الدين دين سلام، لا حرب، والمعاهدات الإسلامية ليست حبرا على ورق، بل هي عقود دينية، يجب باسم هذا الدين تنفيذها بكل دقة وأمانة حتى مع الوثنيين ﴿الَّذِينَ مَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ مَّعَدَتَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>2</sup>.

و بموجب هذا العقد الرباني أمر بـ:

احترام جوارهم: وتحريم قتالهم يقول ﷺ: "من قتل معاهدا متعهدا في غير كنهه حرّم الله تعالى عليه الجنة"<sup>3</sup>. وقال ﷺ: "من ظلم معاهدا أو انتقصه، أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة"<sup>4</sup>.

وإن أصبحت الحرب أمرا واقعا، وتوجب على المؤمنين التصدي، والدفاع عن دينهم، وأنفسهم، وأعراضهم وأموالهم، فلا يتعدى الجاهد في سبيل الله، حدود ساحة المعركة، فلا تقتل المرأة في بيتها، والراهب في معبده، والفلاح في مزرعته يقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾<sup>5</sup>، كما نهى عن التشفي والتمثيل التزاما بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> محمد عبد الله دراز: في العلاقات الاجتماعية والدولية، ص 136.

<sup>2</sup> سورة التوبة: الآية 04.

<sup>3</sup> أخرجه أحمد، ج 34، ص 12، ح 2377.

<sup>4</sup> أخرجه أبو داود، ج 3، ص 136، ح 354.

<sup>5</sup> سورة البقرة: الآية 190.

<sup>6</sup> سورة البقرة: الآية 190.

وفي الحال الذي ترفع الحرب أوزارها، فالصفح عن الماضي مطلوب، ولا يستمر في تتبع الذين يطلبون الأمان ويرفعون راية السلام ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مِنَّا تَبَتَّغُونَ مَخْرَجَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾<sup>1</sup>.

وما كان من النبي ﷺ مع الذين ناصبوه العدا والحرب أكثر من عشرين سنة، يوم فتح مكة، لأنصع صورة من صور السلام، والتسامح والمحبة التي دعا إليها، وتسع كل القلوب، وتجمعهم في قلب واحد اسمه -قلب الحب-.

وما ذكر في هذا الجانب -حب المؤمنين لغيرهم- فطرة من تعاليم هذا الدين، وبها يفتح ديننا باب المحبة على مصراعيه ليحتضن جميع خلقه، يقول الله تعالى: ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَرِهْتُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>2</sup>.

وإذا كان الواقع الإسلامي اليوم لا يعكس في معاملاته اليوم صور المحبة -إلا في فئة قليلة- فتفسير هذا الجفاء، أن بعض الأتباع -أو المدعين الانتماء لهذا الدين- أنهم أصيبوا بشذوذ أخلاقي فضيع، لا دواء، ولا علاج له، إلا بالرجوع إلى كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ.

وأجنب الكلام عن مثل هذا الشذوذ لأنه لا مكان له في هذا الموضوع، ولأني سأجرح المحبة في الأعماق ويبقى التصوف هو الميدان الخصب الذي يحيي فيه هذا الخلق بكل معانيه الربانية.

### المطلب الثالث. مقام المحبة في التصوف الإسلامي:

#### معنى التصوف لغة:

إن هذا العلم أسأل الكثير من حبر أقلام المهتمين، لكن دون تعريف متفق عليه، ولفظ محدد له، واختلفوا حتى في أصل لفظة التصوف، وإلى ما تشير إليه وقيل الكثير في أصل الكلمة:<sup>3</sup>

1- التصوف: تشتق من لفظ "سوفيا" اليونانية، والتي معناها الحكمة ويكون بذلك التصوف هو: طلب الحكمة مهما كانت وأينما كانت.

<sup>1</sup> سورة النساء: الآية 94.

<sup>2</sup> سورة الممتحنة: الآية 07.

<sup>3</sup> عبد الرزاق نوفل: التصوف والطريقة إليه، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص 15.

2- وقيل مشتقة من أهل الصفة، وهم قوم من فقراء المسلمين أقعدتهم ظروفهم أيا كانت هذه الظروف عن السعي والكسب فأقاموا في صفة المسجد وهي مؤخرة مسجد النبي ﷺ بالمدينة لا يشغلهم أي شيء عن العبادة والاستغراق فيها وهؤلاء من قال فيهم القرآن الكريم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَمْثِيَاءَ مِنَ النَّعْمَةِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾<sup>1</sup>.

3- التصوف من لبس الصوف: فمن ارتدى الصوف عامدا لبسه، قاصدا هدفه فقد تصوف ولبس الصوف كان علامة الزاهدين وأمارة العابدين على مر الأزمان ولعل الرسل أول من سبقوا لهذا النوع من اللباس لاشتغالهم بالرعي وكانوا يحصلون عليها من أغنامهم ويغزلونها بأيديهم، ويرتدونها سترا لعورتهم.

4- التصوف: هو الالتزام بالاتصاف بالصفات الحميدة التي أوردتها الأديان في رسالاتها.

6- يقال: أنها من التصفية: تصفية فكر وعمل ويقين الإنسان من كل ما هو غير الله سبحانه ثم حتى يصبح من عباد الله المخلصين.

لكن قوبلت هذه التعاريف بردود كثيرة لأن هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفي وللجماعة صوفية، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له: متصوف، وللجماعة المتصوفة، وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس والاشتقاق، والأظهر فيه أنه كاللقب<sup>2</sup>.

فأما من قال أنه من الصوف، وتصوف إذا لبس الصوف القوم لم يختصوا بلبس الصوف.

ومن قال أنهم متسوبون إلى صفة مسجد رسول الله ﷺ فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي.

ومن قال أنه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفا بعيد في مقتضى اللغة.

ومن قال أنه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى، فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف.

<sup>1</sup> سورة البقرة: الآية 273.

<sup>2</sup> أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك ابن طلحة القشيري: الرسالة القشيرية، ج2، تحقيق عبد الحليم محمود وابن الشريف، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 2003، ص 126.

وهذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق، وتكلم الناس في التصوف ما معناه، وفي الصوفي من هو، فكل عبّر بما وقع به<sup>1</sup>.

### معنى التصوف اصطلاحاً:

تعددت، واختلفت تعاريف التصوف، بتعدد مدارس، ومثل هذا الاختلاف، ليس باختلاف تغاير في المفهوم، ولكنه اختلاف إحاطة بأطراف الحقيقة، فمنهم من يجمع منها طرفاً واحداً، ومنهم من يجمع أكثر من طرف، ومنهم من يشير إشارة، أو يلوح تلويحاً، ومنهم من يرنوا إلى الغاية، ومنهم من يتحدث عن الوسيلة، كل حسب وقته وحاله، وحسب المناسبة التي ورد الحديث في شأنها، والتركيز على ناحية من نواحي التصوف تبعاً لذلك<sup>2</sup>، يقول أبو القاسم القشيري: "وتكلم الناس في التصوف، ما معناه؟ وفي الصوفي: من هو؟ فكل عبّر بما وقع له"<sup>3</sup> ومهما اختلفت التعريفات وتعددت فإنها تلتقي عند رتبة من التزكي والتقوى عن طريق الهجرة إلى الله.

يقول أبو القاسم القشيري: "وتكلم الناس في التصوف، ما معناه؟ وفي الصوفي: من هو؟ فكل عبّر بما وقع له"<sup>4</sup>

سئل أحدهم عن التصوف فقال: التصوف عنوة لا صلح فيها

وقال آخر: التصوف أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام.

وقيل: أن تملك شيئاً ولا يملكك شيء.

كما قيل: التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق.

وقيل أيضاً: التصوف مبني على ثلاث خصائل: التمسك بالفقر، والافتقار والتحقق بالبذل،

والإيثار وترك التعرض والاختبار.

وقيل في المتصوفة: هم أهل بيت واحد لا يدخل فيه غيرهم.

<sup>1</sup> الرسالة القشيرية، ج2، ص 126.

<sup>2</sup> عبد الفتاح عبد الله بركة: في التصوف والأخلاق، دراسات ونصوص، ص 56.

<sup>3</sup> الرسالة القشيرية، ج2، ص 511.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 551.

وردّ ابن خلدون هذه الكثرة في التعاريف للتصوف والمدلولات إلى عاملين أساسيين:<sup>1</sup>  
 أولها: أن الصوفية لم يقصدوا بها تعريف التصوف علمياً بل قصدوا بها التعبير عن أحوالهم  
 ومواجيدهم المتغيرة. ولاشك أن الغزال العالم قد سبق بهذه الملاحظة ابن خلدون.  
 ثانيهما: اتساع مرافق ومجالات الحياة الإسلامية تبعاً لاتساع الدولة، واشتمالها على ثقافات  
 دينية سابقة على الإسلام، وصراع عنيف بين هذه التيارات الداخلية، والتراث القديم، والدين  
 الجديد في مفهوماته الدنيوية والأخروية.

وذهب أحد العلماء إلى تفسير هذه الكثرة لصدق أهله -التصوف- في توجيههم إلى الله  
 تعالى: "وقد حد التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ نحو الألفين، مرجع كلها لصدق التوجه إلى الله  
 تعالى، وإنما هي وجوه فيه، والله أعلم"<sup>2</sup>.

وصدق التوجه إلى الله تعالى هي أعلى منزلة يصل إليها العابد، وهي منزلة الإحسان.

"أصل التصوف مقام الإحسان الذي فسره رسول الله ﷺ بـ"أن تعبد الله كأنك تراه فإن  
 لم تكن تراه فإنه يراك"<sup>3</sup> لأن معاني صدق التوجه لهذا الأصل راجحة، وعليه دائرة، إذ لفظه دال  
 على طلب المراقبة الملزومة به<sup>4</sup>.

ومهما اختلفت التعريفات وتعددت فإنها تلتقي عند رتبة التزكي والتقوى عن طريق الهجرة  
 إلى الله تعالى.

والتصوف جزء لا يتجزأ عن أجزاء هذا الدين الذي علمه جبريل عليه السلام النبي ﷺ  
 وتعلمه الصحابة عن أعظم الخلق محمد ﷺ.

فالتصوف علم ومعرفة وعبادة، لأن كل علم يعرف به الإنسان ربه، ويشير إلى المعرفة  
 الكبرى والحقيقة الأولى، وهي وجود الله ووحدانيته، ويبدل الإنسان فيه كل جهده وعرقه ليحقق

<sup>1</sup> طلعت غانم: أضواء على التصوف، جامعة الأزهر، أصول الدين، عالم الكتب، القاهرة، نقلاً عن ابن خلدون: شفاء  
 المسائل، ص 48-49.

<sup>2</sup> أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد زروق: قواعد التصوف، صححه ونقحه محمد زهري النجار، راجعه علي معبد فرغلي،  
 ط2، 1396هـ-1976م، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص 3.

<sup>3</sup> أخرجه البخاري، ج4، ص1793، ح4499، ومسلم، ج1، ص30، ح106 عن أبي هريرة.

<sup>4</sup> أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد زروق: قواعد التصوف، ص 05.

به خلافته في أرضه، ويتعبد بكل قلبه ووجدانه فيخلي ما بداخله عما سوى الله، فهو من التصوف<sup>1</sup>.

وإذا كانت الآراء قد تعددت واختلفت حول مفهوم التصوف، فكان ذلك أيضا حول مكان وزمان بدايته

**بداية التصوف:** اختلفت الآراء حول مكان وزمان بداية التصوف، فمن الأقوال التي جعلت من الشرق الإسلامي مكان بدايته، والزهد هو بدايته، وقد مارسه المسلمون بعد أن تفهموا آيات القرآن الكريم، واستوعبوا ما جاء به بخصوص الجنة والنار والثواب والعقاب وتحدد ووضح في القرن 03هـ.

ومن الأقوال التي أرجعت بدايته إلى بلاد المسيحية، وبالذات لحركة الرهبة التي عايشها رهبانهم في الأديرة.

وقول ثالث يرجع التصوف إلى حياة التعبد التي عاشها أحرار اليهود في أيامهم الأولى.

ومن قال أن بدايته اليونان، وهذا الرأي يقول به من قال أن التصوف مشتق من لفظ سوفيا اليونانية.

ومن قال أيضا أن بدايته قديمة جدا انتشر من الشرق الأقصى في الصين القديمة ومن قال أنه وجد في القرون الغابرة في بلاد الهند<sup>2</sup>.

ومن يتدبر تعاريف التصوف المختلفة لوجد أن كلها تهدف إلى سلوك الطريق إلى الله، ومحاولة الاتصال به وحبّه قدر الطاقة وجهد الاستطاعة وحبّه كما يجب أمر فوق طاقة وجهد الإنسان وأكبر من حد الاستطاعة، وبداية سلوك الإنسان هذا الطريق -حبّ الله- بدأت ببداية خلق الإنسان<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد الرزاق نوفل: التصوف والطريق إليه، ص 11.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 25.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 27.

أب البشرية آدم عليه السلام أول من تلقى من ربه العلم والمعرفة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>1</sup>.

وشاهد تكريم الله له، بسجود الملائكة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>2</sup>.

وهياً له الحياة الكريمة في الجنة ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾<sup>3</sup>.

وبعد أن زل، وأخطأ في حق الله، وأكل من الشجرة التي نهي عنها رجع إلى ربه تائباً متضرعاً، طالبا العفو والمغفرة، فتاب الله عليه ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>4</sup>.

وبذلك يكون آدم أول من سلك طريقه إلى الله بعد علم ومعرفة... واستغفار وتوبة.

وكل الأنبياء سلكوا الطريق إلى الله وأخلصوا له العبادة، وما دعوتهم لأقوامهم إنما كانت لحب الله بعد أن عرفوه وأحبوه ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>5</sup>، "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَىٰ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّبَهُ عَلَيْهِ الضَّلَالَةَ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾<sup>6</sup>.

فسيدنا نوح عليه السلام بعد أن عرف الله، ناداه بكل صدق وصفاء، فكتب الله تعالى عليه سلامه وبركاته عليه ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾<sup>7</sup> ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ

<sup>1</sup> سورة البقرة: الآية 31.

<sup>2</sup> سورة البقرة: الآية 34.

<sup>3</sup> سورة طه: الآية 118-119.

<sup>4</sup> سورة البقرة: الآية 37.

<sup>5</sup> سورة الحج: الآية 75.

<sup>6</sup> سورة النحل: الآية 36.

<sup>7</sup> سورة الصافات: الآية 75.



كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي مِنْ أَطْمَرٍ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِيهِ ذِيئِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ<sup>1</sup>.

وإبراهيم عليه السلام الذي صدق بوجود الله ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيحًا<sup>2</sup>﴾.

ودعا قومه إليه، واعتزلهم لأجله بعد أن كذبه وتصدوا له ﴿وَأَمْتَزَلْتُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيحًا<sup>3</sup>﴾.

وكل الأنبياء عرفوا الله وسلكوا الطريق إليه وذكرهم الله عز وجل في كتابه ليكونوا قدوة لكل من يريد الوصول إلى الله كقوله تعالى في إسماعيل وإدريس ويونس ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكُتُبِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ يَحْتَدِ رَبَّهُ مَرْضِيًّا<sup>4</sup>﴾، ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكُتُبِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا<sup>5</sup>﴾، ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلِئْتَهُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ<sup>6</sup>﴾.

وأما سيدنا موسى عليه السلام قد ألقى عليه محبته منه، وشمله برحمة كبرى، وتقدير كريم ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمَمِّكَ مَا يُوحَىٰ<sup>7</sup>﴾، ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَمَّ لَمْتَ سَيْنِينَ فِيهِ أَهْلٌ مُّدِينٍ ثُمَّ جِئْتَهُ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ وَأَاطَقْنَعُوكَ لِإِنْفُسِي<sup>8</sup>﴾.

وسيدنا عيسى عليه السلام أتاه الله جل شأنه البيئات، وأيده بروح القدس، ومثل هذا التكريم الرباني لا يكون إلا لمن سلك طريقا إليه ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ

<sup>1</sup> سورة هود: الآية 78.

<sup>2</sup> سورة مريم: الآية 04.

<sup>3</sup> سورة مريم: الآية 48.

<sup>4</sup> سورة مريم: الآية 54-55.

<sup>5</sup> سورة مريم: الآية 56-57.

<sup>6</sup> سورة الصافات: الآيات 139-144.

<sup>7</sup> سورة طه: الآية 38.

<sup>8</sup> سورة طه: الآية 40-41.

بِالرُّسُلِ وَأَتَيْنَا مِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا بَيْنَ كَذِبَتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ<sup>1</sup> وأحبوه وأحبهم<sup>2</sup>.

وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، ابتغى كل السبل منذ نعومة أظافره للوصول إلى الله عز وجل فاتخذ من التفكير، والتأمل وسيلة للاهتداء، مارس الرياضة الروحية -الخلوة-، المتكررة، فوصل إلى الله، وأحبه، وبقدر جهده، وما وسعته طاقته، فكان القدوة لكل من يريد أن يحب الله ويحبه، واشترط لمحبة الله لعبده، محبة عبده لنيبه ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>3</sup>.

والتصوف بمعناه وهدفه، بدأ ببداية الإنسان، ولعل تأخر إطلاق الاسم -التصوف-، راجع إلى كون تأصله في الإنسان وفي حياته من توحيد الله وحبه، ولم تكن الحاجة ماسة لدراسة أحوال الناس، لأنهم يعيشون لله<sup>4</sup>.

وبعد أن أصبح التصوف علما مستقلا بذاته، صنفه العلماء أشرف العلوم، لأن مبدأه خشية الله التي هي نتيجة معرفته، ومقدمة إتباع أمره، وغايته إفراد القلب له تعالى، فلذلك قال الجنيد: "لو علمت أن تحت أديم السماء، أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه"<sup>5</sup>.

ولا يوصف بكونه أشرف العلوم فحسب، بل أيضا من أصعبها لأن طريقه شاق، ولا يصل إليه مريده إلا بعد جهد جهيد، وصبر طويل، حيث يمر صاحبه في طريقه عبر مراحل ويزل منازل عدة.

<sup>1</sup> سورة البقرة: الآية 87.

<sup>2</sup> عبد الرزاق نوفل: التصوف والطريق إليه، ص 28-30.

<sup>3</sup> سورة آل عمران: الآية 31.

<sup>4</sup> عبد الرزاق نوفل: التصوف والطريق إليه، ص 33.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 34.

## منازل الطريق:

قسّم أهل الطريق الصوفي طريقهم إلى مراحل، أو منازل، أو مقامات، وقد عمدوا إلى هذه التسمية تشبيهاً له بالطريق المادي، الذي يحتاج فيه المسافر إلى الراحة والتزود من جديد بعد تخطي كل مرحلة من مراحل سفره الطويل<sup>1</sup>.

وقد تعارف على تسميتها "بالمقامات والأحوال"، وهو المشهور من أسمائها. ولهذه المقامات والأحوال أهمية قصوى في طريق التصوف والاهتمام بها كان كبيراً، فكان لكل إمام من أئمة التصوف فيها مذهباً، بتقسيم خاص.

قسمها البعض كسراج الطوسي إلى سبعة أقسام: 1- التوبة، 2- الورع، 3- الزهد، 4- الفقر، 5- الصبر، 6- التوكل، 7- الرضا<sup>2</sup>.

أما المكي أبو طالب، والإمام الغزالي فقد عداها تسعة أقسام وهي: 1- التوبة، 2- الصبر، 3- الشكر، 4- الرجاء، 5- الخوف، 6- الزهد، 7- التوكل، 8- الرضا، 9- المحبة<sup>3</sup>.

ويراها الشيخ أبو النجيب السهروردي (563هـ) أربعة عشر مقاما وهي: 1- الانتباه، 2- التوبة، 3- الإنابة، 4- الورع، 5- محاسبة النفس، 6- الإرادة، 7- الزهد، 8- الفقر، 9- الصدق، 10- التصبر، 11- الصبر، 12- الرضا، 13- الإخلاص، 14- التوكل<sup>4</sup>.

وقسمها السهروردي إلى عشرة مقامات وعشرة أحوال وهي: 1- التوبة، 2- الورع، 3- الزهد، 4- الصبر، 5- الفقر، 6- الشكر، 7- الخوف، 8- الرجاء، 9- التوكل، 10- الرضا.

الأحوال: 1- المحبة، 2- الشوق، 3- الأنس، 4- القرب، 5- الحياء، 6- الاتصال، 7- القبض، 8- البسط، 9- الفناء، 10- البقاء<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عبد الفتاح عبد الله بركة: التصوف والأخلاق، ص 156.

<sup>2</sup> أبو عمر حاي بن سالم الحاي: اللمع في ذم المسائل التي لم تقع، دار إيلاف الدولية، الكويت، ط2، 1997، ص 68 وما بعدها.

<sup>3</sup> أبو طالب المكي: قوت القلوب، ج1، ص 178. أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، ص

<sup>4</sup> أبو النجيب عبد القاهر ابن عبد الله بن محمد السهروردي: آداب المريدين، يليه داعي الفلاح إلى سبل النجاح لمحمد بن محمد المرصفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص 21.

<sup>5</sup> أبو النجيب عبد القادر بن عبد الله السهروردي: كتاب عوارف المعارف، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983، ص 439 وما بعدها.

ويرجع السهروردي (632هـ) هذا الاختلاف في تفسير الأئمة للأحوال والمقامات للتداخل الكبير بين المقامات والأحوال في قوله "قد كثر اشتباه الحال والمقام، واختلفت إشارات الشيوخ في ذلك، ووجوه الاشتباه لمكان تشابهها في نفسها وتداخلها، فترأى للبعض الشيء حالا، وترأى للبعض مقاما، وكلا الرؤيتين صحيح لوجود تداخلهما"<sup>1</sup>.

واعتبر السهروردي الضابط المفرق بينهما "اللفظ والعبارة" إذ أن اللفظ والعبارة عنهما مشعر بالفرق، فالحال سمي حالا لتحوله، والمقام مقاما لثبوته واستقراره<sup>2</sup>.

ويرى الصوفية أن كل فضيلة لا تستغني بمقام عن حال، كالحال مقدمة المقام "الزهد حال ومقام، وفي التوكل حال ومقام، وفي الرضا حال ومقام"<sup>3</sup>.

والسالك لا يرقى من مقام إلى آخر إلا بزائد الأحوال، إلا أن من الأحوال "ما يصير مقاما ومنها ما لا يصير مقاما".

وسر ذلك يشرحه في قوله: "أن الأحوال لما كانت الموهبة غالبية عليها لم تتقيد وصارت الأحوال إلى ما لانهاية لها"<sup>4</sup>.

حتى وإن كان السهروردي متفقا مع مشايخ الصوفية فقي قولهم بأن المقامات مكاسب والأحوال مواهب، إلا أنه وبنظرة تحليلية نظر إلى أن "المكاسب محفوفة بالمواهب، والمواهب محفوفة بالمكاسب، فالأحوال مواجيد، والمقامات طرق المواجيد، ولكن في المقامات ظهر الكسب وبطنت المواهب، وفي الأحوال بطن الكسب وظهرت المواهب"<sup>5</sup>.

وبهذا القياس نستطيع أن نشير أيضا إلى أن المقامات والأحوال تتضمنها المكاسب "فمن خلال قيام العبد بمجاهدة نفسه تتوارد عليه الأحوال"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> أبو النجيب عبد القادر بن عبد الله السهروردي: كتاب عوارف المعارف، ص 423.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 423.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 425.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 426.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 424.

<sup>6</sup> عبد الفتاح عبد الله بركة: التصوف والأخلاق، ص 160.

يقول ابن خلدون: "المريد في مجاهدته وعبادته لا بد أن ينشأ له عن كل مجاهدة حال هي نتيجة لتلك المجاهدة"<sup>1</sup>.

والتداخل وارد بين المقامات والأحوال وللصوفية أقوال كثيرة في ذلك<sup>2</sup>. كما أن الإجماع قائم بين مشايخ الصوفية على أن التوبة هي بدء كل فضيلة فهي "أول مراحل الطريق، بل هي المدخل المقضي إليه، والقرين المتنقل في مدارجه من البداية إلى النهاية"<sup>3</sup>.

ويرى الباحثون في التصوف، أنه وإن اختلفت المسميات من مقامات، وأحوال، ومواهب، لا تخلو كلها من المعاني الخلقية<sup>4</sup>.

### المقامات والأحوال الصوفية والتدرج نحو الكمالات الخلقية:

إذا صحت نية المريد، وصح عزمه على سلوك طريق التصوف، يضع نصب عينيه طول، ووعورة هذا المسلك، ويعلم أن قطع الطريق ليس بمسألة مادية، بل هي مسألة نفسية، فهي كسر عقبات النفس، واستئصال خصالها المذمومة، واكتساب الصفات الحميدة.

ولطول الطريق ووعورته قسّمه أئمة الصوفية إلى مراحل، لأن معالجة النفس تحتاج إلى مدة يقيم السالك خلالها على مجاهدة نفسه ومعالجتها العلاج المناسب لوقته والملائم لدرجته، كما أن هذا الانقسام -الطريق-، إلى مراحل والتي تملئها طبيعة الأمور، تضيف للسالك معنوية قوية، تساعد على الاستئناف، وبذل المزيد من جهده.

وعندما يقطع السالك بسعيه وجهده مرحلة من عقبات النفس، ويصل إلى منتهاها يقيم فيها ولذلك تسمى مقاما<sup>5</sup> وهي:

<sup>1</sup> عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ج3، دار النهضة، مصر، ط3، 1979م، ص 1098.

<sup>2</sup> السهروردي: عوارف المعارف، ص 423.

<sup>3</sup> محمد الغزالي: الجانب العاطفي في الإسلام، دار الشهاب، باتنة، ص 173.

<sup>4</sup> أحمد محمود صبحي: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص 294.

<sup>5</sup> عبد الفتاح عبد الله بركة: التصوف والأخلاق، ص 157.

1- التوبة: وأول مقام أجمع عليه مشايخ الصوفية - كما سبق الذكر - هو: التوبة قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>1</sup>.

لقد أجمع كل من تحدثوا عن المقامات والأحوال أن التوبة هي بداية طريق المرید، ولا يصح مقام، إلا بعد أن يحكم أمرها.

ويقول صاحب الرسالة: "التوبة أول منزل من منازل السالکين وأول مقام من مقامات الطالبين"<sup>2</sup>.

ثم يبين حقيقة هذا المقام "وحقيقة التوبة في لغة العرب الرجوع، يقال: تاب أي: رجع، فالتوبة الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه"<sup>3</sup>.

ولصحة التوبة شروط "فأرباب الأصول من أهل السنة قالوا: شرط التوبة حتى تصح ثلاثة أشياء: الندم على ما عمل من المخالفات وترك الزلة في الحال، والعزم على أن لا يعود إلى مثل ما عمل من المعاصي فهذه الأركان لا بد منها حتى تصح توبته"<sup>4</sup>.

ويضيف حجة الإسلام "اعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور مرتبة: علم وحال وفعل، فالعلم الأول والحال الثاني، والفعل الثالث، والأول موجب للثاني، والثاني موجب للثالث إيجاباً اقتضاه اطراد سنة الله في الملك والملكوت"<sup>5</sup>.

2- الورع: فإذا أحكم المرید مقام التوبة، أصبح لا يخشى أي زلل، فلا يقدم على فعل إلا إذا كان من العبادة أو من الحلال الواضح، وذلك مصداقاً للحديث الذي رواه الستة: عن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال: "الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس... القلب"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سورة النور: الآية 31.

<sup>2</sup> الرسالة القشيرية، ج2، ص 45.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 45.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 45.

<sup>5</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، ص 3.

<sup>6</sup> أخرجه البخاري، ج1، ص28، ح52، ومسلم، ج5، ص50، ح7178.

فكل ما فيه شبهة فهو بين أمرين: إما أن يكون حلالاً لا يعرف وجه حله، وإما أن يكون حراماً، والحرام لا يجل أخذه، والأخذ به على وجه الشك فقد يكون حراماً وإثماً، والمريد قد عقد بتوبته نية عدم العودة إلى ذنب أبداً.

المريد لا يقترب ولا يتناول إلا ما علم بإباحته وحليته المطلقة، قال إبراهيم بن أدهم "الورع ترك كل شبهة، وترك ما لا يعينك هو ترك الفضلات"<sup>1</sup>.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: كنا لندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن تقع في باب من الحرام.

والورع يشمل كل حركة وسكنة في حياة المريد، قال معروف الكرخي: "احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم"<sup>2</sup>.

ولشدة الحرص على توخي الحذر من كل ما فيه شبهة، فكان من المريدين من يتحسس كل ما فيه وجه شبهة "كان الحرث المحاسبي إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة ضرب على رأس أصبعه عرق فيعلم أنه غير حلال"<sup>3</sup>.

"وقيل أن بشر الحافي دعي إلى دعوة فوضع بين يديه طعام فجهد أن يمد يده إليه فلم تمتد ففعل ذلك ثلاث مرات، فقال رجل يعرف ذلك منه أن يده لا تمتد إلى طعام فيه شبهة ما كان أغنى صاحب الدعوة أن يدعو هذا الشيخ"<sup>4</sup>.

والورع على وجهين: ظاهر وباطن، قال يحيى بن معاذ "الورع على وجهين، ورع الظاهر، وهو أن لا تتحرك إلا لله تعالى، وورع في الباطن وهو أن لا يدخل قلبك سواه تعالى"<sup>5</sup>.

وهناك طبقة من الورع لا يتحلى بها إلا خصوص الخصوص من العارفين قال الشبلي "الورع أن تتورع عن كل ما سوى الله تعالى"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الرسالة القشيرية، ج2، ص 53.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 54.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 54.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 54.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 54.

<sup>6</sup> نفس المرجع السابق، ص 54.



بعد أن يصبح المرید قادراً على كبح جماح نفسه عن الكثير الغالب من الأشياء، ونزول قيمتها ورغبتها من نفسه فيصل إلى مقام الزهد.

**3- الزهد:** وقد اختلف في معناه: قال الأستاذ الإمام أبو القاسم رحمه الله: "اختلف الناس في الزهد فمنهم من قال الزهد في الحرام لأن الحلال مباح من قبل الله تعالى، فإذا أنعم الله سبحانه على عبده بمال من حلال وتعبده بالشكر عليه فتركه له باختياره لا يقدم على إمساكه بحق إذنه".<sup>1</sup> وقد يأخذ الزهد معنى أوسع، وهو الزهد في كل ملذات الدنيا، قال السري: "أن الله سلب الدنيا من أوليائه وحماها عن أصفیائه، وأخرجها من قلوب أهل وداده لأنه لم يرضها لهم".<sup>2</sup> والزاهد لا يتأسف على مفقود، ولا يفرح بموجود<sup>3</sup> لأن الزهد من قوله تعالى: ﴿لَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾<sup>4</sup>.

وسئل الجنيد عن الزهد فقال: "خلو اليد من الملك، والقلب من التبع".<sup>5</sup>

وسئل الشبلي عن الزهد فقال: "أن تزهد فيما سوى الله تعالى".<sup>6</sup>

وحقيقة الزهد تتعلق بما يكون في القلب من الرغبة، أو عدمها ثم يختلف الحال في الظاهر تبعاً لما يكون في القلب.<sup>7</sup>

ولذلك يقول سفيان الثوري: "الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ، ولا بلبس العباء".<sup>8</sup>

فالزهد الحقيقي انصراف القلب عن كل متع الدنيا، وتعلقه بما سيكون في الآخرة.

<sup>1</sup> الرسالة القشيرية، ج2، ص 56.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 56.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 56.

<sup>4</sup> سورة الحديد: الآية 23.

<sup>5</sup> الرسالة القشيرية، ج2، ص 56.

<sup>6</sup> نفس المرجع السابق، ص 56.

<sup>7</sup> عبد الفتاح عبد الله بركة: في التصوف والأخلاق، ص 171.

<sup>8</sup> الرسالة القشيرية، ج2، ص 56.

وإذا زهد المرید في كل طببات الدنيا، ولم يبق في قلبه تقدير لها، فستكون يده سخية، كريمة، بكل رضى، لأن الزهد الحقيقي عند السخاء، يقول تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ مَلِكًا أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾<sup>1</sup>.

وقال محمد بن الفضل: "إيثار الزهاد عند الاستغناء وإيثار الفتيان عند الحاجة"<sup>2</sup>.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل تفقه وعلم ما أمر الله به وما نهى عنه، ثم تزهد وترك الدنيا والمال والأهل والأولاد خائفا من كسب الحرام والشبهات، وبعث الآخرة وطلب رضا الله ورسوله، وساح في أرض الله والبلدان، فهل يجوز له أن يقطع الرحم ويسيح كما ذكر أم لا؟

فأجاب: الحمد لله وحده.

**الزهد المشروع:** هو ترك كل شيء لا ينفع في الدار الآخرة، وثقة القلب بما عند الله، كما في الحديث الذي في الترمذي: "ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن الزهد أن تكون بما في يد الله أوثق بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك"<sup>3</sup> لأن الله تعالى يقول: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾<sup>4</sup> فهذا صفة "القلب".

**زهد الرسول ﷺ:** وجماع ذلك خلق رسول الله ﷺ، كما ثبت عنه في الصحيح أنه كان يقول: "خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"<sup>5</sup>. وكان عاداته في المطعم أنه لا يرد موجودا، ولا يتكلف مفقودا ويلبس من اللباس ما تيسر من قطن وصوف وغير ذلك وكان القطن أحب إليه، وكان إذا بلغه أن بعض أصحابه يريد

<sup>1</sup> سورة الحشر: الآية 09.

<sup>2</sup> الرسالة القشيرية، ج2، ص 57.

<sup>3</sup> رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا، ج4، ص 3، وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، ج2، ص 1373.

<sup>4</sup> سورة الحديد: الآية 23.

<sup>5</sup> رواه مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ج2، ص 592. وأبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة، ج5، ص 15 مع اختلاف في اللفظ. وابن ماجه في المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل، ج1، ص 17. والدارمي في المقدمة، باب إتباع السنة، ج1، ص 45. وأحمد في مسنده، ج3، ص 310.

أن يعتدي فيزيد في الزهد، أو العبادة على المشروع، ويقول: أينا مثل رسول الله ﷺ؟! يغضب لذلك، ويقول: "والله إني لأخشاكم لله، وأعلمكم بحدود الله تعالى". وبلغه أن بعض أصحابه قال: أما أنا فأصوم فلا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأقوم فلا أنام، وقال آخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال آخر: أما أنا فلا أكل اللحم، فقال ﷺ: "لكني أصوم وافطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وأكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني"<sup>1</sup>.

فأما الإعراض عن الأهل والأولاد فليس مما يحبه الله ورسوله، ولا هو من دين الأنبياء، بل قد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾<sup>2</sup>. والإنفاق على العيال والكسب لهم يكون واجبا تارة ومستحبا أخرى، فكيف يكون ترك الواجب أو المستحب من الدين؟!<sup>3</sup>

وللزهد كذلك مراحل ودرجاته، يروي القشيري عن أحمد بن حنبل قوله: الزهد على ثلاثة أوجه:

الأول: ترك الحرام، وهو زهد العوام.

الثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص.

الثالث: ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين<sup>3</sup>.

ويرى أبو نصر أن في الزهد درجة أعلى، هي درجة المتحققين في الزهد ووصفهم بما أجاب به رويم بن أحمد رحمه الله حين سئل عن الزهد فقال: "ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا، ثم قال: هذا زهد المحققين، لأن في الزهد في الدنيا حظا للنفس لما في الزهد من الراحة، والثناء والمحمدة، واتخاذ الجاه عند الناس، فمن زهد بقلبه في هذه الحظوظ فهو متحقق في زهده"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أخرجه البخاري، ج5، ص1949، ح4676.

<sup>2</sup> سورة الرعد: الآية 38.

<sup>3</sup> الرسالة القشيرية، ج2، ص57.

<sup>4</sup> عبد الفتاح عبد الله بركة: في التصوف والأخلاق، ص172.

ويرتفع بنا الشبلي في الزهد درجة أخرى حين يرى أن الزهد غفلة لأن الدنيا لاشيء،  
والزهد في لاشيء غفلة<sup>1</sup>.

وثمة فرق عند العلماء بين الزهد والورع، وكذا بين الزهد والتصوف نوره باختصار شديد.

**الفرق بين الزهد والورع:** قال الشيخ ابن تيمية: "فتلخص أن "الزهد" من باب عدم الرغبة والإرادة في المزهود فيه، و"الورع" من باب وجود النفرة والكراهة للمتورع عنه، وانتفاء الإرادة إنما يصلح فيما ليس فيه منفعة خالصة أو راجحة، وأما وجود الكراهة فإنما يصلح فيما فيه مضرة خالصة أو راجحة، فأما إذا فرض ما لا منفعة فيه ولا مضرة، أو منفعته ومضرتة سواء من كل وجه؛ فهذا لا يصلح أن يراد، ولا يصلح أن يكره، فيصلح فيه الزهد، ولا يصلح فيه الورع، فظهر بذلك أن كل ما يصلح فيه الورع يصلح فيه الزهد، من غير عكس، وهذا يبين. فإن ما صلح أن يكره وينفر عنه صلح أن لا يراد ولا يرغب فيه، فإن عدم الإرادة أولى من وجود الكراهة؛ ووجود الكراهة مستلزم عدم الإرادة من غير عكس. وليس كل ما صلح أن لا يراد يصلح أن يكره؛ بل قد يعرض من الأمور ما لا تصلح إرادته ولا كراهته، ولا حبه ولا بغضه ولا الأمر به، ولا النهي عنه<sup>2</sup>.

وبهذا يتبين: أن الواجبات والمستحبات لا يصلح فيها زهد ولا ورع؛ وأما المحرمات والمكروهات فيصلح فيها الزهد والورع. وأما المباحات فيصلح فيها الزهد دون الورع، وهذا القدر ظاهر تعرفه بأدنى تأمل.

وإنما الشأن فيما إذا تعارض في الفعل. هل هو مأمور به؟ أو منهي عنه؟ أو مباح؟ وفيما إذا اقترن بما جنسه مباح مكا يجعله مأمورا به أو منهيًا عنه، أو اقترن بالمأمور به ما يجعله منهيًا عنه وبالعكس.

فعند اجتماع المصالح والمفاسد والمنافع والمضار وتعارضها؛ يحتاج إلى الفرقان.

<sup>1</sup> عبد الفتاح عبد الله بركة: في التصوف والأخلاق، ص 173.

<sup>2</sup> أحمد ابن تيمية: الزهد والورع والعبادة، ص 52-53.

**الفرق بين الزهد والتصوف:** قال ابن خلدون: "الصوفية من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة وجاه، والانفراد عن الخلق في خلوة العبادة، وقد كان ذلك فاشيا في الصحابة والسلف، ولما عمّ الإقبال على الدنيا في القرن الثاني، وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختفى المقلون على العبادة باسم الصوفية، أو المتصوفة"<sup>1</sup>.

الزهد هو أصل التصوف، وبذرتة، وإذا كان كذلك فما هو الفرق بينهما؟

في الحقيقة هناك ثلاثة فروق:

1- فرق في الغاية: الزاهد يتعبد رغبة في الجنة، أو رهبة من النار، أما الصوفي فيعبد الله لعبادته فقط، ولحبه فقط، والاتصال به، وللصوفية أقوال كثيرة في ذلك. وطريق الزاهد والصوفي واحد لكن تبعدهما الغاية.

2- فرق في الفكرة: الزاهد يقف بين يدي الله خائفا مرعوبا، شاعرا بعقاب الله، أما الصوفي مرتاح البال يتنعم في محبة الله.

3- فرق عام: الزهد منتشر في كل دين، وكل عصر، وكل مكان، والتصوف الإسلامي، نزعة خاصة ولدتها عوامل معينة فنمت وترعرعت تحت راية الإسلام وخضعت لكل عوامل النشوء والارتقاء<sup>2</sup>.

ونخلص إلى أن الزهد هو القنطرة التي يعبر عليها التصوف أو هو النواة الأولى... والحركة الأولى لمرحلة التصوف.

والحياة الروحية في الإسلام، كانت في بداية ظهورها عبارة عن الزهد الذي أخذ يقوى ويشدد سلطانه على نفوس الزهاد والعباد.

وفي الفترة التي تقع ما بين 40هـ و110هـ ازداد عدد الزهاد الذين انتشروا في البصرة والكوفة والمدينة، وتحدثت عنهم كتب الطبقات، وصوّرت ما كانوا يأخذون به عن أنفسهم من مجاهدات ورياضات قوامها الزهد والتقشف والورع.

<sup>1</sup> قمر كيلاي: في التصوف الإسلامي، مفهومه وتطوره وأعلامه، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1962، ص13.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص14.

**4- الفقر:** إن الفقر في التصوف ليس مجرد التجرد من الأملاك، حتى إن بدا في ظاهره تجردا من أسباب الدنيا، وفقرا إلى ضرورياتها وحاجاتها، فليس في حقيقته فقرا إلى أسباب الدنيا، ولكنه استغناء عنها بالله، وبما عنده<sup>1</sup>.

ويستدعي ذلك صبرا كبيرا.

**5- الصبر:** وهو مقام أخلاقي من هذه المقامات السنية العالية<sup>2</sup>، قال تعالى: "وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ"<sup>3</sup>.

وللصوفية أقوال عدة في الصبر: قال ذو النون: الصبر هو الاستعانة بالله تعالى.

ويقسم القشيري الصبر إلى قسمين: "صبر على ما هو كسب للعبد وصبر على ما ليس بكسب. فالصبر على المكتسب على قسمين: كسب على ما أمر الله تعالى به وصبر على ما نهى عنه. وأما الصبر على ما ليس بمكتسب للعبد فصبر على مقاساة ما يتصل به من حكم الله فيما يناله فيه مشقة"<sup>4</sup>.

ويعلق عبد الفتاح بركة عن هذا التقسيم: "والصبر في درجته الأولى هو تحمل الشدائد وانتظار الفرج، وفي مرحلته التالية تحمل الشدائد والاصطبار في هذا التحمل بحيث لا يتوقع ولا ينتظر ورود الفرج، وقد يسمى الصبر في درجته الأولى تصبرا، تميزا له عن الصبر في مرحلته التالية"<sup>5</sup>.

وأبو عبد الله بن خفيف يجعل من الصبر ثلاثة أقسام "الصبر على ثلاثة أقسام متصبر وصابر وصبار"<sup>6</sup>.

**6- التوكل:** يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> عبد الفتاح عبد الله بركة: في التصوف والأخلاق، ص 175.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 176.

<sup>3</sup> سورة النحل: الآية 127.

<sup>4</sup> الرسالة القشيرية: ص 85.

<sup>5</sup> عبد الفتاح عبد الله بركة: في التصوف والأخلاق، ص 178-179.

<sup>6</sup> الرسالة القشيرية، ص 85.

<sup>7</sup> سورة النحل: الآية 42 وسورة العنكبوت: الآية 59.

ومن بين تعاريف التوكل عند الصوفية:

قال سهل بن عبد الله: أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء لا يكون له حركة ولا تدبير.

وقال حمدون: "التوكل هو: الاعتصام بالله تعالى"<sup>1</sup>.

"قال رجل لحاتم الأصم من أين تأكل، فقال: والله خزائن السموات والأرض، ولكن المنافقين لا يفقهون، واعلم أن التوكل محله القلب، والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب بعدما تحقق العبد أن التقدير من قبيل الله تعالى وإن تعسر شيء فبتقديره، وإن اتفق شيء فبتيسيره"<sup>2</sup>.

والتوكل ليس معناه تعطيل الحواس، والتوقف عن النشاط، وفي ذلك يقول حجة الإسلام الغزالي: "وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن، وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض، كالخرقة الملقاة، وكاللحم على الوضم، وهذا ظن الجهال فإن ذلك حرام في الشرع، والشرع قد أثنى على المتوكلين، فكيف ينال مقام من مقامات الذين بمحظورات الدين"<sup>3</sup>.

ثم يبين أن التوكل المشروع تظهر آثاره على المتوكل في قوله: "إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه إلى مقاصده، وسعي العبد باختياره، إما أن يكون لأجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب، أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار، أو لدفع ضار لم يتزل به كدفع الصائل والسارق، والسباع، أو لإزالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض"<sup>4</sup>.

وعدّ هذه الحركات فنون "فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الأربعة وهو: جلب النافع، أو حفظه، أو دفع الضار، أو قطعه"<sup>5</sup>.

كما قال: "العلم أصله، والعمل ثمرته"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الرسالة القشيرية، ص 76.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 76.

<sup>3</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، ص 258.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 258.

<sup>5</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، ص 259.

<sup>6</sup> نفس المرجع السابق، ص 253.



فلا تعارض بين التوكل والعمل الذي هو امتثال لأداء الواجبات، والقيام بضرورات التكاليف<sup>1</sup>.

7- الرضا: يقول الله تعالى: ﴿رَضِيََ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾<sup>2</sup>.

وهناك اختلاف بين العراقيين والخراسيين في الرضا، هل هو من المقامات، أو من الأحوال. أهل خراسان قالوا أن الرضا من حملة المقامات، وهو نيابة التوكل ويتوصل إليه العبد باكتسابه. أما العراقيون قالوا بأن الرضا من جملة الأحوال، وليس هو كسب العبد، بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال<sup>3</sup>.

والرضا يتفاوت في معناه بتفاوت أحوال المريدين ومرتبتهم ولا يتم رضا العبد إلا برضا الله تعالى.

قال عبد الواحد بن زيد: "الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، وأعلم أن العبد لا يكاد يرضى عن الحق سبحانه إلا بعد أن يرضى عنه الحق سبحانه"<sup>4</sup> لأن الله عز وجل قال: "رضي الله عنهم ورضوا عنه".

**المحبة الصوفية:** يقال كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد البسطامي ههنا من شرب كأساً من المحبة لم يظمأ بعده، فكتب إليه أبو يزيد: عجبت من ضعف حالك ههنا من يحتسي بحار الكون وهو فاغر فاه يتزويد<sup>5</sup>.

**والتصوف محبة:** إن هدف التصوف.. المحبة.. محبة الله عز وجل وطريق التصوف هو المحبة، فالتصوف غايته المحبة.. ووسيلته المحبة.. إن السالك عندنا الطريق.. عندما يبدأ في التعرف على الله.. التعرف الذي تنفتح له أبواب العلم به.. يجد محبة الله تفيض عليه.. وكلما ازداد في الطريق

<sup>1</sup> عبد الفتاح عبد الله بركة: في التصوف والأخلاق، ص 184.

<sup>2</sup> سورة المجادلة: الآية 22.

<sup>3</sup> الرسالة القشيرية، ج2، ص 89.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 89.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 39.

سلوكا ازداد في الله حبا.. فالطريق يوصله إلى الحب، والحب يدفعه في الطريق.. ويظل من الحب.. وبالحب.. وللحب هائما مندفعاً<sup>1</sup>.

**قول في الصوفية:** للمحبة رجال ما تركوا في قلوبهم لغير محبوبهم مجال، فما في الحب عضو ولا جارحة إلا وعليه شواهد المحبة لائحة، فالألسن قد شغلها أنيس فاذكروني أذكركم، والأسماع منصتة لاستماع كلام الحبيب بألحان وإذا سألك عبادي عني فإني قريب، والأبصار شاخصة لانتظار وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، والأبدان قائمة بوظيفة إياك نعبد وإياك نستعين، والقلوب مرتبطة برباط يحبهم ويحبونه، والأسرار مستغرقة فقي مشاهدة حشرة شاهد ومشهود، والأرواح ترتاح لأذكار فروح وريحان فما للعارف غفلة من مشهوده ولا للعابد غفلة من معبوده.

لما رأيت قلبي فارغ      ممن سواك ملأته بهواك  
وملأت قلبي منك حتى لم أدع      مني مكانا خاليا لسواك<sup>2</sup>.

وقد توسع الصوفية في الحديث عن "المحبة" وقالوا فيها الكثير من الكلمات النوايع، وعنوا عناية خاصة بمحبة الإنسان لربه، وتوسعوا في تصوير حبهم لله وانشغالهم به، وفنائهم في رحابه وصوّروا ذلك نثرا وشعرا<sup>3</sup>.

وهذه بعض أقوالهم:

قال أبو بكر الكتاني جرت مسألة في المحبة بمكة أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهم سنا فقالوا له هات ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه ودمعت عينه ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه، حرق قلبه أنوار هويته وصفا شربه من كأس وده وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم بالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكت فمع الله، فهو بالله والله ومع الله، فبكى الشيوخ وقالوا ما هذا مزيد حبرك الله تعالى يا تاج العارفين<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> عبد الرزاق نوفل: التصوف والطريق إليه، ص 65.

<sup>2</sup> شعيب الحريفيش: الروض الفائق في المواعظ والرقائق، ص 200.

<sup>3</sup> أحمد الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، ج 1، ص 36.

<sup>4</sup> الرسالة القشيرية، ج 2، ص 147.

وقيل: المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك، ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه.

وقيل: المحبة هتك الأستار وكشف الأسرار.

وقال جعفر قال الجنيد دفع السري إلى رقعة وقال هذه لك خير من سبعمائة قصة أو حديث يعلو فإذا فيها:

ولما ادعيت الحب قالت كذبتني      فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا  
فما الحب حتى يلصق القلب بالحشى      وتذبل حتى لا تجيب المناديا  
وتنحل حتى لا يبقى لك الهوى      سوى مقلة تبكي بها وتناجيا

قال الجنيد: كل محبة كانت لغرض إذا زال الغرض زالت تلك المحبة.

وقيل حبس الشبلي في المارستان فدخل عليه جماعة فقال: من أنتم قالوا محبوبك يا أبا بكر، فأقبل يرميهم بالحجارة ففروا فقال: إن ادعيتم محبتي فاصبروا على بلائي وأنشد الشبلي:

يا أيها السيد الكريم      حبك بين الحشى مقيم  
يا رافع النوم عن جفوني      أنت بما مرّ بي عليم<sup>1</sup>

وقال أحدهم: المحبة إتباع رسول الله ﷺ وقال غيره: دوام الذكر، وقال غيره: إيثار الحبوب، وقال بعضهم: كراهية البقاء في الدنيا، وهذا كله إشارة إلى ثمرات المحبة، فأما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها.

وقال بعضهم: المحبة معنى من الحبوب، تعجز القلوب عن إدراكه، وتمنع الألسن عن عبارته. قال الجنيد: حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة، وقال: كل محبة تكون بعوض، فإذا زال العوض زالت المحبة.

وقال ذو النون: قل لمن أظهر حب الله: احذر أن تذلل لغير الله، وقيل للشبلي رحمه الله: صف لنا العارف والمحب، فقال: العارف إن تكلم هلك، والمحب إن سكت هلك.

<sup>1</sup> الرسالة القشيرية، ج2، ص 146.

وفي وصف محبة الصوفي قال أحدهم: محبة الصوفي نور الأنوار، وثمره الثمار: "إذا سكنت المحبة في القلوب، أنارت بأنوار الحبوب فأثرت وأثمرت في القلب سبعة أشياء لا يتم مصباح معرفة الرب إلا بها: إخلاص النية لله، والخوف من الله، ورجاء ثواب الله، والصدق مع الله، والتوكل على الله، وحسن الظن بالله، والشوق إلى الله، فهذه السبعة لا يتم مصباح معرفة ربك إلا بها، كما أن المصباح لا يوقد إلا بسبعة أشياء لا بد منها الزناد والحجر، والحراق، والكبريت، والمسرجة، والزيت، والفتيلة، فبدون هذه الأشياء لا سبيل إلى إيقاد المصباح، فإن أردت يا هذا إيقاد مصباح قلبك لمشاهدة ربك، فلا بد من زناد المجاهدة، وحجر المكابدة، وحراق الأشواق، وكبريت المحبة، ومسرجة التوكل، وزيت الفكر، وفتيلة الصبر، ثم تعلق المصباح في سلاسل التضرع إلى ربك فعند ذلك يتوقد نوره في قلبك فتشاهد جمال ربك"<sup>1</sup>.

كشف الحجاب وزالت الأستار	وصف العتاب وطابت الأسمار
وأتى النسيم مبشرا ومخبرا	فصفا النعيم وزالت الأكدار
وروت حديثا عن شذاك معطرا	فصفت بلطف صفاتك الأسرار
شهدت معانيك القلوب بصفوها	فتحيرت في حسنك الأفكار
وتولت أهل الهوى وتخيروا	مذ شاهدوك وكيف لا يختاروا

ولقد دفع بعض الصوفية ثمن محبتهم لله دمهم بسبب سوء فهم التصوف، وتأويل كلام المتصوفين عبر عهود طويلة وعجز العقل الديني المدرسي فهم رموز الصوفية، أو تقبل الإيمان المضاعف لأصحابها، إذ غاية التصوف إدراك نشوة الحب خارج دائرة المنفعة، وتحقيق شرط الطاعة خارج جدلية الثواب والعقاب<sup>2</sup>.

### العلاقة بين الحب والمعرفة:

وكما يختلف الصوفية في عدة المقامات وترتيبها، فهم مختلفون كذلك في عدة الأحوال وترتيبها، على أن اختلافهم هذا أو ذاك لا ينفي أن الغاية القصوى عندهم هي التحقق بمحبة الله ومعرفته، ومشاهدة جماله وجلاله وكماله، وآثار هذا كله في العوالم المختلفة.

<sup>1</sup> شعيب الحريفيش: الروض الفائق في المواعظ والرقائق، ص 200.

<sup>2</sup> مطران عربي: المسيحية والتصوف، مجلة المعارف، ص 7.

والسالك بعد أن يختلف على المقامات، وتختلف عليه الأحوال، ينتهي إلى كشف الحقيقة التي سعى لأجلها بحيث يصبح عارفاً، وينتهي إلى الشعور بحقيقة ذاته من حيث هو محب، والأكثر من ذلك، أنه يحس أنه ومحبوبه واحد<sup>1</sup>.

وقال الغزالي: "المعرفة سابقة على المحبة ولا يمكن تصور حب بلا معرفة"<sup>2</sup>.

وقد عرف الصوفية الحب والمعرفة بتعريفات عدة، لكنها تكاد تكون واحدة، فعند قراءتها كأننا إزاء لغتين تصوران موضوعاً واحداً، وتعبيران عن حقيقة واحدة، وتحللان حالة نفسية واحدة<sup>3</sup>.

قد وصف الجنيد حال المحب في المحبة فقال: "عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر رربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوار هويته، وصفا شربه من كأس وده، وانكشف له الجبار من أستاذ غيبه، فإن تكلم فبالله، والله، ومع الله".

وعرف الحلاج حقيقة المحبة فقال: "حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك".

والمتدبر لهذه التعاريف وغيرها كثير، يتبين له أنها تشترك في فكرة رئيسية واحدة، وغرض واحد، فناء الإنسان عن نفسه، وعن أوصافه وحظوظه، وإنكار ذاته وإيثاره لله على ما سواه، كل أولئك شروط أساسية ينبغي أن يتحقق بها المحب لكي يكون محبا صحت محبته<sup>4</sup>.

وهؤلاء قدروا الله حق قدره، لأن الله يقول: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾<sup>5</sup> جاء في التفسير وما عرفوا الله حق معرفته<sup>6</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "إن دعامة البيت أساسه ودعامة الدين المعرفة بالله تعالى، واليقين والعقل القامع، فقلت: بأبي أنت وأمي ما العقل القامع، قال: الكف عن معاصي الله والحرص على طاعة الله عز وجل"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، دار المعارف، القاهرة، ط2، ص 234.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، ص 178.

<sup>3</sup> محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، ص 235.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 235.

<sup>5</sup> سورة الأنعام: الآية 91.

<sup>6</sup> الرسالة القشيرية، ج2، ص140.

<sup>7</sup> أخرجه البخاري، ج5، ص2384، ح6137.

وقيل: المعرفة على لسان العلماء هو العلم فكل علم معرفة وكل معرفة علم وكل عالم بالله تعالى عارف، وكل عارف عالم وعند هؤلاء القوم: المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى في معاملاته ثم تنقى عن أخلاقه اعتكافه فحظى الله تعالى بجميل إقباله وصدق الله تعالى في جميع أحواله، وانقطع عنه هواجس نفسه، ولم يصنع بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره فإذا صار من الخلق أجنيا ومن آفات نفسه برياً ومن المساكنات والملاحظات نقياً ودام في السر مع الله تعالى مناجاته وحق في كل لحظة إليه رجوعه وصار محدثاً من قبل الحق سبحانه بتعريف أسرارهِ فيما يجريه من تصاريهِ أقداره يسمى عند ذلك عارفاً وتسمى حالته معرفة، وفي الجملة بمقدار أجنيته عن نفسه تحصل معرفته بربه عز وجل<sup>1</sup>.

وسئل الشبلي عن المعرفة فقال: أولها الله تعالى وآخرها ما لا نهاية له.

وقال الشبلي: العارف لا يكون لغيره لاحظاً ولا بكلام غيره لافظاً ولا يرى لنفسه غير الله تعالى حافظاً.

قال الجنيد: العارف من نطق الحق عن سرّه وهو ساكت.

وقال آخر: المعرفة حياة القلب مع الله تعالى<sup>2</sup>.

والمبدأ العام المشترك بين المعرفة والحب، هو مبدأ الفناء عن الشهوات والآفات والحواس، وإسقاط العلاقات بين الإنسان وبين نفسه من ناحية وبينه وبين غيره من ناحية أخرى، ففي كليهما تنمحي هويته في الله تعالى، فمن يقول أنه عارف، يفهم أنه محب، والعكس صحيح، لأن الشروط والدواعي، والأوصاف والموضوع والغاية والطريق في كل من الحب والمعرفة واحدة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الرسالة القشيرية، ج2، ص 141.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 143.

<sup>3</sup> محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، ص 136-137.

## العلاقة بين المعرفة ومنازل الطريق والحب:

تتضح صلة المعرفة بالمقامات في أقوال الصوفية كهذا القول لسهل: "كمال الإيمان بالعلم، وكمال العلم بالخوف" وقوله: "العلم كسب الإيمان، والخوف كسب المعرفة"<sup>1</sup>.

فكلما اتسعت معرفة السالك انتقل إلى أعلى المقامات وأكملها وهو مقام الرضا "فإذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرضى"<sup>2</sup>

وبالمعرفة كان ارتباط الرضا بالمحبة لدى السهروردي في تفسيره لقول الجنيد للشبلي حينما قال الشبلي: لا حول ولا قوة إلا بالله، قال الجنيد: قول ذا ضيق صدر، فقال: صدقت، قال: فضيق الصدر ترك الرضا بالقضاء، قال شيخنا هذا إنما قاله الجنيد -رحمه الله- تنبيها منه على أصل الرضى وذلك لأن الرضى يحصل لانسراح القلب وانفساحه، وانسراح القلب من نور اليقين، قال الله تعالى: ﴿أَقَمَنَّ شَرَعَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهَوَّ مَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾<sup>3</sup> فإذا تمكن النور من الباطن اتسع الصدر، وانفتحت عين البصيرة، وعانين حسن تدبير الله تعالى، فينتزع السخط والتضجر، لأن اتساع القدرة يتضمن حلاوة الحب، وفعل المحبوب بموقع الرضى عن المحب الصادق<sup>4</sup>.

والصلة وثيقة جدا بين المعرفة والحب، يكاد أن يكونا موضوعا واحدا "ونحن نقرأ تعريفات الحب وتعريفات المعرفة -نجد- أننا إزاء لغتين تصوران موضوعا واحدا وتعبيران عن حقيقة واحدة وتحللان نفسية واحدة، بمعنى أن الحب حين يتحدث عن موضوع حبه، ويصف حاله فيه إنما يتحدث عن موضوع المعرفة، ويصف حال العارف ولكن في لغة الحب..."<sup>5</sup> والعكس الصحيح.

وحق وإن اختلفت درجات العاطفة بين صوفي وآخر، فإن نسبتها إلى طابع المعرفة يختلف أيضا، وعندها يوصف التصوف بالطابع المتغلب عليه، تصوف حب، أو تصوف معرفة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> السهروردي: عوارف المعارف، ص 428، 448.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 451.

<sup>3</sup> سورة الزمر: الآية 22.

<sup>4</sup> السهروردي: عوارف المعارف، ص 453.

<sup>5</sup> مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، ص 235.

<sup>6</sup> محمد كمال جعفر: التصوف طريقا وتجربة ومذهبا، ص 62.



فالمعرفة تترتب عليها المحبة، والمحبة تترتب عليها معرفة ويتضح ذلك في أن "طريق حصول المحبة هو تزكية النفس.. قيل تزكية النفس تجلي مرآة القلب، وينعكس فيها نور العظمة الإلهية، ويلوح فيها جمال التوحيد، وتنحذب أحداق البصيرة إلى مطالعة أنوار الجلال القديم، فحينئذ يجب العبد ربه لا محالة بعد معرفته إياه"<sup>1</sup>.

وفي هذا المعنى قال الشبلي: "من علامة المعرفة: المحبة، لأن من عرفه أحبه"<sup>2</sup>.

المعرفة لا تصح إلا بالمحبة:

"ومعرفة الله بصفاته أصل الإيمان لدى الصوفية، والمحبة ركن من أركان التوحيد، وشرط من شرائط الإيمان، ولذلك فالمعرفة بالله تعالى تصح بالمحبة"<sup>3</sup>.

وقد عدّ الصوفية المحبة والمعرفة قربا من الله، وذلك في حديثهم عن القرب: "القرب اتصال الهمة إلى الله تعالى بلا كيف ولا وصف في كل حال وذلك يحصل بالمواظبة على النوافل لقوله تعالى للنبي ﷺ: ﴿وَأَسْبُجْ وَأَقْتَرِبْ﴾"<sup>4</sup>.

موضوع المعرفة:

من تعريف الصوفية للمعرفة يتبين أن موضوع المعرفة بالله هو: الذات الإلهية، صفاتها، أسماءها، أفعالها، وكل ما يتعلق بها. ويقول القشيري عن المعرفة أنها: "صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله تعالى في معاملاته"<sup>6</sup>. بل إن "الدليل على الله هو الله وحده، قال بعض الكبار: لا يعرفه إلا من تعرف إليه، ولا يوحد إلا من توحد له، ولا يؤمن به إلا من لطف به، ولا يصفه إلا من تجلى لسره، ولا يخلص له إلا من جذبته إليه ولا يصلح له إلا من اصطنعه لنفسه"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> السهروردي: جذب القلوب، ص 23.

<sup>2</sup> أبو عمر حاي بن سالم الحاي: اللع في ذم المسائل التي لم تقع، ص 57.

<sup>3</sup> السهروردي: جذب القلوب، ص 23.

<sup>4</sup> سورة العلق: الآية 19.

<sup>5</sup> السهروردي: جذب القلوب، ص 25.

<sup>6</sup> الرسالة القشيرية، ج2، ص 601.

<sup>7</sup> أبو بكر محمد الكلابادي: التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق محمود أمين النوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،

فطرية المعرفة وصلتها بالتوحيد:

اشترط الصوفية لتحقيق التوحيد تحقق المرء بالعلم والعمل "فإذا تحقق بالرجل العلم والعمل فتح الله عليه باب التوحيد واستغرق في الأنوار"<sup>1</sup>.

ويعتبر الباحثون في التصوف التوحيد هو أجلي فكره في المعرفة الصوفية "فهو ثمرة هذه الجهود والمذاقات والمواجيد"<sup>2</sup>.

اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الأصول في التوحيد:

اعلموا رحمكم الله أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد صانوا بها عقائدهم عن البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل، ولا تعطيل وعرفوا ما هو حق القدم، وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم.

ولذلك قال سيد هذه الطريقة الجنيد رحمه الله: التوحيد أفراد القدم من الحدث وأحكموا أصول العقائد بوضائح الدلائل ولائح الشواهد.

وقال أبو محمد الجريري - رحمه الله -: من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهد زلت به قدم الغرور في مهواة من التلف.

يريد بذلك أن من ركن، أو التقليد لم يتأمل دلائل التوحيد سقط عن سنن النجاة، ووقع في أسر الهلاك.

ومن تأمل ألفاظهم وتصفح كلامهم، وجد في مجموع أقاويلهم ومتفرقاتها ما يثق بتأمله، بأن القوم لم يقصروا في التحقيق عن شأو ولم يعرجوا في الطلب على تقصير<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> السهروردي: جذب القلوب، ص 3.

<sup>2</sup> إبراهيم بسيوني: نشأة التصوف في الإسلام، دار الفكر، بيروت، ص 281.

<sup>3</sup> الرسالة القشيرية، ج 2، ص 3.

ويبقى هدف الصوفية هو الوصول، وأول درجات الوصول في الصوفية.. هي المعرفة، والمعرفة التي يناشدها الصوفي هي المعرفة القلبية، يصبح عندها القلب هو مركز الحس والإدراك، والوعي، بل هو طريق العقل، والإبصار يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِيهَا الصُّدُورُ﴾<sup>1</sup>.

والقلب هو طريق السمع.. ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾<sup>2</sup>.

والقلب مكان التصديق والتكذيب، وهو منبع الهداية ﴿مَا أَطَاعَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>3</sup>، ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾<sup>4</sup>.

لذلك أنزل الله سبحانه وتعالى حبه على سيدنا محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾<sup>5</sup>.

ولهذا يحس الدارج في الطريق أن الله سبحانه وتعالى يفيض عليه من علمه فيصل إلى قلبه مباشرة... قد يعلمه بغير أن يسير في طريق العلم والتعلم المعروف.. فتفتح لمثل هؤلاء أسباب العلم والمعرفة دون أن يكون لديهم سابق محاولة حتى مجرد بداية العلم والمعرفة... هذا العلم اللدني.. إنما يوحى به الله سبحانه وتعالى لمن شاء من عباده.. وبه ينال العبد ذروة العلم والمعرفة...

وضرب لنا الله المثل للفارق بين العلم المكتسب من اجتهاد الإنسان... وبين العلم اللدني الذي أراه الله لعباده.. علم سيدنا موسى عليه السلام، وعلم سيدنا الخضر، وهو عبد لم ينل حظه من علم أو معرفة، ففاق علم موسى في زمانه<sup>6</sup> ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ مِّنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَ مِنْ مِمَّا عَلَّمْتَهُ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا

<sup>1</sup> سورة الحج: الآية 46.

<sup>2</sup> سورة الأعراف: الآية 100.

<sup>3</sup> سورة التباين: الآية 11.

<sup>4</sup> سورة الشعراء: الآية 200.

<sup>5</sup> سورة الشعراء: الآيات 192-194.

<sup>6</sup> عبد الرزاق نوفل: التصوف والطريق إليه، ص 106.

أَخْبَرَنِي لَكَ أَمْرًا قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا<sup>1</sup>، قَالَ هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأَنْبِتُكَ بِتَأْوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّوِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَمِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ وَمَا كَفَعْتُهُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا<sup>2</sup>.

ثمار المعرفة القلبية: الوصول إلى حقيقة التوحيد.

هدفها: الانتقال من درجة الباحث عن الله إلى العارف بالله<sup>3</sup>.

واتجه كثير من الصوفية في تعرفهم للتصوف إلى ملاحظة الجانب الخلقى إدراكا منهم لأهمية تحقيق ذلك الجانب وإن لم تذكر الأخلاق لفظا، تؤول في نهايتها إلى الناحية الخلقية، ومن هذا بيان لوجهة نظر الكثير في اعتبار الأخلاق وجها أساسيا من وجوه التصوف، بل لا حقيقة للتصوف بغير وجوده، لا نظريا ولا عمليا<sup>4</sup>.

ومن صحيح القول أن نزعة الصوفية، نزعة عملية، لا نظرية فلسفية، لأن التصوف من أول أمره يترع إلى تحقيق غاية عملية هي النجاة بالنفس من عذاب الآخرة يقول ابن خلدون: الأصل في التصوف العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة، ومال، وجاه<sup>5</sup>.

وهكذا أريد بالتصوف في أول أمره الزهد، والعبادة والفقير، أي: شدة العناية بأمر الدين، ومراعاة أحكام الشريعة، ويؤيده القشيري بهذا القول: إن علامة الصوفي الصادق: أن يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز، ويخفى بعد الشهرة، ثم تطور بعد ذلك وأصبح علما يقابل علم الفقه، ولا

<sup>1</sup> سورة الكهف: الآيات 65-70.

<sup>2</sup> سورة الكهف: الآيات 78-82.

<sup>3</sup> عبد الرزاق نوفل: التصوف والطريق إليه، ص 110.

<sup>4</sup> عبد الفتاح عبد الله بركة: في التصوف الإسلامي، ص 59.

<sup>5</sup> عبد الفتاح أحمد الفاوي: الأخلاق دراسة فلسفية دينية، ص 193.

ينال الرجل عند هؤلاء درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات أولها: أن يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة، وثانيها: أن يغلق باب العز ويفتح باب الذل، وثالثها: أن يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد، ورابعها: أن يغلق باب الندم ويفتح باب السهر، وخامسها: أن يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر، وسادسها: أن يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت<sup>1</sup>.

تطور التصوف بعد ذلك، وجعلوا الحب غاية حياتهم وملتقى آمالهم، فكان حرصهم لتعاليم الله بباعث من حبهم له، فتحول الله عند الصوفية من معبود يخافه الصوفي إلى محبوب يأنس بقربه ويتطلع إلى مرضاته، ويسعد بحبه، وأضحى هذا جماع الأخلاق الشرعية فيما ذهب إليه ذو النون المصري عندما أوجب على المحب أن يحب الله وأن يبغض ما أبغضه الله قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾<sup>2</sup>.

المجاهدة تمثل الجانب الأخلاقي في حياة الصوفية، وتمثل إثارة ما لله على ما للنفس فبمقدار ما يكون زهد السالك في الدنيا يكون اقتراجه من الله تعالى يقول القشيري: "من ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة يقال أنه فنى عن شهواته، فإذا فنى عن شهواته بقي بنيتته وإخلاصه في عبوديته، ومن زهد في دنياه بقلبه فنى عن رغبته، فإذا فنى عن رغبته فيها بقي بصدق إنابته، ومن عالج أخلاقه فنفى عن قلبه الحسد، والحقد، والبخل، والشح، والغضب، والكبر، وأمثال هذه من الرعونات يقال أنه فنى عن سوء الخلق، فإذا أفنى عن سوء الخلق بالفتوة والصدق"<sup>3</sup>.

**الأخلاق الصوفية بين نظرية وعملية:** كل ما يمكن أن يقال إن علماء التصوف لم يفرّدوا دراساتهم للأخلاق بعنوان خاص، كما فعل غيرهم من فلاسفة الأخلاق، وهذا لا يعيبيهم، لأن الاسم ليس هو المفقود عند الصوفي وإنما المقصود هو حقيقة المسمى وهو قائم لديهم بأجلى ما يكون، والناحية الأخلاقية تنبسط على كل جوانب التصوف<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الرسالة القشيرية، ج2، ص 90.

<sup>2</sup> سورة آل عمران: الآية 31.

<sup>3</sup> عبد الفتاح أحمد الفاوي: الأخلاق دراسة فلسفية دينية، ص 194.

<sup>4</sup> عبد الفتاح عبد الله بركة: في التصوف والأخلاق، ص 74.

للمتصوفة شغف كبير بأسماء الله الحسنى، لا ينفتر الواحد منهم عن تكرارها ذكرا وعبادة ودعاء وتقربا بها إلى الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾<sup>1</sup>. وهم يعلمون أن الله عز وجل أبرز لهم من أسمائه الحسنى ما شاء ليعلمهم بها، وليتعرفوا إليه من خلالها، ولكي تكون لتربيتهم وتهذيبهم وتأديبهم، فيها يعملون وفيها يجتهدون<sup>2</sup>. والمريد يتربى على هذه الأسماء الحسنى، فإن كانت من صفات القهر خضع لها وخشع، وإن كانت من صفات الرحمة تاب وأتاب واستعطف وتذلل، وإن كانت من صفات الجمال تأدب بها وتهذب، وإن كان من صفات الجلال تعزز بها وتهيب، وهكذا يتنقل بين أسماء الله الحسنى، كلما تعرف على اسم منها تربى بما يتناسب مع هذا الاسم، فيكون لذكره به بعد ذلك أنوار تشرق من الحجب إلى الله بقدر منزلة صاحبها في ملك هذا الاسم، ومعرفته به<sup>3</sup>. والخير الأعلى عند الصوفية هي السعادة الأخروية، التي هي بقاء لا فناء له وسرور لا غم فيه، وعلم لا جهل معه، وغنى لا فقر يخالطه<sup>4</sup>. فهذه هي السعادة الحقة، وما عداها مما تعارف الناس على تسميته سعادة فهو من باب التجوز، وهذا ما جسده حياة كل المتصوفة ويمكن أن تمثل بذلك بعضيهم ابن الفارض، ورابعة العدوية.

### ابن الفارض:

نظم ابن الفارض "التائية الكبرى"، وضمنها ترجمة حياته الروحية، حيث وصف فيها سلوكه في طريق الحب الإلهي، وما كان من الأحوال وما عاناه من الأهوال، وما طمح إليه من الآمال، وما تقلب فيه من الأطوار التي ترقى مدارجها واحدا بعد الآخر حتى وصل إلى أرقاها وأنقاها، وهو طور الاتحاد الذي يشعر فيه الحب بفنائته عن نفسه، وبقائه في محبوبه، واتحاده به فتسقط عندها الاثنية، ونزول بينها التفرقة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سورة الأعراف: الآية 180.

<sup>2</sup> عبد الفتاح عبد الله بركة: في التصوف والأخلاق، ص 187.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 188.

<sup>4</sup> أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، الجندي، (د.ت)، ص 84.

<sup>5</sup> محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، ص 181.

نسبه: أجمع الذين ترجموا لابن الفارض على أنه: أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن الرشد بن علي، كما أجمعوا على أنه حموي الأصل: مصري المولد، والدار، والوفاة. وكان يعرف بابن الفارض، وينعت بشرف الدين<sup>1</sup>.

ويبدو أن "المرشد" المذكور في النسب ليس اسما لجد من أجداد الشاعر، بل الغالب على الظن، أن هذا لقب صوفي يطلق على الشيخ صاحب الطريقة الذي يلتف حوله طائفة من المريدين يهذب نفوسهم ويصفي قلوبهم ويرشدهم في طريقهم إلى الله<sup>2</sup>.

كما أجمع المترجمون على أن هذا الصوفي، يعرف بابن الفارض، وعلى أن "الفارص" بالراء المكسورة هو الذي يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام، وأبوه كان يقوم بهذه المهمة.

وبقدر ما يتفق المترجمون في ذكرهم لاسم ابن الفارض، فهم يختلفون في تاريخ مولده، ومن هذا القبيل ما وقع فيه سبط ابن الفارض، إذ يذكر في أوائل ترجمته لجدته أنه ولد بالقاهرة في ذي القعدة سنة 556هـ أو سنة 560هـ<sup>3</sup>. ثم يذكر في أواخرها، بأن ولد ابن الفارض سمع أباه وقد سأله عبد العظيم المنذري وابن خلكان، يجيب كلا منهما بأن مولده كان بالقاهرة في آخر الرابع من ذي القعدة سنة 577هـ<sup>4</sup>.

ويؤدي هذا التضارب في تاريخ مولده إلى: أنه يمكن أن يكون هناك تاريخان لمولد ابن الفارض، أحدهما الرابع من ذي القعدة سنة 576هـ، وثانيهما الرابع من ذي القعدة سنة 577هـ<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، ص 28. عن أبو عباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر خلكان (608-681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج1، دار الصادر، بيروت، 1977، ص 383. ديباجة الديوان، ص 3. النجوم الزاهرة، ج3، ق2، ص 129 (نسخة فوتوغرافية بدار الكتب والوثائق القومية).

<sup>2</sup> محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، ص 28.

<sup>3</sup> عن ديباجة الديوان، ص 3.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 13.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 31.



ويرجح التاريخ الأول الذي ذكره ابن خلكان بحكم معاصرته لابن الفارض وهو الرابع من ذي القعدة سنة 576 الموافق 22 مارس 1181م<sup>1</sup>، وتوفي سنة 632هـ، ومعنى هذا أن حياته تقع في الربع الأخير من القرن السادس، والثالث الأول من القرن السابع للهجرة<sup>2</sup>.

ويتبين أن ابن الفارض عاش في عصر قلق، بحكم الحروب الصليبية التي أشعلت نارها فيه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، عصر خصب منتج من النواحي الدينية، والأدبية والعلمية، وعصر سني، أحييت فيه التعاليم السنية، وفي المقابل حورت التعاليم الشيعية<sup>3</sup>.

### الآثار التي كانت لعصره في نشأته وتكوين صوفيته:

عبرت صوفية ابن الفارض أطواراً أربعة:

**ففي الطور الأول:** من حياة ابن الفارض حُب إليه طريق الصوفية، وبدأ السياحة في وادي المستضعفين بالقطم، وقد صور لنا صاحب الشذرات هذا الطور بقوله: "... نشأ ابن الفارض تحت كنف أبيه في عفاف وصيانة، وعبادة وديانة، بل زهد وقناعة، وورع أسدل عليه لباسه وقناعه، فلما شب وترعرع اشتغل بفقهِ الشافعية، وأخذ الحديث عن ابن عساكر وعن الحافظ المنذري وغيره، ثم حُب إليه الخلاء وسلوك طريق الصوفية فتزهد وتجرد"<sup>4</sup>.

فهذا موجز عن العوامل التي ساعدت ابن الفارض على أن يسلك طريق التصوف، فقد تضافرت عدة عوامل منها:

- المناخ الغابي العام الذي ساد ذلك الوقت.
- الصفات الجليلة التي كان يتصف بها الوالد.
- نهل وتثقف بلون الثقافة الدينية المعروفة في عصره وهو الفقه الشافعي والحديث.

<sup>1</sup> محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، ص 32.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 37.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 41.

<sup>4</sup> أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق، بيروت، د.ت، ج8، ص 149.

- أخذ الحديث عن ابن عساكر وعن المنذري، وأولهما هو القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله ثقة الدين الشافعي (527هـ-1132م / 600هـ-1203م)، وثانيهما الحافظ عبد العظيم زكي الدين، أحد الذين ولوا التدريس "بدار الحديث" التي أتاها الملك الكامل، ووقفها على المشتغلين بالحديث، ومن بعدهم على المشتغلين بفقهِ الشافعية<sup>1</sup>.

ويمكن أن يقال، إن بذور الزهد، والورع والتقوى والعبادة قد غرست في نفس الشاعر منذ كان يافعا، وإلى أن سلك في طوره الثاني طريق الصوفية، وقد صور سبط ابن الفارض هذا كله فيما رواه على لسان جده حيث يقول: "كنت في أول عهدي بالتحريد، أستأذن والدي وأطلع إلى وادي المستضعفين وآوي فيه، وأقيم في هذه السياحة ليلا ونهارا، ثم أعود إلى والدي لأجل بره ومراعاة قلبه، وكان والدي يومئذ خليفة الحكم للعزير بالقاهرة، ومصر المحروستين، وكان من أكابر أهل العلم والعمل، وكان يسر برجوعي إليه، ويلزمني بالجلوس معه في مجالس الحكم ومدارس العلم، ثم اشتاق بعد هذا إلى التحريد فأعود إلى السياحة، وما برحت أفعل ذلك مرة بعد مرة إلى أن سئل والدي أن يكون قاضي القضاة، فامتنع ونزل عن الحكم، واعتزل الناس، وانقطع إلى الله تعالى بقاعة الخطابة في الجامع الأزهر إلى أن توفي، فعاودت التحريد والسياحة وسلوك طريق الحقيقة فلم يفتح علي بشيء"<sup>2</sup>.

بالإضافة إلى ما غرسه الوالد في قلب الولد، والذي كان له الأثر في نشأته، فكانت مجالس الحكم ومدارس العلم التي كان يلزمه الوالد بالجلوس معه فيها، كان لها الأثر الأكبر في ثقافته، وتهذيب نفسه بأصول الحكم وآراء العلم التي كانت شائعة في أهل ذلك العصر<sup>3</sup>.  
وبعدما أشار عليه أستاذه الذي ذكر بعدة أسماء (أبو الحسن علي البقال، الشيخ محمد البقال، والشيخ البقال)<sup>4</sup>.

رحل من إلى الحجاز، وهذه الرحلة كانت بداية طوره الثالث الذي انقطع فيه إلى السياحة بأودية مكة سياحة كانت سبيله إلى الفتح الإلهي<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، ص 43. عن خطط المقرئ، ج 4، ص 211.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 45. عن ديباجة الديوان، ص 4.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 45.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 47. عن الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، ص 299. وبدائع الزهور، ج 1، ص 81.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 47.

وقضى بالحجاز خمسة عشر عاما وتوفي في مصر بعد عودته بأعوام أربعة<sup>1</sup>.

وحسبنا هنا أن نعلم أن ابن الفارض كان شاعرا صوفيا، أحب الذات الإلهية، وسبّح بجمالها تسييحا طويلا، ورتل أنشودة حبها ترتيلا جميلا، ولعل تاريخ الآداب الصوفية العربية لا يعرف شاعرا وقف حياته الروحية كلها على حب الله، والتغني بجمال ذاته كما فعل ابن الفارض، فشاعرنا، بحق من هذه الناحية، يعد سلطان العاشقين، وإمام المحبين، ولقد أحس هو نفسه أنه انتهى من حبه لله، وإقباله عليه إلى مرتبة لم يبلغها غيره، كما يدل على ذلك قوله في أبياته في أطواره الثلاثة، وهو في هذه الأبيات قد جعل من نفسه قائدا لجنود الهوى وإماما للمحبين، وقدوة للعاشقين<sup>2</sup>.

الطور الأول: ما يميز حب هذا الطور أنه مرآة واضحة ظهرت على الأثره وحب النفس من ناحية، والرضا من ناحية أخرى، إذ يقول:

هي قبل يفنى الحب مني بقية  
أراك بما لي نظرة المتلفت

ومني على سمعي بلن إن منعت أن  
أراك فمن قبلي لغيري لذة

فعندي لسكري فاقة لإفاقة  
لها كبدي لولا الهوى لم تفتت<sup>3</sup>

وفي أبيات أخرى يخاطب محبوبته:

ولم أحك في حبيك حالي تبرما  
بها لاضطراب بل لتنفيس كربتي

ويحسن إظهار التجلد للعدا  
ويقبح غير العجز عند الأحبة

ويمعني شكواي حسن تبصري  
ولو أشك للأعداء ما بي لأشكت

وعقبى اصطباري في هواك حميدة  
عليك ولكن عنك غير حميدة

وما حل لي من محنة فهو منحة  
وقد سلمت من حل عقد عزيزي

<sup>1</sup> محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، ص 48.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 218.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 183.

وكل أذى في الحب منك إذا بدا جعلتنا له شكري مكان شكيبي

فابن الفارض في الأبيات الثلاثة الأولى يظهر نقص حبه، وأنه مشوبا بشوائب الأثرة والأنانية، وهو يرمي إلى شيئين:

أحدهما: رغبته في أن يظفر من المحبوبة الحقيقية برؤيتها أو سماع كلامها فتقول له: "الن تراني" (إشارة إلى قوله تعالى لموسى عليه السلام حين طلب إلى الحق أن يتجلى).

وثانيهما: حاجته إلى كمال سكره الذي يعينه على الخلاص من إنيته، وهذا ما يجلي الأثرة وحب النفس ونقصان الحب الإلهي.

وفي الأبيات الستة الأخيرة يكشف ابن الفارض بين الرضا والحب في ذلك يفعل ما فعله غيره من الصوفية المتقدمين<sup>1</sup>، فالمحاسبي مثلا يرى: أن المحب يرضى بكل ما يفعله المحبوب، وذلك يجلب لذة أو يعقب ألما. كما حكى عن عتبة الغلام أنه بات ذات ليلة مناجيا ربه إلى الصباح قائلا له: "أن تعذبني فأنا لك محب، وإن ترحمني فأنا لك محب"<sup>2</sup>.

فوصل المحبوبة الحقيقية، والتحقق بشهود الذات، لا يتحققان بالحياة النفسية، وما يشوبها من أهواء وأغراض، وهذا ما وصل إليه ابن الفارض في آخر الطور الأول لحبه، فقد أصبح راضيا عن هذا الموت في سبيل المحبة دون أن يكون له أي مطمع في وصل المحبوبة إذ يقول:

أجل أجلى أرضى انقضاه صباة ولا وصل إن صحت لحبك نسبي<sup>3</sup>

ونتيجة رضاه عن فنائه، أنه أصبح يرجو هذا الفناء، ويرى فيه سعادته وحياته إذ يقول:

فقد صرت أرجو ما يخاف فاسعدي به روح ميت للحياة استعدت

فابن الفارض لا زال في مرحلة رجاء الفناء، فلم يصل بعد إلى الفناء التام، وسبيله:

- تجرد المحب عن إرادته، ويستسلم لإرادة المحبوبة

- يسوي بين ظاهره (قوله) وبين باطنه (اعتقاده).

<sup>1</sup> محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، ص 183.

<sup>2</sup> الرسالة القشيرية، ج 2، ص 90.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 184.

- يؤدي فروض الإسلام من صلاة، وصوم، وحج، وغيرها من العبادات... .
- لا يخلد إلى البطالة والتسويق في أداء واجبات الشرع وغيرها من المبادئ الأخلاقية التي لها الأثر في تصفية النفس البشرية تصفية تنتهي منها إلى مقام الجمع، فتصبح الذات المحبوبة هي الفاعلة فعل الأعضاء والحواس، وفي هذا المعنى يقول ابن الفارض:

فكن بصرا وانظر وسمعا وعه وكن لسانا وقل فالجمع أهدى طريقة

- وعلى أساس ما تقدم في ذكر حب ابن الفارض في الطور الأول، يمكن نعتة بحب الهوى<sup>1</sup>، وهو النوع الذي ذكرته رابعة العدوية في مقابل حب الله لذاته في قولها:

أحبك حبين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاكا  
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عن سواكا  
وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجب حتى أراكا  
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

- وقد فسر الغزالي "حب الهوى" بقوله: "ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة..."<sup>2</sup>.

- ومهما يكن الهوى الذي كان غالبا على الحب الفارضي في طوره الأول فقد بلغ الحب في طوره الثاني مبلغا من القوة لم يبلغه من قبل وهذا ما تؤكد هذه الأبيات:

فأفنى الهوى ما لم يكن ثم باقيا هنا من صفات بيننا فاضمحلث  
فألقيت ما ألقىت عني صادرا إليّ ومني واردا بمزيدتي  
وشاهدت نفسي بالصفات التي بها تحجبت عني في شهودي وحجبتني  
وإنني التي أحببتها لا محالة وكانت لها نفسي عليّ محيلتي

<sup>1</sup> محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، ص 186.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، ص 266-267.

الحب عن صفاته التي كانت حائلا بينه وبين محبوبته، كما كان هذا الفناء سبيلا إلى شهود نفسه ومحبوبته على أنهما شيء واحد. كما كشف له هذا الفناء برا عظيما وهو أن حبه لهذه المحبوبة كان أزليا، منح إياه قبل أن تهبط روحه من عالم الأمر إلى عالم الحس كما تبينه هذه الأبيات:

منحت ولاها يوم لا يوم قبل أن      بدت عند أخذ العهد في أوليتي  
فنلت ولاها لا بسمع وناظر      ولا باكتساب واجتلاب جبلة  
وهمت بها في عالم الأمر حيث لا      ظهور وكانت نشوتي قبل نشأتي

فابن الفارض انتهى به الفناء إلى حالة نفسية، تعرف فيها ما كانت عليه النفس من طهارة عن الصفات الخلقية المذمومة، والشوائب الحسية، قبل أن يفسد عليها اتصالها بالبدن هذا التجرد<sup>1</sup>.  
وجملة القول في الطور الثاني لحب ابن الفارض هي أن الفناء الذي يتحقق به الحب في هذا الطور ليس فناء مؤديا إلى اتحاد الوجود الخاص بالوجود العام، ولكنه مؤد إلى "شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي الكل موجود به فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجودا به، معدوما بنفسه لا من حيث إن وجودا خاصا اتحد به، فإنه محال"<sup>2</sup>.

ومن هنا يصبح مذهب ابن الفارض في الفناء والاتحاد الناشئ عن هذا الفناء مقبولا لدى العقل، ملائما لأحكام الشرع، وتكون ألفاظ الاتحاد والامتزاج والوحدة وغيرها، مما استعمله ابن الفارض في شعره لإظهار نتائج فئائه مجرد ألفاظ يرجع استعماله لها إلى أحد سببين، إما لعدم دقته، وتحريه للألفاظ التي تتعادل مع المعاني التي يقصد إليها ولعل منشأ هذا الاضطراب هو الغيبة التي قضى معظم حياته تحت سلطانها.

وممكن أن يكون قد عمد إلى هذه الألفاظ، لأنه لم ير خيرا منها في أداء المعنى التي يريد التعبير عنها في شيء من المبالغة التي كانت تسود شعره، وحتى يظهر أنه وصل في الحب إلى ما لم يصل إليه غيره ممن سبقوه، أو عاصروه.

<sup>1</sup> محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، ص 187.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 193. عن التعريفات: مادة "اتحاد"، ص 3-4.

بحكم هذه المبالغة وجد نفسه مضطرا إلى أن يستمد ألفاظا من معجم وحدة الوجود ليذل بها على مذهب قد يكون بعيدا عن مذهب الوجود في أكثر نواحيه، إن لم يكن في كلها. وتميز الطور الثاني للحب الفارضي، أن الحب فيه قد تتره عن غرض إشباع الرغبة واللذة، وفكرة الثواب على هذا الحب إلى إرادة وجه المحبوبة خالصا:

تقربت بالنفس احتسابا لها ولم      أكن راجيا عنها ثوبا فأدنت  
وقوله:

فلاح فلاحي في أطراحي فأصبحت      ثوابي لا شيئا سواها ميثيبي

وهذا النوع من الحب هو الذي عبّرت عنه رابعة العدوية بقولها:

"وأما الذي أنت أهل له"

ويضاف إلى هذا النوع من الحب فناءه عن نفسه الجزئية واستغراقها في نفس المحبوبة الكلية، وأصبح يحب نفسه التي استغرقت في المحبوبة، وليس بالمعنى الذي كان يحبها عليه في الطور الأول.

وكنت بما صبّا فلما تركت ما      أريد أراذني لها وأحبت  
فصرت حبيبا بل حبّا لنفسه      وليس كقول مر نفسي حبيبي<sup>1</sup>

وبعد أن كان الحب في الطور الأول يريد أن يظفر من المحبوبة بشيء، وكان في الطور الثاني يريد أن لا يكون شيئا، أصبح في الطور الثالث شيئا آخر غير الذي كان عليه في الطورين السالفين: أصبح فانيا عن نفسه باقيا بمحبوبته إلى الحد الذي أحس معه أن وجوده صار غين وجود محبوبته، وهذا اتحاد من قبيل الأحوال الصوفية التي تملك على السالك حسه وشعوره، وتذهب به إلى بعيد من الغيبة التي يأتي فيها الكلام يوهم ظاهره مخالفة الشرع، ويعرّفه الصوفية باسم الشطح، ومن هنا يكون الاتحاد الفارضي نتيجة منطقية لفناء المحب عن نفسه وحسه، حيث لا يشهد إلا محبوبته ولا يريد سواها<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، ص 195.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 195.



ولكلام ابن الفارض في **طوره الثالث** عن الاتحاد بالحقيقة المحمدية قيمة خاصة ذلك لأنه يكشف لنا من خلاله عن المقام الذي اختص به محمد ﷺ، هو هنا صاح بعد أن كان هناك سكران، وهو هنا قد أثبت لنفسه صحو الجمع، بعد أن أثبت هناك سكر الجمع<sup>1</sup>، كما يدلنا على ذلك قول ابن الفارض بلسان الجمع مع الحقيقة المحمدية:

وكل الورى أبناء آدم غير أني      جزت صحو الجمع من بين إخوتي  
فسمعي كلمي وقلبي منبأ      بأحمد رؤيا مقله أحمدية

فابن الفارض في وصوله إلى أول ما وصل إليه من الحال الموحدة شعر بأنه أصبح متحدًا بالله الذي يبصره يبصره، ويسمع بسمعه، كما يقول الحديث القدسي: "لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا، في يسمع، وي يبصر، وي يببطش..."<sup>2</sup>، ومثل هذا الحديث استغله الصوفية كما استغله ابن الفارض مثلهم وأشار إليه بقوله:

فكن بصرا وانظر وسمعا وعه وكن      لسانا فالجمع أهدي طريقة  
وبقوله:

وجاء حديث في اتحادي ثابت      روايته في النقل غير ضعيفة  
يشير بحب الحق، بعد تقرب      إليه بنقل أو أداء فريضة  
وموضع تنبيه الإشارة ظاهر      بكننت له سمعا كنور الظهيرة

والاتحاد هو طور من أطوار الحب مرت به نفس ابن الفارض في نهاية طريقها إلى الله، وقد انطوى هذا الاتحاد على معاني دقيقة من درجات الصفاء والنقاء، والذوق والوجد، ودعامته تطهير النفس وكشف أستار الحس، وجلاء ذاته من صدأ صفاتها، ومفارقة الجوارح<sup>3</sup>، كما يدل على هذا كله قوله:

هناك ما أحجم العقل دونه...

<sup>1</sup> محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، ص 196.

<sup>2</sup> أخرجه البخاري، ج 5، ص 2384، ح 6137.

<sup>3</sup> محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، ص 199.

## الحب والمعرفة عند ابن الفارض:

المتأمل في أطوار الحب الإلهي عند ابن الفارض، وفيما كان يفتح به عليه في كل طور، يلاحظ أنه لم يكن بدعا من الصوفية، بل كان مثلهم في ربط الحب بالمعرفة، وجعل المعرفة ثمرة من ثمرات الحب، وحالا مثله موهوبا من الله، وليس مكتسبا من جانب العبد.

وبين الحب والمعرفة عند ابن الفارض علاقة وثيقة لا تنفصم عروقها، ويمكن أن يقال إن الفناء كما هو عند ابن الفارض شرط المحبة، وسبيل اتحاد المحب بمحبوبته الحقيقية، فهو كذلك شرط المعرفة، وسبيل العارف إلى معانية ذات هذه المحبوبة.

وهل كانت المحبة سابقة على المعرفة أو العكس عند ابن الفارض؟

الحب في مذهب ابن الفارض سابقا على المعرفة، وبأن تكون المعرفة نتيجة له.

فقد انتهى به الحب إلى مشاهدة الذات الإلهية مشاهدة عينية تكشفت له فيها أسرارها، وحقائقها، مما ينبني عليه أن تكون المعرفة مشروطة بالمحبة، إذ لو لم يحب ابن الفارض الله هذا الحب ولو لم يتهيأ له هذا التقلب في أطواره، لما وفق إلى معرفة الذات.

ثم يجزم الكاتب أن ابن الفارض أحب الله معرفة، وعرفه فأحبه، ثم يجمع قوله: أننا لا نستطيع أن نقرر بصفة عامة أن المعرفة متقدمة على المحبة في مذهب ابن الفارض على نحو ما كانت عليه عند الغزالي وابن القيم، وإنما هي متقدمة عليها من وجه ومتأخرة عنها من وجه آخر، وأن المعرفة التي تأتي بعد المحبة أروع وأكمل من المعرفة التي تتقدم عليها، لأن هذه معرفة تتخذ موضوعها من أشياء معينة متكررة، وتلك معرفة بشيء مطلق واحد قد انطوى فيه كل شيء.

ما أعظم هذا الصوفي -التميز- والذي أقام مذهبه على دعائم قوية من الحب الصادق، والرضا الخالص، والاطمئنان إلى كل شيء، والقبول الحسن لكل شيء.

ابن الفارض بسط على الحياة أجنحة الحب والإخاء والمساواة، والتي صورها مذهبه في الوحدة، ووحدة المحب والمحبوب، ووحدة الخلق والحق، ووحدة الأديان والشرائع، فأزال كل مظاهر التفرقة بين أفراد النوع الإنساني.

فكيف لا يكون متميزا من استطاع أن يجمع في ديوانه أهي وأرقى الأزهار التي ازدان بها بستان الحب الإلهي والذي قطف منه الكثير من الصوفية بعده.

من يدرس التحفة الأدبية والصوفية لابن الفارض، يكون قد درس أيضا لمذهب غيره من الصوفية وهذا ما يجعله يلقب بشاعر الحب الإلهي بغير منازع في تاريخ التصوف العربي الإسلامي. والصوفية عموما، حققوا في حياتهم الروحية والعملية كثيرا من المبادئ الراقية التي تفتح الطريق لكل من يريد التخلص من عوائق المادة، وعلائق الحس، وشوائب الأثرة فتتجمع لديه القدرة على الاتصال بالله، والاستمتاع بما في الكون من مظاهر عظمته وجلاله، وآيات كماله وجماله.

#### رابعة العدوية:

رائدة العشق الإلهي، أم الخير، رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك الصالحة المشهورة<sup>1</sup>.

رابعة العدوية المرأة التي ملأ صيتها دنيا التصوف، حتى كان لها ذلك الصيت الذائع وما حفل به من مكرمات فتنت عالم الصوفية، وألقت بظلالها عليه حتى يومنا هذا<sup>2</sup>.

فلما جاءت رابعة وابتدعت فكرة الحب الإلهي، الذي أقامته على نهج الشوق والأنس والوجد في علاقتها مع ربها، أخذت الصوفية تتركز في بعض الأذهان كفكرة، لتبرز بعد ذلك كظاهرة جديدة لم يعرفها المسلمون من قبل<sup>3</sup>.

وحتى الفرق العديدة والمتنوعة للصوفيين التي نشأت بعد رابعة، لم يبلغ منهم سواء من المتقدمين، أو المتأخرين، ما بلغته رابعة من العشق الإلهي<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلدكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت، ص 285.

<sup>2</sup> سميح عاطف الزين: رابعة العدوية، تحليل ودراسة، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، 1408هـ-1988م، ص 83.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 87.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 88.

حتى ابن الفارض (م سنة 632هـ) والملقب بشيخ العشاق وإمام المحبين في عالم الأشواق والمواجيد لم يزد في الحب الإلهي شيئاً عما قالته رابعة العدوية.

ومن قبله بيضة قرون ذو النون المصري (م سنة 245هـ) أستاذ من تحدث عن الحب والمعرفة في التصوف، إنما كان يردد ما ادعته رابعة في مواجهتها<sup>1</sup>.

والتأمل في ما أثر عن ذي النون من أقوال منشورة وقصائد منظومة، يلاحظ أنه يصطنع لفظي الحب والمحبة اصطناعاً صريحاً، وأنه باستعماله لفظة الحب بنوع خاص، إنما يشارك رابعة العدوية التي تعد أول من استعمل هذه اللفظة استعمالاً صريحاً فيما كانت تناجي ربها، أو كانت تتحدث به عن علاقتها به، وإقبالها عليه، وإيثارها له<sup>2</sup>.

ومن هنا يتبين أن رابعة العدوية هي رائدة العشق الإلهي عند صوفية المسلمين.

وقد حيكت قصص عديدة حول ولادتها، وتربيتها، وما وصل عنها عن الزواج، أنها لم تتزوج، ورفضت خطاب الكثير.

موقف رابعة من الزواج:

كان أبو سليمان الهاشمي له بالبصرة كل يوم غلة ثمانين ألف درهم، فبعث إلى علماء البصرة يستشيرهم في امرأة يتزوجها فأجمعوا على رابعة العدوية فكتب إليها: أما بعد فإن ملكي من غلة الدنيا في كل يوم ثمانون ألف درهم وليس يمضي إلا قليل حتى أتمها مائة ألف إن شاء الله، وأنا أخطبك نفسك، وقد بذلت لك من الصداق مائة ألف، وأنا مصير إليك من بعد أمثالها، فأجيبني، فكتبت إليه: أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن، والرغبة فيها تورث الهم والحزن، فإذا أتاك كتابي فهنيئاً زادك وقدم لمعادك، وكن وصي نفسك، ولا تجعل وصيتك إلى غيرك، وصم دهرك واجعل الموت فطرك، فما يسرني إن الله حولني أضعاف ما حولك فيشغلني بك عنه طرفة عين والسلام<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سميح عاطف الزين: رابعة العدوية، ص 88.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 88.

<sup>3</sup> ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ص 286.

صورت حياة رابعة بلا بيت، بلا مال، بلا زوج، وكان الناي آخر اهتماماتها في شؤون الدنيا، قبل أن تجلس إلى حلقات المساجد، وتقيم الصلاة في البصرة مع الرجال الأوائل في حياة التصوف، أمثال: إبراهيم بن أدهم، معاصرها الأكبر، ومالك بن دينار، وسفيان الثوري، وشقيق البلخي...<sup>1</sup>.

ولكن لم تجد في هذه الحلقات الإشباع الذي يكفي، ولا الذي تبغي، لذلك آثرت الابتعاد عن تلك الحلقات واتخذت لنفسها خلوة خاصة بها، وانقطعت للعبادة، وبعد أن اتخذت تلك الخلوة، اصطبغت حياتها بألوان ذلك الحب الذي أرادته، من وجد وأنس وعشق، وأملها الوصل بالحبيب الأعلى -على حد قولها-<sup>2</sup>.

وعن تلك الفترة من حياتها يروي أحد الشيوخ عنها فقال: "حكى عن رابعة رحمها الله تعالى أنها كانت إذا صلت العشاء، قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت: إلهي! أنارت النجوم، ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك، ثم تقبل على صلاتها، فإذا كان وقت الفجر قالت: إلهي! هذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري، أقبلت مني فأهنأ، أم رددتها علي فأعزى؟ فوعزتك هذا دأبي ما أحييتني وأعتنتني وعزتك لو طردتني عن بابك ما برحت عنه لما وقع في قلبي من محبتك"<sup>3</sup>.

ومثل هذه المناجاة تبين أن رابعة كانت حياتها كلها عبادة لله، تركت الدنيا، ولم يعد يملأ كيانها إلا حبها لله، وظل هذا الحب يتفاعل في قلبها إلى أن وافاها الأجل سنة خمس وثلاثين ومائة، وهو نفس التاريخ الذي ذكره ابن الجوزي في شذور العقود<sup>4</sup>. وقيل سنة خمس وثمانين ومائة، وقبرها يزار وهو بظاهر القدس من شرقيه على رأس جبل يسمى الطور<sup>5</sup>. وقيل سنة ثمانين

<sup>1</sup> سميح عاطف الزين: رابعة العدوية، ص 102-103.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 103.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 105. عن الحريفيش: الروض الفائق في الزراعة والرفائق.

<sup>4</sup> ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ص 287.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 287. عن ابن الجوزي: شذور العقود.

ومائة وهي السنة التي كانت الزلزلة العظمى التي سقط منها رأس منارة الإسكندرية، وفيها نزل الرشيذ الرقة واتخذها وطناً<sup>1</sup>.

### رابعة أسطورة القرن الرابع الهجري:

ما كان لرابعة من كرامات جعلت منها أسطورة القرن الرابع الهجري، من بين هذه الكرامات:

- إحياء حمارها الذي مات في طريق الحج: ارتحلت رابعة ذات يوم إلى مكة المكرمة، ومعها حمارها، فنقع في الطريق، فقال أصحاب القافلة، ستحمل متاعك على دوابنا، فقالت رابعة: ما كان إشكالي عليكم بل كانت ثقتي بالله تعالى، فدعت رابعة الله قائلة: إلهي أهكذا يفعل الملوك بعبيدهم، لقد دعوتني إلى زيارتك، وذا حماري ينقع في الطريق، فما أن أتمت هذه الكلمات حتى نهض الحمار<sup>2</sup>.

ويضيف: فرأت الكعبة قادمة نحوها عبر الصحراء، فقال: لا أريد الكعبة بل رب الكعبة، فأما الكعبة فما أفعل بها. لأن رابعة العدوية كانت تنظر إلى الكعبة على أنها بيت أوثان قبل أن يطهرها الإسلام.

وكذب ابن تيمية القول المنسوب إلى رابعة العدوية بخصوص الكعبة الشريفة على أنها صنم، لأن مثل هذا القول كفر يستوجب التوبة، وإلا القتل، كما أن البيت ليس هو المعبود، بل رب البيت<sup>3</sup>. لم تنسب لرابعة مثل هذه الأقوال و فقط بل لم تنج حتى من رميها بالزندقة.

### رمي رابعة بالزندقة:

رمى الفقهاء رابعة بالزندقة لأنها أدخلت مقام المحبة، وقالت يعشق الله، خصوصاً قولها:

وأبحث جسمي من أراد جلوسي

لقد جعلتك في الفؤاد محدثي

<sup>1</sup> أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي (المتوفى سنة 768هـ): مرآة الحنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، المجلد الأول، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص 378.

<sup>2</sup> محمد عبد الحميد حمد: الرهينة والتصوف، ص 183. عن فريد الدين العطار: تذكرة الأولياء، ج1، القاهرة، 1258هـ ص 63.

<sup>3</sup> ابن تيمية: مجموعة الرسائل والمسائل، المجلد الأول، ص 94.

وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

فالجسم مني للجليس مؤانس

كما يرى عبد الرحمن بدوي: أن العهر هو سبب حبها، مارسته وهي شابة ثم تابت، وأصبحت قديسة، قال: غرقت في بحر الشهوات على افتراض أنه ما كان لها أن تتطرف في إيمانها لو لم تتطرف في فجورها من قبل، مستندا على شعرها ومن قولها: ليس للمحب وحببيه بين، وإنما هو نطق عن شوق ووصف عن ذوق، فمن ذاق عرف<sup>1</sup>.

لكن كيف يقال مثل هذا الكلام في حق امرأة قضت عمرها في الذكر، والدعاء، والتضرع، والعبادة التي لم تنقطع عنها طرفة عين. كانت رابعة كما تروي خادماتها عبدة: إذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة حقيقية حتى يسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول، وقد هبت من مرقدها فزعة وهي تقول: يا نفس، كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ ألا تخافين صرخة يوم النشور، قالت: هذا هو دأبها دهرًا حتى ماتت<sup>2</sup>.

والمتصوفون يدافعون عن رابعة، المرأة الطاهرة، العابدة، قال الغزالي: إن تبلغ الحالة تعرف ما هي، وقال أبو يزيد البسطامي في معرض الدفاع عنها: ليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده، وقال معروف الكرخي: إن محبة الله شيء لا يكتسب بالتعليم. وكيف ترمى بالزندقة وهي صاحبة هذه الأقوال الشهيرة عندما واجهتها مواقف حياتية صعبة:

1- كان لها بستان، فأكل الجراد ما به، وهي تنظر وتبتسم، ثم نظرت إلى السماء وهتفت "إلهي رزقي عندك، فما أنقصني الجراد شيئًا ولا سلبي رزقا وإنما هو قضاؤك والرزق عندك".

وعند سماع والي البصرة سليمان الهاشمي بقولها، يقول الهجويري: حمل إليها الكثير من الأموال لتستعين بها في حياتها، لكن الموقف أبكاها ورفعت رأسها إلى السماء قائلة: هو يعلم أي

<sup>1</sup> محمد عبد الحميد حمد: الرهبة والتصوف في المسيحية والإسلام، ص 181. عن عبد الرحمن بدوي: شهيدة العشق الإلهي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960، ص 172.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 182. عن ابن القيم الجوزية: عن صفوة الصفوة، ج4، ص 58.



أستحي منه أن أسأله من مال الدنيا وهو يملكها، فكيف آخذها ممن لا يملكها، وحذرت أنه يعود إلى مثلها<sup>1</sup>.

2- ولقي سفيان الثوري رابعة - وكانت زرية الحال- فقال لها: يا أم عمرو أرى حالاً رثة فلو أتيت جارك فلانا لغير بعض ما أرى، فقالت له: يا سفيان وما ترى من سوء حالي؟ ألسنت على الإسلام فهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه والأنس الذي لا وحشة معه، والله إني لأستحي أن أسأل الدنيا من يملكها، فكيف أسأله من لا يملكها؟ فقام سفيان وهو يقول: ما سمعت مثل هذا الكلام، وقال رابعة لسفيان: إنما أنت أيام معدودة فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم فاعمل<sup>2</sup>.

3- وصاياها: اكنموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم، قالت لأبيها: يا أبة، لست أجعلك في حل من حرام تطعمنيه، فقال لها: أرايت إن لم أجد إلا حراماً؟ قال: نصبر في الدنيا على الجوع خير من أن نصبر في الآخرة على النار.

4- وكانت إذا جنّ عليها الليل قامت إلى سطح لها ثم نادى: إلهي هدأت الأصوات وسكنت الحركات وخلا كل حبيب بحبيبه، وقد خلوت بك أيها المحبوب، فاجعل خلوتي منك في هذه الليلة عتقي من النار<sup>3</sup>.

5- وروي أن سفيان الثوري قال في حضرتهما: اللهم إني أسألك السلامة، فبكت رابعة، وقال لها: ما يبكيك؟ قالت: أما علمت أن السلامة، ترك ما في الدنيا فكيف وأنت متلطح بها؟<sup>4</sup>.

### كيف بلغت رابعة هذه المرتبة العالية في الحياة الروحية؟

يقول سهل بن عبد الله التشرى: لما دخلت رابعة البصرة، وجدت فيها أربعة آلاف يتكلمون بالمعرفة (الإلهية) وعندما سئلت: كيف بلغت هذه المرتبة العالية في الحياة الروحية؟ أجابت: "بقولي اللهم إني أعوذ بك من كل ما يشغلني عنك ومن كل حال يحول بيني وبينك"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> محمد عبد الحميد الحمد: الرهبة والتصوف في المسيحية والإسلام، ص 180.

<sup>2</sup> ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ص 286.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 286.

<sup>4</sup> محمد عبد الحميد الحمد: الرهبة والتصوف في المسيحية والإسلام، ص 181. عن المناوي: الطبقات الكبرى، ج1، طباعة

مصر، ص 109.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 180. عن عبد الباقي سرور: رابعة العدوية، 1957، القاهرة، ص 52.

في جوابها يتبين لنا أنها حصلت على معرفتها الروحية من طول تأملها وتفكرها بالله سبحانه وتعالى، وكأن العلم يفيض من الله يقذفه في صدور العارفين به.

وأي كان الاتجاه الذي اعتمده الرواة أو الباحثون، وأيا كانت دوافعهم فيما رويوا أو كتبوا، فإن التاريخ يحفظ لنا ذكرى صوفية، أوجدت مذهباً خاصاً، كانت له آثاره التي راحت تتفاعل مع الزمن حتى بقي إلى وقتنا الحاضر<sup>1</sup>.

أهم شيء في صوفية رابعة العبادة والمناجاة والتهجد، وهذا يتوافق تماماً مع الدين الإسلامي، وهذا الطريق الذي سار عليه النبي ﷺ، والصحابة، والتابعين امتثالاً لأمره تعالى.

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾<sup>2</sup>.

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾<sup>3</sup>.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِئٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾<sup>4</sup>.

﴿بِأَيِّهَا الْمُرْمَلُ قَوْمَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا نَّصَفَهُ أَوْ انْقَصَرَ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتَلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُونَ يِقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَءُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَقْوَرٌ رَحِيمٌ﴾<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سميح عاطف الزين: رابعة العدوية، ص 106.

<sup>2</sup> سورة الفرقان: الآية 64.

<sup>3</sup> سورة السجدة: الآية 16.

<sup>4</sup> سورة الزمر: الآية 09.

<sup>5</sup> سورة المزمل: الآية 1-4/20.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِدْ بِهِ نَائِلَةً لَّكَ نَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّخْمُوداً﴾<sup>1</sup>.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلًا﴾<sup>2</sup>.

والتهجد في الليل شرعة سماوية علوية، وسنة نبوية شريفة. ومن أقوال النبي ﷺ في التهجد: "عليكم بقيام الليل فإنه مرضاة لربكم، وهو دأب الصالحين فبلكم، ومنهارة عن الإثم، وملغاة للوزر، ومُذهب كيد الشيطان، ومطرودة للداء عن الجسد"<sup>3</sup>.

لكنها لم تكن راضية على نفسها، وتستقل عبادتها في قولها:<sup>4</sup>

وزادي قليل ما أراه مُبلغي      أَلزاد أبكي، أم لطول مسافتي؟

أُحرقني بالنار يا غاية المنى      فأين رجائي فيك؟ أين مخافتي؟

إلا أن هذا الخوف من نار الآخرة وإحراقها تبدد في جوابها عن سؤال لسفيان الثوري (ما حقيقة إيمانك يا رابعة؟) فقالت: "ما عبدته خوفاً من ناره، ولا حبا في جنته، فأكون كالأجير السوء، بل عبدته حبا وشوقا إليه"<sup>5</sup>.

ويروي العطار أن رابعة كانت تناجي ربها وتقول: "إلهي! إن كنت عبدتك من خوف النار فأحرقني في النار، أو طمعا في الجنة فحرّمها عليّ، وإن كنت لا أعبدك إلا من أجلك فلا تحرمني مشاهدة وجهك"<sup>6</sup>.

تعرضت هذه الأقوال للنقد، لأنه ليس في الإسلام ما يخول المؤمن أن يعبد الله تعالى على هواه، بلا خوف من ناره، ولا طمع في جنته، لأن ذلك يؤدي إلى إفراغ العبادة من محتواها الذي تقوم عليه، لأن عبادة لا تقوم على الخوف من النار، ولا على الطمع في الجنة، هي عبادة جوفاء،

<sup>1</sup> سورة الإسراء: الآية 79.

<sup>2</sup> سورة الإنسان: الآية 26.

<sup>3</sup> أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات في باب دعاء النبي ﷺ، ح3549، من حديث أبي أمامة وقال الألباني حسن صحيح

<sup>4</sup> سميح عاطف الزين: رابعة العدوية، ص 131.

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 133.

<sup>6</sup> نفس المرجع السابق، ص 132.

لأنه ينتفي معها الثواب والعقاب، ويتساوى الناس في المصير، فلا فرق بين كافر ومؤمن، وجان ومجني عليه، وعاصي وتائب<sup>1</sup>.

والله تعالى عندما خلقنا أنزل على رسله قانون الثواب والعقاب، وهي صورة من صور العدالة الإلهية، يقول الله تعالى: «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ»<sup>2</sup>، «وَيَسْبِعُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاحِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِيهِ اللَّهُ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ»<sup>3</sup>، «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غَمُّوسًا فَمَطَرٍ بَرًّا فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا»<sup>4</sup>.

والرسول ﷺ يقرر حقيقة ثابتة فيقول: "إن المؤمن يعيش في هذه الدنيا بين مخافتين: أجل قد مضى ولا يدري ما الله صانع به، وأجل قد بقي ولا يدري ما الله قاض فيه"<sup>5</sup>.

وما دام هذا دأب النبي ﷺ، وأهل بيته، وكل المؤمنين الصادقين، فإن عدم الخوف من الله عز وجل وعدم الطمع في ثوابه تنكر للطبيعة البشرية التي من مظاهرها إحدى غرائزها الخوف من العقاب والطمع في الثواب<sup>6</sup>.

وعدّ النقاد اعتقاد رابعة مخالفة لكتاب الله المبين الذي يحثنا على الخوف من ربنا، ويحضنا على الخشية من غضبه، ويقر على أن كل ما يدب على وجه الأرض يخاف الله عز وجل، وهذا الخوف يتكرر في آيات كثيرة<sup>7</sup>.

«وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ خَائِفَةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مَنْ فَوْقَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»<sup>8</sup>، «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ مَخَابِعَ الْآخِرَةِ

<sup>1</sup> سميح عاطف الزين: رابعة العدوية، ص 134.

<sup>2</sup> سورة الرحمن: الآية 60.

<sup>3</sup> سورة الرعد: الآية 13.

<sup>4</sup> سورة الإنسان: الآيات 8-11.

<sup>5</sup> سميح عاطف الزين: رابعة العدوية، ص 136.

<sup>6</sup> نفس المرجع السابق، ص 138.

<sup>7</sup> نفس المرجع السابق، ص 138.

<sup>8</sup> سورة النحل: الآية 49-50.

ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ<sup>1</sup>، «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ مِنَ  
الْمَهْوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ»<sup>2</sup>، «وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ  
مَنْ دُونَهُ وَيَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ»<sup>3</sup>، «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا  
أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِيهِ مِلَّتَنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ  
ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَحِيدٌ»<sup>4</sup>.

لكن تبقى رابعة رائدة من رواد التصوف الإسلامي لأنها أدخلت الجديد في هذا الاتجاه  
الرباني.

### الجديد في تصوف رابعة:

هكذا كانت رابعة أول من نقل التصوف الإسلامي خطوة إلى الأمام موعلين في العلم  
الإلهي، واستعاضت بالحب عن الخوف وبالرجاء في رؤية النور العلوي، والإشراق الذي يحصل في  
القلب بدلا من الخوف من نار جهنم.

وصارت رابعة المثل الأعلى عند بعض المتصوفة، كالحلاج وعمر بن الفارض سلطان  
العاشقين وإمام المحبين، ومحي الدين بن عربي الذي جعل المعرفة فوق المعرفة لأن المعرفة تمكين  
وثبات والمحبة أشواق واحتراق، فالحب إذا سكت هلك، والعارف إذا لم يسلك هلك، والمحبة لا  
تعلم حقيقتها إلا بذوقها، فالحدود والرسوم إذا قيلت في المحبة صحيحة إلا أنها غير وافية بحقيقتها  
إلا إذا اقترنت المحبة بالطاعة والخضوع لله<sup>5</sup>.

وقد كانت متميزة في إنشادها عن الحب الإلهي:

فليتك تحلو والحياة مريرة      وليتك ترضى والأنام غضاب

<sup>1</sup> سورة هود: الآية 103.

<sup>2</sup> سورة النازعات: الآية 40-41.

<sup>3</sup> سورة الأنعام: الآية 51.

<sup>4</sup> سورة إبراهيم: الآية 13-14.

<sup>5</sup> محمد عبد الحميد الحمد: الرهينة والتصوف في المسيحية والإسلام، ص 182. عن ابن القيم الجوزية: شمس الدين محمد أبي بكر ابن القيم الجوزية: طريق المهجرتين وباب السعادتين، ضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، دار ابن عمان، مصر، ط1، 1425هـ - 2004م، ص 262.

وليت الذي بيني وبينك عامر  
و بيني وبين العالمين خراب  
إذا صحّ منك الودّ فالكل هين  
وكل الذي فوق التراب تراب  
و حين تبلغ بها نشوة الحب حدا كبيرا، تجعلها تقول:  
وأنا المشوقة في المحبة: رابعة  
كأسي وخمري والنديم ثلاثة  
ساقى المدام على المدى متتابعة  
كأس المسرة والنعيم يديرها  
وإذا نظرت فلا أرى إلا له  
فإذا نظرت فلا أرى إلا له  
يا عاذلي! إنني أحب جماله  
يا عاذلي! إنني أحب جماله  
كم بتّ من حرقى وفرط تعلقي  
كم بتّ من حرقى وفرط تعلقي  
لا عبرتي ترقا ولا وصلي له  
لا عبرتي ترقا ولا وصلي له  
وأخيرا تهجر الدنيا، وتخلو إلى نفسها، وعندما تُسأل عن وحشتها في خلوتها، تقول:  
وأخيرا تهجر الدنيا، وتخلو إلى نفسها، وعندما تُسأل عن وحشتها في خلوتها، تقول:  
راحتي يا إخوتي في خلوتي  
راحتي يا إخوتي في خلوتي  
لم أجد لي عن هواه عوضا  
لم أجد لي عن هواه عوضا  
حيثما كنت أشاهد حسنه  
حيثما كنت أشاهد حسنه  
إن أمت وجدا وما ثم رضا  
إن أمت وجدا وما ثم رضا  
يا طبيب القلب يا كل المني  
يا طبيب القلب يا كل المني  
يا سروري وحياتي دائما  
يا سروري وحياتي دائما  
قد هجرت الخلق جمعا أرتجي  
قد هجرت الخلق جمعا أرتجي

وبعد هذه الجولة في رحاب المحبة المسيحية والإسلامية، فلا أجد حرجا في القول أن المحبة تدعو إلى التقارب والإخاء.

### المطلب الرابع: دعوة إلى الإخاء الإنساني:

كانت ولا زالت اجتهادات علماء النفس بكل أطرافها العقائدية تواصل تنقيتها في أغوار النفس الإنسانية، وتشريح ما يصدر منها، من أقوال وأفعال، ثم تصنيفها على أساس ما تسفر عليه النتائج المتوصل إليها بعد إخضاعها لقواعد علمية.

ومن بين النتائج المتوصل إليها في هذا المجال: أن العقل المادي والعلم قادران على رصد الاختلافات الحادثة بين البشر، وكذلك القانون المادي العام الذي يسري عليهما، والبشر باعتبارهم أعراقاً وأجناساً مختلفة لا يربط بينها رابط، وقد نتج من هذا التصور عنصرية عصر التحديث والتفاوت، حيث يتم الإصرار على أن البشر مختلفون بشكل جوهري، وأن بعضهم قوي متفوق، والبعض الآخر ضعيف متخلف، وباسم هذا التفاوت -القوة، والتفوق، والضعف- يصبح من حق القوي المتفوق أن يبيد أو يوظف الضعيف المتخلف<sup>1</sup>.

قد أنتجت هذه الأفكار الأساسية لهذا الفكر العنصري الغربي على المستويات السياسية والاجتماعية والأخلاقية ما يلي:

- أن الشعوب غير الغربية تختلف عرقياً عن الشعوب الغربية، وهذا الاختلاف وراثي.
- ولأن الحضارة والعرق هما شيء واحد، فإن التخلف الحضاري أمر وراثي وبالتالي حتمي<sup>2</sup>.

بل أكثر من ذلك فقد ذهب بعض العلماء مثل "جورج دي لا بوح" الذي انطلق من نظرية المجتمع ككيان عضوي، وأكد أن الجنس الإنساني والحيواني لا يختلفان، أي أن كليهما ينتهي إلى عالم الطبيعة، ولذا دعا إلى أخلاقيات جديدة مبنية على الانتخاب الطبيعي وعلى الصراع الدائم والبقاء للأصلح بدلا من الأخلاق المسيحية<sup>3</sup>.

ومثل هذه الأقوال المتعصبة لاقت ردوداً كثيرة منها:

أنه إذا كان من البديهي القول بأن ظاهرة التعصب العنصري، هي ظاهرة مكتسبة، أو مصطنعة بفعل عوامل متداخلة ومتراكمة غذاها الجهل والحقد والكراهية العمياء... وطالما هذه الظاهرة مكتسبة، فإن ما صنعه المجتمع لأسباب معينة يمكن أن يزال بانتفاء نفس الأسباب، ومن أهم الطرق الكفيلة -في اعتقاد صاحب هذا الرأي- للتخفيف من ظاهرة التعصب العنصري هي:

<sup>1</sup> عبد الوهاب المسيري: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2002، ص 179.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 180.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 185.



- 1- العمل على محاربة كل فكرة تميز بين أبناء البشر في الخليقة، ومن حيث القيمة الجوهرية للإنسان المتمثلة في التفكير والضمير وليس في الشكل واللون... والبرهنة بالمنطق والأدلة العلمية على ذلك.
- 2- التركيز على ترسيخ القيم الإنسانية في المناهج المدرسية لتنشئة الأجيال على حب الإنسانية.
- 3- تكثيف الأبحاث العلمية التي تنفي وجود التمايز العرقي بين أبناء البشر ونشرها في نطاق واسع... .
- 4- السيطرة على المفاهيم التي تساند التعصب (لسبب من الأسباب المذكورة).
- 5- العمل الدؤوب والمتواصل والمخطط من قبل الحكومات والهيئات الدولية والإقليمية على غرس معاني التآخي الاجتماعي والتعاطف منذ الطفولة في المدرسة... .
- 6- توفير الروابط والعلاقات التي من شأنها أن تتيح قدرا من التلاقي وتقريب وجهات النظر في تقبل مبدأ الحوار مع الطرف الآخر.
- ونجاح هذا التقريب متوقف على نزاهة ومقدرة الأشخاص والهيئات المقربة والتي تتخذ من سلوكها قدوة لما تدعو به. ويمكن اعتبار جمعية (أص، أو، أص) الناشئة في فرنسا والمناهضة للعنصرية ضد العرب كمثال... .
- 7- ولئن كان الدين نفسه عامل من عوامل التعصب، فيعتبر في الوقت نفسه عنصرا مهما في مكافحة التعصب العنصري، وذلك بنشر الوعي الديني وتقوية الوازع الأخلاقي في النظر إلى البشر (انطلاقا من النصوص المقدسة ذاتها) بأنهم إخوة ولا فرق بينهم إلا بالعمل الصالح والتقرب إلى الله بالعطف على المخلوقات من عباده دون استثناء.
- وتجدر الإشارة هنا أن مداواة عنصر التعصب العنصري بالدين إذا انطبق على الإسلام بالدرجة الأولى والمسيحية بالدرجة الثانية (إلى حد ما) فإنه لا ينطبق على اليهودية التي تتبنى التعصب وتمارسه لا على غير اليهود فقط، بل حتى اليهود فيما بينهم<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> أحمد بن نعمان: التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي، لماذا وكيف؟، دار الأمة، ص 33-37.

أما في الإسلام فلا مكان للتعصب العنصري، لأن الإنسان في نظر الإسلام مخلوق متميز، مخلوق مكرم، ميزه الله وكرمه وفضله على كثير من خلقه، ومن بين مظاهر التكريم الإلهي للإنسان:

أ- استخلافه في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾<sup>1</sup>.

ب- خلقه في أحسن تقويم ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>2</sup>.

ج- تميزه بالعنصر الروحي: وفوق ذلك كله كرمه بالروح العلوي الذي أودعه الله بين جنبيه، فهو قبس من نور الله، ونفخة من روحه، استحق أن تنحني له الملائكة إجلالا وإكبارا لتعظيمه لأمر الله ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾<sup>3</sup>.

د- تسخير الكون لخدمة الإنسان ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَسْتَبْتَعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>4</sup>.

إن الناس جميعا سواسية في التكريم الرباني وبذلك يكون الإسلام قد أقر مبدأ المساواة الإنسانية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سورة البقرة: الآيات 30-33

<sup>2</sup> سورة التغابن: الآية 3

<sup>3</sup> سورة السجدة: الآيات 8-9

<sup>4</sup> سورة الحاثية: الآيات 12-13

<sup>5</sup> أحمد بن نعمان: التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي، ص 71-72.

## مبدأ المساواة الإنسانية:

لقد قرر الإسلام مبدأ المساواة الإنسانية، ونادى به، فأساسه أن الإسلام يحترم الإنسان ويكرمه من حيث هو إنسان، لا من أي حيثية أخرى، الإنسان من أي سلالة كان، ومن أي لون كان، من غير تفرقة بين عنصر وعنصر، وبين قوم وقوم، وبين لون ولون، فسقطت كل أنواع التفرقة القبلية والعنصرية والفوقية واللونية يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات: 13).

وقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى هذه الآية في حجة الوداع في أوسط أيام التشريق فقال: ﴿يا أيها الناس إن ربكم واحد، وأن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (رواه البيهقي من حديث جابر وقال في إسناده بعض من يجهل كما في الترغيب).

فالبلاد كلها أرض الله، والناس كلهم عباد الله، ولهذا تسقط كل ألوان العصبية الإقليمية، والوطنية التي تعلي أهل بلد على غيره<sup>1</sup>.

ومن ثمار هذه المساواة الإنسانية الإخاء، والمساواة، والحرية.

هذه التزعة الإنسانية الأصيلة في الإسلام هي أساس هام لمبدأ الإخاء البشري وللمساواة الإنسانية التي نادى بها ودعا إليها الإسلام، وهي أساس هام كذلك لمبدأ الحرية الذي قرره الإسلام. فالإسلام لم يكتف بالدعوة إلى هذه المبادئ الإنسانية الثلاثة، بل وضع الصور العملية لتطبيقها، وربطها بعقائده وشعائره وآدابه ربطاً محكماً، بحيث لا تظل مجرد أمنية شاعرية تفنو إليها بعض النفوس، أو فكرة مثالية تتخيلها بعض الرؤوس، أو حبر على ورق سطرته بعض الأقلام<sup>2</sup>.

## مبدأ الإخاء الإنساني:

فقد قرر الإسلام أن البشر جميعاً أبناء رجل واحد وامرأة واحدة، ضمتهم هذه البنوة الواحدة المشتركة، والرحم الواصلة، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَكُمْ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> أحمد بن نعمان: التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي، ص 94-95.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 90.

<sup>3</sup> سورة النساء: الآية 1

ولقد طبق الإسلام هذا الإخاء الرفيع، وأقام على أساسه مجتمعا ربانيا إنسانيا فريد شعاره: ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ﴾ وجد هذا المجتمع في المدينة بعد الهجرة، وبذلك يكون الإسلام قد غسل الأنفس من أرجاس الجاهلية، وطهرها من الغل والحسد والحقد، ونقاها من الأنانية والشتم والبخل، بل ارتقى ببعض الأنفس إلى درجة الإيثار، كما رأينا في مثل موقف سعد بن الربيع الأنصاري مع أخيه عبد الرحمن بن عوف المهاجر، فقد عرض عليه شطر ماله ليملكه، كما عرض عليه إحدى زوجتيه ليطلقها من أجله فيتزوجها وهو طب النفس قرير العين<sup>1</sup>.

وكي يحافظ الإسلام على هذا الإخاء الإنساني فقد سيّجحه بجملة من الأخلاقيات الواقعية التي راعت الطاقة المتوسطة المقدورة لجمهير الناس، فاعترفت بالضعف البشري، وبالذوافع البشرية وبال حاجات البشرية المادية والنفسية. والمؤسسة على التأمل في نظام الأشياء الطبيعي والدعوة إلى أعمال العقل والنية والطواعية للتقيد بالآيات الإلهية، وقد تضمن القرآن الكريم أكثر من خمسين آية تجمع بين التقوى والأعمال الصالحة، فالنية والصدق والإخلاص هي أسمى فضائل الحياة الخلقية ويبقى للإيمان مكانته التي توفر للناس القدرة على مغالبة نزعاتهم المستمدة من الشهوة والمصلحة مغالبة ناجحة، وهي أشد العوامل تحريكا وتحفيزا للحياة الخلقية ويفضي إلى العمل ويمده بالحيوية والحركة، كما يبقى التوق إلى العدالة نوعا من روح المساواة، هما اللذان يصوغان تجليات العمل الخلقية أكثر من أن تصوغها المحبة<sup>2</sup>.

والنتيجة أن الخلق الإسلامي يشكل جزءا لا ينفصل عن الدين الذي هو في نظر السنة طريقة التعامل مع الآخرين (الدين معاملة)، ولن تحكم إلى أي مدى هو مطبق ومحترم في أيامنا، فلأسف فقد ذهب مصلح إسلامي كبير إلى حد قول: "بأن حياة المسلمين أصبحت في الوقت الحاضر (مظاهرة ضد دينهم)"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> أحمد بن نعمان: التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي، ص 93.

<sup>2</sup> مارسيل بوازار: إنسانية الإسلام، ترجمة عفيف دمشقية، ط1، منشورات دار الآداب، بيروت، 1980، ص 71 (بتصرف).

<sup>3</sup> محمد عبده: رسالة التوحيد: تقديم حسين يوسف الغزال، دار إحياء العلوم، بيروت، 1986، ص 136.

وقد أرجع أحد العلماء هذا الانحراف الأخلاقي وهذا الفساد في مختلف نواحي الحياة إلى عدم الإخلاص وسوء الأخلاق التي أصبحت تعاني منه الإنسانية قاطبة، فكان له الأثر الكبير على العلاقات الإنسانية التي أصبح يشوبها التناحر والتقاتل، والقبح على كل المستويات، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والدينية.

وقد كان اهتمام العلماء بهذا الألم الإنساني كبيرا، فحاولوا تشخيصه، ووصف الدواء الناجع له، فمنهم من رأى علاجه على المستوى الإسلامي القيام بأكبر واجب في هذه الحياة، وأعظم مهمة، هو إحياء الإخلاص والأخلاق وتجديدهما، وأكبر وسيلة للحصول عليهما هو الحب، والطريق إلى الحب الذكر والصحة، وعشرة عباد الله الصالحين والعارفين<sup>1</sup>.

وعلى المستوى الإسلامي وغير الإسلامي إن العلاج الوحيد للآلام الإنسانية الحاضرة هو أن يعنى رجال كل دين عناية خاصة بالجانب الخلقى العام منه، فينموا في أتباعهم باسم الدين نفسه عاطفة الأخوة والمحبة الإنسانية، ويكون عمل التقريب أسهل بين الديانة المسيحية والإسلامية رغم المعوقات التاريخية التي من شأنها عرقله هذا المسعى<sup>2</sup>.

وأغرب ما يلمس في الأخلاق العملية والسلوك الواقعي لمعتقي هذه الديانة هو البون الشاسع بين النظرية والتطبيق، وبين المبادئ والواقع لا في عصرنا الحاضر فحسب، بل عبر عصور التاريخ أيضا.

أما بالنسبة لتاريخ الشعوب المسيحية، فيكفي أن نذكر الحروب الصليبية التي قاموا بشنها على المسلمين في الشرق وما جرى فيها من مذابح خاصة في القدس وفي معرة النعمان حيث كانت خيولهم تجري في سيول من الدماء بشوارع القدس، وقاموا بذبح النساء والشيوخ والأطفال وزاد ضحاياهم فها على مائتي ألف مسلم شهيد. ولا تنسى مذابح المسلمين في الأندلس بعد انتصار المسيحيين فيها، وما فعله الاستعمار المسيحي بشعوب البلاد الإسلامية من أندونيسيا وشرق آسيا شرقا إلى الجزائر والمغرب غربا.

<sup>1</sup> أبو الحسن علي الحسين الندوي: ربانية لا رهبانية، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ-1986م، ص 40.

<sup>2</sup> محمد عبد الله دراز: دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، ص 139.

كما أقيمت جمعيات ثورية غايتها القضاء على من تراهم أعداء المسيحية، ووسيلتها الدماء والمقاصل، وكان أشهرها جمعية الصليب المقدس في قوديتو بإيطاليا<sup>1</sup>.

ولم ينج من الاضطهاد المسيحي حتى المسيحيين أنفسهم إذا أقام المسيحيون الكاثوليك ضد المسيحيين البروتستانت بمذبحة باريس في 1572/08/24...، إضافة إلى ما نراه اليوم من اضطهاد في الغرب المسيحيين، وما هو قائم في أمريكا بالنسبة للزواج السود والملونين والهنود الحمر من مبادئ المسيحية.

فأين هذا كله من قول: أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم... لقد أصبحت تلك النصائح وما شابهها مجرد كلمات يرددها القس في الكنائس دون أن تجد لها صدق في الواقع العملي<sup>2</sup> ولكن بعض الاعترافات بانتهاكات الماضي التي تحي الأمل وتمهد الطريق للتقارب والتعاون في الحياة العملية لأنها أصبحت ضرورة إنسانية ودينية، إن تم على الوجه الصحيح سيكون خطوة أولية في سبيل التفاهم في الحقائق الدينية نفسها، ويؤمل من ورائها تقليل فوارقها النظرية، وتسهيل الوصول إلى الحقيقة بالبحث الحر، في جو ودي نزيه.

ونذكر من بين هذه الاعترافات، هذا الاعتراف: "إن خبرة الماضي تعلمنا أن الاحترام المتبادل والتفاهم لم يميزا دائما العلاقات بين المسيحيين والمسلمين، فكم من صفحات من التاريخ تسجل معارك وحروباً خضناها ذاكرين، من جانب ومن آخر، اسم الله كما لو كانت مقاتلة العدو وقتل الخصم أمراً يرضي الله، إن ذكرى هذه الأحداث الأليمة يجب أن تملأنا خجلاً لكوننا نعلم أية فظائع قد ارتكبت باسم الدين، يجب علينا الاستفادة من أمثولات الماضي لتتحاشى تكرار الأخطاء نفسها، نحن نريد البحث عن سبل المصالحة ونريد أن نتعلم العيش باحترام كل واحد منا هوية الآخر، إن الدفاع عن الحرية الدينية، بهذا المعنى، ضرورة دائمة وإن احترام الأقليات علامة حضارة حقيقية لا تقبل الجدل"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> يعقوب الميحي: الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية، ص 211.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 216.

<sup>3</sup> مجلة الواحة OASIS، مركز الواحة للدراسات والأبحاث، السنة الثانية، العدد الثالث، آذار (مارس) 2006، الترجمة للعربية الخور أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ص 31.

وهذه مقتطفات من خطاب البابا بنديكتوس السادس عشر إلى ممثلي بعض المجموعات الإسلامية بمناسبة يوم الشبيبة العالمي العشرين بدار الأسقفية في كولونيا يوم السبت 20 آب/ أغسطس 2005: "أيها الأصدقاء، إنني مقتنع كل الاقتناع أن علينا أن نعلن قيم الاحترام المتبادل والتضامن والسلام دون استسلام لضغوط البيئة ضغوطا سلبيا، وحياة كل كائن بشري مقدسة سواء للمسحيين أو للمسلمين، لدينا مجال فسيح للعمل نشعر فيه باتحادنا في خدمة القيم الأخلاقية الأساسية"<sup>1</sup>.

ويرى أنه من اللازم تخطي كل العقبات والعوائق لتحقيق هذا السلام: "... وذلك بتخطي أي فوارق ثقافية متضاربة وبإبطال مفعول القوة العارمة للإيديولوجيات"<sup>2</sup>. بعد اعترافه بتقدير الكنيسة للمسلمين الموحدين، والخاضعين لوصايا الله الخفية أيضا، ويتبعون في ذلك إبراهيم بكل طيب خاطر. يدعو "البابا بنديكتوس" إلى نسيان الماضي، وممارسة الفهم المتبادل بصدق، والدفاع عن العدالة الاجتماعية، والقيم الأخلاقية والسلام والحرية، وتعزيزها من أجل جميع البشر<sup>3</sup>. لذا يجب على المسيحيين والمسلمين مواجهة التحديات المتنوعة التي يطرحها هذا الزمن على الطرفين، فلا يجب الاستسلام، ولا التشاؤم، ولا الخوف، بل من اللازم تنمية التفاؤل والأمل.

ويرى في حوار بين الأديان وبين الثقافات، بين المسيحيين والمسلمين هذا الأمل، لكن لا يقتصر على خيار موسمي، لأن ضرورة حيوية يتعلم بها مستقبل الأمتين إلى حد بعيد<sup>4</sup>. يبدو أن حوارا أكثر إحياء قد قام منذ ماض قريب، فقد وفرت دراسة القيم الأخلاقية المشتركة قاعدة أصلح للنقاش بوصف هذه القيم معالم أو "محطات انتظار" بين الإسلام والغرب. إذا كان الناس منقسمون ومتعارضون -شركيين في مقابل غربيين- أفلا يكون من المرغوب فيه بإلحاح التوحيد بين قلوبهم؟<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> مجلة الواحة OASIS، ص 30.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق، ص 30.

<sup>3</sup> نفس المرجع السابق، ص 31.

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق، ص 31.

<sup>5</sup> مجلة الواحة، نقلا عن ج. سل. مليه: محطات انتظار بين المسيحية والإسلام، باريس 1961، رسالة الرئيس أنور السادات في المؤتمر الإسلامي-المسيحي بقرطبة، الأهرام، عدد 1977/09/12، ص 82.



ويرى آخر أن الإسلام لا يتحقق إلا في المحبة، على أساس هاتين الوصيتين -الأساسيتين-: محبة الله ومحبة القريب، حيث يجد في هذه الوصية ثلاثة تنصب عليهم محبتنا: الله وذاتنا والقريب بحيث في محبته لله تجعله لا يخطأ في محبة ذاته، فينتج عنها مصلحة أخوية لأنه سيحب أخاه كمحبته لنفسه<sup>1</sup>.

ألقى العلامة الشيخ حسين شحادة رئيس منتدى المعارج لحوار الأديان بتاريخ 2004/04/02 محاضرة بعنوان: "الصلب والصليب وآلام المسيح رؤية إسلامية" في قاعة المحاضرات التابعة لبطريركية الروم الكاثوليك رعية القديس يوحنا الدمشقي برئاسة الأرشمدرت أنطوان مصلح مشق.

عند تقديمه للنائب البطريركي العام المطران إيسيدور بطيخة قال في كلمته: "خواتيم الأمور كانت دوما معقودة بنواصيها... لذا فخير البدايات تحية لهذه الندوة، تحمل الروح التي عليها اجتمعنا، وبها توحدنا ومن أجلها نلتقي...".

إنه الشيخ الأكبر، محي الدين بن عربي، أستعين على نبض القلب، بفيض من الروح لدى هذا الصوفي العظيم:

اليوم أنكر صاحبي	لقد كنت قبل
إلى دينه داني	إذا لم يكن ديني
قابلا كل صورة	فقد صار قلبي
ودير لرهبان	فمرعى لغزلان
وكعبة طائف	وبيت لأوثان
ومصحف قرآن	وألواح توراة
أنى توجهت	أدين بدين الحب
ديني وإيماني <sup>2</sup> .	ركائبه، فالحب

<sup>1</sup> مجلة الواحة OASIS، ص 40.

<sup>2</sup> مجلة المعارج، ص 478-479.

فالحبة إذن هي الدافع، والحرك الرئيسي لكل ما من شأنه أن يبقى على إنسانية الإنسان وحيويته، وأمله في الوصول والتألق، والتقارب والتفاهم والتعايش الأخوي والسلمي من كل العقائد.

وبالحبة يمكن تحريك العالم، عندها لا يكون للعولمة مكان، ولا خوف منها مهما قويت شوكتها فهي لا محالة آيلة للزوال، بحكم أنها تحمل بذرة فنائها في جوفها لتأسيسها على البأس والجهل والعداوة والمنفعة الشخصية والاستبداد... وهي عناصر تعافها الأنفس الشريفة، وتمل منها النفوس المغرر بها، فتحارب هذا الأخطبوط بكل ما تملك، وخاصة بقوة الحب الذي لا تضاهيه أية قوة، فتصنع الحياة بالشكل الذي أوكل للإنسان ربانيا ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِيهِ الْأَرْضَ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّمَا ثَمَّ مَرَّضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> سورة البقرة: الآيات 30-33.

## النتائج:

- 1- ورد ذكر المحبة في المصدرين، المسيحي، والإسلامي، باتساع، إلا أن تفسير العلماء المسلمين لهذه المحبة يختلف عن تفسير المسيحيين الذين يذهبون إلى أن الله يحب كالبشر، لاحتمال معنى الحب معنى النقص، فثققة المسلم في الله تسمو عن الثقة في البشر، فهي ثقة في إرادة الله.
- 2- تلتقي المحبة في المسيحية والإسلام من حيث المنبع، فالله هو منبع المحبة المتجلية في رحمته بعباده، وإن كان في المسيحية الخطيئة هي من فجرت المحبة.
- 3- تعتمد الدعوى المسيحية على استحاشة القلب دون العقل، فالمسيحي لكي يحب الله يكفي أن يعرف بأنه خلصه من الخطيئة التي وقع فيها أب البشرية، لكن في الإسلام يعتمد في الدعوة إليه، والتعريف بالله على العقل بدعوته إلى التدبر والتفكر في ملكوت الله لاكتشاف الوجود الرباني ووحدته وقدرته وعظمته وكل ما اتصف به من محاسن قد تجلت في كل ما لأوجد في السموات والأرض.
- والمسيحي يحب الله الذي فداه المسيح بقلبه قبل عقله، وهو ثلاثة (الأب، الابن، روح القدس) والمسلم يعرف الله الواحد الأحد بتجلياته الكونية وهو عبد له.
- 4- الحب - المحبة - في الإسلام تغلب عليها البساطة والواقعية، وتهدف إلى وظيفة اجتماعية هامة، بخلاف المحبة المسيحية معقدة وصعبة الإدراك، رغم أنها تهدف هي الأخرى إلى وظيفة اجتماعية بالتصور المسيحي.
- 5- بني الإيمان المسيحي على عدة أسس تختلف من كنيسة إلى أخرى على اختلاف فلسفتها، فهي تستمد وجودها وبقائها وقوتها من "الله محبة" الله الذي أحب البشر فضحى بابنه الوحيد والحبيب من أجل تطهيره من خطيئته.
- ويتأسس الإيمان الإسلامي على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، هذا الإيمان يظل عقيماً إذا لم يُفعل في واقع المسلم.
- 6- فالحبة الإسلامية موجهة لله الواحد الأحد، وليس سببها الخطيئة والفداء والخلص، بل سببها أن الله موجد هذا الوجود لغاية إسكان عبده في جنة الخلود بعد أداء مهمته على وجه

الأرض، والمبينة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾.<sup>1</sup>

7- الله في المسيحية يحب جميع البشر، ولم يجد سبيلا لإبداء هذا الحب إلا بعد أن أخطأ أب البشرية، ومحا خطيئته آدم الثاني بإرادة إلهية وقعت اختيارها على الابن الوحيد والحبیب المسيح عليه السلام- فالمسيحي يصعب عليه إدراك الحب الإلهي دون تصور دم المسيح -عليه السلام- وهو يسيل على الصليب.

أما في الإسلام لا علاقة للخطيئة أو للدم في مسألة الحب الإلهي فالله عز وجل بين في كتابه وسنة نبيه ﷺ أحبابه الذين يحبهم ويحبونه، وهم العارفون لله بعقولهم قبل قلوبهم، والأوفياء لأوامره ونواهيهم.

8- تلتقي المسيحية مع الإسلام في أن العبادة مظهر من مظاهر الإيمان، والتي تزيد المؤمن تقربا وحباً في الله على اختلافها في حقيقة الإيمان والمحبة، لكن الاختلاف في الفعل التعبدية بين الديانتين أن المسيحية اكتسبت طقوسها التعبدية من عبادات قديمة وجديتها من فدية المسيح -عليه السلام-

أما في الإسلام فقد أوجبت العبادة عن طريق الوحي المبينة من قبل خاتم النبيين ﷺ، الذي علمنا الكيفية التي تؤدي بها كل عبادة بأفعال وأقوال مخصوصة.

فالحب الذي يفيض من قلب المسيحي في عبادته مبني على موروثات قديمة، والحب الإلهي المتوقع في جوف المسلم مؤسس على عبادات موصى بها.

9- مهما تعددت التسميات؛ رهبنة، زهد، تصوف، واختلفت في جوهرها في كلتا الديانتين، فطريق أهلها واحد، وهو الوصول إلى الله، سواء كان بالمعرفة، بالكمال، بالإتحاد، بالفناء، بتحقيق السعادة، بالمقام، بالمشاهدة العينية، أو غيرها... فيبقى سبب هذه الغايات هو تدفق ينبوع الحب الإلهي في قلب المرید (زاهد، راهب، متصوف) لأن حقيقة روح الإنسان قبس من روح الله، فحتى إن حادت عن العقيدة الأصل -التوحيد- تبقى روح الإنسان معلقة بخالقها، باحثة

<sup>1</sup> سورة الذاريات: الايات 56-58

عن جزئها لتتحد به بعزوفها عن الدنيا، بقتل الشهوات، والإكثار من المناجاة والطاعات ولذا يبقى هذا الميدان الروحي، هو الميدان الخصب الذي يترعرع فيه الحب الإلهي ويكتمل.

وقد عرفت هذه الساحة الروحية في كلتا الديانتين وبرز فيها الكثير من الرجال والنساء، وتركوا بصماقم قولاً وفعلاً تنير درب كل من يريد نهج هذا المسلك الروحاني، طريق الحب الإلهي.

10- إذا احتلت المحبة قلب الإنسان المسيحي أو المسلم قولاً وعملاً، ستكون اللبنة التي تُشيد بها العلاقات الإنسانية عامة، وستكون المعول الذي يحارب به كل الآفات الاجتماعية على المستوى الفردي والجماعي، فيتحقق الإخاء الإنساني، والتواصل، وتقبل الآخر، والتعاون في إطار الاحترام المتبادل لأننا خلقنا لأجل التعمير، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>1</sup>

ويقول أيضاً: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>2</sup>.

فما أحوج الأمة اليوم للمحبة، لتخرجها من التطرف العقلي والجمود العاطفي، وتعيد إليها حياتها وحيويتها وحبها لكل ما فيه خير للإنسانية جمعاء.

<sup>1</sup> سورة الحجرات: الآية 13.

<sup>2</sup> سورة البقرة: الآية 30



# خاتمة

جامعة  
عبد القادر  
عالم  
الاسلام  
الاعظم

## خاتمة:

وبعد إتمام هذا البحث الذي يبدو لي، أي أجبت فيه على الإشكالية المطروحة وحققت مجمل أهدافه، وقد تبين أن المحبة خلق رباني متأصل في القلب الإنساني، وقبس من روح الله ﷻ وهذا ما ترجمه باحثون وقعت كتاباتهم بين أيدينا مما يثبت أن المحبة ميل قلبي يربط بين الأفراد والجماعات، وتتعلق بقوة روحية تنهل منها حبها وتسعى إلى إرضائها منذ أزل بعيد.

وما أجلي هذا التعلق الأسماء التي انتقاها الإنسان لآلهته، أو لإلهه، وكلمات التبجيل والعطف التي كانت توصف بها.

وإن كانت المسيحية قد تبنت هذا الخلق -المحبة-، وأنعتت به إلهها "الله محبة"، وأضحى شعار دينها "دين المحبة" حتى صارت لصيقة بها خالصة دون سواها، فقد بدا جلياً أن هذا التبني غير شرعي وهو حق مشترك، ومرتع تتكل عليه الأديان والشرائع، وتركن إليه الطبائع السليمة، وبات هذا الخلق مشتركاً على الأقل بين الديانتين المسيحية والإسلامية وإن جاءت مختلفة في جوهرها، لأن بنين المحبتين في الديانتين ليس بواحد في جميع أجزائه.

وإذا كانت المحبة المسيحية وليدة الخطيئة، وهي المحبة التي تربط الأقانيم الثلاثة (الأب، الابن، الروح القدس) ثم أضفيت على أسس الإيمان المسيحي المتبقية.

فالمحبة الإسلامية لا تلتقي في أية زاوية من زوايا الإيمان المسيحي، فلا علاقة لها بالخطيئة، والتوحيد هو أول شرط للإيمان المسيحي، والله في الإسلام لا ينعت فقط بإله المحبة، وليس هو الإسم الغالب على ذاته، لأنه جل شأنه تكفل بأسمائه الحسن التي يتعبد المسلم بذكرها، وكلها توحى بلطفه ورحمته وغفرانه لذنوب الموحد التائب بداية من آدم وحواء عليهما السلام.

وتبقى الشعائر الدينية، سواء في المسيحية، أو في الإسلام، وإن اختلفت في أصولها، وفي صورتها، هي الترجمة الحقيقية للإيمان وللتقرب من الإله وحبه الثالوث، أو الواحد الأحد.

فالمسيحي يعبر بالعبادات عن شكره للإله (الثلاثة)، عن تخليصه وتطهيره من الخطيئة، وهي تذكير دائم بـ "الله محبة".



أما المسلم يؤدي العبادات المفروضة عليه بالوحي الرباني وهو مؤمن بأن رسالته في هذا الوجود هي عبادة الله الأحد وهي وسيلة للتقرب من المولى ﷻ وتعبير عن عبوديته وحبه ونيل رضاه ومحبته بعد أن يتصف بجملة من الصفات التي يحبها الله في عبده.

ويبقى التصوف في الديانتين النبيوع الصافي الذي ارتوى منه الحب الإلهي ثالوثا كان، أو توحيدا، وسطع في سمائه العديد من الرجال والنساء الذين جسدوا الحب الإلهي بكل معانيه الروحية وأنشدت ألسنتهم أسمى وأجل الكلمات في حق الذات الإلهية.

وأخيرا نقول: أن الإنسان لا يحيا، ولا يسعد، ولا يسعد إلا إذا غمرت المحبة قلبه، وهي متعة كل إنسان على وجه الأرض وليست حكرا على إنسان دون آخر، ولا على دين دون غيره، وبالمحبة تتداوى الآلام الإنسانية فتتأخى النفوس، وتتوحد القلوب على اختلاف عقائدها وتباعد أوطانها.

# الفهارس

✓ فهرس الآيات القرآنية

✓ فهرس الأحاديث النبوية

✓ فهرس فقرات الكتاب المقدس

✓ فهرس المصادر والمراجع

✓ فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية:

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
261	6	﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	الفاتحة
229	5-1	﴿الْم... هُمُ الْمُؤَلَّفُونَ﴾	البقرة
09	3-2	﴿...هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ، الصَّلَاةَ...﴾	البقرة
237	29	﴿هُوَ الَّذِي... يَكُلُّ شَيْءًا حَلِيمٌ﴾	البقرة
353-146	33-30	﴿وَإِذْ قَالَ... تَكْتُمُونَ﴾	البقرة
295	31	﴿وَعَلَّمَ آدَمَ... حَادِقِينَ﴾	البقرة
295	34	﴿وَإِذْ قُلْنَا... الْكَافِرِينَ﴾	البقرة
241	38-35	﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ... يَخْرُجُونَ﴾	البقرة
295	37	﴿فَتَلَقَى آدَمُ... التَّوَابِعِ الرَّحِيمِ﴾	البقرة
49	79	﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ... يَكْسِبُونَ﴾	البقرة
259	83	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا... وَأَتُوا الرِّكَاعَةَ...﴾	البقرة
297	87	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا... وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾	البقرة
285	105	﴿مَا يَوْدُ... ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾	البقرة
286	109	﴿وَدَّ... عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	البقرة
267	125	﴿وَإِذْ جَعَلْنَا... وَالرُّكْعَ السُّجُودِ﴾	البقرة
07	148	﴿...فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ...﴾	البقرة
246	157-155	﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ... الْمُصْتَدُونَ﴾	البقرة
284	163	﴿وَإِلَهُكُمْ... الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ﴾	البقرة
116-113-107-52	165	﴿وَمِنَ النَّاسِ... أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ...﴾	البقرة
242	172	﴿يَا أَيُّهَا... إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	البقرة
229-07	177	﴿لَيْسَ الْبِرُّ... وَالْمَغْرِبِ...﴾	البقرة
276	178	﴿فَمَنْ حَفِيفٌ لَهُ... مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ...﴾	البقرة
265	183	﴿يَا أَيُّهَا... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	البقرة

289-288-237	190	﴿وَقَاتِلُوا... لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾	البقرة
228	195	﴿وَأَنْفِقُوا... يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	البقرة
268-267	197	﴿الْحَمُّ أَشْمُرُ... يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾	البقرة
235	205	﴿وَإِذَا تَوَلَّى... لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ﴾	البقرة
284	207	﴿... وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾	البقرة
103	216	﴿...وَعَسَى... وَعَسَى...﴾	البقرة
287	221	﴿وَلَا تَنْكِحُوا... لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	البقرة
227	222	﴿...إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ... الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	البقرة
34	255	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ... وَلَا تَوْحِيدٌ...﴾	البقرة
291	273	﴿لِلْفُقَرَاءِ... الْخَائِفِ﴾	البقرة
104-103	14	﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبٌّ... حُسْنُ الْمَآبِ﴾	آل عمران
284	19	﴿إِنَّ الدَّيْنَ... سَرِيعَ الْحِسَابِ﴾	آل عمران
321-297-249-109	31	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ... لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾	آل عمران
259	43	﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي... الرَّكَعِينَ﴾	آل عمران
133	64	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ... أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾	آل عمران
229-09	76	﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى... الْمُتَّقِينَ﴾	آل عمران
286	118	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... تَعْقِلُونَ﴾	آل عمران
07	133	﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ... لِلْمُتَّقِينَ﴾	آل عمران
228	134	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ... الْمُحْسِنِينَ﴾	آل عمران
230	146	﴿... وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾	آل عمران
228	148-147	﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ... الْمُحْسِنِينَ﴾	آل عمران
250	159	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ...﴾	آل عمران
231	160-159	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ... الْمُؤْمِنُونَ﴾	آل عمران
286	186	﴿لَتُبْلَوْنَ... مِنْ نَزْمِ الْأُمُورِ﴾	آل عمران
347	1	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ... رَقِيبًا﴾	النساء

233	36	﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ... مُخْتَلًا فَخُورًا﴾	النساء
236	40	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾	النساء
243	48	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ... إِثْمًا عَظِيمًا﴾	النساء
250-249	69	﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ... أَوْلِيكَ رَفِيقًا﴾	النساء
249	80	﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ... حَفِيفًا﴾	النساء
274	86	﴿وَإِذَا حُيِّبْتُمْ... أَوْ رُدُّوهَا...﴾	النساء
288	90	﴿إِلَّا الَّذِينَ... عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾	النساء
288	91	﴿سَتَجِدُونَ... سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾	النساء
290	94	﴿...وَلَا تَقُولُوا... الْحَيَاةَ الدُّنْيَا...﴾	النساء
257	103	﴿...إِنَّ الصَّلَاةَ... كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾	النساء
234	105	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا... لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾	النساء
234	107	﴿وَلَا تُجَادِلْ... خَوَانًا أَثِيمًا﴾	النساء
115	116	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ... ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	النساء
229	131	﴿...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا... اتَّقُوا اللَّهَ...﴾	النساء
237	148	﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ... سَمِيعًا عَلِيمًا﴾	النساء
152	158-157	﴿وَقَوْلِهِمْ... عَزِيزًا حَكِيمًا﴾	النساء
249	151-150	﴿إِنَّ الَّذِينَ... عَذَابًا مُهِينًا﴾	النساء
145	165-163	﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا... حَكِيمًا﴾	النساء
287	5	﴿الْيَوْمَ أَجِلُّ لَكُمْ... مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	المائدة
227	6	﴿...وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا...﴾	المائدة
08	21	﴿...وَلَا تَرْتَدُّوا... فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾	المائدة
232	42	﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ... الْمُفْسِدِينَ﴾	المائدة
270-231-103-09	54	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ... لَوْمَةَ لَأَيْمٍ...﴾	المائدة
09-08	56-54	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ... هُمُ الْغَالِبُونَ﴾	المائدة
286	57	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... مُؤْمِنِينَ﴾	المائدة

236	64	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ... الْمُفْسِدِينَ ﴾	المائدة
115	72	﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ... أَنْصَارِ ﴾	المائدة
133	73-72	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ... عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾	المائدة
287	82	﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ... يَسْتَكْبِرُونَ ﴾	المائدة
237	87	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... الْمُعْتَدِينَ ﴾	المائدة
228	93	﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ... الْمُحْسِنِينَ ﴾	المائدة
268	97	﴿ جَعَلَ اللَّهُ... بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	المائدة
103	119	﴿...رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ... ﴾	المائدة
235	45-44	﴿ فَلَمَّا نَسُوا... رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	الأَنْعَامِ
342	51	﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ... لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾	الأَنْعَامِ
314-244	91	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ... ﴾	الأَنْعَامِ
225	103	﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ... ﴾	الأَنْعَامِ
237	108	﴿ وَلَا تَسُبُّوا... بِغَيْرِ عِلْمٍ... ﴾	الأَنْعَامِ
116	122	﴿ أَوْ مِنْ كَانَ مِيتًا... فِيهِ النَّاسِ... ﴾	الأَنْعَامِ
237	160	﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ مِثْرُ أَمْثَالِهَا ﴾	الأَنْعَامِ
242	11	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ... مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾	الأَعْرَافِ
234	31	﴿ يَا بَنِي آدَمَ... الْمُسْرِفِينَ ﴾	الأَعْرَافِ
242	32	﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ... لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	الأَعْرَافِ
237	55	﴿ ادْخُلُوا رَبَّكُمْ... الْمُعْتَدِينَ ﴾	الأَعْرَافِ
229	56	﴿ وَلَا تُفْسِدُوا... مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾	الأَعْرَافِ
319	100	﴿...وَنَطَّبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ... يَسْمَعُونَ ﴾	الأَعْرَافِ
322-115	180	﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى... يَعْمَلُونَ ﴾	الأَعْرَافِ
276-250	199	﴿ خُذِ الْعَفْوَ... مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾	الأَعْرَافِ
229	161	﴿ وَإِذْ قَبِيلٌ... سَنَزِلُ بِالْمُحْسِنِينَ ﴾	الأَعْرَافِ
234	27	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ... وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	الْأَنْفَالِ

234	58	﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ... لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾	الأنفال
288	61	﴿وَإِنْ جَنَحُوا... السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	الأنفال
98	63	﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ... أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾	الأنفال
234	71	﴿وَإِنْ يُرِيدُوا... عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾	الأنفال
289-230	4	﴿فَاتِمُوا إِلَيْهِمْ... يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾	التوبة
258	11	﴿فَإِنْ تَابُوا... فِيهِ الدِّينُ﴾	التوبة
227	28	﴿...إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ...﴾	التوبة
115	31	﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ... يُشْرِكُونَ﴾	التوبة
252	40	﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾	التوبة
231	51	﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا... الْمُؤْمِنُونَ﴾	التوبة
265	60	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ... عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾	التوبة
109	71	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾	التوبة
227	108	﴿...فِيهِ رَجَالٌ... يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾	التوبة
246	111	﴿...يُقَاتِلُونَ... وَيُقَاتَلُونَ...﴾	التوبة
248	128	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ... رِءُوفٌ رَحِيمٌ﴾	التوبة
115-114	31	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقْكُمْ... فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	يونس
115	16-15	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ... يَعْمَلُونَ﴾	هود
236	18	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ... عَلَى الظَّالِمِينَ﴾	هود
34	48	﴿قَبِيلَ يَا نُوحُ... عَذَابُ أَلِيمٌ﴾	هود
296	78	﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ... رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾	هود
279	102	﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ... أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾	هود
342	103	﴿إِنَّ فِيهِ ذَلِكِ... يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾	هود
110	13	﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي... عَنهُ خَافُونَ﴾	يوسف
106	30	﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي... إِنَّا لَنَرَاهَا فِي خِلَالِ مَبِينٍ﴾	يوسف
256	40	﴿إِنَّ الْحُكْمَ... إِلَّا آيَاهُ﴾	يوسف



234	52	﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ... وَكَيِّدَ الْخَائِنِينَ﴾	يوسف
231	67	﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ... الْمُتَوَكِّلُونَ﴾	يوسف
110	87-84	﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ... إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾	يوسف
110	96-94	﴿وَلَمَّا فَطَمَتِ... مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	يوسف
284	03	﴿وَهُوَ الَّذِي... لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	الرعد
341	13	﴿وَيَسِّعُ الرَّحْمَدُ... شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾	الرعد
235	26	﴿اللَّهُ يَبْسُطُ... إِلَّا مَتَاعٌ﴾	الرعد
305	38	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا... خُرَيْبَةً﴾	الرعد
342	14-13	﴿وَقَالَ الَّذِينَ... وَخَافَهُ وَعَبَدُ﴾	إبراهيم
242	34-32	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ... لظُلُومٍ كَفَارًا﴾	إبراهيم
268	37	﴿رَبَّنَا... لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾	إبراهيم
258	40	﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾	إبراهيم
250	72	﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ... يَعْصُونَ﴾	الحجر
276	85	﴿... فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾	الحجر
233	22	﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ... مُسْتَكْبِرُونَ﴾	النحل
295	36	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا... الْمُكَذِّبِينَ﴾	النحل
308	42	﴿الَّذِينَ صَبَرُوا... يَتَوَكَّلُونَ﴾	النحل
341	50-49	﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ... مَا يُؤْمَرُونَ﴾	النحل
243-242	53	﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ... تَجَارُونَ﴾	النحل
284	78	﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ... لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	النحل
08	92	﴿وَلَا تَكُونُوا... دَخَلًا بَيْنَكُمْ...﴾	النحل
233	112	﴿وَضَرَبَ اللَّهُ... كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾	النحل
308	127	﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ...﴾	النحل
229	128	﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ... مُنْسِينُونَ﴾	النحل
35	3	﴿خُرَيْبَةَ مَن حَمَلْنَا... شُكُورًا﴾	الإسراء

	34	﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ... مَسْئُولًا﴾	الإسراء
236-234	33	﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ... مَنْصُورًا﴾	الإسراء
285-242	70	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ... تَفْضِيلًا﴾	الإسراء
340	79	﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ... مُحْسِنُونَ﴾	الإسراء
249	6	﴿فَلَعَلَّكَ بَاطِحَ نَفْسِكَ... الْحَدِيثِ اسْمًا﴾	الكهف
320	70-65	﴿هُوَ جَدًّا مَعْبُدًا... أَخَذْتَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾	الكهف
320	82-78	﴿قَالَ هَذَا فِرَاقٌ... صَبْرًا﴾	الكهف
116	110	﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا... رَبَّهُ أَحَدًا﴾	الكهف
296	4	﴿قَالَ رَبِّ... رَبِّ شَقِيًّا﴾	مريم
134	23-22	﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ... نَسِيًّا مَنَسِيًّا﴾	مريم
259	31	﴿رَبِّ اجْعَلْنِي... ذُرِّيَّتِي﴾	مريم
296	48	﴿وَأَعْتَزَلْكُمْ... رَبِّي شَقِيًّا﴾	مريم
296	55-54	﴿وَإِذْ كُرَّ فِي الْكِتَابِ... مَرَضِيًّا﴾	مريم
259	55	﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ... عَزَدَ رَبَّهُ مَرَضِيًّا﴾	مريم
296	57-56	﴿وَإِذْ كُرَّ فِي الْكِتَابِ... عَلِيًّا﴾	مريم
98	96	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا... وَحَدًّا﴾	مريم
259	14	﴿إِنِّي أَنَا... لِذِكْرِي﴾	طه
296	38	﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾	طه
103-96	39	﴿... وَالْقَبِيضَ عَلَىٰكَ مَحَبَّةً مِنِّي...﴾	طه
296	41-40	﴿إِذْ تَمْشِي... لِنَفْسِي﴾	طه
34	52	﴿فِي كِتَابٍ لَا يَخِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾	طه
295	119-118	﴿إِنَّ لَكَ أَلًّا تَجُوعُ... وَلَا تَضَعِي﴾	طه
259	132	﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ... وَالْعَاقِبَةَ لِلتَّقْوَىٰ﴾	طه
114	25	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ... فَاعْبُدُون﴾	الأنبياء
233	94	﴿فَمَنْ يَعْمَلْ... وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾	الأنبياء

285-248	107	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	الأنبياء
269	27	﴿وَأَخْذُن فِيهِ النَّاسِ... فَحَيِّ عَمِيْقًا﴾	الحج
279	30	﴿ذَلِكَ وَمَنْ... قَوْلَ الرُّورِ﴾	الحج
264	41-40	﴿وَلِيَنْصُرَنَّ اللّٰهُ... عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾	الحج
319	46	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا... فِيهِ الصُّدُورِ﴾	الحج
279	71	﴿وَيَعْبُدُونَ... مِنْ نَّصِيرٍ﴾	الحج
295-34	75	﴿اللّٰهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾	الحج
264	4-1	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ... فَمَا عَمَلُونَ﴾	المؤمنون
260	11-1	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ... خَالِدُونَ﴾	المؤمنون
08	61	﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ... وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾	المؤمنون
274	06	﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ... الصَّادِقِينَ﴾	النور
280	19	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ... لَا تَعْلَمُونَ﴾	النور
276	22	﴿...وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا... اللّٰهُ لَكُم﴾	النور
274	27	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... تَذَكَّرُونَ﴾	النور
301	31	﴿وَتُوبُوا... لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	النور
264	56	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ... تَرْحَمُونَ﴾	النور
255	23	﴿وَقَدِمْنَا إِلَى... مَنشُورًا﴾	الفرقان
262	63	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ... قَالُوا سَلَامًا﴾	الفرقان
339	64	﴿وَالَّذِينَ... سَجِدًا وَقِيَامًا﴾	الفرقان
234	67	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَعُوا... قَوْمًا﴾	الفرقان
319	194-192	﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ... مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾	الشعراء
319	200	﴿كَذَلِكَ سَأَلْنَاهُ... الْمُجْرِمِينَ﴾	الشعراء
235	76	﴿...لَا تَفْرَحْ... الْفَرِحِينَ﴾	القصص
284	34	﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ... يَفْسُقُونَ﴾	العنكبوت
308	59	﴿الَّذِينَ صَبَرُوا... يَتَوَكَّلُونَ﴾	العنكبوت

115	65	﴿فَإِذَا رَكبُوا... يُشْرِكُونَ﴾	العنكبوت
229	69	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا... الْمُحْسِنِينَ﴾	العنكبوت
111-103	21	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ... لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	الروم
105	30	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ... لَا يَعْلَمُونَ﴾	الروم
233	45	﴿لِيَجْزِيَ... لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾	الروم
229	3-2	﴿تِلْكَ آيَاتُ... وَرَحْمَةٌ لِلْمُحْسِنِينَ﴾	لقمان
236	13	﴿وَإِذْ قَالَ... لَطَمَ عَظِيمٌ﴾	لقمان
233	18	﴿وَلَا تُصَعِّرْ... مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾	لقمان
283	25	﴿وَلَكِنَّ سَأَلْتَهُمْ... لَا يَعْلَمُونَ﴾	لقمان
346	9-8	﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ... تَشْكُرُونَ﴾	السجدة
339	16	﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ... وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾	السجدة
245	43-41	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... رَحِيمًا﴾	الأحزاب
249	56	﴿وَالَّذِينَ... وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾	الأحزاب
249	8	﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ... عَلَيْهِ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾	فاطر
244	10	﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الظُّلْمُ الطَّيِّبُ﴾	فاطر
236	32	﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا... هُوَ الْمُفْضَلُ الْكَبِيرُ﴾	فاطر
244	35	﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾	الصفات
295	75	﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾	الصفات
296	144-139	﴿وَإِنْ يُونُسَ... إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾	الصفات
35	20-17	﴿اصْبِرْ عَلَى مَا... وَفَصَلَ الْخِطَابِ﴾	ص
339	9	﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ... أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾	الزمر
316	22	﴿أَفَمَنْ شَرَحَ... مَنْ رَبِّهِ...﴾	الزمر
237-234	53	﴿قُلْ يَا مَعْشَرَ الَّذِينَ... الرَّحِيمِ﴾	الزمر
279	18	﴿وَأَنْذِرْهُمْ... وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ﴾	غافر
244	30	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾	فصلت

261	32-30	﴿إِنَّ الَّذِينَ... تَخْفَرُونَ رَجِيمٌ﴾	فصلت
225-115	11	﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ... الْبَصِيرُ﴾	الشورى
284	19	﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ...﴾	الشورى
236	42	﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ... تَخَاطَبُ الْيَوْمِ﴾	الشورى
346	13-12	﴿اللَّهُ الْذِي... يَتَفَكَّرُونَ﴾	الجاثية
261	14-13	﴿إِنَّ الَّذِينَ... بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	الأحقاف
262	29	﴿مُعَمَّدٌ... وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾	الفتح
232	9	﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ... الْمُفْسِدِينَ﴾	الحجرات
273-272-109	10	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾	الحجرات
280	11	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... الظَّالِمُونَ﴾	الحجرات
279	12	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... رَجِيمٌ﴾	الحجرات
263	13	﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾	الحجرات
283	21	﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	الذاريات
355	58-56	﴿وَمَا خَلَقْتُمْ... ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾	الذاريات
341	60	﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾	الرحمن
228	79	﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾	الواقعة
304-233	23	﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا... فَخُورٌ﴾	الحديد
310-09	22	﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾	المجادلة
116	22	﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾	المجادلة
304	9	﴿وَيُؤْثِرُونَ... بِهِمْ خَصَاصَةً﴾	الحشر
290	7	﴿عَسَى اللَّهُ... تَخْفَرُونَ رَجِيمٌ﴾	المتحنة
232	8	﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ... الْمُفْسِدِينَ﴾	المتحنة
288	9-8	﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ... مَنْ دِيَارِكُمْ...﴾	المتحنة
246-231	4	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ... بُنْيَانٍ مَرْصُوعٍ﴾	الصف

346	3	﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ... وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾	التغابن
319	11	﴿ مَا أَصَابَ... بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	التغابن
134	12	﴿ وَمَرْيَمَ... الْقَانِتِينَ ﴾	التحریم
273-250-248-4	4	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	القلم
339	20-1	﴿ يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ... تَخَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	المزمل
103	21-20	﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ... الْآخِرَةَ ﴾	القيامة
341	11-8	﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ... وَسُرُورًا ﴾	الإنسان
340	26	﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ... لَيْلًا طَوِيلًا ﴾	الإنسان
342	41-40	﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ... هِيَ الْمَأْوَى ﴾	النازعات
103	20-19	﴿ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ... حُبًّا جَمًّا ﴾	الفجر
242	4	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ... تَفْوِيمٍ ﴾	التين
317	19	﴿ وَأَسْبَدَ وَاقْتَرَجًا ﴾	العلق
103	8-6	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ... الْخَيْرُ لَشَدِيدٌ ﴾	العاديات
114	4-1	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ... كُفُوًا أَحَدٌ ﴾	الإخلاص

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة:

الصفحة	طرف الحديث
02	﴿ليس شيء في الميزان...﴾
06	﴿ألا وإن في الجسد... وهي القلب﴾
06	﴿ولا تباغضوا... إخوانا﴾
348، 23	﴿لا يؤمن أحدكم... لنفسه﴾
250	﴿لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه...﴾
109، 241، 283	﴿كل مولود يولد على الفطرة وأبواه... ينصرانه﴾
112	﴿أتاني ربي في أحسن صورة - يعني في المنام -.. تعلموها.﴾
112، 281	﴿أوثق عرى الإيمان... والبغض في الله﴾
109	﴿وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه...﴾
109	﴿اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك...﴾
109	﴿من أحب لله وأبغض لله...﴾
111	﴿ادعي ابني فيشمهمها...﴾
111	﴿اللهم إني أحبه فأحبه...﴾
111	﴿من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها...﴾
112	﴿ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً...﴾
111	﴿اللهم هذا قسمي فيما أملك... ولا أملك﴾
116، 117	﴿بينما رجائمني... كبد رطب أجر﴾
254	﴿يا محمد ما الإسلام...﴾
257	﴿لا يعذب من لا يشرك به شيئاً...﴾
260	﴿أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم...﴾
261	﴿أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً...﴾
261	﴿البر حسن الخلق، والإثم...﴾



03	﴿فرغ الله من الخلق... الأجل﴾
261	﴿قل آمنت بالله ثم استقم...﴾
262	﴿من سلم المسلمون من لسانه ويده...﴾
262	﴿الحياء لا يأتي إلا بخير...﴾
266	﴿ما زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه...﴾
266	﴿وأنا معه إذا ذكرني...﴾
266	﴿الصوم نصف الصبر...﴾
266	﴿كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف...﴾
267	﴿للجنة باب يقال له الريان...﴾
267	﴿للصائم فرحتان...﴾
269	﴿الحج عرفة...﴾
270	﴿مثل المؤمنين في توادهم...﴾
272	﴿المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله...﴾
273	﴿أكثر الناس ما يدخل الناس الجنة...﴾
273	﴿أثق ما يوضع في الميزان... حسن﴾
273	﴿إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق...﴾
273	﴿إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه...﴾
274	﴿أوجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتحابين فيّ...﴾
274	﴿والذئب نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا...﴾
274	﴿تطعم الطعام...﴾
275	﴿الجيران ثلاثة...﴾
275	﴿أحسن المجاورة من جاورك تكن مسلماً...﴾
275	﴿أول خصمين يوم القيامة جاران...﴾
275	﴿ما الإيمان؟ إطعام الطعام وإفشاء السلام...﴾
275	﴿إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق...﴾

276	﴿يسروا ولا تعسروا...﴾
276	﴿ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا...﴾
276	﴿من يجرم الرفق يحرم الخير كله...﴾
276	﴿دعوه وأريقوا على بوله...﴾
276	﴿لآ أخيركم بمن يجرم على النار - أو بمن تحرم عليه النار...﴾
277	﴿كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيا...﴾
277	﴿المسلم أخو المسلم...﴾
278	﴿الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الل؟ قال: لله...﴾
277	﴿أربع من كن فيه كان منافقا خالصا...﴾
278	﴿حق المسلم على المسلم خمس...﴾
241، 227	﴿كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون﴾
278	﴿من عادر مريضا...﴾
278	﴿تهادوا تحابوا...﴾
279	﴿المسلم من سلم المسلمون...﴾
279	﴿سباب المسلم فسوق، وقتله كفر...﴾
280	﴿اثنان من الناس هما بهم كفر...﴾
280	﴿لكل غادر لواء يوم القيامة...﴾
280	﴿لعنة الله على الراشي والمرتشي...﴾
280	﴿إياكم والظن...﴾
281	﴿ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش...﴾
281	﴿إن حول العرش منابر من نور...﴾
282	﴿إن رجلا زار أحاه في الله فأرصد له الله ملكا...﴾
283	﴿يولد الولد على الفطرة...﴾
289	﴿من قتل معاهدا متعهدا في غير كنهه...﴾
289	﴿من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه...﴾

227	﴿إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم...﴾
293، 228	﴿أن تعبد الله كأنك تراه...﴾
230	﴿ما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر...﴾
241	﴿يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك...﴾
243	﴿أترون هذه المرأة الصالحة ولدها في النار...﴾
243	﴿لو جئتني بقراب الأرض خطايا...﴾
243	﴿أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمة...﴾
245	﴿من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه...﴾
248	﴿لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى أكون أحب إليه...﴾
250	﴿لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه...﴾
253	﴿من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير...﴾
293، 238	﴿أن تعبد الله كأنك تراه...﴾
304	﴿ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال...﴾
304	﴿خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد...﴾
305	﴿لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام...﴾
315	﴿إن دعامة البيت أساسه ودعامة الدين المعرفة بالله تعالى...﴾
331	﴿لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...﴾
340	﴿عليكم بقيام الليل فإنه مرضاة لربكم...﴾
241	﴿إن الله كتب الحسنات... سيئة واحدة﴾
288	﴿لا تتمنوا لقاء العدو... فاصبروا﴾
120	﴿الشرك في هذه الأمة... الليل﴾
120	﴿اللهم إني أعوذ... لا أعلم﴾
251	﴿أنت مع من أحببت﴾
252	﴿يا أبا بكر... ثالثهما﴾
253	﴿لا تنسانا يا أخي... بهذه الدنيا﴾

252	﴿كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ...الآنَ يَاعْمُرُ﴾
254	﴿أَنْ تَشْهَدَ...صَدَقْتَ﴾
255	﴿مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ... مِنْ الْعَمَلِ﴾
257	﴿يَا مَعَاذَ... شَيْئًا﴾
258	﴿بَنِي الْإِسْلَامِ...حَجَّ الْبَيْتِ﴾
258	﴿بَيْنَ الرَّجْلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ...الصَّلَاةِ﴾

عبد القادر للعطوم الإسلامية

فهرس فقرات الكتاب المقدس:

الصفحة	طرف الفقرة	الفقرة	الإصحاح	السفر
34	"وابتداً نوح... عبدا لهم"	27-20	9	التكوين
35	"وصعد لو... اليوم"	37-30	19	التكوين
138	"على صورته كمثاله"	27-26	1	التكوين
37	"لا تنتقم... الأبدى"	19	18	الأخبار
38	"لما غريب يأتي... في مصر"	34-33	19	الأخبار
36	"أحب... كنفسك"	13-4	6	تشنية الاشرع
120	"إن الرب إلهك... لكي نحيا"	6	30	تشنية الاشرع
120	"لا تخن"	23	6	قضاة
142	"قد ازدرى الله... للعقوبة"	11-9	12	صموئيل الثاني
38	"أليس لنا كلنا أب واحد... كلنا"	10	2	الملوك
142	"أن ننسى موضعها... ولو أن هؤلاء ناسين"	15	49	أشعيا
	"لا تخف"	25	5	أرميا
	"لا تخف"	10	20	أرميا
142	"إن شعبي استبدل... لا تمسك الماء"	13-11	2	أرميا
30	"أنت ستحب... وبكل قواك"	6-5	5	دانيال
30	"ستخاف الأبدى ربك"	13-6	5	دانيال
38	"افعل للآخرين... الآخرون لك"	7	12	إنجيل متى
57	"يا رب... موتاهم"	22-21	8	إنجيل متى
57	"ولا تظنوا... أهل بيته"	37-36	10	إنجيل متى
143	"الحق أقول لكم... لأنه مجرم بخطيئة أبدية"	31	12	إنجيل متى
174	"تدفنوا فيها وزنتهم"	18	25	إنجيل متى
170	"أحبوا أعداءكم... الرب يسوع"	43	5	إنجيل متى
171	"سمعتم أنه قيل... فأجر لكم"	43	5	إنجيل متى

179	"كونوا سعداء... يضطهدون"	12-11	5	إنجيل متى
188	"إن لم يزد بركم... ملكوت الله"	20	5	إنجيل متى
189	"كونوا كاملين... كامل"	48	5	إنجيل متى
60	"دعوا الأطفال... فباركهم"	16-13	10	إنجيل مرقس
60	"لا تقتل، لا تزن... ذوي المال"	23-9	10	إنجيل مرقس
68	"ابني الرعد"	16	3	إنجيل مرقس
143	"الحق أقول لكم... لأنه مجرم بخطيئة أبدية"	28	3	إنجيل مرقس
220	"إلهي... تركتني"	24	15	إنجيل مرقس
230	"ألوى... شقيتي"	24	15	إنجيل مرقس
55	"اتبعني..."	28-27	5	إنجيل لوقا
62	"لما أن اخذ... من تعليم"	4-1	1	إنجيل لوقا
63	"أحب الرب إلهك... حبك لنفسك"	27	10	إنجيل لوقا
65	"وجئت لألغي... حتى تتم"	50-49	12	إنجيل لوقا
65	"بيعوا أموالكم... قبلكم"	34-33	12	إنجيل لوقا
64	"أنتم تزكون... في نظر الله"	15-13	16	إنجيل لوقا
66	"أتظنون أني جئت... على حمائها"	53-51	12	إنجيل لوقا
135	"مأمومة مريم روحية... في الإيمان"	29-28	11	إنجيل لوقا
-136 137	"فقال مريم... وذريته للأبد"	55-46	1	إنجيل لوقا
143	"الحق أقول لكم... لأنه مجرم بخطيئة أبدية"	10	12	إنجيل لوقا
171	"سمعت أنه قيل... فأني أجز لكم"	33-32	6	إنجيل لوقا
220	"إن قلت لكم... تركتني"	68-66	22	إنجيل لوقا
68	"ليس لأحد حب أعظم... أحبوا بعضكم بعضا"	17-13	15	إنجيل يوحنا
123	"الله محبة"	8-4	1	إنجيل يوحنا
125	"وإذا أردنا أن نبحث عن الله... أحبنا أولا"	19-4	1	إنجيل يوحنا
125	"وهو الذي أخذ يبحث عنا... إلى ابنه"	44	6	إنجيل يوحنا

127	"مولود الجسد... روحا"	6	3	إنجيل يوحنا
129	"إن الأب يحبني... لأنها ثانية"	17	10	إنجيل يوحنا
129	"فكما أحبني... أنا أيضا"	9	15	إنجيل يوحنا
129	"لأن الله واحد... على الإطلاق"	27-22	5	إنجيل يوحنا
138	"لا أدعوكم... من أبي"	15	15	إنجيل يوحنا
138	"لا أدعوكم عندما بعد اليوم... ما سمعته من أبي"	24-20	17	إنجيل يوحنا
143	"لو لم آت وأكلمهم... عذر الآن من خطيئتهم"	22	15	إنجيل يوحنا
146	"وما من حب... أصدقائه"	13	15	إنجيل يوحنا
149	"من أحب حياته... للحياة الأبدية"	25-4	12	إنجيل يوحنا
172	"كيف يستطيع... لنأكله"	52	6	إنجيل يوحنا
173	"من أكل جسدي... الأبدية"	54	6	إنجيل يوحنا
171	"إن قال أحد أني أحب الله... فليحب أخاه أيضا"	21-20	4	إنجيل يوحنا
172	"ومن يبغض أخاه... في الظلام"	11-9	2	إنجيل يوحنا
172	"ومن يبغض أخاه... في الظلام"	15	3	إنجيل يوحنا
172	"وبهذا قد عرفت المحبة... بل بالعمل والحق"	18-16	3	إنجيل يوحنا
198	"كيف تفرون... الله وحده"	44	5	إنجيل يوحنا
220	"ألوى... شقيتي"	34-32	7	إنجيل يوحنا
220	"أنا معكم... أنتم أن تأتوا"	34-32	7	إنجيل يوحنا
64	"إن صلواتك... عند الله"	31، 4-1	10	أعمال الرسل
69	"أيها الإخوة... قريبي"	6	23	أعمال الرسل
154	"أخذوا يتكلمون... من الروح القدس"	7-4	2	أعمال الرسل
36	"احبب قريبك كنفسك"	37-11	19	إنجيل لاويين
181	"كونوا قديسين... قدوس"	45	11	إنجيل لاويين
181	"كونوا قديسين... قدوس"	2	19	إنجيل لاويين
73	"لا يكونن... أتم الشريعة"	9-8	13	إلى أهل رومة



73	"أحب قريبك... كمال الشريعة"	10-9	13	إلى أهل رومة
73	"ولتكن المحبة... بعضكم البعض"	10-9	12	إلى أهل رومة
138	"بكر لإخوة كثيرين"	29	7	إلى أهل رومة
	"الابن الوحيد"	16	3	إلى أهل رومة
146	"قد دل الله على محبته... مات من أجلنا"	8	5	إلى أهل رومة
160	"يسدد على الناحية... بهذا الواجب"	5-3	6	إلى أهل رومة
70	"أما تعلمون... بشرت الآخرين"	27-24	9	إلى أهل قورنتس
74	"يبنى ضمير... مات المسيح"	12-10	8	إلى أهل قورنتس
74	"إن كان أحد... في المسيح يسوع"	24-22	16	إلى أهل قورنتس
73	"وبعد أيها الإخوة... معكم جميعا"	13-11	13	إلى أهل قورنتس
140	"المحبة أبدا"	8	13	إلى أهل قورنتس
150	"وكان الموت... يبيده"	27-24	15	إلى أهل قورنتس
165	"إذا ما بشرت... لم أبشر"	16	9	إلى أهل قورنتس
168	"الذين لم نساء... لا نساء لهم"	29	7	إلى أهل قورنتس
53	"ولم ندعن لهم... البشارة"	5	2	إلى أهل غلاطية
69	"فقد سمعتم... آبائي"	14-13	1	إلى أهل غلاطية
75	"من بولس وهو رسول... بين الأموات"	2-1	1	إلى أهل غلاطية
75	"فأعلمكم أيها الإخوة... من يسوع المسيح"	12-11	1	إلى أهل غلاطية
76	"فإذا كان البر... قد مات سدّي"	21	2	إلى أهل غلاطية
76	"يا أهل... الأغنياء"	1	3	إلى أهل غلاطية
147	"ابن الله أحبني... من أجلي"	20	2	إلى أهل غلاطية
147	"ما أنا أحياء... فإنها في الإيمان بابن الله"	20	2	إلى أهل غلاطية
76	"أبلغت بكم... الحد؟..."	3	3	إلى أهل أفسس
76	"لذلك أنا بولس... الوثنيين"	1	3	إلى أهل أفسس
76	"فأناشذكم... إليها"	1	4	إلى أهل أفسس

76	"فأطلعنا على سرّ... وما في الأرض"	11-9	1	إلى أهل أفسس
77	"لنكون في نظره... في المحبة"	3	1	إلى أهل أفسس
77	"ولكن الله... أحينا به"	4	2	إلى أهل أفسس
77	"لهذا أحبو على ركبتى... من كمال"	19-14	3	إلى أهل أفسس
77	"فأناشدكم أنا السجين... في المحبة"	3-1	4	إلى أهل أفسس
77	"اقتدوا إذا بالله... لأجلنا"	2-1	5	إلى أهل أفسس
77	"أيها الرجال... من أجلها"	25	5	إلى أهل أفسس
77	"فكذلك أنتم أيضا... زوجها"	33	5	إلى أهل أفسس
78	"السلام على الإخوة... حبا لا يزول"	24-23	6	إلى أهل أفسس
1	"قديسين... في المحبة"	4	1	إلى أهل أفسس
161	"إن هذا السر... والكنيسة"	32	5	إلى أهل أفسس
155	"هناك جسد واحد... أب لجميع الخلق"	7-2	2	إلى أهل أفسس
156	"يزفها إلى نفسه... بلا عيب"	27	5	إلى أهل أفسس
155	"هناك جسد واحد... أب لجميع الخلق"	12-11	4	إلى أهل أفسس
172	"لأن هذا الموت... الظلام"	16-14	2	إلى أهل أفسس
78	"ومن الحق أن أعطف عليكم... أنه الأفضل"	9-7	1	إلى أهل فيليبي
79	"فإذا كان عندكم... أفضل منه"	3-1	2	إلى أهل فيليبي
79	"احذروا الكلاب... الحب"	2	3	إلى أهل فيليبي
160	"يسدد على الناحية... بهذا الواجب"	10	3	إلى أهل فيليبي
61	"يسلم عليكم... وديماس"	14	4	إلى أهل قولسي
170	"تعبّر العبادة... الرب يسوع"	17-12	3	إلى أهل قولسي
79	"فأنتم الذين... الله"	18-12	3	إلى أهل قولسي
79	"نشكر الله... دائما"	5-3	1	إلى أهل تسالونيقي
80	"ونحن نصلي... في السموات"	5-3	1	إلى أهل تسالونيقي
80	"وأنتم الذين اختاراهم الله... والصبر"	12	3	إلى أهل تسالونيقي

80	"أيتها النساء... قساة عليهن"	19-18	3	إلى أهل تسالونيقي
80	"نشكر الله... من المختارين"	4-2	1	إلى أهل تسالونيقي
80	"أما الآن... من إيمان ومحبة"	6	3	إلى أهل تسالونيقي
81	"وعسى الله... جميع قديسيه"	13-12	3	إلى أهل تسالونيقي
81	"أما المحبة الأخوية... كما أوصيناكم"	11-9	4	إلى أهل تسالونيقي
81	"أما نحن... يسوع المسيح"	9-8	5	إلى أهل تسالونيقي
81	"أيها الإخوة... الرب"	13	2	إلى أهل تسالونيقي
81	"عسى ربنا... أحبنا"	16	2	إلى أهل تسالونيقي
81	"هدى الرب... ثبات المسيح"	5	3	إلى أهل تسالونيقي
82	"وما غاية هذه الوصية... لا رياء فيه"	5	1	إلى طيموتاوس
82	"ففاضت على نعمة... يسوع"	14	1	إلى طيموتاوس
82	"...غير أن الخلاص... مع الرزانة"	15	2	إلى طيموتاوس
82	"أما أنت يا رجل الله... والوداعة"	11	6	إلى طيموتاوس
83	"فإن الله. والفظنة"	7	1	إلى طيموتاوس
83	"امثل الأقوال... في المسيح يسوع"	13	1	إلى طيموتاوس
83	"اهرب من أهواء... بقلب طاهر"	22	2	إلى طيموتاوس
83	"أما أنت... وثباتي"	10	3	إلى طيموتاوس
83	"إلى طيموتاوس... الحبيب"	2	1	إلى طيموتاوس
83	"إنما تركتك... أوصيتك"	5	1	إلى طيطس
83	"بل عليه أن يكون... متمالكا"	8	1	إلى طيطس
84	"علم الشيوخ... والثبات..."	2	2	إلى طيطس
84	"وأن تكون العجائز... وأولادهن"	5	2	إلى طيطس
84	"علم العبيد... كل شيء"	9	2	إلى طيطس
84	"فلما ظهر... رحمته خلصناه"	5-4	3	إلى طيطس
84	"...سلم على الذين يحبوننا... أجمعين"	15	3	إلى طيطس

86	"...سلم على الذين يحبوننا... النعمة أجمعين"	15	3	إلى طيطس
84	"إلى فيلمون... ومعاوننا"		1	إلى فيلمون
84	"وقد سمعت بمحبتك... القديسين"		5	إلى فيلمون
84	"قد نالني من محبتك... والعزاء"		7	إلى فيلمون
85	"لذلك أتي... ولذلك صار نافعا"	11	8	إلى فيلمون
85	"لا يكون عبدا بعد اليوم... جدا إلي"		16	إلى فيلمون
86	"...أيها الأبناء..."	9	6	رسالة إلى العبرانيين
86	"فمن أحبة الله... ابن يرتضيه"	6	12	رسالة إلى العبرانيين
86	"لتبق المحبة الأخوية ثابتة"	1	13	رسالة إلى العبرانيين
86	"تزهوا... لديكم"	5	13	رسالة إلى العبرانيين
87	"من يعقوب عبد الله... سلام"	1	1	رسالة يعقوب
87	"يا إخوتي لا تجمعوا بين مراعاة... له الحجر"	1	2	رسالة يعقوب
87	"اسمعوا يا إخواني الأبناء"	5	2	رسالة يعقوب
87	"فإذا عملتم بالشرية... تحسنون عملا"	8	2	رسالة يعقوب
88	"أيها الأحبة"	11	2	رسالتا بطرس
89	"أطعمتم الحق... الحي الباقي"	23-22	1	رسالتا بطرس
89	"لأن من شاء أن يحب... الذين يعملون السيئات"	12-10	3	رسالتا بطرس
89	"من سمعان بطرس... من خطاياهم السالفة"	9-1	1	رسالتا بطرس
89	"هذا هو ابني... رضيت"	17	1	رسالتا بطرس
92	"من يهوذا عبد يسوع... والمحبة"	2-1		رسالة يهوذا
92	"أما أنتم أيها الأبناء... يسوع المسيح"	17		رسالة يهوذا
92	"أيها الأبناء"	20-17	3	رسالة يهوذا
92	"أما أنتم أيها الأبناء... دنسه جسدهم"		20	رسالة يهوذا

فهرس المصادر والمراجع:

- ✓ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- ✓ الكتاب المقدس: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، مصر، ط4، 2006.
- ✓ الكتاب المقدس: العهد الجديد: الإنجيل، أعمال الرسل، الرسائل، الرؤى (المدخل مأخوذ من الترجمة الفرنسية المسكونية)، منشورات دار المشرق ش.م.م، بيروت، ط13.

أولاً: قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية

1. الأب أتيان: من الأناجيل إلى الإنجيل (21)، نقله إلى العربية باسيل فوزي، دار المشرق، بيروت.
2. الأب إسطفان شرينتييه: تعرف إلى الكتاب المقدس، نقله غلى العربية، الب صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت.
3. الأب ألبير قانو اليسوعي: دراسة في الرسالة إلى العبرانيين، نقلها إلى العربية الأب أنطوان أودو اليسوعي، ط3، دار المشرق ش.م.م، بيروت.
4. الأب أوغسطين دويره لاتور: دراسة في الإسكاتولوجيا الموت والقيامة السماء والمطهر وجهنم، نقله إلى العربية الأب صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت.
5. الأب توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية، محاضرات ألقيت في كلية الشريعة الإسلامية بأنقرة (تركيا)، نقلها من الإنجليزية الأب كميل حشيمه اليسوعي، دار المشرق، بيروت.
6. الأب فاضل سيداروس اليسوعي: بين وحي الله وإيمان الإنسان، محاضرات ألقيت في المعهد الإكليريكي للأقباط الكاثوليك بالمعادي وفي معهد الدراسات اللاهوتية بالسكاكيني القاهرة، دار المشرق، بيروت، ط2، 1986.
7. الأب فاضل سيداروس اليسوعي: سر الله، الثالوث، الأحد، محاضرات ألقيت في معهد الدراسات اللاهوتية السكاكيني القاهرة، دار المشرق، بيروت، 1992.

8. الأب فاضل سيداروس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس (17)، دار المشرق ش.م.م، بيروت.
9. الأب فاضل سيداروس اليسوعي، الأب سليم بكاش اليسوعي، الأب موريس-ماري مارتان اليسوعي: معجم اللاهوت الكتابي، نقل إلى العربية عن: *Vocabulaire de théologie biblique, 3<sup>eme</sup> édition, les* ، دار المشرق ش.م.م، ط5، 1974، *édition VERF, Paris, 1974*، 2004.
10. الأب فرانسوا قاريون اليسوعي: فرح الإيمان بمحنة الحياة، محاضرات في أهم قضايا الإيمان المسيحي، جمعها الأب برنار هوسيه، نقلها إلى العربية الأب صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ط5.
11. الأب فيكتور شلحت اليسوعي: الإنسان في ضوء المسيح، ط3، دار المشرق ش.م.م.
12. إبراهيم بسيوني: نشأة التصوف في الإسلام، دار الفكر، بيروت.
13. أبو الأعلى المودودي: مبادئ الإسلام، الدار السعودية للنشر والتوزيع.
14. أبو الحسن علي الحسين الندوي: ربانية لا رهبانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1406هـ-1986م.
15. أبو العباس أحمد بن محمد زروق: قواعد التصوف، صححه ونقحه محمد زهري النجار، راجعه علي معبد فرغلي، ط2، مكتبة الكليات، الزهرية، القاهرة، 1396هـ-1976م.
16. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (608-681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، 1977.
17. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان اللسان، تهذيب لسان العرب، المكتب الثقافي للتحقيق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
18. أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (م506هـ): الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق ودراسة أبو اليزيد أبو زيد

- العجمي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م، 2007.
19. أبو النجيب عبد القادر بن عبد الله السهروردي: كتاب عوارف المعارف، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983.
20. أبو النجيب عبد القاهر ابن عبد الله بن محمد السهروردي: آداب المريدين، يليه داعي الفلاح إلى سبل النجاح لمحمد بن محمد المرصفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.
21. أبو بكر محمد الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق محمود أمين النوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1980.
22. أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري: أخلاق العلماء، تقديم وتحقيق أحمد عبد الرحيم السايح، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1413هـ - 1993م.
23. أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار البيان العربي، دار إحياء الكتب العربية.
24. أبو حامد الغزالي: الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، تقديم وتحقيق وتعليق محمد عبد الله الشرقاوي، قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، دار الهداية، ط2، 1406هـ - 1986م..
25. أبو حامد الغزالي: مكاشفة القلوب، دار الكتب العلمية، بيروت. 1982.
26. أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، الجندي، (د.ت).
27. أبو طالب المكي: قوت القلوب، تحقيق عبد المنعم الحنفي، دار الرشد، القاهرة، 1991م.
28. أبو عمر حاي بن سالم الحاي: اللمع في ذم المسائل التي لم تقع، دار إيلاف الدولية، الكويت، ط2، 1997.
29. أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي (المتوفى سنة 768هـ): مرآة الحنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، المجلد الأول، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة
30. أبو محمد عبد الملك بن هشام المعارفي: السيرة النبوية، قدم لها وعلق عليها وضبطها طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت.



31. أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان اللسان: تهذيب لسان العرب، تهذيب المكتب الثقافي للتحقيق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
32. أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق، بيروت، د.ت، ج8،
33. إتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1996.
34. أحمد إسماعيل يحي: الزكاة عبادة مالية وأداة اقتصادية، دار المعرفة، القاهرة، 1986.
35. أحمد الأنصاري: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، مركز الكتاب للنشر، 2004.
36. أحمد الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن الكريم، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1987.
37. أحمد الشرباصي: موسوعة أخلاق القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان.
38. أحمد بن نعمان: التعصب والصراع العرقي والديني واللغوي، لماذا وكيف؟ دار الأمة.
39. أحمد سوسة: أبحاث في اليهودية والصهيونية، الأردن، دار الأمل، 2003.
40. أحمد شليبي: أديان الهند الكبرى: الهندوسية-الجينية-البوذية، مقارنة الأديان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط9، 1988.
41. أحمد شليبي: مقارنة الأديان، المسيحية 2، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1984.
42. أحمد عبد الغفور عطار: الديانات والعقائد في مختلف العصور، مكة المكرمة.
43. أحمد محمود صبحي: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، 1983.
44. أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، دار إحياء التراث، د.ت.
45. أحمد نصيب المحاميد: الحب بين العبد والرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 1405هـ - 1985م.
46. أدولف تانكره: خلاصة التصوف المسيحي، المبادئ، ترجمة الأرشمندريت يوسف فرج.ق.ب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
47. أسعد السحمراني: الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، دار النفائس، ط1، 1408هـ - 1988م.

48. ألبيرتو دانزول: اليهودية والغيرية *Judaïsme et altérité*، ترجمة ماري شهرستان، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، سورية.
49. ألفت عزيز الصمد: الإسلام والمسيحية، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، دار القرآن الكريم، بيروت، 1404هـ - 1984م.
50. إميل برهيه: تاريخ الفلسفة الهلنستية والرومانية.
51. أندريه ماندوز: تاريخ الكنيسة المفصل، نقله إلى العربية الأبوان أنطوان الغزال وصبحي حموي اليسوعي، دار المشرق.
52. بدران أبو العينين بدران: العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
53. برنار سيسبويه: الإنجيل الحي في الكنيسة، تعريب الأب جرجس المارديني، دار المشرق ش.م.م، بيروت، لبنان، 1987.
54. بهاء الدين العاملي: الكشكول، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
55. بيري دو كاتسيه: الفلسفات الكبرى، ترجمة جورج يونس، إشراف كمال يوسف الحاج، منشورات عويدات، بيروت-باريس.
56. تقي الدين أحمد ابن تيمية: الزهد والورع والعبادة، تحقيق عماد سلامة، إشراف محمد عويضة، شركة الشهاب، الجزائر.
57. تقي الدين أحمد بن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ونخبة من العلماء: مجموعة التوحيد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
58. جاك جوميه، مارتن إدوار سبانخ: المسيح بن مريم، منشورات دار المشرق ش.م.م، 1982.
59. جوازا يارويس: فلسفة الدين، تعريب أحمد الأنصاري، مركز الكتاب للنشر، 2004.
60. جودة السعد: الشخصية اليهودية عبر التاريخ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1985.
61. جوزيف كاير: كتاب حكمة الأديان الحية، ترجمة المحامي حسين الكيلاني، مرجعة الأستاذ محمود الملاح، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1964.

62. جون هك: أسطورة تجسّد الإله في السيد المسيح، تعريب: د. نبيل صبحي، دار القلم، ط1، 1405هـ - 1985م.
63. الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي: تفسير ابن كثير، ج2، طبعة جديدة ومنقحة مأخوذة عن مخطوطة دار الكتب المصرية، صححها لجنة من الأساتذة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 1410هـ/1990
64. الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي: تفسير ابن كثير، طبعة جديدة مصححة ومنقحة مأخوذة عن مخطوطة دار الكتب المصرية، صححها لجنة من الأساتذة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 1410هـ - 1990م.
65. حسن محمد الشرقاوي: نحو علم نفس إسلامي، تقديم عبد الحلیم محمود ومصطفى محمود، مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، 1984م.
66. خديجة النبلاوي: الحب بين الوهم والحقيقة، بحث مستقى من كليات رسائل النور للإمام الجليل سعيد النورسي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط1، 1998.
67. دانيال روبس: يسوع في زمانه، نقله إلى العربية الأب حبيب باشا البولسي، المنشورات العربية جونيا، لبنان، 1969
68. رحمة الله خليل الرحمن العثماني الكيرانوي: إظهار الحق، تحقيق الدسوقي، الجزائر، دار الكتب، 1988.
69. رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، زقاق البلاط، بيروت، لبنان، 1999.
70. رومانو كوارديني: قيامة المسيح، نقله إلى العربية جرجس المارديني، دار المشرق ش.م.م، بيروت، لبنان، ط2، 1991.
71. زكي شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط، ج1، ط2، مصر، 1968.
72. سعيد حوى: الإسلام، مراجعة الأستاذ وهبي سليمان الفواجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1401هـ - 1981م.

73. سميح عاطف الزين: رابعة العدوية، تحليل ودراسة، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، 1408هـ-1988م
74. سنن ابن ماجه مع تعليقات الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1417هـ .
75. سنن أبي داود مع تعليقات الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط2، 2007م.
76. سنن الترمذي مع تعليقات الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1417هـ.
77. سهيل زكار: المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي، ج1، تعريب وتصنيف وتقديم: سهيل زكار، دار الكتاب العربي.
78. السيد سابق: إسلامنا، دار الكتاب العربي، بيروت، 1978.
79. شارل جنير: المسيحية نشأتها وتطورها، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت.
80. الشر عمر بن إبراهيم الكوفي: كتاب البيان في شرح اللمع لابن جني، تحقيق علاء الدين حموية، دار عمار، الأردن، 2002.
81. شعيب الحريفيش: الروض الفائق في المواعظ والرقائق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
82. شمس الدين محمد أبي بكر ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت.
83. شمس الدين محمد أبي بكر ابن القيم الجوزية: طريق المهجرتين وباب السعادتين، ضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، دار ابن عمان، مصر، ط1، 1425هـ -2004م
84. شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية: إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، حققه وكتب حواشيه محمد حامد الفقي، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
85. شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية: الروح، حققه وقدم له وعلق حواشيه محمد اسكندريلدا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
86. شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

87. شهاب الدين الحسيني: مبادئ العلاقات وحقوق الأقليات الدينية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ-2003م.
88. صحيح البخاري على فتح البخاري: مكتبة الصفا، ط1، 2003م.
89. صحيح مسلم مع شرح النووي: مكتبة الصفا، ط1، 2003م.
90. صلاح مصطفي الفوال: التصوير القرآني للمجتمع، نظرية الإسلام الاجتماعي، علم الاجتماع الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة.
91. طلعت غانم: أضواء على التصوف، عالم الكتب، القاهرة.
92. عباس محمود العقاد: المجموعة الكاملة، العقائد والمذاهب (يحتوي على أبو الأنبياء، حياة المشيخ، عقائد المفكرين)، المجلد 11، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984.
93. عبد الحميد بوزوينة: الصلاة وقيمتها التربوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر.
94. عبد الحميد خطاب: إشكالية الحب في الحياة الفكرية والروحية في الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
95. عبد الرحمن بدوي: شهيدة العشق الإلهي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960.
96. عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط3، دار النهضة، مصر، 1979.
97. عبد الرزاق رحيم جلال الموحى: العبادات في الأديان السماوية اليهودية-المسيحية-الإسلام، الأوائل في النشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، ط1، 2001.
98. عبد الرزاق نوفل: التصوف والطريق إليه، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
99. عبد الصبور شاهين: دستور الأخلاق في القرآن الكريم، دراسة مقارنة الأخلاق النظرية في القرآن، تعريب وتحقيق وتعليق عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، دار البحوث .
100. عبد الفتاح أحمد الفاوي: الأخلاق دراسة فلسفية دينية، ط1، 1410هـ-1990م.
101. عبد الفتاح عبد الله بركة: في التصوف والأخلاق، دراسات ونصوص.

102. عبد الله شريط: الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.
103. عبد الله محمود شحاته: مفتاح السنة، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، 1984.
104. عبد المجيد همو: المجازر اليهودية والإرهاب الصهيوني، مراجعة وتحقيق إسماعيل الكردي، الأوائل، دمشق، 2003.
105. عبد المنعم الحفني: معجم مصطلحات الصوفية، ط2، دار المسيرة، بيروت، 1987.
106. عبد الهادي حسن وهيبي: في ظلال المحبة، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1417هـ - 1997م.
107. عبد الوهاب المسيري: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط2، 2002.
108. عرفان عبد الحميد فتاح: النصرانية، نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، دار عمار، الأردن، 2000.
109. عفيف عبد الفتاح طبارة: روح الصلاة في الإسلام، ط17، الموزعون الوحيدون، دار العلم للملايين، بيروت.
110. علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والألاف، حققه وفهرسه محمد عبد الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية.
111. علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة، دار النهضة، القاهرة، 1971.
112. عمر رضا كحالة: سلسلة بحوث اجتماعية (الطلاق، الزنا، ومكافحة الحب)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1404هـ - 1984م.
113. عمر شاکر الكبيسي: الحب في القرآن الكريم، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1424هـ - 2003م.
114. عودة عبد عودة عبد الله: أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1425هـ - 2005م.
115. فائزة أنور شكري: القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002.

116. فرانسوا قاريون اليسوعي: فرح الإيمان، بهجة الحياة، محاشرات في أهم قضايا الإيمان المسيحي، جمعها الأب برنار موستيه.
117. فريديريك نيتشه: هكذا تكلم زرداشت، ترجمة فيلكس فارس.
118. فضيل حسن عباس: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية نقد مطاعن ورد شبهات، دار البشير، عمان، ط2، 1989.
119. فيكتور سلحت اليسوعي: الإنسان في ضوء المسيح، دار المشرق ش.م.م، ط3، 1986.
120. فيليسيان شالي: موجز تاريخ الأديان، ترجمه إلى الفرنسية حافظ الجمالي، ط1، 1991.
121. القاضي عياض. أحمد شهاب الدين الخفاجي: الشفاء، نسيم الرياض في شرح الشفاء، بهامشه شرح الشفاء لعلي القاري، دار الفكر، بيروت.
122. القديس أوغسطين: مدينة الله، نقله إلى العربي الخور أسقف يوحنا الحلو، ط2، دار المشرق، بيروت، 2006.
123. القديس أوغسطينس: اعترافات القديس أوغسطينوس، نقلها إلى العربية الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت.
124. القس أنسلم تورميديا (الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي)، تحفة الأريب في الرد على أصحاب الصليب، تقديم وتحقيق وتعليق محمود علي حمادة، ط3، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1992.
125. قمر كيلاني: في التصوف الإسلامي، مفهومه وتطوره وأعلامه، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، مطابع بتميا.
126. لويس غرديه، ج. قنواقي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، نقله إلى العربية صبحي صالح وفريد جبر.
127. مارسيل بوازار: إنسانية الإسلام، ترجمة عفيف دمشقية، ط1، منشورات دار الآداب، بيروت، 1980.
128. مجاهد محمد هريري: منهج القرآن والسنة في العلاقات الإنسانية، ط1، 1998.
129. مجدي محمد إبراهيم: فعل الهمة في المحبة والإرادة عند الصوفية، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1423هـ-2003م.
130. مجمع اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج1، لجنة التراث للجميع، القاهرة



131. مجموعة من الباحثين: إله المساكين (24)، نقله إلى العربي الأب ألبير أبونا، دار المشرق، بيروت، ط2.
132. مجموعة من الباحثين: رؤيا القديس يوحنا (6)، دار المشرق، بيروت
133. محمد إبراهيم مهنا: الإنسان في القرآن الكريم، من التفسير الموضوعي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا-بيروت.
134. محمد أبو زهرة: الديانات القديمة - مقارنات الأديان -، دار الفكر العربي، القاهرة.
135. محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، تقديم عمار طالبي، تصدير محمد الغزالي، دار الشهاب، الجزائر، 1989.
136. محمد السعدي: دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، إعداد جمعية الدعوة الإسلامية، المركز الإسلامي مالطا 1985، نشر وتوزيع دار الثقافة، قطر-الدوحة.
137. محمد الغزالي: الجانب العاطفي في الإسلام، دار الشهاب، باتنة.
138. محمد بن إسماعيل الصنعاني المعروف بالأخير: تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد، حققه وشرحه وعلق عليه موفق فوزي جبر، دار الحكمة للطباعة والنشر، ط3، 1415هـ-1994م.
139. محمد بن إسماعيل الصنعاني: تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد، حققه وشرحه وعلق عليه موفق فوزي جبر، ط3، دار الحكمة للطباعة والنشر، دمشق، 1415هـ-1994م.
140. محمد بن حسن الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، تحقيق إلياس كلانتر، ترجمة عباس ترجمان، منشورات مؤسسة الأعظمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، 1983.
141. محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
142. محمد سليم العوا: الأقباط والإسلام، دار الشروق، بيروت، ط1، 1407هـ.
143. محمد سيد أحمد المسير: أصول النصرانية في الميزان، ط1، 1419هـ-1998م.

144. محمد ضياء الرحمن الأعظمي: فصول في أديان الهند (الهندوسية والبوذية والجينية والمسيحية وعلاقة التصوف بها)، دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، بريدة، ط1، 1417هـ - 1997م.
145. محمد عبد الحميد الحمد: الرهبة والتصوف في المسيحية والإسلام، ط1، وزارة الإعلام، 2004.
146. محمد عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق الأستاذ عبد العزيز محمد الوكيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان-بيروت
147. محمد عبد الله الشرقاوي: بحوث في مقارنة الأديان، نقلا عن كتاب لجورج أيرد، دار الفكر، القاهرة.
148. محمد عبد الله دراز: دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، دار القلم الكويت، ط1، 1393هـ - 1973م.
149. محمد عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، تعريب وتحقيق وتعليق عبد الصبور شاهين، مراجعة محمد بدوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط10، 1998.
150. محمد عبده: رسالة التوحيد: تقديم حسين يوسف الغزال، دار إحياء العلوم، بيروت، 1986.
151. محمد عثمان نجاتي: الحديث النبوي وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط2، 1993م.
152. محمد علي الخولي: مقارنة بين الأناجيل الأربعة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، 1993.
153. محمد علي برو العاملي: الكتاب المقدس في الميزانالدار الإسلامية، بيروت، ط4، 1993.
154. محمد فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1401هـ/1981م
155. محمد فريد وجدي: دائرة المعارف القرن العشرين - الرابع عشر - العشرين، المجلد الثالث، دار الفكر، بيروت،

156. محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي ، دار المعارف، ط2.
157. محمد كمال جعفر: الإنسان والأديان، دراسة مقارنة، دار الثقافة، الدوحة، 1985.
158. محمود البستاني: دراسات في علم النفس الإسلامي، دار البلاغة، بيروت، ط2، 1991م.
159. محمود محمد الخزندار: هذه أخلاقنا حينما نكون مؤمنين حقاً، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1416هـ - 1976م.
160. المستخلص في تزكية الأنفس، دار السلام، الجزائر (د.ت).
161. مصطفى حلمي: الإسلام والأديان، دراسة مقارنة، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 1411هـ - 1990م.
162. مصطفى شاهين: النصرانية تاريخاً وعقيدة وكتبا ومذاهب، دراسة وتحليل ومناقشة دار الاعتصام.
163. مقداد يالجن: الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973.
164. منصور رجب: تأملات في فلسفة الأخلاق.
165. موريس بوكاي: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ترجمة الشيخ حسن خالد مفتي، ط3، المكتب الإسلامي، الجمهورية اللبنانية، 1411هـ - 1990م.
166. موسى بن ميمون: دليل الضالين، فيريديه باريس، 1970.
167. الموطأ برواياته: رواية يحيى الليثي، تصنيف مالك بن أنس، تحقيق وضبط وتخريج وشرح ووضع الفهارس أبو أسامة بن عبيد الهلالي، مجموعة الفرقان التجارية، دبي، 2003.
168. نبيل عبد اللطيف: الإنسان كما فطره الله، رأي في دعائم نهضة الأمم وبناء الحضارة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000.
169. هنري برجسون: منبع الأخلاق والدين، تعريب سامي الدروي وعبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين القاهرة، ط2، 1984.
170. وحيد الدين خان: حقيقة الحج، ترجمة ظفر الإسلام خان، دار الصحوة، القاهرة، 1987.

171. وزارة التربية، الجمهورية العربية السورية: الطرق الخاصة في التربية المسيحية، الثاني والثالث والرابع من دور المعلمين والمعلمات والصف الخاص، 1403-1402هـ / 1982-1983م.
172. ول ديورانت: قصة الحضارة (الحضارة الرومانية)، ترجمة محمد بدران، ط3، 1972.
173. ول ديورانت: قصة الحضارة (الهند وجيرانها الشرق الأقصى الصين)، ج3، ترجمة زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1968.
174. ولتر ستين: التصوف والفلسفة، ترجمة وتعليق وتقديم: عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999.
175. وهبة الزحيلي: العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي، ط4، مؤسسة الرسالة، 1417هـ-1997م.
176. يحي المعلمي: مكارم الأخلاق في القرآن الكريم، شركة مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع، ط2، 1400هـ-1980م.
177. يعقوب المليجي: الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية، عن ج.سل.ملييه، محطات انتظار بين المسيحية والإسلام، باريس، 1961.
178. يوسف القرضاوي: الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1405هـ-1985م.

ثانيا: قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1. A. D. Sertillanges : L'amour chrétienne, J. Gabalda, Librairie Lecceffre, Paris.
2. A. Verrielle : Le surnaturel en nous et le péche originel, Bloud et Gay, 1932.
3. A. Verrielle Bloud et Gay : Le surnaturel en nous et le péché original, 1932.
4. A.D. Sertillanges : L'amour chrétien.

5. Abbé Jean desgranges : Vingt ans de conférences, ouvrage concernné par l'accadimie française, 1<sup>er</sup> serie, Paris.
6. Abgeste Nicolas : L'art de croire, Tome1, préparation philosophique à la foi chrétienne, Paris, Ambroise Bray, librairie éditeur 20 rue cassette, 1867.
7. Droguet- Ardant Fayard : Théo nouvelle encyclopédie catholique (Réflexions chrétiennes sur les problèmes moraux),
8. Felix Anizan OMI : Rayons du cœur tout aimant.
9. Dictionnaire encyclopédique du judaïsme, publié sous la direction de Geceffrey Wigoder, Éditeur de l'encyclopedia judaïca les éditions du cerf 29, bd Latour- Maubourg, Paris, 1993
- 10.Gabriel Brunhes : La foi et sa justification rationnelle, Librairie Bloud et Gay, 1927.
- 11.Henri Bontoux : Les étapes de déhival sans les voies de l'amour.
- 12.J .bricaout : Dictionnaire pratique des connaissances religieuses, Charité – Ernest, Tome II, Librairie Letouzey et Ané, ParisVI, 1925.
- 13.J. Vallentin : La foi des chrétiens, édition Alsatia, Paris.
- 14.Jean Noel Aletti : Jesus Christ fait il l'unité du nouveau testament ? collestion (Jesus et Jesus christ), dirigé par Joseph Doré, Institut Catholique de Paris n°61.
- 15.Jean Pierre Bagot : Pour vivre le mariage, les éditions du C.E.R.F, Maubouag, Paris, 1986.
- 16.Jésus Roi d'amour, recueil des prédications du R.P. Mateo Crawley-Boevey, de la congrégation des sacrés cœurs (picpus),

direction générale de l'intronisation secrétariat international de l'intranisation, Paris, 1930.

17. Josefa Ménédez : Un appel a l'amour le message du coeur de jésus au monde, Introduction du P.H.Monier Vinard, soj, conclision du P.F. Charmot, S.J. 1890-1923, Edition de l'apostalast de la prière Toulouse.

18. Joseph Huby.S.J : Mystiques paulinienne et johanique, Desclée de Brouwer.

19. Leon Etienne Duval : Archevêque d'Alger, parce les de paix, édition N.O.P.N.A, Alger.

20. Leon Etienne Duval : Paroles de Paix, edition N.O .P.N.A. Alger.

21. Les raisons de la foi, ouvrage couronné par l'académie française, 1<sup>ère</sup> série, Paris.

22. Louis Massignon, Opera Minora : Textes recueillis, classés et présentés avec une bililiographie par Y. Moubarec, sous le patronage du centre d'études Dar El-Salam, tome II.

23. Maurice Brillant : Le plus bel amour, Bloud et Gay.

24. Pierre BreLOT : De la mort à la vie éternelle.

25. Pierre Grelot : Le monde à venir, Paris, centurion 1974.

26. Relix Anizanoni : Rayons du cœur tout aimant.

27. Richard Rolle : le feu de l'amour, traduit par D.M. Noetinger moine de solesmes maison Alfred Mame et fils.

28. Sator Mame : Jésus hier et aujourd'hui, adaptation française réalisée sous la direction de Claude Bernard Costecalde, édition originale : Lion publishing, Oxford, 1983.

29. Thérèse d'Avila : Le chemin de perfection manuscrit de l'Escorial, traduction de Jeannine Poitrey, notes de Tomas Alvarez O.C.D, les éditions du CERF, 29 bd Latour Manbourg, Paris.
30. Une Sœur de la providence (F.C.S.P) : La foi en l'amour de dieu, Editions SPES, Paris.
31. Vallentin : La foi des chrétiens.
32. Y.E. Masson O.P : Vie Chrétienne et vie spirituelle, introduction à l'étude de la théologie acétique et mystique, librairie Bloud et Gay.

ثالثا: الدوريات:

1. مجلة الواحة Oasis: مركز الواحة للدراسات والأبحاث، السنة الثانية، العدد الثالث، آذار (مارس) 2006، الترجمة العربية لخور أسقف بوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت.
2. مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، دورية أكاديمية متخصصة محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية والإنسانية، رجب 1423/سبتمبر 2002، العدد 12.
3. مجلة المعارج: شهرية متخصصة تعنى بالدراسات القرآنية وحوار الأديان، تصدر عن منتدى المعارج لحوار الأديان، السنة 14، العددان 48-49، 1425هـ-2004م، المشرف العام، الشيخ حسين أحمد شحادة.

رابعا: المواقع الإلكترونية:

1. الأب ميشال حداد الكرملية: القديسة تريزا الأفيلية، منتديات باقوفا  
<http://www.kobayat.org.decembre22/2006/14:37>
2. [www.ar.wikipedia.org/wiki.20-7-2011](http://www.ar.wikipedia.org/wiki.20-7-2011) 14:07



فهرس الموضوعات:

الصفحة	الموضوع
أ-و	مقدمة
<b>الفصل التمهيدي</b>	
2	- مفهوم الخلق
10	- المحبة في بعض الديانات القديمة
<b>الفصل الأول: ماهية المحبة ومصادرها في الديانتين</b>	
46	المبحث الأول. ماهية المحبة ومصادرها في المسيحية
46	المطلب الأول. ماهية المحبة المسيحية
52	المطلب الثاني. المحبة في الأناجيل
69	المطلب الثالث. المحبة في رسائل بولس والرؤى
93	المبحث الثاني. ماهية المحبة ومصادرها في الإسلام
93	المطلب الأول. ماهية المحبة الإسلامية
102	المطلب الثاني. المحبة في القرآن الكريم
107	المطلب الثالث. المحبة في السنة النبوية الشريفة
117	النتائج
<b>الفصل الثاني: فلسفة المحبة المسيحية، وتطبيقاتها العملية في الديانتين</b>	
120	المبحث الأول. فلسفة المحبة المسيحية وتطبيقاتها العملية
120	المطلب الأول. سر المحبة في الإيمان المسيحي
167	المطلب الثاني. التطبيقات العملية للمحبة المسيحية
174	المطلب الثالث. الرهينة المسيحية
215	المطلب الرابع. وقفة عند المحبة المسيحية
225	المبحث الثاني. تطبيقات المحبة الإسلامية
225	المطلب الأول. محبة الله للعبد ومحبة العبد لله ورسوله ﷺ
254	المطلب الثاني. دور العبادات في تثبيت المحبة وتمتين العلاقات الإنسانية

290	المطلب الثالث. مقام المحبة في التصوف الإسلامي
343	المطلب الرابع: دعوة إلى الإخاء الإنساني
354	النتائج
358	الخاتمة
<b>الفهارس</b>	
361	✓ فهرس الآيات القرآنية
372	✓ فهرس الأحاديث النبوية
377	✓ فهرس فقرات الكتاب المقدس
384	✓ فهرس المصادر والمراجع
401	✓ فهرس الموضوعات

القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

This document was created with Win2PDF available at <http://www.daneprairie.com>.  
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.